شؤون فلسطينية

١

كانون الثاني (يناير) ٧٣

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٧ — كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ، د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١½ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٢٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠ ٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : صفد ، القرن التاسع عشر .

المحتويـــات

صفحة ٣ رسالة ابو عمار

٥ منطلقات اساسية لاستراتيجية الثورة الفلسطينية ، منير شفيق .

١٤ حركة التحرير الوطني الفلسطيني والعمل الجماهيري ، ناجي علوش .

٢١ الثورة العربية والثورة الفلسطينية ، هيثم البشير .

٣٠ الثورة العربية والثورة العالمية ، ابو عمر .

٣٧ صرفند والقانون والمسالة اللغوية ، نزيه قوره .

٤٥ فتح : الميلاد والمسيرة ، حديث مع كمال عدوان

٥٨ رؤيا المستقبل ، الدكتور محجوب عمر .

٦٤ صحافة فتح والثورة ، ابو ثائر .

٧٢ النزول عن الكرمل ، محمود درويش .

٧٨ العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية ، المقدم الهيثم الايوبي .

١٠٢ الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الاجنبي ، كين ميركورد .

١١٣ المواقف البريطانية من فلسطين بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠ ، برباره حداد .

١٣٧ مراجعات .

١٥١ تقارير عن اسرائيل .

١٧٣ ثلاث رسائل .

١٨٤ فلسطين في ثلاثة مؤتمرات .

١٩٦ شهريـــات .

٢٢٥ اسرائيليات .

رسالة أبو عمار : الثورة مستمرة

طلبت شؤون فلسطينية من الاخ ابو عمار ان يوجه كلمة الى اخوانه المناضلين بمناسبة مرور ثمانية اعوام على انطلاقة فتح ، وكتقديم للدراسات التي أعدتها حركة فتح بهذه المناسبة وخصصنا لها السبعين صفحة الاولى .

اخواني المناضلين : في هذه المناسبة الهامة من عمر ثورتنا وهي تدخل عامها التاسع مودعة ثمانية اعوام حافلة بالمنجزات الضخمة من خلال نضالنا الشاق الطويل ، أتوجه برسالتي هذه الى جماهيرنا ، الى كل حملة البنادق من ثوارنا ومن آمن بهذه البنـــادق قولا وعملا ، الى الابطـــال من شعبنا الذين يقبضون بأياديهم القوية على بنادقهم وهم يتعربشون الجبال وثلوجها والاحراش واشجارها والصحارى ورمالها والوهـــاد وصخورها ، منطلقين من ايمانهم القوي المتين الذي لا يلين ولا يتزعزع بحق شعبهم في الحياة الحرة الكريمة وبقاء امتهم وحتمية انتصارها ، الى هؤلاء الابطال الصامدين في زنازين العدو الصهيوني نساء ورجالا يتحدون سجانيهم بايمانهم وصبرهم واصالتهم الثورية والى المخلصين الشرفاء في سجون السلطة العميلة في الاردن يواجهون بثباتهم وعزيمتهم العمالة والخيانة ، الى شعبنا الصامد البطل تحت نير الاحتـــلال الصهيوني يواجه بكل كبرياء العروبة في أمتنا هذا الاحتلال البغيض ، الى أبطالنا ممثلي الثورة ورسلها في الخارج وهم يتحدون الارهاب الصهيوني بارادة لا تلين ، الى شعبنا المناضل في الاردن الحبيب الذي اثبت دوما للعملاء في عمان اننا شعب واحد لا شعبين وانه بؤرة يتوالد فيها الابطال رغم كل انواع البطش والارهاب والتآمر والعمالة ، الى كل اصدقاء ثورتنا في جميع انحاء العالم الذين يتفهمون نضالنا العادل ويقفون بثبات داعمين مبادئنا واهداف نضالنا واثقين بقدرة الثورة على مواصلة المسيرة مهما كانت التحديـــات ، الى هؤلاء جميعا .. أتوجه بهذه الرسالة لانهم هم الذين صنعوا الثورة وهم كانوا وما زالوا حماتها وهم الذين أعطوها هذا الزخم الذي انبعثت منه انجازات ثورتهم العظيمة التي لم تقتصر اشعاعاتها على شعب فلسطين لتحوله من لاجئين الى ثوار ولكنها تخطت ذلك الى الابعاد الحضارية التي تميزت بها الثورة الفلسطينية في خضم المحيط العربي فأثرت وتؤثر في خط الثورة العربية الشاملة ، وفي طريق تحرر امتنا ومستقبلهـــا . وانطلقت منها الى آفاقها العالمية تعطي وتأخذ ، تتعلم وتعلم ، تقاتل وتكافح في خنادق النضال الواحدة وفي مسارات الكفاح المشترك بين شعوب العالم .

ايها الاخوة الثوار : ان هذه المنطلقات الحضارية التي حكمت ثورتكم وهذه المثل السامية التي اتسمت بها مسيرتكم النضالية دفاعا عن الحق وعن الارض وعن المبادىء المقدسة، هي التي جعلتها محور الاستقطاب لمجمل حركة الجماهير العربية ونقطـــة الارتـــكاز الاساسية لكل الثوار العرب الشرفاء ، وجعلتها انطلاقا من ذلك كله ساحة الصدام الرئيسية ضد قوى البغي والعدوان الامبريالي الصهيوني التي لا تكف تعمل بشراهة وجشع على تكبيل هذه الأمة العربية والسيطرة عليها وعلى منابع خيراتها واقتصادياتها وموقعها الجغرافي والاستراتيجي الخطير ، ومن ثم انهائها كأمة ذات حضارة وتاريخ ووجود لتعيد بمراكز القوى الاميركية نفس قصة افناء شعب الهنود الحمر على ايادي الفاشيين النازيين رعاة البقر الجدد ، ولفرض السلم الامريكي الاسرائيلي على المنطقة العربية ولتصبح منطقتنا مجرد « غيتو » عربي يستهلك الانتاج ويورد العمال لعجلة الصناعة في ظل الخريطة الاسرائيلية الاميركية المعدة لمنطقتنا وأمتنا .

من هنا كانت ايها الثوار القيمة الحضارية لثورتكم ، ومن هنا كانت أهمية تواجدكم وبنادقكم في اياديكم ، ومن هنا كانت شراسة الهجمة الامبريالية الصهيونية وعملائها في المنطقة ضد ثورتكم وشعبكم وضدكم كثوار شرفاء ، ومن هنا نفهم لماذا يركز الاستعمار الجديد المتمثل في الامبريالية والصهيونية من خلال مخططات التصفية كل ثقله وجهده ضد ثوارنا وابطالنا بطريق مباشر او غير مباشر ، من هنا نفهم ونعي لماذا يطلب رأس هذه الثورة تحت مقصلة المطامع والخيانة والعمالة .

ايها الاخوة المناضلون : ان الثورة في صعودها وهبوطها في تقدمها وتراجعها في

وجزرها يبقى فيها الاوفياء الاوفياء من ثوارها يعطون ويمنحون ويسخون بالعطاء والمنح بلا حساب ليثيروا الطريق لجموع الثوار ولجماهير الشعب في المسيرة الطويلة يقدمون بذلك المثل والامثولة ويصححون مسار التاريخ عبر المتاهـــات وخلال عثرات الامم مدعومين بالشرفاء والاوفياء من ابناء امتنا العربية واحرار العالم . لذلك كان عليكم واجب مقدس ينطلق من حضارتنا الاصيلة ومن جميع القيم والمثل التي ترتبطون بهـــا وتؤمنون بها لتقفوا بقوة وعزيمة امام جميع هذه المخططات الامبرياليـــة الاميركيـــة الصهيونية ولتمنعوا السقوط الذي يمهدونه لامتنا ولشعوبنا في فلك السيطرة التامة لهم على بلادنا .

عليكم يا رفاق الدرب الطويل الشاق ان تثبتوا كما أثبتم دائما وأبدا ان الثوار في الثورة الفلسطينية مهما اختلفت جنسياتهم وهوياتهم وتواجدهم وأماكنهم سيظلون عند حسن ظن أمتهم العربية بهم وانهم سيبذلون النفس والنفيس وكل مرتخص وغال للذود عن حياض هذه الامة وتاريخها وقيمها وحضارتها امام الهجمة الصهيونية الامبريالية . انه واجب تمليه عليكم مسؤولية هذا الجيل الذي ارتضى ان يكون جيل المعاناة والتضحية من اجل مستقبل زاهر حر لاجيال قادمة . جيل يتحدى الهجمة الامبريالية الصهيونية النازية الجديدة كما تحدت اجيال من أمتكم قبلكم الهجمة الصليبية والهجمة التترية .

انها امانة التاريخ . . . انها امانة الاجيال . وما أثقلها من امانة وما أعظمها من مسؤولية .

ان المؤامرة كبيرة والتنفيذ دقيق يشترك فيه اكثر من طرف واكثر من عدو واكثر من عميل ولكن ثوارنا سيتصدون للمؤامرة وسيتصدون للمتآمرين . ونحن نعلم مسبقا انها مواجهة صعبة ومواجهة خطيرة ولكننا منذ الرصاصة الاولى لم نتوقع ان يكون طريقنا مفروشا بالورد والرياحين . اننا نعلم ان الطريق صعب وشاق ومرير . طريق الشهداء والتضحيات طريق الدماء والمتاعب . ولكنه طريق العزة والكبرياء والكرامة طريق البقاء والحرية والنصر .

لقد ظنوا انهم من خلال مؤامرة ايلول ومجازر عمان وجرش والسلط واربد قد أطفأوا نور الثورة وأجهضوا مسيرة النضال في شعبنا ولكنهم نسوا ان شعبنا الخلاق الذي ذاق حلاوة الجهاد والنضال صمم على متابعة المسيرة بفرسان جدد احتلوا امـــاكن الفرسان الشهداء من شعبنا العظيم .

لذلك فلن تستطيع المؤامرة ولن يستطيع المتآمرون ان يحجبوا شمس الثورة ونور الثوار من ان يسطع على جماهير امتنا العربية الواعية الوفية الاصيلة . هذه الجماهير العربية التي يتعاظم دورها الان أكثر من أي وقت مضى في مسيرة الثورة ليأخذ حجمه الطبيعي والحقيقي في معركة المصير الواحد المشترك .

فطوبى لهذا الجيل جيل المعاناة ، جيل التضحيات ، جيل الصمود ، الجيل الذي يصنع التاريخ بأحرف من نور ونار وهاجا في جبين امته العربية غارا وانتصارا .

طوبى لهم حيث هم يكافحون ويناضلون . طوبى لهم حيث هم صامدون ومثابرون وليكن شعارنا في عامنا هذا امام التحدي الكبير ان مزيدا من الملاحم ومزيدا من المعارك على كافة الجبهات سياسية كانت أم عسكرية . مزيدا من التحديات ضد جميع مخططات التصفية والمشاريع الانهزامية المشبوهة . مزيدا من التلاحم والوحدة والتراص . مزيدا من المحبة بين الثوار والشرفاء ولتكن ارواح شهدائنا الابرار في عليين شاهدا ودافعا لنا على درب المسيرة والثورة الطويل الشاق .

وعهدا لكم يا ثوارنا عهد الشرفاء عهد الاحرار ان نستمر في الدرب وان نكمل المسيرة بالروح والدم . وانها لثورة حتى النصر .

١٩٧٣/١/١ اخوكم **ياسر عرفات**

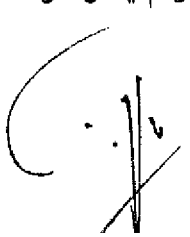

منطلقات اساسية لاستراتيجية الثورة الفلسطينية

منير شفيق

عندما طرحت حركة فتح منطلقاتها الاستراتيجية التي حددت من خلالها : (أ) أولوية هدف تحرير فلسطين . (ب) اتباع أسلوب الكفاح المسلح لتحقيق الهدف . (ج) الانطلاق من النضال المسلح القطري الفلسطيني لتوحيد نضال الجماهير العربية ... كان ذلك يعني قلبا ــ رأسا على عقب ــ لمجموعة من المنطلقات الاستراتيجية التي سادت الوطن العربي من ناحية ، وكان يعني ــ من ناحية ثانية ــ ادخال الوطن العربي كله في مرحلة جديدة تمتاز بالصراع الحامي ضد العدو الصهيوني والامبريالية العالمية والعملاء . ولهذا قوبلت تلك المنطلقات الاستراتيجية بموجة عارمة من الرفض والمقاومة سواء : (١) من القوى الرجعية العميلة التي ارتعدت خوفا من أبعاد هذه المنطلقات الاستراتيجية التي كانت تعني في جوهرهـا وضع تلك القـوى في مواجهة جادة مـع العدو الصهيوني والامبريالية العالمية حيث يصبح الخيار أمام ردود فعـل العدو الصهيوني متجها الى وجهتين اما التصدي وهذا ما لا قبل لها عليه ، واما الركوع الذليل والانكفاء بشراسة لضرب حركة التحرير المسلحة الفلسطينية ، وهذا يسربلها في ثوب العجز والتواطؤ مع العدو من ناحية ، وفي ثوب معاداة الجماهير وقمع طلائعها الثورية من ناحية أخرى . حقا ان هذه القوى خائنة ومتواطئة بطبيعتها ومعادية للجمـاهير والطلائع الثوريـة بطبيعتها . ولكن الشيء الجديد هنا ان وضعها في مواجهة العدو الصهيوني ثم انكشاف الخيانة مع العدو مباشرة لا يؤديان الى كشفها وفضحها فحسب وانما الى خلخلة حكمها وانضاج أسقاطها . (٢) من القوى الوطنية التحررية التي رأت في تلك الاستراتيجية خطرا على منطلقاتها هي من جهة ، وعلى أسلوب نضالها من جهة ثانية حيث ان الانتقال بأشكال النضال الى الشكل الارقى ــ الكفاح المسلح ــ يعني ضرب كل تفكير اصلاحي داخل الحركة الوطنية والثورية ، ووضع كل القوى أمام محك عملي يتميز بالمواجهة الحامية مع العدو الصهيوني والامبرياليـة العالمية والعملاء . ومـن هنا قوبلت تلك المنطلقات بموجة عارمة من الرفض والمقاومة ولم تنج من التشكيك الذي وصل حـد الاتهام بالخيانة او بالمغامرة . ولكن اندفاع حركة فتح الى ترجمة تلك المنطلقـات الاستراتيجية الى ممارسة عملية على أرض الواقع ثم ما تلا ذلك من أحداث توجت بالعدوان الصهيوني ــ الامبريالي في حزيران ١٩٦٧ ، ثم اندلاع المقاومة المسلحة من جديد كاستمرار لانطلاقة الثورة الفلسطينية في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ ؛ أثبت بما لا يقبل الشك صحة جوهر المنطلقات الاستراتيجية التي طرحتها حركة فتح ؛ حيث أصبحت الثورة المسلحة الفلسطينية حركة جماهيرية فلسطينية مسلحة شدت اليها الجماهير العربية الى حد الاندفاع الى طلب الانخراط بها والمساهمة الفعلية على أرض المعركة . وهنا ذابت كل الاعتراضات السابقة ولكن لـم يدم ذلك طويلا حيث واجهت الثورة سلسلة متصلة من المؤامرات والصعوبات انتهت بضرب الثورة في الاردن (تموز ١٩٧١) ثم ضرب طوق من المحاصرة الخانقة عليها كما نرى الان ، الامر الـذي أعاد المعارضة السابقة لتلك المنطلقات الى سابق عهدها ، وبشراسة أشد ، سواء من

قبل القوى العميلة ، او من القوى المتخاذلة والاستسلامية والاصلاحية او تلك التي بدأ الخور واليأس يصيبانها ، فأخذت تبرز من جديد أشكال القمع الوحشي المباشر كما نشهد في الاردن ، والى جانبها اشكال من الاتجاهات الرامية الـــى التخلي عن جوهر تلك المنطلقات الاستراتيجية ، أي الهروب من رؤية هدف تحرير فلسطين هدفا له الاولوية ، والتخلي عن اعتماد اسلوب الكفاح المسلح الجماهيري كطريق وحيد لتحقيق الهدف . وقد ترجمت تلك الاتجاهات الى مجموعة من الموضوعات بعضها أصبح يؤكد ان اولوية الاهداف التي تواجه الثورة العربية يتركز في شن النضال الطبقي المحلي القطري بهدف ضرب القوى الداخلية المعادية ليصبح بالامكان الانتقال الى الكفاح ضد العدو الصهيوني. وبعضها عاد الى المنطلقات الاستراتيجية القديمة التي سادت الوطن العربي ، مصر والمشرق العربي خاصة ، فأصبح يتحدث عن النضال السياسي والجبهات السياسية المعادية للامبريالية والصهيونية وعن ضرورة العمل على الارض العربية قبل العمل ضد العدو الصهيوني مباشرة على الارض الفلسطينية . وبكلمة ، أصبحت الثورة الفلسطينية والثورة العربية تواجهان خطر الانحراف بهما عن طريق شن حرب شعب ضد العـــدو الصهيوني ، والانكفاء الى العمل القطري تحت شعارات قومية مطاطة ومفرغة من اي محتوى ثوري وعملي .

ان هذه المقدمة السريعة تجعل من الضروري العودة الى دراسة المنطلقات الاستراتيجية الاساسية التي طرحتها حركة فتح وترجمتها عمليا في الفاتح من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ ، لان ذلك يساعد على رؤية مدى صحة **جوهر** تلك المنطلقات في مواجهة مختلف اتجاهات الاستسلام والخيانة او الاصلاحية والهروب والتخلي عن الثورة . كما يساعد على رؤية الجوهر الذي يجب ان يركز عليه في اثناء مناقشة اوضاعنا الراهنة وتحديد مهماتنا . حقا ، ان الأخطاء والنواقص والسلبيات التي ظهرت في الثورة الفلسطينية لعبت ، وما زالت تلعب ، دورا خطرا في طمس ذلك الجوهر ومحاولة الانحراف عنه . ومن هنا فان اعادة دراسة تلك المنطلقات الاستراتيجية الاساسية التي انطلقت بهديها الثورة الفلسطينية ، تهدف الى جعل جوهر تلك المنطلقات اساسا لكل تفكير او تخطيط أو مشروع تنظيمي جديد ، بحيث تكون دراسة تجربة المرحلة الماضية ودراسة الوضع الراهن والمهمات الراهنة والقادمة **ضمن** استمرار الجوهر في تلك المنطلقات . هذا من ناحية ، اما من الناحية الاخرى فان العودة لدراسة جوهر تلك المنطلقات لا يعني عدم اغنائها بتجربة السنوات الماضية في اتجاه التعميق والتطوير والبلورة النظرية ، بل على العكس ان أية ثورة ، وان اي فكر نظري ثوري ، لا يستطيعان في البداية ان يقدما أكثر من المنطلقات الاستراتيجية الاساسية لمسيرة الثورة .. تلك المنطلقات التـــي تضع النضال الثوري على الطريق الصحيح ، ومن ثم تأتي المسيرة والتجربة لتكملا مختلف الجوانب الاخرى للثورة وتحلا المسائل التنظيمية والعسكرية والسياسية والنضالات الجماهيرية ، وتكتشفا أدق القوانين الخاصة للثورة في البلد المعني وفي المرحلة المحددة والظروف المعطاة بما في ذلك مسائل الاستراتيجية والتكتيك ومسائل تنظيم الطليعة وطبيعتها وتنظيم الجبهة العريضة وطبيعتها واشكال النضـــالات السياسية والجماهيرية المتنوعة وطبيعتها تحت قيادة الشكل الرئيسي المحدد للنضال ، اي مختلف جوانب حرب الشعب في بلد محدد ، وفي كل مرحلة ، وفي كل ظرف معطى .

الهدف الكلي ذو الاولوية : للثورة العربية أربعة أهداف رئيسية كلية لخصت بالبنود التالية : (١) التحرر الوطني من النفوذ الامبريالي العالمي اقتصاديا وعسكريا وسياسيا وثقافيا ، (٢) تصفية الكيان الصهيوني من خلال تحرير فلسطين واقامة دولة متحررة ديمقراطية جزءا من الوطن العربي والامة العربية ، (٣) تصفية الاقطاع والكومبرادور واقامة الحكم الديمقراطي الوطني ومن ثم الانتقال الى الاشتراكية ، (٤) تحقيق الوحدة

العربية الشاملة من خلال تصفية التجزئة الاقليمية واقامة الدولة العربية الموحدة . ولكن ما هي الاستراتيجية التي تستطيع أن تحقق هذه الاهداف في ظل الظروف المعطاة والتي تقف التجزئة الحادة للوطن العربي على رأس السمات التي تجعل الخروج باستراتيجية كلية موحدة تضع كل الطلائع الثورية والجماهير العربية في صف واحد لتحقيق تلك الاستراتيجية التي تهدف الى تحقيق اهداف الثورة العربية ، أمرا على غاية كبرى من الصعوبة ، لان وضع التجزئة الذي أخذ طابعا تاريخيا يشكل واقعا موضوعيا يلقي بعيدا بهدف تحرير فلسطين ، وهدف تحقيق الوحدة ، ويحول هدفي التحرر من الامبريالية وتصفية الاقطاعية والكومبرادور الى هدفين اقليميين ليس لهما طابع قومي عام يشمل الوطن العربي بأسره ؟ حقا ان هذه الاهداف مترابطة ، وتجمعها وحدة عضوية ، وثمة علاقة جدلية بين بعضها بعضا، ولكن أين الاولوية في هذه العملية المعقدة متعددة الجوانب ، او بعبارة أدق، ما هي القوانين الخاصة التي تحكم هذا الترابط ؟ ان تقرير هذه المسألة على غاية كبرى من الاهمية لان ذلك يعني اكتشاف نظرية الثورة واستراتيجيتها وتكتيكها ومن ثم كافة مسائلها التنظيمية والعسكرية والسياسية الخ . قبل أن نعرض الى تحليل « فتح » ونظريتها حول هذه المسائل لا بد من التنبيه الى ان اللغة التي تستخدمها « فتح » ذات طابع خاص يحتاج من الذين تعودوا على ترمنولوجيا Terminology معينة تخطي ما يبدو على السطح ، والغوص الى الجوهر لكي تفهم القيمة النظرية ، والاهمية الخاصة للمنطلقات الاستراتيجية التي طرحتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، كما ان من الممكن ان تناقش الاسباب الواردة في التحليل أو تضاف اسباب أخرى ، ولكن المهم هو الجوهر الذي يجب أن نمسك به . تنطلق « فتح » في تحليل الوضع العام في الوطن العربي من مقولة يمكن تلخيصها : « ان الوجود الصهيوني سبب لكل مشاكلنا في المنطقة العربية وتحطيم لكل تطلعاتنا نحو فجر جديد للامة العربية . ان آمال الامة وتطلعاتها وحل مشاكلها لا يكون اطلاقا الا بحصر الجهود كلها من أجل تحرير فلسطين والتوجه كاملا لتحدي العدو المغتصب . فالوجود الصهيوني جذر أمراضنا وليس نتاجا من نتائجها . ان التوجه نحو فلسطين ، ان اشعال المعركة في الارض المحتلة محك لا يخطىء ابدا ، وميزان صادق حتما يميز الخائن العميل من الوطني المخلص . ان القوى الثورية في المنطقة العربية يجب ان تدرك بوضوح ان نقطة الاحتكاك مع الاستعمار والعملاء والصهيونية هي في الارض المحتلة . ان القوى الخائنة في المنطقة يمكن ان يظل لها الف مخبأ تلجأ اليه وتستتر فيه ان بقيت المعركة معها على الاسلوب الدائر منذ مدة طويلة ، وفي الساحات التي قوبلت فيها .

« لا بد من أن تقتنع القوى الثورية بهذه النظرية ، وهذا المنطق ، والا ما دامت الصهيونية في فلسطين ، فليس أسهل على الاستعمار والقوى العميلة كلها من ملاقاتها في أية ساحة شاءت غير ساحة فلسطين . ان الاستعمار والصهيونية يدركان انه لا يمكن أن يقف الشعب العربي صفا واحدا رصينا يحطمه ويحطم عملاءه الا اذا كانت نقطة الاحتكاك في فلسطين لما لفلسطين من مساس في كرامة ومشاعر ووطنية الشعب العربي . فلذلك يجب أن يفهم هذا جيدا . لقد بنى الاستعمار استراتيجيته على اساس هدوء الحدود ، واتباع الدبلوماسية الهادئة وذر رماد الزمن سنة بعد أخرى على نيران شعارات العودة والثأر » (كراسة : « من منطلقات العمل الفدائي » — دراسات وتجارب ثورية — ١ — ص ١١ و١٢) .

وان هذا الوجود الصهيوني يشكل خطرا سرطانيا في جسم الامة العربية (المصدر السابق ص ٨ — ٩) ، من جهة . اما من الجهة الثانية فان مرور الزمن دون فتح المعركة المباشرة ضده هو في مصلحته لان استراتيجية العدو التي تعمل في : (١) مجال التحرك السياسي الى كسب الرأي العام العالمي ومحو قضية فلسطين وتحويلها الى مشكلة

لاجئين ، (٢) مجال التحرك العسكري الذي يعمل على ثلاثة محاور : (أ) تركيز بشري من خلال هجرة جماعية غربية تزحف من وراء البحار ، (ب) استراتيجية هجومية قادرة على نقل المعركة بما يتوفر من طيران وطرق مواصلات وآليات الى الارض العربية خارج حدود الارض المحتلة ، (ج) سباق مجنون من التسلح يفرض على المنطقة (كراسة « مفاهيم أساسية » ــ ص ٨ ، ٩) . كل ذلك في ظل آفادة قصوى من مرور الزمن من أجل خلق حقائق جديدة .

يتضح مما تقدم ان المنطلقات الاستراتيجية التي طرحتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » تقوم على النقاط التالية : أولا : اعطاء الاولوية لهدف تحرير فلسطين . ثانيا : اعتبار عملية تحرير فلسطين مدخلا لتحقيق الوحدة العربية ومصارعة الاستعمار والقوى العميلة . ثالثا : اعتبار النضال لتحقيق أهداف الثورة العربية من خلال تأجيل المعركة ضد العدو الصهيوني لا يؤدي الى نتيجة حقيقية في تحقيق تلك الاهداف .

شكل النضال الرئيسي لتحقيق هدف تحرير فلسطين : اذا ما حظي هدف تحرير فلسطين بالاولوية فان ذلك سوف يقضي فورا بتحديد الاسلوب لتحقيق الهدف المذكور : « ان فهمنا الصحيح لواقع الاحتلال الصهيوني يؤكد لنا ان استعادة الارض المحتلة لا يمكن ان يتم الا عن طريق العنف المسلح كوسيلة حتمية وحيدة لا مناص من تجنبها او الاستغناء عنها في معركة التحرير . ان عملية التحرير ليست ازالة قاعدة استعمارية فقط ، بل الاهم من ذلك انقراض مجتمع . ولا بد للعنف المسلح أن يتخذ أشكالا عديدة بالاضافة الى القضاء على القوى العسكرية لدولة الاحتلال الصهيوني أي أن يتجه الى تدمير المقومات المعيشية للمجتمع الصهيوني بكل صورها الصناعية والزراعية والمالية . لا بد أن يهدف العنف المسلح أيضا الى تدمير مختلف المؤسسات العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية والفكرية لدولة الاحتلال الصهيوني حتى تزول كل امكانية لبروز مجتمع صهيوني جديد . ليست الهزيمة العسكرية هي الهدف من حرب التحرير الفلسطينية ، وانما أيضا القضاء على صبغة الصهيونية للارض المحتلة بشرية كانت ام اجتماعية » (فتح ــ دراسات وتجارب ثورية ــ ٨ ــ « تحرير الاقطار المحتلة واسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر » ص ٢٠ ــ ٢١) . وهكذا يكون تحديد الاسلوب قد تم نتيجة التحديد الصحيح للتناقض الرئيسي وطبيعة هذا التناقض العدائية وكيفية معالجة مثل هذا التناقض ، حيث يصبح من الواضح تماما أن تناقضا عدائيا على الشكل المعطى لا يمكن ان يعالج بغير العنف المسلح . ولكن اي عنف مسلح ؟

تلاحظ حركة فتح في كراستها (« من منطلقات العمل الفدائي » ــ ١ ــ ص ١٣) ما يلي: « كان التفكير القديم في القضاء على الصهيونية في فلسطين يعتمد على مبدأ المباغتة السريعة بعد ان تتفاهم الجيوش العربية المعنية أو تتوحد ، فتنقض على العدو لتقضي عليه في فترة لا تتعدى الاسبوع . والفترة الزمنية هامة في استراتيجية هذا التفكير ، ذلك لانها لا تدع فرصة للاستعمار للتدخل فاذا نجح الانقضاض لم يكن أمام من هم وراء اسرائيل الا التسليم بالامر الواقع . هكذا كان التفكير القديم في مواجهة الصهيونية الذي كان لا بد لتحقيقه من (أ) توحيد الجيوش توحيدا كاملا (ب) تفاهم الجيوش ان لم يكن توحيدها » ولكن هذه الاستراتيجية غير عملية لسببين رئيسيين : الاول استحالة اجراء هذا التوحيد بسبب التجزئة اساسا تلك التجزئة المستشرية ــ وهذا ما اثبته الواقع باستمرار ، الثاني : بقاء العدو متفوقا لامد طويل من حيث منظور الحرب النظامية ــ طبعا هنالك أسباب اخرى تمس طبيعة الانظمة القائمة والوضع الدولي ــ ومن هنا كان أمام «فتح» ان تطرح استراتيجية اخرى وهي في معرض ردها على استراتيجية الحرب النظامية : ثالثا « استطاع العدو التحصن للرد على فكرة الحرب المباغتة السريعة

وبنى استراتيجيته على هذا الاساس ، فجعل وحداته متحركة سريعة لامركزية بحيث تستطيع الصمود اكثر من المدة القصيرة المطلوبة . هذه واحدة ، والاخرى انه استطاع ان يبقى متوازيا مع القوى التي تستعد للمعركة من حيث امتلاك السلاح والقدرة على استعماله والتحرك به ، ولم تؤثر لديه كثرتنا العددية طالما ان الحرب ستكون حربا كلاسيكية لا ينفع فيها الا الجندي المتدرب النظامي الحامل للسلاح الاقوى . وهكذا ظلت الجماهير في الضفة الغربية ونصف المليون في قطاع غزة كما مهملا بالنسبة اليه يستطيع السيطرة عليها بسرعة دون أن يحسب لها اي حساب في المعركة » (المصدر السابق ص ١٥ ، ١٦) .

ان أخطر ما تجلى في تلك الاستراتيجية رغم عقمها : « وهكذا ظل الشعب بعيدا عن الاعداد للمعركة والاستعداد لها ، وظلت الضفة الغربية في حالة نقص رهيب في فهم اسلوب التحرير وفي امتلاك السلاح للدفاع عن النفس كأبسط مظهر للوقوف في وجه العدو » (المصدر السابق ص ١٥) ، ليس هذا فحسب وانما « نتج عن فكرة الانقضاض المفاجيء شيء خطير جدا نلمس آثاره الان عندما نريد تكتيل الشعب الفلسطيني ومن ورائه الشعب العربي لخوض المعركة على مستوى حرب التحرير » (المصدر السابق ص ١٥) . ان نقد تلك الاستراتيجية الكلاسيكية ، ثم الانطلاق مجددا من تحليل الواقع الملموس بكل جوانبه ، يقودان الى الموضوعة التي تقول : « ان حل قضية فلسطين لا بد أن يتم عن طريق الحرب الشعبية التي تعتمد الجماهير أداة واعية لتحقيقها ، وذلك بالرغم مما نشاهد من توترات على خطوط الهدنة لان طبيعة الحل الشعبي هو الكفيل بتصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسيا واجتماعيا وفكريا » (كراسة : تحرير الاقطار المحتلة — ٨ — ص ٢٨) .

ان اعطاء الاولوية لهدف تحرير فلسطين يعني بالضرورة الانتقال بأشكال النضال الى مستوى العنف الجماهيري المسلح ، واعطاءه الاولوية على أشكال النضال الاخرى دون اغفال ضرورة استخدام مختلف أشكال النضال الاخرى ولكن تحت قيادة حرب الشعب. وتشكل هذه النقطة واحدة من الاسباب الرئيسية التي تدفع بالاصلاحية والانتهازية على تنوع أشكالهما الى الهروب من اعطاء الاولوية لهدف تحرير فلسطين — مواجهة العدو القومي — لان في هذه الساحة لا يمكن الحديث عن حل للقضية من خلال التفكير البرلماني أو المطلبي أو الاقتصادي أو الدبلوماسي أو النضالات السياسية . فالعدو مدجج بالسلاح أقام أسوارا من النار دون الاقتراب منه ، فليس هناك لغة أخرى غير لغة مقارعة السلاح بالسلاح ، واختراق أسوار النار بالنار ، وكذلك ليس هنالك غير لغة الاعتماد على الجماهير والثقة بها واطلاق طاقاتها الكامنة وتسليحها باعتبارها القوة الوحيدة القادرة على حل القضية حلا عادلا ، وصنع تاريخ هذه البلاد صنعا يتوافق مع مصلحة الامة العربية والثورة العربية والثورة العالمية .

ولهذا كان من الطبيعي أن تكرس حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » مقولتين مهمتين لهما صفة عالمية ،الاولى : « حقا ان اسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر لا بد أن يبدأ بتحريك الجماهير وتنظيمها كقاعدة أساسية للنضال ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي لكن الصفة الجماهيرية للنضال لا تكفي وحدها لتصفية الاستعمار ، ولا بد للعمل الجماهيري المنظم ان يتخذ العنف المسلح أسلوبا حتميا لتصفية الاستعمار وركائزه» . . . والثانية ضد الاصلاحية : « ان كلمة الجماهير كثيرا ما تلوح بها حركات اصلاحية عديدة، وتتخذ في نضالها شكل المظاهرات والاضرابات والتخريب والمقاومة الآنية لقوى الاحتلال، وهذا من شأنه في كثير من الحالات ان يجهض النضال الشعبي ويؤدي الى فتور ويأس الحركات الثورية . والجماهير في العرف الثوري هي الجماهير الكادحة المحرومة التي

تعي ان في مقاومة الاستعمار مصلحة لها » (كراسة : « تحرير الاقطار المحتلة » ــ ٨ ــ ص ٨) .

عندما ينظر الى مسألة النضالات الجماهيرية من زاوية ثورية حقيقية يصبح من الضروري تصفية الحساب مع التفكير الاصلاحي الانتهازي ، بحيث يعرى من مظلته الخادعة التي يتستر تحتها ، أعني الحديث عن التوعية الجماهيرية وتسييس الجماهير معزولين ، في ظروف بلادنا ، عن النضال المسلح كشرط ضروري لتحقيق التوعية الجماهيرية وتسييس الشعب .. « ويخطىء البعض اذ ينادي بضرورة القيام بالتوعية السياسية بين الجماهير قبل تجسيد الكفاح المسلح امام ناظريها لان العمل السياسي وحده لا يكفي لتحريك الجماهير بصورة دائمة بل سيساعد على خلق عاهة الشرذمة بين القاعدة الشعبية ، ويفقدها الثقة بقيادتها ويفرغ الحركة الوطنية من مضمونها الثوري . لا بد للكفاح المسلح والتوعية الجماهيرية ان يسيرا جنبا الى جنب لان النضال المسلح يشعر الجماهير بشخصيتها الفاعلة ، ويعيد لها الثقة بالنفس ويحميها من اعمال القمع والارهاب الى حد كبير ، (كراسة : تحرير الاقطار المحتلة ــ ٨ ــ ص ١٢) . وهنا لا بد من التأكيد على ان هذا الرأي في الاستشهاد الاخير يجب ان يفهم ضمن الظروف المعطاة في وطننا العربي ، باعتباره يكشف عن احدى السمات الخاصة لثورتنا الفلسطينية والعربية ، واي تجاهل له سواء باتجاه التركيز على التوعية الجماهيرية باستبعاد الكفاح المسلح ، أم باتجاه استبعاد التوعية الجماهيرية بالتركيز على العمل المسلح فقط ، لا يقود الا الى الانحراف عن الخط الثوري الصحيح في بلادنا .

شخصية الثورة : ان الانطلاق من اولوية هدف تحرير فلسطين ــ محاربة العدو القومي ــ ومن اولوية حرب الشعب ــ استراتيجيتها وتكتيكها ــ لتحقيق الهدف ، كان لا بد من الانطلاق ، واساسا بسبب التجزئة والاوضاع المعطاة في الوطن العربي ، من التركيز على اعطاء الثورة وجهها فلسطينيا يؤكد على الشخصية الفلسطينية المتمثلة بشخصية المقاتل الفلسطيني . وكان هذا التركيز ضروريا لاسباب رئيسية : « ١) كاستراتيجية يمكن بها التصدي لمحاولات التضليل والخداع التي يضعها التحرك الاسرائيلي في المجال الدولي لينفي عن هذه الحركة وجهها العادل ، ٢) كوسيلة لتحديد المسؤولية وتحديد الاختصاص في تنظيم يؤمن بالثورة ويتفاعل معها يؤيدها ويحميها ويتابع الاستمرار فيها ... تنظيم له من الارتباط بالارض وبالمصير والمستقبل ما يعطيه وضعا خاصا .

« ولا يعني هذا التحديد للاختصاص والمسؤولية في الثورة اي نوع من الانفراد بها ، او اي اعفاء للجماهير والقيادات العربية من مسؤوليتها نحو هذه المعركة ، ولكنه تحديد للمسؤولية الدولية والجماهيرية في قيادة الثورة وتوجيهها او الاستمرار الى اهدافها .. تفرضه طبيعة الوضع السياسي في الوطن العربي ومنطق الحوادث الذي لا يبيح لنا ان نطالب الامة العربية بواجباتها من قبل أن نلقي نحن بكل امكاناتنا وقدراتنا وحشدنا ، لا يبيح لنا ان نطالب المواطن العربي ان يعيش الثورة في ارضنا ، وشبابنا يعيش حياة الترف والاسترخاء واللامسؤولية يجمع الثروة في ارضهم . وفي ترك المسؤولية تمييع للقضية وضياع لها بين اطراف تلتقي مرة وتتناقض عشرات .. بما يجعلها موضوعا لمزايدة ذات وزن قادرة على احداث شعارات يحتمي البعض وراءها لتغطية العجز على الارض الفلسطينية . ٣) فلسطينية الثورة هي مدخل قادر على تجميع واستقطاب الجماهير الفلسطينية التي تتناثر في اطراف الدنيا بلا رابط يجمعها او يشدها الى الارض والقضية والمستقبل » .. (« مفاهيم اساسية » ص ١١ ، ١٢) .

ان هذا التركيز على ابراز الشخصية الفلسطينية ، وتنظيم الجماهير الفلسطينية وتوحيدها ، والمبادرة بالكفاح المسلح من خلال طليعة فلسطينية ، لا يعني مطلقا اقليمية

الثورة او التوهم ان من الممكن تحرير فلسطين بالشعب الفلسطيني وحده ، وهذا يقود الى التأكيد على موضوعتين : الاولى ، ضرورة البدء بالطليعة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية وفي اثناء مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني ، ومن خلاله ، يصبح بالامكان استنهاض الجماهير العربية والطلائع العربية والدخول في حرب الشعب مباشرة (تفجير الثورة العربية) الموضوعة الثانية : بدء التحرير الفعلي وانجازه لا يتمان الا بوحدة الثورة الفلسطينية والثورة العربية (وحدة الجماهير الفلسطينية والعربية المسلحة المنظمة المقاتلة) .

كان انطلاق فتح في النظر الى موضوعة الثورة الفلسطينية والوحدة العربية يقول : « تطرح قضية الوحدة نفسها من خلال الارتباط العضوي والمصيري لحركة الثورة الفلسطينية بالوطن والجماهير العربية كمطلب اساسي لا يمكن التفريط فيه . ونحن في مفهومنا للوحدة لا نقف عند حد الشعارات العاجزة عن نفسها كواقع عملي ولكننا نرى ضرورة التحام كل القوى القومية في معركة مصيرية ينتفي فيها الحوار العقائدي والخلافات المذهبية المتعددة لهذه القوى ويصبح الكفاح المسلح هو العامل الاساسي الذي يلتقي ويتوحد فيه الجهد العربي .

« والوحدة في مفهومها ليست تنسيقا عسكريا او قيادة موحدة ، ولكنها تفاعل ارادة جماهيرية يشكل كل وجوه الحياة والنشاط الانساني على الارض العربية لا يمكن ان تتحقق الا من خلال معركة مصيرية مسلحة ساخنة ومستمرة تشدها فيها الازمات والمخاطر فتلتحم وتترابط امام المصير المشترك وتستقر وتعبىء من اجله كل الطاقات البشرية والمادية والمعنوية للجماهير المتحفزة ، وكما كانت معركة العروبة في السويس بمخاطرها التي استنفرت الامة العربية يومها من الخليج الى المحيط مدخلا الى وحدة جزئية التقت فيها مصر وسوريا ستكون معركة التحرير في فلسطين طريقنا الى الوحدة العربية الشاملة » . (مجلة الثورة الفلسطينية — العدد ٢٢ — كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ — « مسيرة الثورة الفلسطينية » ص ٩) .

اما في « مذكرة الى ملوك ورؤساء الدول العربية في مؤتمرهم الثالث بالدار البيضاء ايلول ١٩٦٥ » فقد طرحت حركة فتح المسألة على الصورة التالية : « ١) ان المنطلق الاساسي لوجود الحركة اصلا هو الايمان الجازم الذي لا يقبل الشك ولا التعديل بان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير الارض السليبة ٢) تؤمن الحركة ان مادة هذا الكفاح المسلح هي الشعب العربي باسره ، وهي تدرك ابعاد معركة التحرير الداخلية والدولية وترى ان طاقات الشعب العربي في جميع اقطاره وعلى اختلاف هذه الطاقات يجب ان تجند لخوض المعركة المصيرية ، ولكنها تؤمن في الوقت نفسه ان الشعب العربي الفلسطيني هو رأس الحربة وطليعة الكفاح ، ومن هنا كانت مسؤوليته في شق طريق الكفاح امام الجماهير العربية ومواصلة القتال حتى النصر » (مواقف ومنطلقات ثورية — ١٠ — ص ٧ — ٨) .

يتضح مما تقدم ان هنالك ادراكا تاما لقومية المعركة في الارض الفلسطينية ضد العدو القومي الصهيوني والامبريالي ، وما اسباغ الوجه الفلسطيني على الثورة الا مدخلا وصيغة لتحقيق قومية المعركة ، فقد طرحت تلك الصيغة في « بيان من القيادة العامة لقوات العاصفة الى الصحفيين العرب » على صورة تقول « علينا ايها الاخوة الاحرار جميعا ان ندرك ان محور القضية القومية في هذه المرحلة هو تحرير فلسطين ، وان شعار الوحدة العربية شعار ثوري لا يمكن أن يتحقق الا من خلال معركة مصيرية عربية يخوض فيها قطر معين ثورته التحررية فتهرع القوى الثورية العربية الى مساندته ودعمه ماديا ومعنويا ، ساعتها يصبح شعار الوحدة العربية شعارا ثوريا ذا مضمون تحرري » (« من منطلقات العمل الفدائي » — ١ — ص ٥٥) .

وهنا لا بد من التوقف قليلا لمراجعة هذه الموضوعة التي ظلت صيغ ترجمتها على أرض الواقع تتعثر ، ولم تستقر صيغة عملية لحل مسألة كيفية تحقيق قومية المعركة على مستوى الثورة الفلسطينية والقوى الثورية والوطنية العربية ، حيث ظلت الصيغ التي طرحت مشدودة باتجاهين احدهما يريد قصر المشاركة العربية في حدود المساندة والدعم المادي والمعنوي ، والاخر يريد شد الثورة الفلسطينية الى مواقع فصائل حركة التحرر العربي بعيدا عن ارض الصراع الحامي في مواجهة العدو الصهيوني . فقد كان الجوهر الذي اقترحته المنطلقات الاستراتيجية للثورة الفلسطينية هو توحيد الجماهير العربية والفلسطينية في القتال المباشر لان هذا هو الطريق الوحيد الذي يخلق ظروفا مؤاتية للتحرير الفعلي . وهذا لا يمكن ان يتحقق اذا جمدت مشاركة القوى الثورية والوطنية العربية في حدود المساندة والدعم المعنوي والمادي ، ولا يمكن ان يتحقق اذا سحبت الثورة الفلسطينية من مواقعها القتالية لتميع فيما تميع به فصائل حركة التحرر العربي في نضالها القطري تحت شعارات الجبهة العربية العريضة التي تبحث عن التوازن والتكيف .

ان الصيغة الصحيحة لوحدة النضال العربي والفلسطيني لا يمكن ان تكون فعالة وثورية ما لم يكن اللقاء اساسا على ارض القتال ، ليس في الشعارات فحسب ، وانما في الترجمة العملية لتلك الشعارات ، بحيث لا تقتصر مسؤولية القتال المباشر ضد العدو القومي على الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية ، وانما ترتفع تلك المسؤولية الى مستوى المسؤولية القومية فعلا ، اما كيف يتحقق ذلك ، فهذا ما يجب ان يركز على حل معضلاته وصعوباته . وان بقاء الثورة الفلسطينية في مواقع القتال على ارض المعركة يشكل عاملا حاسما في المساعدة على حل تلك المعضلات والصعوبات ولهذا فان استدراج الثورة الفلسطينية للتخلي عن مواقعها وكذلك بقاء فصائل حركة التحرر العربي في مواقعها الراهنة لا يمكن ان يسهما في ايجاد الصيغة العملية الناجحة لترجمة موضوعة وحدة النضال الفلسطيني والعربي الى واقع حي ملموس .

ان هذه الوقفة عند هذه الموضوعة وترجمتها عمليا يمكن ان تشير الى الخط الذي يجب ان تعالج به المنطلقات الاستراتيجية للثورة الفلسطينية في اثناء دراسة التجربة الماضية . بحيث يصار الى التمسك بجوهر تلك المنطلقات في اثناء معالجة الاخطاء السابقة ، والبحث عن طريق تجاوز الصعوبات الراهنة والتحضير لمواجهة متطلبات المرحلة القادمة .

الى هنا تكون الثورة الفلسطينية من خلال منطلقات استراتيجية قد وضعت الخطوط العريضة لجوهر نظرية الثورة ضد العدو القومي ، ذلك الجوهر الذي يجب الامساك به ، بغض النظر عن الخلفية النظرية والايديولوجية للحركة الثورية التي لا بد من ان تنطلق منه . او بمعنى ادق ان جوهر المنطلقات الاستراتيجية التي وضعتها حركة فتح والتي يمكن تلخيصها : ١) اولوية هدف تحرير فلسطين — اولوية النضال ضد العدو القومي — ٢) تبني استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد في الصراع المسلح ضد العدو القومي الصهيوني والامبريالي مبتدئين على الارض الفلسطينية ، ٣) تحقيق وحدة الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، وحدة الجماهير الفلسطينية والعربية من خلال القتال الشعبي الفلسطيني والعربي ضد العدو الصهيوني ومن يقف معه من قوى مضادة للثورة في الوطن العربي ، ٤) الاعتماد على الجماهير والثقة بها وتفجير طاقاتها الخلاقة على اختلافها من اجل انجاز اهداف الثورة العربية من خلال ، وفي اثناء ، القتال ضد العدو الصهيوني .

اذا امسكنا بهذا الجوهر وانطلقنا منه في تقييم التجربة السابقة وفي تطوير بعض الصيغ التي ترجم بها أو تعديلها او تغييرها ، نظل ضمن الخط الثوري الصحيح . لان الشيء

الاهم والاساسي هو الامساك بجوهر نظرية الثورة في بلادنا ، ومن ثم تأتي رحلة طويلة في الميادين النظرية والايديولوجية والتنظيمية والعسكرية والسياسية . ان التأكيد على صحة جوهر هذه المنطلقات ، ينبع من ضرورة مواجهة خطر الظاهرة التي اخذت تعم ساحات النضال الفلسطيني والعربية في ظل الظروف الصعبة الراهنة التي تحيط بالثورة الفلسطينية والثورة العربية . اعني ظاهرة الهروب من مواجهة صعوبات الكفاح المسلح ، والصراع الحامي ضد العدو الصهيوني ، تحت شعارات تتراوح بين التخلي عن طريق الثورة بحجة التكيف ومراعاة موازين القوى الدولية والعمل السياسي الخ وبين التخلي عن طريق الثورة المسلحة عمليا بحجة بناء الحزب الثوري ، او خوض الصراعات الطبقية المحلية الاقليمية او بحجة العمل الجماهيري والتوعية ، او بحجة رفض ما يسمى بالاقليمية الفلسطينية او التحضير للمرحلة القادمة الخ الخ . ان اي تفكير يهدف الى ايجاد صيغ تنظيمية جديدة او الى الخروج من الصعوبات الراهنة ، يجب ان ينطلق من التمسك بجوهر المنطلقات الاستراتيجية آنفة الذكر . ويربط بالممارسة العملية كل مشروع جديد يجيء نتاج دراسة تجربة السنوات الماضية ، ونتاج تلبية حاجات الثورة في المرحلة الحاضرة والمرحلة المقبلة .

ان الخطر الذي يمكن ان يواجه الخط الثوري في الظروف الصعبة — اشتداد مخاطر السحق والابادة ومؤامرات التمييع والتصفية — هو خطر التخلي عن « اولوية هدف تحرير فلسطين » و « استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد » ، التخلي عن موضوعة « وحدة الثورة الفلسطينية والثورة العربية على ارض القتال ضد العدو الصهيوني » ، التخلي عن موضوعة « الاستقلالية والاعتماد على الجماهير والثقة بها ، واطلاق مبادراتها ، وتنظيمها وتسليحها من اجل ضرب المؤامرات على اختلافها ، وتجاوز الصعوبات والمضي بثبات في طريق القتال » . ان الانطلاق من هذه الاولويات لا يعني عدم خوض نضالات طبقية او اعداد تنظيمي وعمل سياسي وتغيير جذري للاوضاع الاقليمية ، وانما يعني ان كل ذلك يجب ان يخضع ، بل لا يمكن ان يتم الا من خلال التركيز على اولوية هدف تحرير فلسطين عبر استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد .

حقا ان هذه المنطلقات الاستراتيجية لا تحل كل القضايا التي تواجه الثورة ، ولا تعتبر بحد ذاتها كافية قد اعطت اجابات نهائية عن كل شيء . ولكنها اساسية لا يمكن المضي بالثورة قدما ما لم يتم ترسيخها ، واعتبارها مبادىء تحكم استراتيجيتنا وتكتيكنا . تلك الاستراتيجية وذلك التكتيك اللذان بحاجة الى اكتشاف القوانين الخاصة التي تحكم استراتيجية حرب الشعب وتكتيكها في بلادنا . ان تحديد هدف اولوية تحرير فلسطين واولوية استراتيجية حرب الشعب وتحديد الشخصية الفلسطينية للثورة ، ووحدتها مع الثورة العربية ، وترسيخ مبادىء الاستقلالية والاعتماد على الجماهير ورفض الاصلاحية وكل محاولات الانحراف بالثورة عن خط الكفاح المسلح وتحرير كامل التراب الفلسطيني وتفجير الثورة العربية .. ان كل ذلك يشكل الدعامات والاسس التي لا غنى عنها ، ولكنها لا تغطي كل شيء ، حيث ثمة ضرورة ملحة لاكتشاف القوانين الخاصة التي تترجم كل منطلق من تلك المنطلقات على ارض الواقع ترجمة صحيحة . ومن هنا يجب على كل تفكير ثوري وهو يبحث عن مسائل الثورة في بلادنا ان يتمسك اولا بجوهر هذه المنطلقات الاستراتيجية الاساسية ، ثم يعمد ، ثانيا ، على كشف القوانين الخاصة التي تحكم تطبيقها على ارض واقعنا تطبيقا خلاقا يندفع بالثورة والجماهير الى الانتصار الاكيد .

حركة التحرير الوطني الفلسطيني والعمل الجماهيري

ناجي علوش

أدركت فتح ، منذ نشأت خلاياها الاولى ، أن لا ثورة بلا جماهير . واذا كان ليس سهلا أن نتتبع ملامح تصور متكامل في هذا المجال ، فذلك عائد الى عاملين : الاول : كون العمل بدأ سريا وكان يحتاج الى كثير من التكتم والاستخفاء في أيامه الاولى، وحتى معركة الكرامة سنة ١٩٦٨ . الثاني : كون حركتنا قد ركزت في البدء على ان العمل المسلح هو وسيلة استنهاض الجماهير . ولكن الخلايا الصغيرة أخذت تنمو . وبدأ سنة ١٩٦٥ العمل المسلح : فأخذ يستقطب تأييدا جماهيريا متزايدا من جهة ، كما أخذ يستثير القوى المعادية ، وعلى رأسها النظام الاردني . وخلال هذا كله بدأت خطوط العمل الجماهيري تتضح . كان هناك الاتجاه نحو منظمة التحرير وكان هنالك الاتجاه نحو الاتحادات الشعبية الفلسطينية . وكان هنالك فوق ذلك تجميع للصبية والفتيان حول قواعد المقاتلين الناشئة في الاغوار .

وبدأت الحركة بعد حرب حزيران تطرح أهدافها ومنطلقاتها ، كما لم تفعل من قبل . ونستطيع ان نتلمس في الكراسات التي صدرت منذ ذلك الحين مبادىء عامة حول دور الجماهير والعمل الجماهيري . ونحن نجد هذه المبادىء موزعة هنا وهناك . ومن الضروري ان نقدم بعضا منها : — « ان الاتصال الحي بين الثورة والجماهير في كل مراحلها هو العامل الاصيل في انجاح الثورة وضمان استمرارها الصاعد »(١) . — « ان نقطة البداية في تحرير الاقطار المحتلة هي الاعتماد على الجماهير كقوة ثورية قادرة على تصفية الاحتلال والاستعمار المباشر ... » . — « حقا ان أسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر لا بد ان يبدأ بتحريك الجماهير وتنظيمها كقاعدة أساسية للنضال ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي ، لكن الصفة الجماهيرية للنضال لا تكفي وحدها لتصفية الاستعمار ولا بد للعمل الجماهيري المنظم أن يتخذ العنف المسلح أسلوبا حتميا لتصفية الاستعمار وركائزه » . — « واذا كان للشعب الفلسطيني دور طليعي فلا بد له أن يحقق لنفسه هذا الدور الطليعي بتعبئة نفسه وتنظيم جماهيره وخوض المعركة بقناعة وايمان ... »(٢) .

وجرت محاولات بعد ذلك تستهدف تحديد تصور أوضح لدور الجماهير وللعمل الجماهيري . وهذه المحاولات متناثرة في أدبيات حركتنا ، وموزعة ما بين نشرات سرية

---

١ — ح. ت. و. ف. (فتح) : كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة ، دراسات وتجارب ثورية رقم ٢ ، ص ٩ .

٢ — ح. ت. و. ف. : (فتح) : تحرير الاقطار المحتلة ، دراسات وتجارب ثورية رقم ٨ ، ص ١ ، ٢٤،٢ .

واخرى علنية(٣). الا أن ما نود أن نشير اليه هو أن الممارسات العملية تجاوزت التنظير والتحديد . ولقد شهدت السنوات ٦٨، ٦٩ ، ٧٠ اندفاعا نحو بناء المنظمات الجماهيرية. وكان أن قامت منظمات شعبيـــة ، ونمت وترعرعت منظمات أخرى . وكـــان أبرز المؤسسات التي قامت : الميليشيا والاشبال والزهرات ، وابرز المؤسسات التي نمت وترعرعت : اتحادات العمال والمرأة والطلاب الخ .

عقبات تقف في الطريق :

ولكن هذه الاندفاعة ، بما ترمي اليه مـــن تعبئة للجماهير وتنظيم لهـــا كانت تصطدم بمجموعة من العقبات أهمها : أولا : عيوب ونقائص في التنظيـــم القائد . وكانت هذه العيوب والنقائص تتمثل في : أ ـــ غياب التنظيم الطليعي ، الموحد ، الفعال ، الذي تحكم أصوله وأطرافه مبادىء خط سياسي موحد . ب ـــ سيطرة بعض المفاهيم العسكرية التقليدية على العمل العسكري . جـ ـــ سيطرة روح بيروقراطية على العمل التنظيمي . لقد كان العمل الشعبي يمتد وسط تيار يحتقر العمل السياسي ويسفهه . وكان التنظيم القائد عاجزا ، بسبب تناقضاته ، عن استيعاب الموجة الجماهيرية وتعبئتها وتنظيمها . والمنظمات الجماهيرية ليس سهلا أن تنمو وتترعرع دون التنظيم القائد ، لانه عقلها ومحركها وقائدها . لقد كان وضع التنظيم العام اذن لا يساعد على بناء المنظمـــات الشعبية على اسس راسخة ، ولا يتعهدها بما تحتاجه من رعاية واهتمام .

ثانيا : تشتت الشعب الفلسطيني واختلاف الانظمة التي يخضع لها : وكان هذا التشتت واختلاف الانظمة يقود الى صعوبات جمة . ومن هذه الصعوبات : صعوبة الاتصال ، واختلاف الاوضاع ، واختـــلاف اسلوب التعامـــل واختلاف النظرة الـــى المنظمات الشعبية الخ . وهنالك أيضا المنظمات الشعبية في كل بلد عربي واختلاف نظرتها الى العمل الفلسطيني عامة والعمل الشعبي الفلسطيني خاصة . وكانت هذه العوامل كلها تعقد العملية وتخلق مزيدا من الصعوبات والعراقيل .

ثالثا : غياب تصور محدد لطبيعة العمل الشعبي ومهماته . وكانت هنالك آراء ومواقف وممارسات في هذا المجال . وكان يبدو مثلا ان هناك من يريد من هذه المنظمات أن تكون منظمات سياسية تابعة ، كل ما تفعله انها تؤيد القيادة السياسية . وكان هنالك بالمقابل من يريد ان يجعل من هذه المنظمات وسائل ضغط سياسي واقتصادي لمصلحة تنظيم معين او فئة معينة . وكان هنالك من يريد دفع الاتحادات المهنيـــة في اتجاه النزعة الاقتصادية الانتهازية ، مستغلا سيطرة الثورة وهيبة بنادقها . ولقد جرت محاولات خلال هذا كله من أجل تحديد طبيعة العمل الشعبي ومهماته ، وخاصة المنظمات المهنية. وتم التركيز على ان المنظمات الشعبية هي منظمات سياسية أساسا ، ولكن هذا لا يجوز أن يلغي أهدافها النقابية والمهنية على أن تخضع الاهداف النقابية والمهنية المرحلية للخط الوطني العام ضمن كل مرحلة تاريخية . الا أن هذه المحاولات كانت تضيع وسط الاتجاهات المختلفة المتعارضة ، المغرقة في محافظتها أو في طفوليتها .

رابعا : النقص في الخبرة والافتقار الى الكوادر : بما ان العمل الشعبي ليس له تقاليد عريقة في مجتمعنا العربي فقد واجهت محاولات العمل الشعبي مسألتين مهمتين : الاولى: مسألة نقص الخبرة والثانيـــة : مسألة : الافتقار الـــى الكادر . ان تجربة الشعب الفلسطيني في هذا المجال محدودة ، ذلك ان تجربته لم تتم بسبب ظروف الاحتلال أولا ، ثم بسبب ظروف التشرد والخضوع لانظمة تحارب كل أشكال التنظيم ، أو بسبب ان

---

٣ ـــ الثورة الفلسطينية ، العدد ١٦ ، حزيران ١٩٦٩ : الثورة والعلاقة مع الجماهـــير . والثـــورة الفلسطينية ، العدد ٢٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ : الاشبال جيل النصر .

التجربة السياسية لمعظم كوادره كانت تجربة سياسية قاصرة في ميدان العمل الشعبي. والعمل الشعبي يعتمد أكثر ما يعتمد على الخبرة والكادر. لهذا كانت المنظمات الواسعة التي نشأت تعاني من خلل أساسي في هذا المجال . ولم تكن معالجة هذا الخلل ممكنة بسهولة وفي مدة قصيرة من الزمن .

خامسا : الصراع بين المنظمات الفلسطينية على العمل الشعبي . وكان هنالك صراع بين المنظمات الفلسطينية على العمل الشعبي الفلسطيني . ولقد قاد هذا الصراع الى زيادة البلبلة والتشويش ، كما قاد الى تعميق النزعة السياسية المحافظة من جهة والى تعزيز النزعة الاقتصادية الانتهازية ، من جهة أخرى . وأغرق هذا الصراع العمل الشعبي في جو مزايدة كريه ، ولم يتح المجال لامكانات النمو الطبيعي . واذا كان هذا الصراع ضارا بالعمل الوطني عموما فقد كان ضارا بالعمل الشعبي خاصة . وكان أن دفع هذا الصراع السياسي الى اتجاهات سياسية مغلقة في المنظمات الشعبية ، والى محاولات مستميتة للسيطرة الفردانية عليها . ولكن وعلى الرغم من ذلك ، قامت منظمات شعبية ونمت وترعرعت أخرى واتسع نطاق العمل الشعبي وازدادت أهميته . ولما كان ليس سهلا أن نتحدث عن هذا كله بالتفصيل ؛ بسبب عدم توافر المعلومات أساسا ، فانني سأتحدث عن العمل الشعبي من خلال اتجاهاته الاساسية . وهذه الاتجاهات هي :

١ ــ الميليشيا : نشأت الميليشيا مع بداية تمركز قواعدنا في الاغوار ، وخاصة في مخيم الكرامة . ولم تكن الميليشيا في هذه المرحلة مفصولة عن المقاتلين . ولكن الهجوم الذي شنته قوات دولة الاحتلال على الكرامة قاد الى اتساع قواعد الثورة من جهة ، والى زيادة التعاطف الجماهيري معها . ولقد أدى هذا الى اتساع بؤرها التنظيمية في المدن والمخيمات والارياف . وبدأت الاسلحة تنتشر مع انتشار التنظيم . ولكن الامكانيات المادية كانت قليلة ، كما أن الاهتمام بتكوين الميليشيا لم يكن مركزيا ولا مركزا . وعندما حدث اول صدام مع السلطة الاردنية في ٦٨/١١/٤ لم تكن هنالك ميليشيا بالمعنى المتعارف عليه ، ومع ذلك فان القلة المسلحة من اعضاء التنظيم والجماهير المسلحة لعبت دورا مهما في احباط مؤامرة التصفية الاولى . ولقد قاد هذا الصدام الى الشعور الملح بضرورة وجود الجماهير المسلحة . ولكن هذا الشعور لم يكن مبلورا ، ولذلك لم يجر العمل الجدي لاستيعاب الرغبة الجماهيرية في امتلاك السلاح. وكانت كل المحاولات الجادة تحبط أو تعرقل لاسباب عديدة ، منها التركيز على ضرورة العمل داخل الارض المحتلة ، ومنها الخشية من استفزاز النظام الاردني ، او اعتبار توزيع الاسلحة على الجماهير المنظمة تدخلا في الشؤون الداخلية ، ومنها ايضا الخشية من أن تصبح الجماهير المنظمة المسلحة مركز ثقل ذي شأن ، داخليا وخارجيا .

وكان هنالك عاملان معوقان في هذا المجال. الاول : انتشار روح احتقار العمل السياسي عموما والثاني : انتشار الروح العسكرية التقليدية .

ولقد كان هذان العاملان يخنقان تجربة الميليشيا . أولهما يضيق عليها ويحرمها من امكانات النمو ، المعنوية والمادية . وثانيهما يلبسها غير لبوسها ، ويسعى لاستبدال طابعها الشعبي بطابع عسكري تقليدي .

وظلت تجربة الميليشيا تتلكأ ، حتى جاءت أحداث العاشر من شباط في الاردن سنة ١٩٧٠ . كشفت هذه الاحداث حقيقتين : الاولى : تبرهن ان الجماهير المنظمة المسلحة قادرة على مواجهة القوات النظامية ، وعلى حماية جماهيرها ، وان هذه الجماهير المنظمة المسلحة هي اداة الثورة في الدفاع عن نفسها وعن اهدافها وانجازاتها . الثانية : ان الثورة لم تول قضية تنظيم الجماهير وتسليحها الاهتمام اللازم ، او بعض

الاهتمام اللازم ، ولذلك فقد واجهت الثورة مؤامرة النظام بالحد الادنى من التدريب والتسلح والتنظيم . وقاد اتضاح هاتين الحقيقتين الى زيادة الشعور بأهمية التنظيم والتدريب والتسليح . ولقد وضعت البرامج لذلك . وتحققت انجازات في هذا المجال ، ولكن العوامل المعرقلة ، وقصر المدة ما بين ٧٠/٢/١٠ و٧٠/٩/١٦ جعلت المجال محدودا وضيقا . وعندما حدث الصدام الكبير في أيلول اثبتت الميليشيا على الرغم من نقائصها الاساسية وعيوبها الكبيرة انها قادرة على المساهمة الجدية في الدفاع عن ثورتها وجماهيرها وفي منع قوات النظام من تحقيق الانتصار . ولقد نمت الميليشيا وترعرعت في الاردن أكثر من غيره . ولكنها ضربت بعد أيلول وقمعت . وهي الان موجودة في لبنان ، ولا نستطيع أن نقول انها موجودة في غيره .

وكان للميليشيا مهمات ثلاث رئيسية : أولا : حماية الثورة من مؤامرات القوى المضادة والتصدي لكل هجماتها واعتداءاتها . ثانيا : حماية الجماهير وتقديم كل أشكال المساعدة لها خلال القتال او في حالات الطوارىء او في الاوقات العادية . ثالثا : المشاركة مع قوات الثورة في القتال ضد العدو الصهيوني ، وفي رد الاعتداءات على المدن والقرى . وأثبتت الميليشيا انها تستطيع القيام بهذا كله : لعبت دورا أساسيا في رد هجمات النظام على المدن الرئيسية ومواقع الثورة من ٢/١٠ الى ٦/٧ الى ٧٠/٩/١٧ . كما انها عملت على توفير الحاجات الضرورية (الكهرباء ، الماء ، الغذاء) خلال أوقات الصدامات ، وعملت على ايصال الجرحى للمستشفيات بالتعاون مع الهلال الاحمر ، وعلى توفير الامن والطمأنينة للمواطنين . وشاركت فوق هذا الى جانب قوات الثورة في القتال ضد العدو الصهيوني(٤). لقد كانت تجربة الميليشيا من تجارب ثورتنا الرائدة . وهي تجربة في العمل الشعبي تتجاوز كل ما عرفته المنطقة ، على الرغم من كل نقائصها وعيوبها تجاوزا جذريا .

٢ ــ الاشبال والزهرات : ان اشراك الجماهير في الثورة مهمة اساسية من مهماتها . واذا كان هذا يقتضي اشراك الرجال والنساء ، الشباب والشيوخ فما هو دور الصبيان والفتيان وما هو دور الفتيات ؟ ان هؤلاء يجب ان يشاركوا ، ويجب ان يعدوا . ومن هنا طرحت مسألة اعداد الاشبال والزهرات نفسها . كانوا فتيانا وفتيات استيقظوا على هزيمة حزيران ، ورأوا الهزيمة والمذلة ، ولكنهم في الوقت ذاته رأوا الفدائي . وفي الكرامة بدأ الاطفال يتحلقون أمام الفارس الطالع من صحراء الهزيمة . واخذوا يرون فيه مثلهم وقدوتهم . ومن هنا بدأوا يتجمعون وينشدون الاناشيد الوطنية . واستجابت حركتنا الى الظاهرة الجديدة ، وأولت الصغار بعض اهتمامها . وعندما أخذ العدو يقصف المخيم قصفا متواصلا واخذ سكانه يغادرونه الى مدن الاردن المختلفة كان الاطفال والفتيان النازحون يحملون معهم تجربة الاشبال . واهتم التنظيم في الاردن بهذه التجربة . وبدأت الدراسات من أجل تحديد وظيفة هذه المؤسسة . ووضع لها برنامج يقوم على الاسس التالية :

« ١ ــ التربية الوطنية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح الفلسطينية الثورية والثقة بحتمية التحرير . ب ــ تعميق الفهم التاريخي والجغرافي لفلسطين . ج ــ تعميق الارتباط المادي والروحي بالارض الفلسطينية والولاء المطلق لها . د ــ التعريف بالعدو الصهيوني الاستعماري ودراسة خططه وأساليبه .

٢ ــ التربية القومية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح العربية الثورية المؤمنة بحتمية الوحدة عن طريق تحرير فلسطين . ب ــ تعميق الفهم التاريخي والجغرافي للوطن العربي . ج ــ تفهم وتنمية الروابط الاجتماعية والمصيرية للامة العربية . د ــ شرح

---

٤ ــ الثورة الفلسطينية ، العدد ٢٨ ، تموز ١٩٧٠ ، الصفحة ١٣ .

أهداف العدو الاساسية وأطماعه ليس بفلسطين وحدها بل بالوطن العربي كله .

٣ ــ التربية الانسانية وتهدف الى : أ ــ التعرف على شعوب العالم الثالث ونضالها من أجل التحرر من الاستعمار . ب ــ دراسة أساليب الاستعمار بأنواعه المختلفة للسيطرة على مصائر الشعوب النامية . جـ ــ شرح حروب التحرير الشعبية وتوضيح أثرها الفعال للقضاء على الاستعمار .

٤ ــ التربية الصحية وتهدف الى : أ ــ بث العادات الصحية السليمة والقضاء على العادات الضارة . ب ــ معرفة مواطن الإمراض المعدية واسبابها وطرق انتشارها وطرق الوقاية منها . جـ ــ التدريب على الاسعاف الاولي .

٥ ــ التربية الاجتماعية وتهدف الى: أ ــ خلق الروح التعاونية وتنمية الخلق الاجتماعي.

ب ــ تربية النشء على مبادىء الاخلاق الصحيحة من انتظام وتضحية وقيام بالواجب .

جـ ــ الخدمة الاجتماعية العامة في الميادين الصحية والثقافية والتعميرية والترويحية .

٦ ــ التربية الرياضية وتهدف الى : أ ــ تنمية اللياقة البدنية وصيانتها . ب ــ صقل الروح والعقل باكتساب الاخلاق الرياضية لتحقيق العقل السليم والخلق السليم في الجسم السليم . جـ ــ تنمية المهارات البدنية النافعة . د ــ التعود على النظام من خلال الالعاب الفردية ذات الحركات المنتظمة والتعود على التعاون من خلال الالعاب الجماعية .

٧ ــ التربية العسكرية وتهدف الى : أ ــ اعداد الجيل القادر على القتال لتحرير وطنه وحماية حقه . ب ــ التمرس في الشؤون العسكرية والتفوق باستعمال الاسلحة الحديثة وابتكار الاسلحة الملائمة لطبيعة حرب الشعب . جـ ــ غرس التضحية والشجاعة والتعاون في النفوس عن طريق القيام بالمناورات وتنفيذ المهمات . د ــ تنمية صفات القيادة والانضباط لدى الشباب .

٨ ــ التربية الكشفية وتهدف الى : أ ــ غرس روح البحث العلمي وأسسه من دقة ومثابرة وتحليل ومنطق . ب ــ تنمية المواهب العلمية بالتطبيق العملي . جـ ــ تطبيق العلم بالممارسة الحقيقية .

٩ ــ التربية الفنية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح الفنية والتذوق الفني . ب ــ صقل المواهب العقلية وافساح المجال أمامها . جـ ــ احياء الفن الشعبي الفلسطيني والعمل على نشره . د ــ تنمية الموسيقى والغناء الجماعي .

١٠ ــ التربية المهنية وتهدف الى : أ ــ مساعدة الاشبال والفتوة على تقرير مصيرهم المهني الذي يختارونه . ب ــ تنمية المهارات اليدوية . جـ ــ تنمية روح البناء العملي من خلال الممارسة الحقيقية للمهنة »(٥).

ان تجربة الاشبال هذه لم تبق حبرا على ورق . لقد انتظم آلاف الاشبال في معسكراتهم. ولم يقتصر ذلك على المخيمات بل تم على نطاق المدن أيضا . واصبح حلم الصبي الفلسطيني والفتى الفلسطيني ان يصبح شبلا . وتطورت الفكرة فشملت البنات اللواتي سمين زهرات .

ولكن تجربة الاشبال عانت كثيرا مما يلي : أولا : نقص الكادر ، ذلك ان تجربة من هذا النوع بحاجة الى كادر واع مدرب ثوري يستطيع ان يصنع الاجيال . ولم يكن لدينا الا قلة من هذا النوع . ولم يكن التنظيم مهيأ لتخريج كوادر من المستوى المطلوب . ثانيا :

---

٥ ــ الثورة الفلسطينية : الاشبال جيل النصر ، ص ٢٠ ــ ٢٤ ، العدد ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ .

العقلية الاستعراضية : ذلك ان العقلية الاستعراضية انتقلت الى هذه المؤسسة ، فبات استعراض الاشبال في مهرجاناتهم أمام الجمهور هو أكثر ما يستحق الاهتمام .

ومع ذلك فقد قدمت مؤسسة الاشبال مقاتلين نموذجيين ، قاتلوا واستشهد قسم منهم ، وما زال بعضهم الآخر يحمل تجربة الاشبال بين جنبيه . وعلى الرغم من ان تجربة الاشبال قصيرة العمر ، اذ أنها بدأت بعد حرب حزيران واهتزت بعد ايلول سنة ١٩٧٠، الا أنها كانت تجربة غنية وتركت ابعد الاثر في نفسيـــة الصبي الفلسطيني والفتـــى الفلسطيني والزهرة الفلسطينية .

٣ ـــ الخدمات الاجتماعية : ولجأت حركتنا الى طريقة ثالثة للعمل في أوساط الجماهير ، وهي الخدمات الاجتماعية . وتمثلت الخدمات الاجتماعية في الخدمات الصحية ومشاغل التأهيل . ولقد أنشئت عيادات في المخيمات باسم الهلال الاحمر الفلسطيني ، اهتمت بمعالجة الناس في المخيمات المهملة وبالدعاوة السياسية بينهم . ولقد اصبحت العيادات مراكز لقاء واستقطاب . كما انشئت مشاغل التأهيل المهني التي استهدفت الوصول الى المرأة . واستطاعت هذه المشاغل ان تخرج دورات ، وان تربي عددا من الفتيات ، كما استطاعت أن تدخل بنات التنظيم الى البيوت المغلقة .

ولكن التجربة ضربت ايضا في ايلول ، وما تبقى منها الآن خارج الاردن هو قليل من كثير .

٤ ـــ المنظمات الشعبية : جرى التوجه نحو بناء المنظمات الشعبية او توسيعها ان وجدت في ميدان العمال والنساء والطلاب والمهنيين . ونقد ازدادت عضوية المنظمات القائمة ازديادا كبيرا ، وانشئت منظمات جـــديدة . وبات الاهتمـــام بأمور المنظمات الشعبية جزء من عمل التنظيم على صعيد المركز وعلى صعيد الاقاليم . ويوجد الآن فروع للمنظمات الشعبية الفلسطينية في كل مكان يوجد به فلسطينيون تقريبا . وهناك الان : اتحاد للعمال ، اتحاد للمرأة ، اتحاد للطلاب ، اتحاد للمعلمين ، اتحاد للكتاب والصحفيين ، اتحاد للحقوقيين ، اتحاد للمهندسين ، اتحاد لذوي المهن الطبية .

أساليب أخرى للعمل الجماهيري :

هذه هي أهم أساليب التعبئة من خلال المؤسسات . ولقد كانت هناك أساليب اخرى عامة أو خاصة . كان هنالك مثلا التعبئة من خلال الندوات . وكانت الندوات تقام في مناسبات عديدة مثل ذكرى انطلاق الثورة، ذكرى معركة الكرامة ، ذكرى التقسيم ووعد بلفور الخ . وكانت الندوات تصل الى كل مخيم وحي وبلدة . كما كانت تقام الندوات الجماهيرية في كل وقت يجري الاحساس فيـــه بضرورة ايضاح ظـــاهرة معينة او خطر معين . ومن هذه الندوات الندوات التي أقيمت عند اعلان الموافقة على مشروع روجرز . واستخدمت في هذا المجال ايضا الندوات الشعرية التي اثبتت انها ذات فعالية عالية . وكانت هنالك أيضا زيارة مقابر الشهداء في الاعياد . وكان يتم الاحتفال بحشد تشترك فيه المنظمات الشعبية والجماهير ، يتوجه الى المقابر حسب برنامج معين . وكان هنالك ايضا الاحتفال بدفن الشهداء والمهرجانات التي تقام لهم في الاحياء ، بالمناسبات المختلفة . هذا بالاضافة الى الاتصال الفردي وتوزيع النشرات والعمليات في الارض المحتـــلة ، والتصدي للنظام الاردني . ولقد كانت عمليات الارض المحتلة وعمليات التصدي للنظام الاردني أرقى اشكال التعبئة واكثرها فعالية .

محاولة تقييم :

ما زالت تجربة العمل الجماهيري الفلسطيني دون تقييم حقيقي . ولقد اتسعت ونمت في قطاعات ، كما حدث بالنسبة للطلاب والعمال والمهنيين ، وضعفت في مجالات أخرى مثل الاشبال والميليشيا والخدمات الصحية والاجتماعية . ولكنها تجربة ما زالت قائمة على

كل حال ، وما زالت تلعب دورا في الحياة الاجتماعية والسياسية للشعب الفلسطيني . ومن الواجب ان تقيم حتى يكون ممكنا تطويرها وتخليصها من كثير من الشوائب والنقائص . وما زال المراقب يلاحظ ما يلي : اولا : ان التصور العام الشامل لطبيعة هذه المنظمات ولمهماتها ما زال غائبا . وان كثيرا من الدوافع وكثيرا من المواقف ما زالت تتلاعب بهذه المنظمات . مع العلم بأن هذه المنظمات لن تستطيع معالجة مشاكلها وتطوير نفسها بدون هذا التصور الشامل . ثانيا : ما زالت هذه المنظمات تفتقد جهاز التوجيه المركزي او جهاز التنسيق المركزي ، ولم يقم حتى الان مجلس اعلى للاتحادات ، ولا استطاع التنظيم الشعبي ان يلعب دور الموجه والمنسق . ثالثا : وما زالت هذه المنظمات تعكس واقع العمل التنظيمي في الحركات السياسية القائدة ، وواقع العلاقات بين هذه الحركات . رابعا : وما زالت هذه المنظمات ايضا تعاني من نقص الخبرة ومن الافتقار الى الكادر ، وهذه قضية أساسية من قضايا هذه المنظمات . خامسا : وما زالت هذه المنظمات تواجه مشكلة القيادات التي فرضتها السياسة على العمل الشعبي ، دون ان تكون كفاءات سياسية او نقابية ، ودون أن يكون لها جذور في الاوساط التي تقودها .

خاتمة : ان هذه المنظمات من انجازات شعبنا ، واذا كانت المحافظة عليها واجبة ، فان تطويرها هو أكثر الواجبات الحاحا . ولا يمكن أن تتم عملية التطوير هذه الا بالنضال من أجل ارساء مفاهيم صحيحة للعمل النقابي وتقاليد صحيحة للممارسات النقابية ، ضمن اطار الوعي العلمي لمهمات المنظمات الشعبية ، وعلى رأسها المهمات السياسية .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

باللغة الانجليزية

جريمة بلا عقاب

سجل للارهاب الصهيوني ــ الاسرائيلي ١٩٣٩ ــ ١٩٧٢

بقلم

سامي هداوي

في الوقت الذي تقوم فيه الصهيونية العالمية ومن ورائها اسرائيل بعمليات ارهابية ضد افراد ومؤسسات فلسطينية عربية وبنشاط واسع لوصف مقاومة الشعب الفلسطيني الشرعية بانها عمليات ارهابية ، كلف مركز الابحاث الكاتب سامي هداوي باعداد ملف كامل بالانجليزية عن الارهاب الصهيوني كي تتضح صورة العدو الذي اتبع ، ولا يزال ، الاساليب النازية ضد الشعب العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة .

اطلبه من قسم التوزيع في مركز الابحاث ، ص. ب ١٦٩١ ــ بيروت

١٠٠ صفحة بليرتين لبنانيتين تضاف اليها اجور البريد :
٥٠ ق.ل. في البلاد العربية ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبه ،
٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

الثورة العربية والثورة الفلسطينية

هيثم البشير

كثر الحديث مؤخرا ، وخصوصا بعد مجازر أيلول ، عن أهمية العلاقة العضوية بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، وعن أخطاء حركة المقاومة تجـاه حركة التحرر العربي . . . وللقيام بتقييم موضوعي حول هذه الامور لا بد من طرح نظرية استراتيجية واضحة تبين حدود العلاقة بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية وتحدد مهام كل طرف تجاه الطرف الآخر . ان مثل هذه النظرية تصبح صالحة عند اكتمالها لتكون مقياسا لتقييم الاخطاء الماضية ودليلا لوضع مخطط عمل للمستقبل . وللبدء في طرح مثل هذه النظرية لا بد من استعراض موجز لمفهوم الثورة الفلسطينية واهم مـن ذلك لمفهوم الثورة العربية .

أولا : في الثورة العربية :

لتجنب الجدل حول وجود « ثورة عربية » وحول « شمول » هذه الثورة على الساحة العربية كلها ، يكتفى بالقول ان المقصود هنا بـ « الثورة العربية » هو حركة التغيير الجذري التي لا بد أن تشمل كل نواحي الحياة العربية حتـى ننجح في التخلص مـن الاوضاع الفاسدة وفي بناء المجتمع الافضل . . . ولا بد من بحث مستقل مطول لمثل هذا الموضوع اذا أريد له المزيد من التفاصيل .

١ ــ **الصراعات والتناقضات في الساحـة العربية** : ان المجتمع العربي يعاني ، فيما يعانيه ، من كل مشاكل المجتمعات « المتخلفة » في العالم الثالث التي لم تحقق انتصارها بعد . والى جانب هذه المشاكل ، التي قد تأخذ في المجتمع العربي طابعا مميزا ، فان هناك تناقضات ومشاكل عربية أخرى لا بد لحركة التغيير الجذري ان تتصدى لها . وحتى لا نغوص في دوامة التناقضات العديدة في كل جزء من الساحة العربية لا بد من الاكتفاء هنا بعرض سريع للتناقضات الرئيسية التي تشمل الساحة العربية كلها .

أ ــ **الصراع ضد الوجود الاستعماري والامبريالي** : هذا الصراع الذي كان وما زال يطبع كل نواحي الحياة في المجتمع العربي . وحتى نستطيع تفهم كل أبعاد هذا الصراع لا بد من تعريف واضح لمعنى تحقيق الاستقلال الوطني ، فهو « يعني في المحل الاول تخليص الارادة الوطنية من أي نفوذ او تأثـير استعماري او امبريالي سواء أكان هذا التأثير او النفوذ يمارسان من خلال وجود عسكري مباشر ، ام مـن خلال استثمارات وعلاقات اقتصادية سياسية ترتبط بها أوساط محلية تضغط على السياسة الوطنية في اتجاه المصالح الامبريالية » ، ام من خلال تسلط ثقافي وفكري ، يمسخ الفكر والثقافة الوطنية ويجعل منهما تبعا متخلفا في ركب الحضارة الانسانية ، مما يولد كل عقد النقص لدى الجماهير ولدى القيادات الوطنية تجاه الاجنبي ويفرض على البلد وصاية فكرية تنقلب الى وصاية سياسية واقتصادية يصعب التخلص منها عمليا . مـن خلال هذا التعريف يمكن القول ان البلاد العربية ما تزال تسعى الى تحقيق الاستقلال الوطني

الكامل . وعلى هذا الاساس لا بد من اعتبار المرحلة الراهنة للثورة العربية « مرحلة تحرر وطني » . فالمصالح الامبريالية ما تزال تسيطر على العديد من نواحي الحياة العربية ، السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ، بدرجة قد تختلف من بلد الى آخر ، كما أن عملاء الامبريالية التي ترتبط مصالحهم بالوجود الاستعماري والامبريالي ما زالوا يمثلون الوجوه البارزة في تقرير السياسات المصيريـــة في كثير من الاقطـــار العربية .

ومن جهة أخرى فان الوجود الاسرائيلي في قلب الوطن العربي قد امتد وتضخم مسيطرا على كل فلسطين وأجزاء من مصر وسوريا ولبنان والاردن ، وهو يتهيأ للامتداد الى المزيد من الارض العربية ، كما انه قد نمى قدراته العسكرية والسياسية حتى فرض سيطرة شبه كاملة في المنطقة مهددا كل الدول العربية ليس بهزيمتها عسكريا فقط وانما باحتلال أجزاء جديدة من كل منها . ان الاحتلال الاستعماري الاسرائيلي يعيد مختلف الاقطار العربية الى بدايات مرحلة التحرر الوطني في مواجهـــة استعمار استيطاني تقليدي يطرح تحديا مصيريا على العمل الثوري العربي ويجعل من الساحة الفلسطينية وبشكل حتمي نقطة الانطلاق ومحور العمل لاي استراتيجية عربية جادة .

ب ــ التجزئة : التي لا بد من اعتبارها تناقضا رئيسيا في الساحة النضالية العربية . ذلك ان العدو الامبريالي ، الذي يفرض سيطرة شبه مطلقة على المنطقة ، موحد القيادة منسق القوى والخطط على امتداد الرقعة العربية كلها . كذلك فان التجزئة تبرز كعقبة أساسية في وجه استنهاض كل الجماهير العربية وتعبئتها ، وكذلك أمام توحيد النضال العربي في مواجهة العدو المشترك . ورغم ان التجزئة السياسية ، وتشتت الجماهير العربية في كيانات مختلفة ، تظهر كمشكلة واضحة ، فان هناك مظاهر أخرى للتجزئة في الساحة العربية لا بد من معالجتها مثل التجزئة الجغرافيـــة ، والتجزئة الاجتماعية والتجزئة الاقتصادية والتجزئة الفكرية والحضارية ... الخ وكل هذه المواضيع تحتاج الى دراسات مستفيضة لا مجال لها هنا .

جـ ــ التخلف : الذي ما زال يطبع مختلف نواحي الحياة العربية ، وسيبقى ظاهرة مميزة في مجتمعنا والى فترة طويلة . ويأخذ التخلف مظاهر شاملة : فهو تخلف تقني ، وثقافي وحضاري ، واقتصادي وهو فوق ذلك تخلف اجتماعي يبـــرز في تهافت البنى الفوقية والتحتية للمجتمع والدولة ، وفي انهيار العلاقات والقيم الاجتماعية المختلفة وتأخر نمو علاقات جديدة صحية مكانها .

واذا كان هناك مظاهر من التخلف يمكن اعتبارها ثانوية في مرحلة التحرر الوطني الا ان هناك مظاهر مهمة من التخلف تؤثر بصورة فاعلة على النضال الوطني في مرحلة التحرر وبالتالي لا بد من التصدي لها ، خاصة التخلف في العلاقات الاجتماعية وتهافت البنى التحتية للمجتمع .

٢ ــ أهداف العمل الثوري العربي : ان هدف الثورة العربية في المدى البعيد لا بد ان يكون تحقيق المجتمع المتقدم المستقل الموحد ، القادر علـــى مواجهة تحديات العصر ، والذي يؤمن لافراده الكرامة والعدل والمساواة بأوسع مظاهرها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، الا ان الاهداف الراهنة للعمل الثوري العربي لا بد أن تحدد بمهام مرحلة التحرر الوطني والتي يمكن تلخيصها كما يلي*: (١) تحقيـــق الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل والقضاء على كل اشكال التجزئة والتبعية للاستعمار والامبريالية . (٢) تحرير فلسطين من الوجود الاسرائيلي ــ الامبريالي ذلك انه يمثل المخفر الامامي

* راجع البرنامج السياسي المقدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني في نيسان (ابريل) ١٩٧٢ .

للامبريالية لضرب الثورة العربية وحماية المصالح الامبريالية بالمنطقة . (٣) تحرير الجماهير العربية في الريف والمدينة من كل اشكال الاستغلال التـــي تمارسها القوى الاجنبية والقوى المحلية المعادية للثورة ، واطلاق حرية الجماهير لتكون القاعدة الصلبة للثورة الوطنية الديمقراطية . (٤) تحرير الانسان العربي مـــن كل ترسبات مرحلة الاستعمار والامبريالية .

٣ ــ استراتيجية العمـــل الثوري : حرب الشعب الطويلة المدى : ان الاستراتيجية السليمة لحركة التحرر العربية لا بد ان تتصدى لتناقضات الواقع العربي الرئيسية ، وان تكون قادرة على تحقيق الاهداف المرحلية للنضال العربي وفي سبيل ذلك لا بد ان توظف باقصى فاعلية كل العوامل المؤثرة في الواقع العربي . وبعد استعراض لتناقضات الواقع العربي واهداف النضال العربي لا بد من عرض سريع لعوامل التغيير في المجتمع العربي .

أ ــ العوامل المؤثرة في الواقع العربي : التي يستطيع الباحث الجاد استخلاصها من دراسة التاريخ الحديث لكل التغيرات الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي ، وهي : (١) الصراع الوطني ضد القوى الاجنبية والامبريالية ، هذا الصراع الذي تفجر في نهاية القرن الماضي وما زال مستمرا بصور مختلفة في كافة انحاء الوطن العربي . ان هذا الصراع لم يؤثر فقط على الخريطة السياسية للمنطقة العربية ، وانما كان له ابعد الاثر على البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية للمجتمع العربي . (٢) التراث والتاريخ الحضاري العربي ــ الاسلامي : حيث لا يمكن بأي حال دراسة التغييرات التي تحدث في اي مجتمع بعيدا عن تراثه وتاريخه . ويلعب التراث الحضاري العربي ــ الاسلامي دورا اساسيا في اعطاء المجتمع العربي طابعه ويميـــز السمات التي تطبـــع مختلف التغييرات في البنى الاجتماعية والسياسية . ان دراسة جادة للتراث العربي الاسلامي تساهم بشكل فعال في توظيف هذا التراث لصالح تطوير المجتمع واحداث التغييرات الضرورية لمرحلة التحرر الوطني . (٣) انتشار الافكار التقدمية والثورية : التي بدأت تنتشر في الاوساط الوطنية العربية منذ اواخر القرن الماضي ، وكان لها اثر فعال في تطوير اشكال الصراع الوطني واغنائه كما كان لها دور مهم في بلورة الفكر القيادي الوطني وفي فرز القيادات الوطنية وتجذير افكارها ومواقفها . (٤) العنف : الذي شكل ويشكل دائما ، عاملا جذريا حاسما في تحطيم القيم القديمة البالية وفي حث الخطى لبناء القيم الجديدة الاقدر على مجاراة ظروف مرحلة التحرر . ولا بد من الملاحظة انه في التاريخ العربي الحديث كانت أعمق اشكال التغيير في البنى الاجتماعية والسياسية تتم نتيجة لتحول الصراع الوطني في مرحلة من المراحل الى صراع دموي عنيف بين القوى الوطنية والقوى الاستعمارية . **وخلال فترة الصراع المسلح العنيف كانت الجماهير العربيـــة تشارك في النضال بكل قدراتها وطاقاتها ، كما تبلغ التعبئة الجماهيرية ذروتها والعطاء الشعبي أقصى مداه .**

ب ــ عوامل القوة في النضال العربي : وهي العناصر الاساسية التي لا بد ان تعتمد الاستراتيجية الثورية عليها لتحقيق أهداف النضال العربي ، ويمكن تلخيصها كما يلي : (١) العوامل البشرية والجيو ــ سياسية التي يتمتع العالم العربي فيها بتفوق : مائة مليون عربي في منطقة استراتيجية من العالم، على ملتقى قارات آسيا وافريقيا وأوروبا، وتمتلك ثروات طبيعية هائلة أهمها البترول الذي هـــو محور الحضارة الحديثـــة . (٢) استمرار النضال الوطني العربي ، الذي مهما أصيب بنكسات فانه يعود ليبرز استجابة للضرورة الموضوعية في الرد على الوجود الامبريالي وفي سبيل انجاز قضية التحرر الوطني . (٣) وجود تيار قوي بين فصائل حركة التحرر العربية لتوحيد النضال

على الساحة العربية كلها . (٤) وجود مراكز عصب حساسة للامبريالية في الساحة العربية ، يمكن توجيه ضربات قوية اليها وتعبئة الجماهير في النضال ضدها .

ج ــ استراتيجية حرب الشعب : وبعد العرض السريع للتناقضات في الساحة العربية ، ولاهداف النضال العربي ، وبعد تقييم موضوعي للقوى الذاتية للمجتمع العربي ، ولنقاط القوة والضعف لدى العدو ، يصبح من البديهي القول ان استراتيجية حرب الشعب هي الوحيدة القادرة على التصدي للمهام المنوطة بالنضال العربي في هذه المرحلة . فالكفاح المسلح الطويل المدى قادر على تحقيق المهام التالية : (١) خلق المناخ الثوري العنيف الضروري لتحريك الجماهير العربية وتعبئتها وتأطيرها . (٢) تنمية الاداة النضالية العربية الواحدة القادرة على تخطي التجزئة . (٣) الاسراع في التغيير الجذري للبنى الاجتماعية والسياسية المتهافتة وانماء البنى الاجتماعية السليمة من خلال العنف الثوري المسلح. (٤) ومن جهة أخرى التصدي للقوى الصهيونية والامبريالية وحلفائهما في المنطقة ، وضعضعتها واضعافها ثم تحطيمها وهزيمتها من خلال النضال الطويل المتصاعد . ولا بد في هذه العجالة من الاشارة الى أن حرب الشعب قد أصبحت علما قائما بذاته ، يشمل كل النواحي الحياتية للمجتمع المقاتل . ولا بد من استيعاب كل دروس الكفاح المسلح والاستفادة من تجارب العالم الثورية ، الناجحة والفاشلة ، في سبيل بناء استراتيجية سليمة للكفاح المسلح العربي .

ثانيا : في الثورة الفلسطينية :

لقد كتب الكثير في الثورة الفلسطينية بشكل يغطي كل نواحيها ، مما لا بد للرجوع له عند أية دراسة مفصلة عنها ، ويكتفى هنا بسرد ملخص لبعض النواحي المرتبطة بعلاقة الثورة الفلسطينية بحركة التحرر العربية :

١ ــ الصراعات والتناقضات في الساحة الفلسطينية : ان كل الصراعات والتناقضات الموجودة في الساحة العربية لا بد من اعتبارها موجودة أيضا في الساحة الفلسطينية ، فالاخيرة تعاني من التخلف والتجزئة أيضا. ولكن التناقض الرئيسي والاساسي في الساحة الفلسطينية هو التحدي المصيري الذي يطرحه الوجود الأسرائيلي : **أ ــ الكيان الاسرائيلي والصهيوني** : ان خطورة الكيان الاسرائيلي تنبع اساسا من انه **نفي مطلق** لاي كيان آخر في فلسطين . حيث ان الكيان الاسرائيلي يطمح لان يكون مجتمعا كاملا مغروسا في المنطقة ، وأن يكون المجتمع الوحيد فيها. وهذا يستلزم تدمير كل المؤسسات والبنى الفلسطينية وازالة الوجود البشري الفلسطيني تماما من المنطقة . **ب ــ قوات الاحتلال الاسرائيلي** : ذلك ان هذه القوات العسكرية المتغطرسة تشكل ، بحد ذاتها ، تحديا عنيفا للنضال الفلسطيني . ان العدو يبني قوته العسكرية لتبقى متفوقة بشكل ساحق على كل القوات العربية مجتمعة ويبني استراتيجيته على المبادرة لتصفية اية قوة مسلحة عربية ، قد تشكل خطرا عليه ، قبل اكتمالها . **ج ــ القوى الامبريالية ومصالحها في المنطقة** : ليس فقط من حيث الدعم المطلق الذي تقدمه للكيان الاسرائيلي ، ولكن أيضا من حيث ترابطها العضوي مع الوجود الاسرائيلي في المنطقة ، فالكيان الاسرائيلي يقوم بمهام اساسية لصالحها : فهو يشكل العدو المباشر الذي تنصرف اليه الجماهير العربية بدلا من تصديها للسيطرة الامبريالية واستغلالها البشع للمنطقة . وهو القوة الضاربة التي تتسلط بشكل مباشر على اي نمو ثوري عربي يمكن ان يمس المصالح الامبريالية بسوء ، وهو الجرح النازف الذي يستنزف معنويات الجماهير العربية ، وقواها النضالية ، ويبقيها في ظروف التخلف والعجز ، مما يضمن للامبريالية استمرار استغلالها للمنطقة براحة واطمئنان . ان هذه المهام التي يؤديها الكيان الاسرائيلي يجعله من الاهمية بمكان بالنسبة للامبريالية وهي ستحافظ عليه بكل ما لديها من قدرة ، خاصة بعد تجربتها القذرة في فيتنام وبعد تصاعد الاهمية الاستراتيجية

للمنطقة العربية التي أصبحت المصدر الرئيسي للبترول في العالم . ان هذا يعني ان على الثورة الفلسطينية أن تقيم القوى الامبريالية كعدو رئيسي مباشر لها بالمستوى نفسه مع العدو الاسرائيلي . **د ــ تجزئة الشعب الفلسطيني ونزوحه عن أرضه** : فمن المشاكل التي خلقها الكيان الاسرائيلي في الساحة الفلسطينية اخراج الفلسطينيين من ارضهم وتشريدهم حتى انتشروا في كل انحاء الارض تقريبا وحتى أصبح هذا التشرد تناقضا رئيسيا لا بد للثورة ان تعالجه خلال مسيرتها اليومية بعناية لتستطيع اعادة بناء المؤسسات والبنى الاجتماعية التي دمرها الكيان الاسرائيلي .

٣ ــ استراتيجية الثورة الفلسطينية*: لقد قامت الثورة الفلسطينية بدراسة عميقة لظروف النضال الفلسطيني وللتناقضات في الساحة الفلسطينية وللقوى الصديقة والعدوة وكذلك للمهام الراهنة التي لا بد من انجازها ... وبعد كل هذا طرحت استراتيجية الكفاح المسلح الطويل الامد كطريق وحيد للنضال الفلسطيني . ذلك أن حرب الشعب الطويلة الامد هي الاستراتيجية الوحيدة القادرة على تنفيذ المهام المطلوبة من النضال الفلسطيني . ومن المهام التي يحققها الكفاح المسلح وحده استقطاب المزيد من الجماهير العربية للمشاركة في الثورة ومدها بالزخم والعمق المطلوبين حتى تستطيع الثورة التصدي للقوات الامبريالية المسيطرة .

ثالثا : العلاقة الجدلية بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية :

من خلال العرض السابق يبدو واضحا التداخل بين العمل الثوري العربي في هذه المرحلة والنضال التحرري الفلسطيني . فالمشاكل متشابكة ، والعدو الامبريالي الصهيوني متوحد متماسك ، والاداة الرئيسية للنضال الثوري هي كل الجماهير والقدرات العربية مجتمعة . وأخيرا فان استراتيجية الكفاح المسلح تجمع بين النضال الفلسطيني والنضال التحرري العربي بأوثق رباط . ورغم وضوح الترابط العضوي بين النضال في الساحة الفلسطينية وعلى الساحة العربية كلها ، الا أن الدراسة المستفيضة للعلاقة بينهما وتحديد المهام المتبادلة أصبحت أمرا بمنتهى الاهمية والضرورة في هذه المرحلة .

١ ــ محورية الساحة الفلسطينية في العمل الثوري العربي : ان الكفاح المسلح العربي لا بد أن يكون موجها ضد القوى الرئيسية المسيطرة في المنطقة ، المستغلة لجماهيرنا ، وهي القوى الامبريالية والكيان الصهيوني المتحالف معها والقوى المحلية العميلة المستفيدة من الواقع الفاسد . وهنا يطرح السؤال : أين نبدأ الكفاح المسلح ؟. والاجابة على هذا السؤال تكون من خلال ابراز خصائص الساحة الفلسطينية التي تجعلها محورا حتميا للكفاح المسلح العربي في هذه المرحلة : (١) ان القوات الاسرائيلية هي القوة العدوة المجسدة ، المسيطرة عسكريا على المنطقة ، وهي الاداة الفعالة للقوى الامبريالية في ضرب التحرك الثوري العربي واذلال جماهير المنطقة . (٢) ان القوات الاسرائيلية تحتل أراضي واسعة من عدة دول عربية ، وتمزق الوطن العربي وتفصل بين أجزائه . (٣) ان للقضية الفلسطينية صدى عميقا في نفوس الجماهير العربية وتجاوبا عفويا من هذه الجماهير مع كل كفاح جدي في الساحة الفلسطينية . (٤) ان الترابط العضوي بين الكيان الاسرائيلي والقوى الامبريالية هو سلاح ذو حدين . اذ أن المعركة المفتوحة مع القوات الاسرائيلية ستؤدي ، مع تصاعد الكفاح المسلح ، الى معركة مفتوحة تجر اليها القوى الامبريالية أيضا ، وهذا يعرض وجودها كله في المنطقة الى غضب الجماهير العربية الواعي ، ذلك ان تدخلها المباشر لصالح العدو الاسرائيلي يجعلها عدوا مجسدا للنضال الجماهيري مما يسمح للقيادات الثورية باستنهاض الجماهير العربية وتنظيمها وزجها في معركة المواجهة الفاصلة مع الامبريالية على امتداد

---

* راجع البرنامج السياسي المقدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني .

الرقعة العربية . وبهذا تكون نقطة البداية للكفاح المسلح العربي في الساحة الفلسطينية التي لا بد أن تبقى محور هذا الكفاح ولفترة طويلة . بكلمة أخرى : **أن الثورة الفلسطينية هي المرحلة الراهنة للثورة العربية** ، وان مهام الثورة العربية الان تتجسد في الكفاح المسلح على الساحة الفلسطينية مما يتطلب توجيه كل الجهود لنجـاح هذا الكفاح ، والعمل الدائب لضمان استمراره وضمان تصاعده وتزايد قدراته .

٢ ــ أهمية الامتداد العربي للثورة الفلسطينية : وكما ان استراتيجية الكفاح المسلح تفرض على العمل العربي البدء في الساحة الفلسطينية كذلك فان الكفاح المسلح يفرض على العمل الثوري الفلسطيني الجاد البحث عن ظهر عربي قوي له ، ويفرض كذلك استقطاب كل الجماهير العربية وتعبئتها للمشاركة في معركة التحرير : (١) ان غالبية الجماهير الفلسطينية تعيش خارج أرضها في الاقطار العربية المجاورة . وبالتالي فان تحريك الجماهير الفلسطينية يتطلب التحرك الثوري في هذه الاقطار ، ويتطلب مواجهة الواقع السياسي والاجتماعي في هذه الاقطار حيث الوجود الفلسطيني ضخم خاصة في الاردن ولبنان وسوريا . (٢) ان الوضع الجغرافي في فلسطين يجعل من المستحيل اقامة قواعد ارتكاز آمنة في الداخل وهذا يميز الكفاح المسلح الفلسطيني بأن قواعد ارتكازه لن تكون في الارض المحتلة وانما في دول الطوق . وهذا يشكل تناقضا مباشرا بين القوى الثورية المسلحة والدول « المضيفة » لقواعد الارتكاز بسبب الازدواجية التي تتولد ، سواء في عمل الثورة في صفوف الفلسطينيين القاطنين في الدول « المضيفة » أم في الوجود المسلح « المستقل » للثورة عن السلطة . ان هذا التناقض سيجر الثـورة الفلسطينية ، وقد جرها في مرات عدة ، الى مواجهة الانظمة في دول الطوق . وهذا يفرض على الثورة الفلسطينية أن تسعى الى اكتساب الجماهير العربية لتكون الحليف الطبيعي لها في مواجهة أي نظام يسعى لتصفيتهـا . (٣) ان القوات الاسرائيليـة والصهيونية الذاتية ضخمة عدديا وماديا ، وهي معبأة بايديولوجية تحفظ لها التماسك ضد الضغوط الخارجية ، وهذا يجعل قدرة الثورة على تحطيم الكيـان الاسرائيلي محدودة ، وربما مستحيلة ، اذا اعتمدت على القوى الفلسطينية وحدها ، بمعزل عن مشاركة الجماهير العربية ، حتى ولو نجحت في تعبئة كل القوى الفلسطينية . (٤) ان الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية لا بد أن يستعدي كافة القوى التي لها مصلحة في الوجود الاسرائيلي : فالى جانب كل قوى العدو هناك القوى العربية المضادة للثورة والمستفيدة من الواقع العربي الحالي ، والقوى العربية المتخلفة التي تخشى الجماهير المنظمة المسلحة ، والتي تخشى التغيير الجذري الذي يحدثه الكفاح المسلح في المجتمع العربي ، وتتضرر منه .

ان كل هذه الامور تفرض على الثورة الفلسطينية اقامة علاقة عضويـة بينها وبين الجماهير العربية ، واقامة علاقة جدلية متطورة مع حركة التحرر العربي . ان على الثورة الفلسطينية ان تكون اكثر جذرية في تطلعها الى « الدعم العربي » ، وأن ترى قواها الحقيقية بين الجماهير العربية على امتداد الساحة العربيـة . ان استقطاب الجماهير العربية وتعبئتها لا يمكن أن يتم بشكل فعال الا اذا أحست هذه الجماهير أن الثورة هي قضيتها هي ، وعندما تشعر ان الثورة تمس حياتها اليومية وتعدها بشكل ملموس بمستقبل افضل .. وبالتالي فان على الثورة الفلسطينية ، تدريجيا مع تنامي قدراتها ، ان تتحول الى عنصر فعال ودافع في نمو قوى التحرر العربية على امتداد الرقعة العربية كلها ، كما تدفعها للالتحام مع مختلف القوى الثورية العربية لافراز جبهة عربية متماسكة تتصدى لكل مهام حركة التحرر العربي : **أن الثورة العربية الشاملة لا بد أن تكون المرحلة المتقدمة للثورة الفلسطينية** التي تسعـى لتحرير كامـل التراب الفلسطيني .

٣ ــ مهام الثورة الفلسطينية الراهنة تجاه الثوريين العرب : ان العلاقة العضوية بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية لا بد أن تترجم بمهام عملية على الثورة الفلسطينية وعلى الثوريين العرب في هذه المرحلة وفي المراحل المقبلة . ويمكن تلخيص مهام الثورة الفلسطينية تجاه الثوريين العرب في هذه المرحلة كما يلي : (١) طرح استراتيجية الكفاح المسلح وممارستها ، واعطاء المثل على انها الاستراتيجية القادرة على تعبئة الجماهير واشراكها في مواجهة القوى العدوة المتغطرسة . ان هذا يفرض على الثورة ليس فقط ممارسة الكفاح المسلح وانما تطوير هذا الكفاح وتصعيده وابداع اساليبه التي تتناسب مع ظروف المنطقة . (٢) تفجير التناقضات في الساحة العربية وخلق المناخ الثوري السليم . ذلك ان الكفاح المسلح يعري كل نقاط الضعف في المجتمع، التي تكون هادئة في احوال الاستسلام ، مثل هشاشة البنى الاجتماعية العربية ، وعجز الانظمة العربية وعدم جديتها في التوجه للمعركة ، وشراسة القوى الامبريالية وضلوعها المباشر في تدعيم العدو الاسرائيلي وفي الاستغلال الاقصى للجماهير العربية ، ان على الثورة تفجير هذا التناقض لصالح العمل الثوري وليس الهرب منها . (٣) تنمية الروح الثورية لدى الجماهير العربية من خلال ابراز الانتصارات الشعبية واظهار قدرة الجماهير على مواجهة العدو في أقسى الظروف ، واظهار اهمية التنظيم والعمل الجماهيري . وفي سبيل ذلك على الثورة تنمية كل الطاقات الجماهيرية وتأطيرها وفتح كل سبل النضال أمامها سواء في المناطق المحتلة ام في دول الطوق ، وكذلك تسليح الجماهير ودفعها للمشاركة المسلحة حسب الظروف كأن تتشكل فرق الحماية ، والميليشيا ، والرصد ... الخ وكل هذه الامور تكون نموذجا لعمل فصائل حركة التحرر العربية الاخرى وتنمي قدراتها في مجال العمل الجماهيري أيضا . ٤ ــ تدريب الثوريين العرب وتسليحهم ، حيث امكن ذلك ، وتنمية الخبرات الثورية والقتالية لديهم والمساعدة على خلق الكوادر الجيدة منهم . ٥ ــ تنمية وتطوير صيغ سليمة للعلاقة بين حركة التحرر العربية وحركات التحرر في العالم وربط الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية ــ العربية بالكفاح العالمي ضد طغيان الامبريالية وسيطرتها . ٦ ــ اخيرا ، ان من مهام الثورة الفلسطينية تجاه حركة التحرر العربية ، أن تراعي ظروف النضال الشعبي في كل قطر وأن تسعى لتدعيم النضال الجماهيري وتصعيده ، وأن تتجنب ما يمكن ان يسيء اليه أو أن يؤخره ، كذلك عليها ان لا تكون علاقتها بالانظمة العربية على حساب النهوض الثوري الشعبي وعلى حساب علاقتها بالثوريين وبالجماهير في مختلف الاقطار العربية .

٤ ــ مهام الثوريين العرب الراهنة تجاه الثورة الفلسطينية : ويمكن تلخيص مهام الثوريين العرب تجاه الثورة الفلسطينية كما يلي : ١ ــ تقديم اقصى الدعم المادي والمعنوي والاعلامي والفني ... الخ . ٢ ــ المساهمة في توعية الجماهير العربية حول الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية وشرح مهامه لهذه الجماهير وارتباطه بنضالها ومستقبلها . ٣ ــ ربط الكفاح المسلح الفلسطيني بالكفاح الاقليمي لمختلف فصائل حركة التحرر العربي . ٤ ــ تقديم الكوادر والخبرات والامكانات البشرية حسب الامكانات المتوفرة وحسب احتياجات الثورة . ٥ ــ تأمين الحماية السياسية تجاه الانظمة التي تحاول التعرض لنشاطات الثورة المختلفة او تحاول تصفيتها . ٦ ــ العمل الدؤوب والمركز لضمان استمرارية الكفاح المسلح وتصاعده بكل الوسائل المتوفرة بما فيها حمل السلاح سواء في الساحة الفلسطينية ام ضد الانظمة العربية التي تحاول تصفية الثورة بقوة السلاح . ٧ ــ اخيرا ان على الثوريين العرب العمل على دفع الثورة الفلسطينية باتجاه تعميق آفاقها الثورية العربية ، وتجنيبها التورط مع الانظمة بأكثر مما تقتضيه ظروف الكفاح المسلح ، حتى لا تبتعد عن الجماهير تملقا للانظمة . وكذلك فان على الثوريين العرب تفهم ظروف الثورة واضطرارها للتعامل مع الانظمة ، وتكييف ظروفهم

النضالية ما أمكن ذلك لظروف الكفـــاح المسلح في الساحـــة الفلسطينية ، لان الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية هو نقطة البداية ومحور العمل الثوري العربي .

٥ ــ مهام مرحلية مشتركة للثورة الفلسطينية والثوريين العرب . اخيرا لا بد من القول ان هناك مهام مشتركة تقع مسؤوليتها على اطراف النضال كافة بما في ذلك الثورة الفلسطينية ، واهم هذه المهام العمل الجاد على تطوير صيغة نظريـــة سليمة للعلاقة الجدلية بين النضال في الساحة الفلسطينية والنضال التحرري العربي ، وكذلك تطوير وابداع صيغ تنظيمية وسياسية وجمـــاهيرية لترجمة هذه العـــلاقة الجدلية الى مهام مرحلية محسوسة سواء بالنسبة للثوريين العرب والفلسطينيين ام بالنسبة للجماهير العربية كلها . وكذلك بحث تصعيد الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية ليرتقي الى ثورة عربية شاملة . ومن المهام المشتركة ايضا التقييم السليم للواقع العربي وظروفه وللواقع الدولي وظروفه في كل مرحلة ثم وضع صيغة متطورة للعلاقة المقبولة بين الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية وكل قطر عربي ، وبينها وبين الجماهير العربية واخـــيرا الصيغة الفعالة لربط النضال العربي بحركات التحرر في العالم .

٦ ــ تطور العلاقة الجدلية بين النضال في الساحة الفلسطينية وحركة التحرر العربية : ان العلاقة العضوية بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية هي عـــلاقة جدلية متطورة ، بمعنى ان تقدم الثورة الفلسطينية يدفع العمل الثوري العربي الى الامـــام ، كما أن اي انتصار تحرزه حركة التحرر العربية يعطي زخما جديدا للثورة الفلسطينية ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المهام المرحلية التي تتطلبها هذه العلاقة لا بد ان تتطور مع تصاعد الكفاح المســـلح باتجاه تعميق هـــذه العلاقة وتنميتهـــا . ان تصور بعض احتمالات تصاعد الكفاح في الساحة الفلسطينية يساعد على فهم تطور العلاقة الجدلية التي تدفع الثورة باتجاه أن تصبح ثورة عربية شاملة ، كما يدفع الثوريين العرب الى المشاركة الفعالة في الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية . ذلك ان تصاعد الكفـــاح المسلح لا يمكن ان يبقى محصورا في الارض المحتلة او بين فلسطينيي المولد بل لا بد ان يتعدى ذلك كله ليمتد على رقعة جغرافية وبشرية اوسع بكثير : ١ ــ من خلال الاحتكاك الذي يولده الوجود الفلسطيني الثوري بين الجماهير العربية ، اي من خلال « الثورة بالعدوى » . ٢ ــ من خلال ردات الفعل الاسرائيلية ، عبر الحدود ، التي تتخذ الكفاح المســـلح ذريعة لضرب النمو الثوري العربي ، ولضم المـــزيد من الاراضي العـــربية واحتلالها . ٣ ــ بسبب تآمر الامبريالية وسعيها الدائم لتصفية الثورة خوفا من تطورها الى حركة ثورة تشمل المنطقة وتقضي على مصالحها . ٤ ــ ومن خـــلال ردات فعل الانظمة العربية التي ترفض المشاركة في المعركـــة والتي تخـــاف من الجماهير المنظمة والمسلحة . وهكذا وتدريجيا تجد الثورة نفسها توســـع دائرة اهتماماتها وتوسع من أطرها التنظيمية والسياسية والعسكرية باتجاه الشمول العربي ، وخلال ذلك تتطـــور مهامها تجاه حركة الثورة العربية من مستوى الدعم الى مستوى المشاركة في النضالات الاقليمية .

ومن جهة اخرى فان تصاعد الكفاح المسلح سيعطي زخما قويا للقوى الثورية العربية ، ولكن القوى الامبريالية وعملاءها من القوى الرجعية المحلية ، تعمل على ضرب التحرك الثوري من خلال ضرب الكفاح المسلح الفلسطيني بؤرة النمو الثوري في المنطقة ، وهذا يدفع الثوريين العرب الى مزيد من التلاحم مـــع الثورة الفلسطينية ليس دعما لها فقط وانما دفاعا عن النمو الثوري العربي كله ، ويتطور دعمهم للثـــورة الى مشاركة فيها ومحاولة توسيع رقعتها لتشمل ساحات عربية جديدة . ان هذا التطور سيؤدي حتما الى التلاحم الكامل والى افراز قيادة موحدة للعمل الثوري على امتداد الرقعة العربية

بما فيها الساحة الفلسطينية خاصة عندما تنجـــر القوى الامبريالية الى التدخل المباشر ضد الثورة الفلسطينية وضد النمو الثوري العربي .

٧ ــ **نحو ترجمة النظرية الى مهام وممارسات عملية** : ان هذا البحث ما هو الا محاولة اولية لمناقشة القضية الملحة التي لا بد أن تحتل المرتبة الاولى في سلم الاولويات المطروحة على الثوريين في الساحة العربية والفلسطينية ، وهذا البحث يطرح مهام محددة لا بد من البدء بتنفيذها وهي : ١ ــ اتمـــام البحث والمناقشة لبلورة النظرية بشكـــل نهائي ومقبول من جميع الاطراف . ٢ ــ المباشرة في تنفيذ المهام الراهنة المطروحة ، حتى قبل اتمـــام الصيغة النهائية للنظرية . ٣ ــ تقييم الممارسات والتصرفات السابقة لمختلف فصائل حركة التحرر العربية بما فيها الثورة الفلسطينية على ضوء النظرية المطروحة لاستخلاص العبر وتجنب الوقوع في المزالق نفسها في المستقبل . ٤ ــ ترجمة النظرية المقبولة الى برنامج سياسي معتمد من كل الاطراف والى مهام مرحلية متطورة تحـــدد ما العمل بالنسبة للكوادر الثورية وبالنسبة لاوسع الجماهير العربية .

فلسطين والقومية العربية

بقلـــم

الدكتور أنيس صايغ

(باللغة الانجليزية)

من منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير

الفلسطينيـــة (ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت)

٨٤ صفحة

بليرة لبنانية واحدة ، تضاف اليها أجور البريد :

٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في أوروبه ،

٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

الثورة الفلسطينية والثورة العالمية

أبو عمر

« نضال الشعب الفلسطيني جزء من النضال المشترك لشعوب العالم ضد الصهيونية والاستعمار والامبريالية العالمية » (من المبادىء الاساسية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » كما وردت في النظام الداخلي للحركة) .

* * *

ان ابرز سمات القرن الماضي هي هيمنة الامبريالية، التي تمثل اعلى مراحل الرأسمالية، على العالم واضطهادها لشعوبه واستغلالها لثرواته . ويدل التحليل العلمي للواقع الدولي على أن التناقض الرئيسي في هذا العصر هو التناقض بين شعوب العالم وبين الامبريالية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية . اما اليوم فقد أصبحت قوى الثورة العالمية في وضع الهجوم . فانتصار الثورة في روسيا والصين وانتصار الثورة الوطنية في عدد من بلدان العالم اعطى دفعة كبيرة لحركة الشعوب المستعمرة . ولقد أخذت الامبريالية تفقد مواقعها موقعا موقعا . وامام النضال الثابت من قوى المعسكر الاشتراكي والقوى التقدمية في البلدان الامبريالية وحركات التحرر الوطني تشن الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية هجمة مضادة على الحركة الثورية العالمية متحالفة مع الرجعيات المحلية ومستهدفة المحافظة على هيمنتها والتوسع في مجال سيطرتها وضرب القوى الثورية والوطنية من أجل الاستمرار في استنزاف ثروات الشعوب .

ويحتل وطننا العربي بثروته النفطية الهائلة وموقعه الاستراتيجي الهام هدفا اساسيا من أهداف الامبريالية الشرسة . كما تشكل المستعمرة الصهيونية في فلسطين مخفرا اماميا للامبريالية من أجل سحق أي تحرك معاد للامبريالية في المنطقة والمحافظة على تقسيم الوطن العربي وتخلفه ليتسنى للامبريالية والصهيونية الاستمرار في نهب ثروات شعبنا واستغلال جماهيرنا . وثورتنا بتصديها المباشر للقاعدة الصهيونية الامبريالية في فلسطين وبسعيها لتجميع القوى الوطنية العربية ضد هذا العدو تمثل طليعة النضال العربي ضد الامبريالية والصهيونية وجزءا اساسيا في الجبهة العالمية المعادية للامبريالية . ومن هذا الموقع فان ثورتنا تسهم اسهاما فعالا في حسم التناقض الرئيسي في هذا العصر لمصلحة الشعوب . ان نضال شعبنا ضد الامبريالية والصهيونية والقوى العميلة المتواطئة معهما نضال طويل وعريق . وما انطلاقة ثورتنا المسلحة في الفاتح من يناير عام ١٩٦٥ الا الحلقة الاخيرة في سلسلة من النضالات البطولية لشعبنا العربي في فلسطين . ولقد كانت انطلاقته مدروسة استفادت من تراث شعبنا النضالي وارتقت به الى مرحلة اعلى . وهذه حقيقة أساسية قد نميل الى نسيانها في فترات الانحسار التي نمر بها اليوم والتي نركز فيها على السلبيات في مسيرتنا الثورية .

ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) بطرحها القضية الفلسطينية كحركة تحرر

وطني صححت المفاهيم الخاطئة والمعكوسة التي روج لها الكثيرون قبل انطلاقة الثورة وبعدها . ولقد صححت فتح هذه المفاهيم ليس فقط ببلاغة حجتها وصلابة منطقها بل ، والاهم من ذلك ، بممارستها وبحملها السلاح في وجه العدو المحتل وبدفعها الالاف من خيرة ابنائها الذين نالوا شرف الشهادة وهم يكيلون الضربات للصهاينة المستعمرين او يدافعون عن انفسهم امام خيانات القوى العربية العميلة .

بعد ان راح العالم طوال عقدين من الزمن ينظر الى الفلسطينيين كلاجئين والى النزاع في منطقتنا كصراع على خطوط بين اسرائيل والدول العربية غيرت فتح هذه المفاهيم الخاطئة وطرحت قضيتنا كقضية شعب اغتصبت ارضه وشرد من وطنه من قبل غزاة مستعمرين مرتبطين عضويا بالامبريالية العالمية ومتسلحين بايديولوجية رجعية شوفينية عنصرية تستهدف اقامة مستعمرة لا محل فيها لاي فلسطيني سوى القلة اليهودية القليلة من شعبنا العربي الفلسطيني . لقد نبذت ثورتنا التعصب القومي وانطلقت من منطلق انساني هادفة ليس فقط الى تحرير الانسان العربي بل ايضا الى تحرير الانسان اليهودي من نير الصهيونية . فبالرغم مما فعله الصهاينة بشعبنا من ذبح وتشريد فاننا لم نطرح في المقابل طرد اليهود وتشريدهم في تصورنا لفلسطين المحررة ولكننا بطرحنا الدولة الديمقراطية فتحنا الباب امام اليهود في فلسطين ان ينبذوا الصهيونية والقاعدة الاستعمارية المسماة باسرائيل وان يناضلوا معنا من اجل مجتمع تقدمي عربي يعيش فيه الجميع بغض النظر عن دياناتهم متمتعين بحقوق وواجبات متساوية . ولقد لاقى هذا المفهوم الذي تضمنه شعارنا لدولة ديمقراطية في فلسطين تفهما وقبولا واسعين من جانب القوى التقدمية العالمية بما فيها قوى يهودية غير صهيونية .

ان ثورتنا بطرحها السليم لقضيتنا قد أدت الى غضح المستعمرين الصهاينة وادعاءات بعضهم باليسارية والديمقراطية امام الراي العام العالمي ، ووضعتهم في موقع الدفاع بالنسبة لهجوم الثورة في المجالين السياسي والفكري . فان الصهاينة الذين يدعون اليسار بالرغم من تغيير حججهم وابتكار وسائل جديدة للتضليل ، لم يعد من السهل عليهم التأثير على الاوساط التقدمية التي اخذت تتفهم بشكل متزايد عدالة قضيتنا . اننا لا نستطيع ان نتجاهل بعض القوى التي ترفع الراية اليسارية في اسرائيل والتي لها قدر من النضال ضد سياسات الدولة الصهيونية الامبريالية . ولكننا نرى ان هذه القوى لا يزال امامها ان تراجع مواقفها بالنسبة لعديد من القضايا الاساسية حتى تصبح فعلا جزءا حيويا في النضال ضد الصهيونية والامبريالية واهم هذه القضايا احتلال وطن واقامة دولة عنصرية على حساب شعب اخر ، واستيطان ارض واستثمار ثروات هي ملك لهذا الشعب .

ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) بطرحها القضية الفلسطينية كحركة تحرر وطني ربطتها بشكل ثابت وواع بحركات التحرر الوطني وبالثورة العالمية على الصعيدين النظري والعملي . ففي برنامج العمل الذي قدمته حركتنا الى المجلس الفلسطيني في دورته الثانية جاء ما يلي : « ان معركة الحرية واحدة لا تتجزأ وان هزيمة الاستعمار والامبريالية العالمية في أي مكان من اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية انما يعتبر انتصارا لمعركة الحرية في فلسطين العربية وبالتالي فان شعبنا يقف الى جانب جميع الشعوب في نضالها من أجل حريتها واستقلالها وتحقيق التعاون الوثيق مع جميع قوى التحرر في العالم » . وفي نظامها الداخلي تقر حركتنا من بين اهدافها « مساندة الشعوب المضطهدة في كفاحها لتحرير اوطانها وتقرير مصيرها من أجل بناء صرح السلام العالمي على أسس عادلة » وتدعو الحركة الى « اقامة اوثق الصلات مع القوى التحررية في العالم المناهضة للامبريالية والصهيونية والتي تدعم كفاحنا المسلح العادل » . وفي برنامج

الثورة الفلسطينية تؤكد ثورتنا على ان احد المحاور الاستراتيجية الرئيسية الاربعة التي يرتكز عليها برنامجنا السياسي هي « التلاحم مع حركة النضال العالمية ضد الامبريالية والصهيونية ومن اجل التحرر الوطني » .

هذا على الصعيد النظري . وقبل ان نتطرق الى الصعيد العملي لعلاقاتنا مع القوى العالمية عامة وقوى الثورة العالمية خاصة سنستعرض العناصر الاساسية لمنهجنا في التعامل مع هذه القوى والمقاييس التي ينبغي الالتزام بها في تحديد من وما هو الثوري، فمثل هذه المقاييس ضرورة لا بد منها في مواجهة بعض مظاهر الانحراف التي تبرز في فترات الانحسار .

١ ــ **الاهتمام باحداث النتائج وليس بمجرد طرح الافكار وتسجيل المواقف** : كما انه يهمنا في العلم أن يرشدنا الى عمل لمصلحة جماهيرنا ، وفي الفكر ان نحوله الى حركة في الواقع ، يهمنا في المواقف ليس مجرد تسجيلها بل احداث نتائج ملموسة مهما كانت متواضعة . فاننا نرى ان الثوري هو ليس من يتكلم عن الثورة بل من يصنع الثورة . ومع التركيز على الممارسة يجب ادراك العلاقة الجدلية بين الفكر والممارسة بحيث ننبذ القوالب الفكرية الجامدة والمعادلات الجاهزة ونحاول اغناء فكرنا على ضوء ممارساتنا وتطويره عن طريق تنظير تجاربنا .

٢ ــ **التحديد الواضح للتناقض الرئيسي** : لقد حددت حركتنا التناقض الرئيسي بشكل واضح على الساحات الثلاث ، الفلسطينية والعربية والعالمية . فالتناقض على الساحة الفلسطينية هو بين شعبنا المتشرد او الرازح تحت الاحتلال وبين الاحتلال الصهيوني الامبريالي . وانطلاقا من ذلك ومن حقيقة ان المعركة الفلسطينية والمعركة العربية وجهان لعملة واحدة فان التناقض الرئيسي على الساحة العربية هو بين قوى الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية وبين الامبريالية والصهيونية واشكال الاستعمار الجديد والقوى العربية المتواطئة معها . اما على الصعيد العالمي فالتناقض الرئيسي هو بين قوى الثورة العالمية والقوى الامبريالية بكل ما تمثله من استغلال وعنصرية واستعمار قديم او جديد .

٣ ــ **التمييز بين التناقض الرئيسي والتناقضات الثانوية** : وينعكس هذا الفهم لطبيعة التناقض الرئيسي على الساحات الفلسطينية والعربية والعالمية على ممارسات الثورة. فالثورة تحرص على عدم خلط التناقضات الثانوية والتناقض الرئيسي وتحرص من خلال اخضاع التناقضات الثانوية للتناقض الرئيسي على جذب قوى جديدة الى معسكر الثورة ، وعلى تنشيط قوى قد تكون خاملة برغم ان مصلحتها هي في النضال ضد الصهيونية والامبريالية ، او تجنيد قوى اخرى قد يسعى العدو الصهيوني والامبريالي الى جذبها لمعسكره عن طريق مناورات القوى العربية الرجعية العميلة .

٤ ــ **التصنيف الدقيق للقوى من أجل توسيع جبهة الاصدقاء وتضييق جبهة الاعداء** : ان حركتنا تحكم على كافة القوى وهي تصنفها صداقة او عداء بممارسات هذه القوى وليس فقط بأقوالها ليس في ظرف محدد فحسب ولكن من خلال رؤية تأريخية لحركة هذه القوى ومدى قابليتها للتغير سلبا او ايجابا . هذا هو المنهج الذي يضمن التطبيق الواعي للشعار « اوسع الاصدقاء واضيق الاعداء » وهو الشعار الذي يشكل شرطا رئيسيا لانتصار اية ثورة .

٥ ــ **الصلابة الاستراتيجية والمرونة التكتيكية** : ان استراتيجيتنا هي التحالف مع قوى الثورة العالمية ولا يخل بذلك بعض الممارسات التكتيكية التي قد تتخذ بعض الاحيان شكل علاقات مع قوى خارج اطار الثورة العالمية . مثل هذه العلاقات تفرضها احيانا ضرورة اقامة نوع من التوازن يخفف من الضغوط العربية التي تتعرض لها الثورة، ولكن

يظل الحكم النهائي على هذا النوع من الممارسات التكتيكية مشروطا بالنتائج العملية التي يحققها من ناحية وعدم الاخلال بعلاقات الثورة بالقوى التقدمية العربية وقوى الثورة العالمية من ناحية اخرى . ان ثورتنا اصبحت اليوم مهددة بسبب انفلاشنا ووجودها العلني السافر على أرض أنظمة تتبع استراتيجية مغايرة لاستراتيجيتنا واتجاه بعض هذه الانظمة نحو الاستسلام وضعف بنيتنا التنظيمية وانحسار نشاطنا الثوري . فاذا اردنا ان نفلت من محاولات التصفية والاحتواء ومن العمل ضمن استراتيجية اصدقائنا وحلفائنا علينا التمييز بين التحالفات الاستراتيجية والتحالفات التكتيكية واتخاذ خطوات عاجلة وحاسمة لرسم خط سياسي واضح وخط عسكري وتنظيمي يتناسبان مع الخط السياسي ومع ظروف المرحلة ضمن الرؤية الاستراتيجية العامة . لقد حرصنا منذ انطلاقة ثورتنا على استقلاليتنا ولكننا مهددون اليوم اكثر من اي وقت مضى بفقدان هذه الاستقلالية ان لم نتخذ الاجراءات الحاسمة ونناضل النضالات الجادة من اجل اعادة ترتيب أوضاعنا الذاتية .

٦ ــ **الاستفادة من التناقضات في معسكر الاعداء** : اننا ندرك ان ثمة تناقضات في معسكر الامبريالية ولقد وصلت هذه التناقضات في الماضي من الحدة الى الحد الذي فجرت فيه حروبا عالمية طاحنة بين الدول الامبريالية . ولكننا ندرك أيضا ان كل هذه القوى تقف صفا واحدا ضد مصلحة شعبنا الاساسية ، وان اختلفت فهي لا تختلف الا على كيفية اجهاض ثورتنا وسحق تحرك جماهيرنا ونهب ثرواتنا وتوزيع الغنائم بينها . أما بالنسبة لكل دولة من الدول المعادية فثمة قوى تقدمية في داخلها يهمنا كثيرا ان نتعاون معها وبالنسبة للمستعمرة الصهيونية في فلسطين نرى أن التناقضات بين اليهود يمكن أن تزداد حدتها ليس عن طريق الاستسلام العربي (الذي يصر البعض على تسميته السلام) ولكن عن طريق تصعيد نضالنا السياسي المسلح . وفي نضالنا في الاعوام الماضية الدليل الواضح على صحة مقولتنا هذه .

٧ ــ **الاستفادة من تجارب الشعوب** : ان حركتنا ترى في تجارب الشعوب المناضلة التي كافحت ضد استغلال الانسان للانسان واضطهاد شعب لشعب دروسا مهمة لنا . ان افكار هذه الثورات وممارساتها قد أغنت تجربتنا . ولكننا في استفادتنا هذه يجب الا نهمل ظروف نضالنا وخصوصية واقعنا وعلينا ان نحذر من التقليد الميكانيكي لتجارب الاصدقاء . علينا ان نبتكر اساليبنا الخاصة ونبتدع طرقنا الملائمة ونطبق ما نستعيره او ننقله تطبيقا خلاقا .

٨ ــ **الاهتمام بتراثنا النضالي العربي** : مع انفتاحنا على العالم ونبذنا للعزلة القومية ومحاولة استيعاب تجارب الثورات الاخرى فان الامساك بالتراث النضالي لشعبنا وللامة العربية بشكل عام شرط أساسي لكي نستطيع ان نطبق ما يجد في التجارب الثورية تطبيقا خلاقا ومبدعا على واقعنا الخاص ، يجب ان نعترف اننا ما زلنا مقصرين في دراسة تراثنا النضالي دراسة علمية . اننا على يقين ان شعبا يفقد ماضيه لا يمكن أن يصنع مستقبله فعلينا الا نهرب من الماضي او ان نلجأ اليه بروح دفاعية معتمدين التبرير ، كما علينا الا نقف عند الاعتزاز العاطفي بماضينا بل علينا أن نحول اعتزازنا الى دراسة معمقة تستخلص وتطور ما في هذا التراث مما يغذي نضالنا الحالي ويغني تراث الشعوب النضالي .

٩ ــ **الحرص على السلام العالمي** : اننا نقدر خطورة نشوب حرب نووية ولكننا نرى في ثورات الشعوب المسحوقة ليس تهديدا للسلام العالمي بل الطريق لتحقيق السلام الحقيقي القائم على العدل . ان المخطط الامبريالي المستعين بالحركة الصهيونية والمستعمرة الصهيونية في فلسطين لفرض السيطرة الامبريالية على المنطقة وادخالها ضمن الاستراتيجية الامبريالية العالمية يهدد في حالة نجاحه بخلل كبير في ميزان القوى الدولي

لصالح الامبريالية مما يشجعها على المضي في مغامراتها العدوانية التي يمكن أن تدفع العالم الى حافة هذه الحرب النووية . لذلك فان نضال شعبنا ونضال حركة التحرر العربي ضد الامبريالية والصهيونية ولاحباط هذا المخطط الامبريالي الصهيوني ليس ضرورة بالنسبة لصالح شعبنا فحسب ولكنه ضرورة حيوية ايضا لصيانة السلام العالمي .

ولقد اثبتت التجربة الملموسة ان غياب الثورة المسلحة ضد الكيان الصهيوني قد شجعه اكثر من مرة على اقتراف عدوان دولي هدد العالم بانفجار حرب عالمية كما حدث في عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧ . ان النضال المسلح الذي تشنه الشعوب ضد الامبريالية والصهيونية هو الطريق الوحيد لحفظ السلام العالمي من خطر اندلاع حرب عالمية . لان اطمئنان الامبريالية والصهيونية من خمود الانتفاضات المسلحة وثورات الشعوب يعتبر تشجيعا لهما لاقتراف العدوان العسكري وتطبيق سياسات التوسع وضم اراضي الغير .

اما وقد استعرضنا العناصر الاساسية للمنهج الذي يحكم علاقاتنا على الصعيد الدولي فلنعد الى ايجاز علاقاتنا بقوى الثورة العالمية :

١ ــ **حركة التحرر العربي** : ففي المجال العربي احدث طرحنا ثورة في مفهوم القضية الفلسطينية ومواجهة العدو الصهيوني . لقد ابتدأت القوى العربية الوطنية والتقدمية تدرك محورية القضية الفلسطينية وان الساحة الفلسطينية هي الساحة الاساسية في مواجهة الامبريالية وان التناقض الرئيسي في وطننا لا يمكن أن يحل الا عن طريق توجيه نضالنا ضد اسرائيل التي تجسد تسلط الامبريالية والصهيونية بشكل واضح ومكشوف. ان طرح الثورة الفلسطينية لاستراتيجية هجومية بدلا من استراتيجية الانظمة الدفاعية غيرت مفهوم المواجهة مع العدو الصهيوني . كما ان طرح حرب الشعب طويلة الامد بدأ يرسخ هذه الفكرة لدى الجماهير العربية . ومع أن البعض اخذ يشكك بجدوى استراتيجية حرب الشعب اذ ينظر الى الارض ويرى ان البذرة لم تنبت بعد ، يدرك شعبنا بشكل متزايد ان هذه البذرة التي غرستها الثورة الفلسطينية لا بد وان تنمو في ارضنا الخصبة وتمتد جذورها وتنبت وتثمر اذا ما وجدت من يهتم بها ويعمل دون كلل أو ملل للعناية بها .

ولاول مرة في تاريخ امتنا تمكنت الثورة الفلسطينية من جمع القوى الوطنية والتقدمية العربية كافة في « جبهة عربية مشاركة في الثورة الفلسطينية » (نوفمبر ١٩٧٢) . وفي مثل هذا الحدث دلالة هامة بالرغم من ضعف الثورة والقوى التقدمية في هذه المرحلة . ومع ان هذه الجبهة لن تكون ذات فعالية كبيرة خاصة اذا لم يحول برنامجها السياسي الى مهام ملموسة ومحددة ، الا ان الفكرة نفسها على جانب كبير من الاهمية. وعلينا أن نناضل من أجل الصعود بالثورة من المنحدر الذي وصلت اليه بالتركيز على تصعيد العمل الثوري في الوطن المحتل وفي الاردن . وعندئذ يمكن ان نخلق المناخ الملائم لنمو القوى الثورية العربية ويمكننا ان نكون اساسا في جبهة عربية فعالة تمثل الترابط العضوي بين حركة التحرر الفلسطيني وحركة التحرر العربي .

٢ ــ **حركات التحرر الوطني** : ان حركتنا جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني في العالم . فان كل برامجنا ومواثيق ثورتنا وتصريحاتنا في المؤتمرات العالمية لتؤكد هذه الحقيقة الاساسية . ولم يقتصر هذا الترابط على التصريحات او الخطب والبيانات بل عبرنا عنه بتبادل الخبرات وتوثيق العلاقات ماديا وسياسيا مع حركات التحرر في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . لقد وجدنا في تجارب حركات التحرر لا سيما تجربة الرفاق الفيتناميين اكبر الهام وخير معلم ومثال . لقد ادركت القوى الثورية في العالم محورية

فيتنام وفلسطين في النضال ضد الامبريالية فقامت بتشكيل لجان مناصرة فيتنام وفلسطين في كثير من بلدان العالم . وتوضح هذا الترابط الوثيق بين فيتنام وفلسطين كلمات مندوب فيتنام التالية : « انه لشرف عظيم لنا أن نكون بينكم ايها الثوار الفلسطينيون الغالون علينا والذين نعتبركم أشقاء لنا ورفاق سلاح في خندق واحد في نضال مشترك . على الرغم من أن فيتنام وفلسطين تبعدان كثيرا عن بعضها البعض من الناحية الجغرافية فتقع الواحدة في الشرق الاقصى والاخرى في الشرق الاوسط ، الا أن المسافة لا تهمنا مطلقا ونشعر دائما اننا قريبون من بعض اذ نناضل من أجل القضية نفسها الا وهي الاستقلال والحرية وضد عدو واحد الذي هو الامبرياليون الامريكيون المعتدون وخدمهم في تل ابيب كما في سايغون . ان دعمنا بدون تحفظ للنضال العادل الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني ضد الامبرياليين والصهاينة الاسرائيليين المعتدين هو بالنسبة لنا مسألة مبدأ ثوري » . اما وقد أوشكت حركة التحرر الفيتنامية على النصر في جنوب فيتنام فلا شك ان فلسطين ستصبح محور الصراع بين الامبريالية وحركة التحرر العالمي . ونأمل ان نكون أهلا لمثل هذا الدور الجسيم فنتعلم من رفاقنا الفيتناميين حسن التعبئة والتنظيم لجماهير شعبنا من أجل شن الحرب الطويلة الامد لالحاق الهزيمة بالامبريالية والصهيونية على ارض فلسطين وفي وطننا العربي الكبير .

٣ ــ **المعسكر الاشتراكي** : منذ أن انطلقت ثورتنا كنا حريصين على الحوار المستمر مع قوى المعسكر الاشتراكي من أجل تفهم قضيتنا ونضالنا وعلاقته بالنضال العالمي من أجل التحرر والاستقلال والتقدم . ولقد وجدنا في الصين الشعبية تفهما كاملا لقضيتنا وتعاونا وثيقا في نضالنا كما وجدنا في الاتحاد السوفياتي والحركة العمالية في العالم تفهما متزايدا . ويمثل مؤتمر صوفيا لنصرة عمال وشعب فلسطين (سبتمبر ١٩٧١) حدثا هاما في علاقاتنا الدولية اذ اكد اتحاد النقابات العالمي عدالة قضيتنا واعلن بشكل واضح وصريح عن مساندته لشعبنا في نضاله من اجل العودة وتقرير المصير . ان علاقاتنا بالاصدقاء لم تقتصر على الدعم السياسي والزيارات المتبادلة بل تخطته الى المساعدات المادية . واننا اذ نقدر هذا الدعم المتزايد واذ ندرك الاختلافات مع بعض الاصدقاء نعلم انه لا يجوز ان نحمل الاصدقاء عبء نضالنا بل علينا أن نتكل اساسا على انفسنا ، اننا نعلم ان مساندة الاصدقاء ليست بديلا لنضالنا كما ان مواقفهم رهن بالحقائق التي نصنعها نحن هنا في وطننا .

٤ ــ **القوى التقدمية في البلدان الامبريالية** : لقد نجحت حركتنا في اقامة العلاقات الوثيقة مع الكثير من القوى التقدمية في البلدان الرأسمالية . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر العلاقات الوثيقة مع الحزب الشيوعي الايطالي والحزب الشيوعي الفرنسي. ولقد نجحنا في معظم الحالات في الا ندع اختلاف القوى اليسارية يؤثر على علاقاتنا معها . فاننا ننطلق من ضرورة التعاون مع أية فئة تقدمية او وطنية تؤازرنا ولا نرضى أن يكون تعاوننا مع فئة على حساب علاقتنا مع فئة أخرى ونحرص ان يكون النضال الفلسطيني نقطة تجمع لكافة القوى التقدمية بالرغم من الخلافات التي بينها . ويجدر بنا ان نخص بالذكر من بين الحركات العديدة التي تؤيدنا حركة الفهود السود التي تناضل في ظروف صعبة جدا ضد العنصرية والاستغلال في قلب الولايات المتحدة . وفي تعاملنا مع مختلف البلدان نميز بين الحكومات والشعوب فبينما نضع الحكومات الامبريالية في صف الاعداء نحاول انشاء العلاقات مع كل الفئات الشريفة التي يمكن أن تؤيدنا . ويمكننا ان نذكر الشبيبة الاحرار في بريطانيا الذين تبنوا فكرة الدولة الديمقراطية وقطعوا علاقتهم مع حزب الاحرار الاسرائيلي نتيجة حوارهم معنا وتفهمهم لقضيتنا . كما اننا حظينا بتأييد « المسيحيين من أجل فلسطين » لنضالنا وأهدافنا . فقد عقدوا ندوتين عالميتين الواحدة

في بيروت (١٩٧٠) والاخرى في كانتربري بريطانيا (١٩٧٢) وكونوا لجانا في كثير من بلدان العالم لتقوم بالاعلام عن قضيتنا العادلة .

بعد هذا الاستعراض الموجز يمكننا القول ان استمرارية الثورة الفلسطينية يجب ان تكون هدف كل القوى الثورية في العالم وانانتصار الثورة في فلسطين هو اكبر هزيمة يمكن ان تلحق بالامبريالية في هذا العصر على يد الشعوب المسحوقة .

ان برنامج ثورتنا السياسي ينص على « ان توثيق علاقات التضامن والنضال المشترك بين الثورة الفلسطينية والنضال العربي وبين حركة التحرر العالمية والقوى التقدمية والمعادية للامبريالية في العالم والذي يرتكز اساسا على الايمان بأن الثورة الفلسطينية والنضال العربي جزء من النضال التحرري العالمي ، سوف يسهم ايجابيا في نضال الشعوب المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والعنصرية والرجعية » . ان مساهمتنا في الثورة العالمية هي في المحل الاول عن طريق القيام بمهمات نضالنا ونجاحنا في معالجة التحديات التي تواجهنا . ولدعم نضالنا ونضال الشعوب ضد الامبريالية والاستغلال علينا أن نسعى لقيام جبهة متحدة من كل القوى المعادية للامبريالية على نطاق العالم . ان نضال قوى الثورة العالمية ضد الامبريالية وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية لا بد وأن ينتصر . وان نضالات شعوب العالم المختلفة ويقظتها وتعاونها وتعلمها من بعضها البعض لكفيل بأن يصد الهجمة الامبريالية المضادة ويحرز النصر .

لقد خطا شعبنا خطوات صغيرة على طريق حرب الشعب الطويلة، ونمر اليوم بتعرجات هي أمر طبيعي في مسيرة كل ثورة . فعلينا ان نبقي هدف التحرير دوما صوب اعيننا ونخطو خطى حثيثة متعلمين من اخطائنا حتى نحقق النصر .

الصهيونية واسرائيل واسيـــا

بقلم ج. هـ. جانسن

ترجمة راشد حميد

من منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير

الفلسطينية (ص. ب ١٦٩١ ـــ بيروت)

٢٤٩ صفحة من الحجم الكبير

٨ ليرات لبنانية ، تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ،

٢٥٠ ق. ل. في اوروبة ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر الدول .

صرفند والقانون والمسألة اللغوية

نزيه قوره

قاعة المحكمة العسكرية في سجن رام الله . أواخر كانون الاول ١٩٦٨

ـــ اسمك ـــ ابراهيم سلامة
ـــ عمرك ـــ ٢٥ سنة
ـــ مكان الولادة ـــ أم الزينات ـــ قضاء حيفا
ـــ مذنب أم غير مذنب ـــ غير مذنب

« بتاريخ لم يمر عليه الزمن و ... حسب نص المادة ... من قانون الطوارىء .. لعام ١٩٤٥ .. » التهم : التسلل بصورة غير مشروعة . الانتماء لتنظيم غير مشروع . حمل السلاح بدون تصريح من الحاكم العسكري . اطلاق النار على جنود جيش الدفاع الاسرائيلي (هذه التهمة لا تتلوها عبارة « بدون تصريح من الحاكم العسكري »)

ـــ هل تعترف بالتهمة الاولى ـــ لا
ـــ أين القي القبض عليك ـــ في رام الله
ـــ أين تقيم ـــ في دمشق
ـــ اذن كيف جئت الى هنا ـــ عبرت نهر الاردن عائدا الى بلدي .

قبل بدء أية محاكمة يجب حسم المسألة اللغوية أولا . فالمدعي العسكري لا يهمه التمييز بين « عبر » و « تسلل » ، والمترجم يخلط بين الكلمتين . ولكن « المتهم » الفلسطيني الذي يواجه ما لا يقل عن ست تهم في أية قضية يهمه تبيان الفرق بين هذه الالفاظ لان الفرق بين « عبر » و « تسلل » يعني الفرق بين الوجود والعدم . ثم هناك الفرق بين « معترف » و« مذنب » . والتمييز بينهما أمـــر جديد بالنسبة للمحاكم . اذ أن على « المتهم » دائما أن يوقف المترجم الذي لا يميز بين هذه الالفاظ ، ليطلب منه أن يفرق بينهما . فالمتهم قد يعترف بما نسب اليه ويتمنى لو أن ما نسب اليه أكثر من هذا ولكنه لا يقر بأنه مذنب .

ـــ هل هذه افادتك ؟ ـــ نعم
ـــ هل هذا التوقيع في أسفلها توقيعك ؟ ـــ نعم
ـــ هل تقر بما جاء فيها ؟ ـــ لا
ـــ كيف ذلك ؟ ـــ لقد أجبرت على توقيعها تحت التعذيب .

المدعي العسكري ليس قصير النظر وقد اعد نفسه لهذه « المفاجأة » .

ـــ سيدي القاضي ان لدي اقرارا خطيا من المتهم يعترف فيه أنه وقع الافادة دون ضغط أو اكراه ماديا كان أو معنويا .

ـــ ما رأي المتهم ؟

ـــ لقد أجبرت تحت التعذيب بالاقرار بأنني لم اعذب اثناء التحقيق معي .

ـــ هل لديك شهود ؟!

المحكمة حريصة على تطبيق القانون الاجرائي . قبل بدء المحكمة سئل « المتهم » ان كان لديه محام ، وعندما قال لا عرضت المحكمة عليه تعيين محام على نفقتها ، ولم يستطع « المتهم » الا أن يرفض هذا الكرم . انه يعرف مقدمـــا كيف يدافع محام صهيوني عن « مخرب » . سيقول المحامي ان « المتهم » بسبب فقره وجوعه وجهله بالعواقب ، وقع تحت اغراء « منظمات التخريب » التي دفعت له مبلغ ١٥٠ ليرة سوريـــة لقاء قيامه بعمليات « تخريب » .

والآن يريدون منه أن يأتي بالشهود . لا يكفي الانزلاق في عموده الفقري شاهدا على الشبح والكهرباء والكلاب . « أبو عرب » : أطلب منهم استدعاء « أبو شنب أزرق » من معسكر صرفند ليشهد أنك عذبت . أطلب من القاضي الحريص على نصوص القانون أن يأتي بكافة المعتقلين المعصوبي العيون المقيدة أيديهم وراء ظهورهم في زنازين صرفند المنفردة ، ليشهدوا أنهم سمعوا ، بعد منتصف احدى الليالي التي لا يميزونها عن غيرها، انسانا تذبح انسانيته .

ـــ ليس عندي شهود .

ـــ هل تطلب شيئا من المحكمة ؟

المطلوب منه هو وليس من المحكمة أن يطلب الرحمة ويستغفر لكي يظفر مـــن المحكمة بتخفيض الحكم من أربعة أحكام بالمؤبد الى ثلاثة أحكام بالمؤبد .

ـــ لا .

محمد عقلة . العمر : ١٧ عاما . المهنة : طالب . مكان الاقامة : دمشق . التهم نفسها. الجدل اللغوي ذاته . التسلل والعبور . التخريب والفداء . التعذيب والاقرار بتوقيع الافادة بملء الحرية والاختيار .

ـــ هل تريد ان تقول شيئا للمحكمة ؟

ـــ نعم . سيأتي يوم لتقف مكاني وتحاكم على جرائمك .

ـــ ومن الذي سيحاكمني ؟ أنت ؟!

ـــ لا . الشعب .

ترى هل وقف بريخت ذات يوم أمام محاكم الفاشيست ليقول بعد ذلك « عندما يفرغ الحاكمون من كلامهم سيتكلم المحكومون » .

محمد جابر : هل تريد أن تقول شيئا للمحكمة ؟

من بين المتهمين السبعة كان ابو جابر أكثرهم صمتا . أية مراجل كانت تتقد وراء هدوء عينيه . كيف يجمع بين هذا القدر من الهيبة وهذا القدر من التواضع . كنت أعرف أنه مقاتل ممتاز ، ولكن لم أكن أعرف أنه مثقف الا عندما سمعته يتمتم بأبيات مـــن قصيدة للجواهري

أطبق دجـــى حتى يحلـــق في سموات عقاب
غضبان ان لم تحم أعشاشا لها طير غضاب

باختصار أجاب « أبو جابر » على سؤال القاضي العسكري ، وبصوته الهادىء

ـــ لست نادما على شيء . اذا أطلقتموني سأعود ثانية حاملا سلاحي .

* * *

[٢]

ـــ عبد القادر مات .

ـــ عبد القادر مات ؟؟!

كان الموت لم يكن خبزنا اليومي . وكأن عبدالقادر معصوم من الموت . لماذا لا يريدون أن يصدقوا أن عبدالقادر أبو الفحم مات ؟ لقد أسر عبدالقادر أبو الفحم عندما وقع في كمين ورفض الاستسلام فاخترقت جسده عشرات الرصاصات . عندما نقلوه الى المستشفى بعد أسره انتزعوا من جسده أكثر من خمس وثلاثين رصاصة : ـــ من معدته ومخذيه وصدره ووجهه . عبدالقادر الذي دوخ سلطات الاحتلال أكثر من سنة ونصف السنة والذي وضع اسمه في قائمة المطلوبين منذ الشهر الاول للاحتلال والذي أصبح جسده مزرعة رصاص ، لم يمت . والآن ها هو يموت مثل الآخـــرين الذين يموتون كل يوم . كيف ؟

ـــ استشهد عبد القادر في سجن الرملة بينما كانوا يحاولون اجباره على فك اضرابه عن الطعام الذي استمر عشرة أيام .

ـــ ولماذا يضرب عبد القادر عن الطعام ؟

كان عبد القادر موجودا في زنازين سجن عسقلان ، وقد علـــم أن السجناء يخططون لاضراب عن الطعام فأصر على المشاركة في الاضراب . وكان السجناء يعرفون وضعه فطلبوا منه عدم الاضراب لان صحته لا تتحمل ذلك . وبعث لهم ، بالطرق التي يعرفها المساجين ، يقول أن اللقمة لن تمر في حلقه عندما يكون الخمس مئة سجين جائعين . وأصروا على موقفهم وأصر هو على موقفه . وعندما أعلن الاضراب الشهير في سجن عسقلان واجتاز مرحلته الاولى نقل عبدالقادر الى سجن الرملة حيث استمر في اضرابه الى اليوم العاشر ، حين يئست ادارة السجن من حمله على فك اضرابه بأساليب الاقناع فحاولت « اقناعه » بأساليب أخرى وكانت النتيجة أن توفي بين أيدي شرطة السجن .

ودوت الهتافات الرهيبة في سجن بئر السبع . المجد والخلود لك يا عبدالقادر . الخزي والعار للقتلة . عاشت الثورة الفلسطينية . ومن العنابر الخمسة الاخرى في السجن سمعت الهتافات . المجد للشهداء . العار للقتلة . عاشت الثورة . وتحولت عنابر السجن الى تظاهرات صاخبة . مات الخوف فجأة وكأنه أصيب بسكتة قلبية . وأعقبت الهتافات أناشيد

نعـم لـن نمـوت ولكننـا سنقتلـع الموت مـن أرضنـا
هنـاك هنـاك بعيـدا بعيـد سيحملني يـا رفيقي الجنـود
ويلقون بي في الظـلام الرهيب ويلقون بي في جحيـم القيـود

واعلن الاضراب عن العمل والطعام . وبدأ مهرجان تأبيني في جميع عنابـر السجن ، والقيت القصائد والكلمات وتكلم رفاق عبدالقادر وشرحوا الدور الذي قام به عبدالقادر . ودخل مدير السجن يحف به ضباط السجن وعدد من الجنود ووقفوا على الباب ، على اعتبار ان مجرد وجودهم كاف لاسكات الاصوات الهـادرة فلم يلتفت أحد . واستمر السجناء في نشيدهم

يا أمنا كفـي الدموعا وانتظـري لـي رجوعـا
فان مضينـا جميعـا نـادي رفاقـي للجهـاد

واستدعى المدير أحد السجناء خارج الغرفة التي تضم ٧٠ سجينا وسأله عما يجري . فقال له السجين :

— انني أبلغك اعلان الاضراب باسم السجناء الى أن يتم تعيين لجنة طبية محايدة للتحقيق في ظروف استشهاد عبد القادر أبو الفحم .

— عبدالقادر توفي نتيجة لجراحه .

— نحن نتهمكم بقتل عبدالقادر وسنظل مضربين حتى تلقي تقرير اللجنة الطبية .

— اذا أضربتم فسأقطع الزيارة عن كل مضرب مدة ستة أشهر .

— ٦ × ٩ = ٥٤ ليرة سيشتري بها أهلي كيس طحين يأكله اخوتي .

كان هذا في سجن بئر السبع حوالي منتصف شهر تموز ١٩٧٠ .

* * *

[٣]

سجن بيت ليد — آذار ١٩٦٩ . غرفة الزيارة حيث يتوسط الغرفة حاجز منخفض من الاسمنت يرتفع من وسطه شريط من الاسلاك يصل الى السقف ويفصل الزوار عن السجناء . في الجهة المقابلة كانت تقف امرأة تبحث عيناها عن ابنها . ودخل ابنها . لم يكن ابنها يتجاوز الستة عشر عاما . اعتقل من مدرسة دير البلح حيث كان ملتحقا في الصف الاول الثانوي . لم يفعل شيئا بعد : انتماء الى تنظيم مسلح — حيازة اسلحة — التدريب على استعمال السلاح . وهنا جرى اعتقاله مع مجموعة من الطلبة . كيف حصلوا على السلاح ؟ ذهب رفاقه الى سيناء وأحضروا ما وجدوه من مخلفات الجيش المصري .

— كيف حالك يا كامل

— الحمد لله يما

— الحمد لله يما اللي شفتك راجل وتخوف الحكومة . لم تكن المرأة تبكي ، ولم تكن « تبهدله » لانه زج نفسه في هذه الاعمال التي يجب أن تترك للكبار . كانت المرأة مسرورة لانها اكتشفت أن ابنها أصبح « راجل » وأصبح « يخوف » الحكومة . حسب تفكيرها اذا لم تكن الحكومة تخاف من ابنها فلماذا تحكم عليه بالسجن خمس سنوات . المرأة الديراوية البسيطة الساذجة تمتلىء اعتزازا لان ابنها يخوف حكومة اسرائيل ذات الجبروت .

* * *

[٤]

من خارج السجن تأتي الاخبار . شكاوى الى لجنة حقوق الانسان . تعذيب المعتقلين . هدم أعداد كبيرة من البيوت . فرض عقوبات جماعية ... الخ وفي الخارج تتحرك الهيئات لتنتزع القرارات من هيئة الامم المتحدة . الضمير العالمي يستيقظ . الضمير العالمي عاد فنام . لجنة العفو الدولية نشرت تقريرها . اللجنة أدانت سلطات الاحتلال الغاشمة . أصحاب المشاعر الحساسة والرقيقة يدينون تعسف السلطات المحتلة . هناك طرفان يستطيعان أن « يتفهما » مسلك سلطات الاحتلال : الامبريالية الاميركية والسجناء أنفسهم . الامبريالية الاميركية تعتبر انتصارات اسرائيل انتصارات لها وهزائم اسرائيل نذيرا بتصفية وجودها الامبريالي في المنطقة كلها . أما السجين فلا يسأل نفسه : لماذا هدموا بيتي ؟ لماذا يعذبونني ؟ لماذا يضطهدونني ؟ السجين هو اقدر انسان على وضع نفسه مكان العدو وادراك آلية تفكير عدوه . هذه الاسئلة يتركها السجين للناس الذين لا يعرفون شيئا عن القضية . أما هو فيأخذ في تعذيب نفسه أثناء نزول الهراوات واللكمات على رأسه : « لماذا بت تلك الليلة في البيت ؟ لماذا تركت كل

هذه الاشياء في البيت . لماذا لم نرسل من يستطلع الطريق قبل التحرك » . والف لماذا تمزق خلايا مخه . كل خطأ ارتكبه يصبح سوطا داخليا يعذبه على ايقاع السياط واللكمات التي تنزل على جسده .

السجين لا يشترط توفر الروح الرياضية لدى عدوه . انه يعرف طبيعة هذا الصراع . اما أن يسحق عدوه سحقا كاملا ومطلقا أو يسحقه عدوه سحقا كاملا ومطلقا . ان العداء في المعتقل يظهر عاريا بشعا بدون طلاء وبدون أقنعة . العدو يريد ان يسحق فينا كل ما هو انساني . أما نحن فيتوجب علينا الدفاع عن انسانيتنا وعن كبريائنا . هذا ليس صراعا على الاجور أو تحديد ساعات العمل أو الحقوق الديموقراطية . هذا صراع البقاء والفناء . أن نكون أو لا نكون . في عهد الانتداب كان يقال « مشكلة فلسطين » والآن صار يقال « مشكلة الشرق الاوسط » . حقا عندنا مشكلة ولكنها ليست مشكلة فلسطين . بالنسبة للآخرين قد تكون فلسطين مشكلة ولكن بالنسبة لنا فلسطين وطن . فلسطين مدن وقرى وبيوت وكروم وشوارع وحجار . وعندما لا تعود فلسطين هي البيوت والاشجار لا تعود مشكلة . تصبح صفحة في كتاب تاريخ .

* * *

[٥]

عندما يقف الفلسطيني في محكمة اسرائيلية عسكرية ، لا يكون هم القاضي او المدعي العسكري هو اثبات التهمة . فكلمة فلسطيني في حد ذاتها تهمة . قل أي شيء : قل انك « تسكن » غزة أو رفح أو نابلس . قل انك من « سكان » اللد سابقا وحاليا « أسكن » رام الله او القدس أو الخليل . قد يكون قد وجد في التاريخ شيء اسمه فلسطين نسبة الى قبيلة يونانية جاءت من كريت ، ولكن فلسطين هذه لا يجوز ، من ناحية لغوية ، أن تضيف ياء النسبة اليها فتقول هذا فلسطيني أو أنا فلسطيني. بالنسبة للقاضي العسكري انت متسلل مخرب مجرم قاتل للاطفال والنساء والشيوخ . أتيت من اللامكان وتعود الى اللامكان . لماذا اذن يضيعون وقتهم وجهدهم في تشكيل وعقد محاكم عسكرية . ان واجب القاضي ان ينتزع منك اقرارا بالذنب وتعبيرا عن الندم ، لتكتب الجريدة في اليوم التالي « أن القاضي أخذ بعين الاعتبار ظروف المتهم الخاصة وندمه على فعلته وحكم عليه بالسجن ... » .

قبل المحكمة يعرضون عليك تعيين محام على نفقة المحكمة . ومهمة المحامي أن يقنعك بالقول أمام المحكمة أنك « مذنب » وأن تترك الباقي عليه .

في محاكمة مريم الشخشير في ١٩٦٩/٦/٢٢ قالت الصحف الاسرائيلية « وقالت المحكمة أن مقصف الجامعة كان مكتظا بالناس عند انفجار القنبلة ولم تبد المتهمة أية ندامة على فعلتها » . وفي محاكمة عبدالقادر ابو الفحم في ١٩٦٩/١/١٦ قال عبد القادر « لست آسفا على ما فعلت ، واذا ما خرجت من السجن فسأواصل القتال والنضال ضد العدو حتى تتحرر فلسطين أو أسقط شهيدا فداء لها » .

ان مقياس كسب القضية أو خسارتها في المحكمة ، من وجهة النظر الصهيونية ، هو ان يبدي « المتهم » أسفه . ولكن لماذا هذا الاصرار من جانب القضاة على انتزاع عبارة ندم من الضحية الواقف أمامه ؟ أن الصهيونية حريصة ، سواء على نطاق الداخل أم الخارج ان تظهر كحركة تقدمية أحدثت ثورة حقيقية في حياة اليهود . ولهذا حرصوا دائما على تسمية حرب ١٩٤٨ بحرب التحرير وهم يسمون ضم القدس في سنة ١٩٦٧ « تحرير القدس » . وتصر كثير من الصحف حتى هذا اليوم على تسمية احتلال الضفة الغربية وغزة بعملية « تحرير » لهذه المناطق . وبالتالي فان كل من يقف ضد عمليات « التحرير » هذه لا يمكن أن يكون مناضلا حقيقيا . فالمناضل الحقيقي هو الذي يتمسك

بمبادئه في وقت الهزيمة والتراجع كما يتمسك بها في وقت انتصاره . أما الذي يتخلى عن مبادئه وقناعاته عندما يقع في يد عدوه فليس مناضلا . ضمن هذا المنطق يصر الصهاينة على انتزاع الندم في قاعة المحكمة .

واستنادا الى هذا النمط من التفكير جاء الحاكم العسكري لمنطقة رام الله الى أحد الاشخاص اثناء عملية اختطاف طائرة سابينا في مطار اللد والمطالبة باطلاق سراح الفدائيين مقابل اطلاق ركاب الطائرة وقال له « لن نسلم الفدائيين السجناء ، وسنقبض على المختطفين فهؤلاء ليسوا فدائيين ، وحرصهم على الحياة أشد من حرصهم على تنفيذ طلباتهم » . ولهذا كانت دهشة موشيه ديان والقادة الاسرائيليين كبيرة عندما خسروا الرهان على مبدأ « حرص الفدائيين على الحياة أشد من حرصهم على تنفيذ طلباتهم » ، في المدينة الرياضية الاولمبية في ميونيخ .

* * *

[٦]

— لماذا ترفضون فتح المدارس .

— لا نستطيع تعليم المناهج الجديدة .

— نحن لم نحذف غير العبارات العنصرية والشتائم ضد اليهود والتحريض ضدهم .

— اعدام جمال باشا لشهداء ٦ أيار لا علاقة له باليهود . وثورة الجزائر لم تكن موجهة ضد اليهود وأبيات الشعر العباسي التي حذفت ليس فيها ذكر لليهود .

أي عبث أعظم من هذا العبث . ان عليك ان تقنع الضابط الاسرائيلي بضرورة تنشئة الأجيال العربية تنشئة وطنية ، وغرس روح الاعتزاز بالتاريخ العربي والثقافة العربية. وعلى هذا الضابط ان يقنعك بحبه للسلام وبالبركات التي حلت على شعبك منذ وطئت قدم الصهاينة ارضك . يقول أن مذبحة دير ياسين ارتكبت في حمى القتال وأن اخطاء كهذه ترتكب في كل الحروب . ولست بحاجة للبحث عن رد فمناحم بيجن يقدمه ويؤكد أن عملية دير ياسين عملية محسوبة .

— لماذا تدعون العرب يتصرفون بمصيركم على هواهم ؟ لماذا لا تأخذون مصيركم بأيديكم ؟

— كيف ؟

— اقيموا دولة خاصة بكم .

— أين ؟

— هنا . على كل حال هذه مسألة يمكن تحديد تفاصيلها فيما بعد . المهم أن تعلنوا ارادتكم في أخذ مصيركم بأيديكم .

ليس هناك من حاجة للتفكير بالموارد الاقتصادية للدولة . فحتى تكون دولة لا بد من جهاز قمع . فيما بعد سنفكر في المسائل المالية وقضايا البطالة والعمل . أما الآن فالمسائل الاساسية هي : من يفتح لنا السجون ومن يديرها ومن ينفق عليها ؟ من الذي يتولى قمع التظاهرات ؟ من الذي تسند اليه مهمة الفتك بشعبنا اذا حمل السلاح أو طالب بالوحدة أو الاشتراكية ؟.

— ان كل ما نريده منكم ان نجلس معا على مائدة مفاوضات ونحل مشاكلنا وحدنا .

— واذا جلسنا معكم وتحادثنا ووافقنا على جميع شروطكم هل تنسحبون ؟

— بعد توقيع معاهدة الصلح ننسحب .

ـــ واذا مزقنا المعاهدة بعد انسحابكم ، فماذا تفعلون ؟

ـــ نحن نثق بشرف العرب . اذا قالوا كلمة فانهم يلتزمون بها .

بعد وجبة الضرب يأتي ليعرض عليك اقامة دولة ، ويتحدث عن الدولة كما يتحدث عن فتح دكان .

الصهيونية تدرك أن كشف شبكة او شبكتين أو ثلاث من شبكات المقاومة ليس نهاية المطاف . وتدرك أيضا أن تصفية الثورة تصفية نهائية لن يكون النهاية . فقد سبق لبريطانيا أن قضت على ثورات عديدة لتقوم بعد كل واحدة منها ثورات أشد تصميما وأعلى كفاءة . فعندما يقف الشاب الذي لم يبلغ الثامنة عشرة ليقول في المحكمة العسكرية : « اسفي الوحيد أنني لم أعمل ما فيه الكفاية . ليس هناك قوة على الارض تستطيع ان توقف اعمالنا ، فاذا ما توقفت انا وغيري عن العمل فان هناك الكثيرين عندنا ينتظرون دورهم » تدرك اسرائيل أن المسألة لم تنته بعد .

* * *

[٧]

في عام ١٩٤٩ قدم مبعوثون دوليون تقريرا الى الامم المتحدة وقالوا فيه أن اللاجئين يعتمدون في وجبتهم التالية على ما ستقدمه الوكالة لهم ، وانه في حالة توقف المعونة الدولية فان هؤلاء اللاجئين مهددون بالانقراض خلال اسبوعين . وفي تلك الايام يقول التقرير كان عدد الوفيات في الليلة الواحدة في قطاع غزة ١٢٠ وفاة . اي ان استمرار هذا المعدل كان سيعني وفاة ٤٣٨٠٠ انسان في السنة الواحدة . ان القاء نظرة واحدة على أحد عنابر السجون الاسرائيلية تدلنا على أن غالبية هؤلاء السجناء قد ولدوا في تلك الفترة . وبعد كل عملية يحرص الاسرائيليون والاميركيون والملك حسين على التأكيد بأن الفلسطينيين غير متمدنين . أما علماء النفس فيصفوننا بأننا نعاني من انفصام الشخصية وعقد الاضطهاد ولا ينسون تقديم الوصفات الطبية لمعالجتنا . أما قاضي المحكمة العسكرية في غزة فالذي يحيره أمر اخر . ففي محاكمة علي خليل نبريدي في ١٠/٢٥/ ١٩٧٠ ، والبالغ من العمر ١٨ عاما والذي حكم عليه بالسجن ١٨ عاما ـــ عدد سنوات عمره ـــ يقول القاضي : « لقد آن الاوان لشباب غزة أن يتعلموا الفرق ، وأن يميزوا بين الحجر والقنبلة اليدوية . لا يجوز الانفلات في الشوارع والقاء القنابل على الناس كما لو كانت حجارة » .

ان الاستهتار الذي يبديه المناضلون بقوات الاحتلال والاحتقار المطلق للموت امام سيارات الدورية التي تنطلق في شوارع غزة بسرعة ٩٠ كم بالساعة وكأنها هي المطاردة [بفتح الراء] وليست المطاردة [بكسر الراء] ، هو الذي يجعل القاضي يتساءل ان كان مناضلو غزة يعرفون ما الفرق بين الحجر والقنبلة اليدوية .

* * *

[٨]

يقدم بيجال آلون في كتابه « الستار الرملي » تفسيرا عجيبا لعدم فرض اسرائيل التجنيد الاجباري على العرب وهو انه يجب أن لا تقوم اية صلة بين السلاح والعرب وبالتالي أن ينسى العرب شيئا اسمه السلاح ، وأن ينسوا أن السلاح يستعمل لحل المشاكل .

الى اية نتيجة أدى حرمان الشباب العرب في فلسطين من حقهم في حمل السلاح دفاعا عن قضيتهم ؟ يقول ضالح برانسي في محاكمته : « ان الشباب العرب الذين يعيشون في فلسطين المحتلة يشعرون بمركب نقص لانهم لا يجيدون استعمال السلاح وانه لذلك قرر

أن يبادر الى تشكيل منظمة قومية عربية تمثل حرية الارادة والمبادرة العربية للحصول على اهدافها » .

أن تداس وأن تقبل الحذاء الذي يدوسك وترفع صلاة شكر الى كل من يتكرم بدوسك هذا ما يريده بيجال آلون وجميع اجهزة القمع الامبريالية والرجعية في المنطقة .

حتى نفهم علاقة الفلسطيني بالسلاح علينا أن نسمع اغانيه . في زمن الانتداب كانوا يغنون للموزر والمارتينه واليوم يغنون

كلاشينكوف يا منور طريقنا .

القاضي العسكري وجميع أجهزة اعلام العدو تصر على أن السلاح الذي يحمله الفلسطينيون لا يقتل سوى الاطفال والشيوخ والنساء . أما النابالم فيعرف طريقه دائما الى لحم « المخربين » الاشرار .

— منذ متى كانت هذه المتفجرات لديك ؟

— منذ مدة طويلة .

— ألا تعرف أن هذه المتفجرات تؤدي الى قتل النساء والاطفال ؟

— انني اعرف أنكم قتلتم شعبا بأكمله فيه الكثير من النساء والاطفال والشيوخ .

الفدائيون لا يزعمون انهم يحملون حبا خاصا للمستوطنين الصهاينة ، ولكن المسألة ، من وجهة نظرهم ، لا ينظر اليها من هذه الزاوية . فمن الزاوية الاقتصادية — العسكرية ، من الاجدى ان تقتل جنديا من أن تقتل شيخا او امرأة . فالمسألة الاساسية في حرب التحرير ليست القتل بل تصفية جهاز القمع .

* * *

[٩]

في السجن يتردد السؤال : « ماذا ستفعل عندما تخرج » . اكثر من جهة تسأل هذا السؤال . السجناء يسألون بعضهم . الصحفيون الاجانب يسألون السجناء. السجانون ومديرو السجون وضباط المخابرات يسألون وبطرق مختلفة . وفي سجن الرملة تصاب لطفية الحاج ابراهيم بالشلل ويمنع عنها العلاج لانها لا تجيبهم كما يريدون . وتقدم لها « النصيحة » : قولي لهم انك ستخرجين لتتزوجي وتهتمي بشؤونك الخاصة . وعندما تخرجين تفعلين ما تشائين . عندما تجيبهم لطفية بأنها ستخرج لتتابع القيام بواجبها في صفوف المقاومة وتنظر في عيونهم تشعر أن كل انتصاراتهم تتحول الى رماد في افواههم. ليس الفرق بين الجواب الاول والثاني هو الفرق بين الحكمة والتهور . انه الفرق بين الهزيمة والنصر . والمهم أن لا يقهر الانسان .

فتح : الميلاد والمسيرة
حديث مع كمال عدوان

هكذا كان ميلاد « فتح » وهكذا كانت المبررات التي جعلت ميلادها حتمية تاريخية .. وهكذا كانت مسيرتها ، والنظرية التي حكمت هذه المسيرة ، والتساؤلات الخمسة التي من خلالها كانت ترى الواقع الذي تريد تغييره ، وترى أي جديد يطرأ عليه فتعيد تحليل الواقع بمعطياته الجديدة .. وفي هذا الاطار كانت النظرة للجماهير العربية ، وللانظمة العربية ، وللقرار العربي (من حالة العجز الى قرار العجز) .. منذ متى ، ومن أين ، وكيف نشأت الازمة .. وما هو مقدار الازمة فلسطينيا ، وما هو مقدارها عربيا .. وهل ثمة طريق للخروج ؟ وهل كانت الازمة لخلل في النظرية ، ام كانت لممارسات تجاهلت النظرية ..

هذه ، وغيرها من مشاكل الثورة الفلسطينية ، في تقييم نقدي لما مضى من أجل رؤية أوضح للمستقبل ، كانت عناوين هذا الحوار بين « شؤون فلسطينية » والاخ كمال عدوان عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في مستقبل العام التاسع من انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة .

كان ميلاد « فتح » يعبر عن معان أساسية : كان يعبر عن ارادة الرفض الفلسطينية للواقع الرسمي العربي ، والتمرد عليه ، وكانت هذه الارادة تعكس أقدس ما في أعماق الجيل الجديد من تطلعات وأمل . كان هناك رفض جذري لتصور القضية كمجموعة من القضايا الجزئية : قضية خطوط ، او قضية لاجئين ، او قضية روافد ووضعت القضية في اطارها الصحيح كقضية تحرر وطني وبذلك عدل وضع القضية **من قضية حدود جغرافية الى قضية حقوق وطنية وقومية** . كان هناك رفض للتصور الذي ساعدت الديبلوماسية على ترويجه : أن القضية هي نزاع بين « دولة » اسرائيل والدول العربية ، ومن هذا التصور غاب الشعب الفلسطيني كطرف رئيسي ، كصاحب حق أصيل ، وكان ميلاد فتح وضعا للامور في وضعها الصحيح ، فمنذ ميلادها عاد هناك شعب فلسطين العربي ، واخذ مكانه كطليعة في معركة تحرير فسطين ، عاد هناك شعب له حقه في تقرير مصيره على ترابه الوطني ، وليس مجرد جماعات من اللاجئين يبحث لهم البعض عن حل انساني . وهذا في حد ذاته كان ثورة كبرى . كان هناك رفض للمكان الذي احتلته فلسطين في الاهتمام العربي . كانت واحدا من عشرات الاهتمامات في الفكر السياسي العربي السائد ، وربما تقدمت عليها اهتمامات اخرى ، ولعل شعار « الوحدة طريق تحرير فلسطين » كان يعكس من ناحية حقيقة ان فلسطين موضوع مؤجل في جدول اعمال الفكر السياسي العربي السائد ، كما كان يعكس منها غير نضال لقضية الوحدة ، ومن ناحية اخرى ، كان يعكس قصورا في ادراك حقيقة ، وطبيعة ، ووظيفة الاحتلال الصهيوني لفلسطين كقاعدة محورية لضرب الثورة الوطنية العربية .. فتح في المقابل ناضلت لتضع فلسطين في وضعها الحقيقي ، كقضية محورية في النضال الوطني العربي ونظرت الى القضية من زاوية الامن القومي الذي يهدده الغزو الصهيوني

بدلا من النظرة الرسمية السائدة آنذاك وهي نظرية الامن الوطني التي لا تعني في الواقع الا موقف الدفاع والتنازل من منطلق التسليم بالامر الواقع وتجنب الاحتدام به . هذا ايضا كان ثورة هائلة في الفكر السياسي العربي .

ورفضت فتح تشتت الجهد النضالي الفلسطيني في ولاءات حزبية خارجية تبدده وراء أهداف عامة على الساحة العربية ، وفي صراعات على السلطة وحول النظريات ، وكان ميلاد فتح بداية لتحريك الجهد النضالي الفلسطيني وتوحيد انتمائه وتوجيهه الى الساحة الحقيقية ، ساحة النضال لتحرير فلسطين ، وشد النضال العربي عامة نحو هذه الساحة كساحة رئيسية ومحورية ، عليها ، ومن حولها يتم الفرز وتحديد الهوية وتوجيه جهد النضال في اطار واحد يقود بالنتيجة الى وحدة الاداة وبهذا تغدو الوحدة العربية حقيقة واقعة صنعتها القضية الواحدة والطليعة الواحدة التي تقود النضال حول هذه القضية .

كان ميلاد فتح يعني تحرير العمل الفلسطيني من الوصاية الرسمية العربية ، ويعني تحريره من الاستراتيجية العربية الدفاعية .. كان يعني ميلاد الطليعة التي تحمل السلاح في مجتمع يرسف في قيود الاستسلام ، وتحكمه قوانين الارهاب التي تحرم حمل السلاح او وجوده ، الطليعة القادرة على أن تواجه الاستراتيجية الهجومية الاسرائيلية باستراتيجية هجومية عربية ، عسكريا وسياسيا .. كان حمل السلاح وحده يومها يشكل نظرية قد لا يحس باهميتها كل الذين حملوا السلاح بعدها عندما أصبح حمل السلاح حقا جماهيريا مكتسبا بفعل فتح والجماهير التي وقفت معها .

كان ميلاد فتح بعثا لارادة الحياة عند الانسان الفلسطيني يتحدى بها كل التقديرات العربية والدولية التي راهنت على الزمن من أجل تصفية الوجود الفلسطيني والقضاء عليه . كذلك كان ميلاد فتح تعبيرا عن ارادة الاستمرار في حركة الثورة العالمية من اجل الحق والعدل والحرية ضد قوى الاستعمار والاستغلال والتسلط .

طاهر عبد الحكيم

* * *

س : هذا ما عناه ميلاد فتح .. فمن أية ظروف تاريخية كان هذا الميلاد ؟

ج : في سرعة خاطفة استطاعت قوات العصابات المسلحة الصهيونية ان تصفي معركة ١٩٤٨ ، وان ترسم معالم جديدة على خريطة فلسطين ، ولم تملك سبع دول عربية الا ان تستسلم لها ، ثم ينتهي الامر بشعبنا تائها يعاني الضياع في معسكرات للتجميع تتناثر في اطراف العالم العربي ، فاقدا وعيه وفكره ، يعيش في ذهول بسبب الحركة السريعة التي تطورت بها الاحداث من حوله .

هكذا بدأت المرحلة الاولى في أعقاب النكبة باستسلام وذهول ، زادت في تعقيده، سنوات الجوع الثلاث التي عانتها معسكرات التجميع بحيث لم يعد شعبنا قادرا على التفكير المنظم المسئول ، وبقي يتابع الاخبار والاحداث التي يصنعها ، او يصفها له غيره . ثم تطورت الحركة السياسية الفلسطينية لتأخذ صورة حركة حزبية نشطة اساسها تكتلات عقائدية ، وهي وان كان وعيها السياسي لم يصل الى مستوى تتحمل فيه مسئولية تخطيط واف ومكتمل للكفاح الفلسطيني في سبيل معركة التحرير .. الا انها تفاعلت مع كل الاحداث والتطورات في الارض العربية على طول الوطن العربي وشاركت في كثير منها باندفاع عن اعتقاد منها انها جزء من معركتنا في فلسطين ، وبدرجة جعلت التزامها العربي الواسع يشغلها عن التزامها الفلسطيني المحدد . حتى أصبح كل

تطور او تغيير تصنعه العناصر النشطة في الوطن العربي محطة انتظار تقف عليها تتطلع الى الامل القادم بعدها .

ولم يكن شعبنا يتردد في أن يضع كل امكانياته كافراد وكجموع في خدمة التطورات التي غيرت من معالم الحياة في الشرق العربي ، حتى اننا وبشكل مطلق كنا نربط مصيرنا بمصير هذه التغيرات والاحداث ، وانشغلنا بها نرفع شعاراتها فوق شعاراتنا .. نرفعها ونحميها على أنها مراحل ضرورية على طريق التحرير . ولكن الحركة الحزبية التي كانت محورا لاستقطاب الجماهير لم تستطع على طول هذا الطريق ان تقدم لنا أي تصور واضح لشكل مسيرة التحرير ، وفشلت حتى في الالتزام بأي تخطيط قادر على تلبية تطلعات شعبنا الى الامل الكبير الذي بناه عليها .

وهكذا بدأت تتجمع امامنا على طول الطريق الذي لم يحقق اغراضه علامات استفهام كبيرة وعنيدة .. تتساءل الى أين .. ؟ واخذت هذه التساؤلات تنمو وتتبلور اكثر الى أن فاجأتها حرب السويس .. وبسقوط غزة في أيدي الاحتلال في اكتوبر ١٩٥٦ بدأت مرحلة جديدة وجد شعبنا نفسه فيها وجها لوجه امام مسئولياته، وامام قسوة المواجهة، وتحت ضغط الرصاص الموجه الى صدور هذا الشعب لا يميز بين عقائد الشباب فيه ... تبلورت أفكاره واكتمل تصوره لنوع المعركة واحتياجاتها . وولدت من خلال وحدة الرصاص المرحلة الجديدة في التفكير الفلسطيني . وارتفعت شعارات هذه المرحلة تنادي : بلقاء فلسطيني عريض .. في وحدة وطنية قوية .. من أجل ثورة مسلحة تحرر الارض. كانت هذه نقطة البداية على الطريق الصحيح، التي وضعت حدا للبعثرة، والتردد ، والاسترخاء على محطات انتظار لا قرار لها .. وهكذا ولدت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في عام ١٩٥٨ ترفع شعارات المرحلة ، وكان عليها ان تواجه كل تساؤلات التشكيك .. والاتهام التي أرتفعت في وجهها واحاطت بها من جميع الجهات . وظلت فتح في مواجهة كل ذلك صامدة ، ترفع شعارات المرحلة ، واستطاعت في عناد ان تشق الطريق ، وتقيم اول تنظيم فلسطيني يتصدى بنفسه ليستعيد زمام المبادرة في القضية الفلسطينية .

س : لكل ثورة نظرية .. ليس فقط كمبرر وجود ، وحجة شرعية ، بل وكدليل عمل أيضا . فهل كانت انطلاقة ومسيرة فتح في اطار نظرية ، او كانت تطلعا لطموح في التحرير ، ثم اختبار الوسائل والادوات في الطريق الى هذا الهدف ؟

ج : نقطة البداية كما نراها نحن .. ان موضوع الثورة بشكل مطلق لا خيار لنا فيه . فالثورة طريق يفرضه منطق الحوادث والتاريخ الذي سير جيوش الغزو والاحتلال ، وسير خلفها انتفاضات الثوار المتكررة ، هذا المنطق يؤكد انه لا بد ان يكون في بلدنا ثورة مهما تأخرت فانها لا بد ان تأتي لتصحح هذا الوضع الشاذ . هذا أمر طبيعي يفرض نفسه كحقيقة تاريخية مصيرية لا تقبل حتى ان تناقش ، ولا تبرر لنا ان نستسلم مزيدا من الوقت بعد هذه الفترة من الاستسلام .. بقدر ما تملي علينا ان نتحمل مسئولياتنا بين الشعوب التي تتطلع الى حياة افضل .. وكما كانت ثورات الاحرار في آسيا وافريقيا ، ستكون ثورتنا قوية ثابتة تفرض وجودها علينا وعلى العالم معنا كما هو التطور الطبيعي للتاريخ .

الثورة اذن حتمية تاريخية ، وليست مجرد ارادة فرد او مجموعة من الافراد .. ارادة الافراد هنا هي الاستجابة لهذه الحتمية التاريخية . ونتحدث عن النظرية : كيف نعرف نظرية ثورة ما ؟ نظرية أي ثورة هي رؤيتها لواقعها ، وللقوانين الخاصة التي تحكم حركة هذا الواقع ، ولمجموع التأثيرات المتبادلة بين هذا الواقع والواقع المحيط به ، ثم

اسلوبها للعمل على ضوء ذلك من أجل التاثير في هذا الواقع لتغييره الى واقع ارقى ، وتصور عام لصورة ذلك الواقع الارقى الذي تريده الثورة .

لقد طرحنا التساؤلات الخمس : ماذا نريد ؟ وكيف .. ؟ وبمن .. ؟ ومن اين .. ؟ ومتى .. ؟ ومن خلال الاجابة على هذه التساؤلات توصلنا الى العناصر الاساسية لنظرية فتح : الهدف ، الاستراتيجية ، الاداة (شكلها وطبيعتها) ثم قاعدة انطلاقها [وهذا له أهمية خاصة لدينا نظرا لخصوصية وضع الثورة الفلسطينية] اننا نريد التحرير .. وسيلتنا اليه هي تحريك الوجود الفلسطيني .. وبعث الشخصية الفلسطينية محليا ودوليا من خلال المقاتل الفلسطيني الصعب العنيد القادر على تحطيم أسطورة المناعة الاسرائيلية .. ذلك يتطلب طليعة قادرة على استقطاب الجماهير الفلسطينية ومن خلفها كل الجماهير العربية في طريق الثورة المسلحة وحشدها فيها لتكون قادرة بها على : آ ــ تجميد حركة نمو الوجود الاسرائيلي الصهيوني ب ــ تقطيع هذا الوجود ج ــ تصفية الدولة رمز هذا الوجود د ــ اعادة بناء الدولة الفلسطينية على الارض الفلسطينية ، دولة حرة ديموقراطية .

من التساؤلات الخمس ، ومن الاجابة عليها ، تكونت نظرية فتح ، وهكذا فان نظرية فتح هي وليدة حاجة النضال الفلسطيني ، فلسطينيا وعربيا .

كثيرون يخلطون بين أداة التحليل ونظرية العمل ، هذا الخلط يقودهم الى ادعاء موقف عقائدي دون ان تكون لديهم القدرة على الربط بين اداة التحليل والواقع الخاص ، هذا الربط الذي يشكل في النتيجة نظرية العمل . هناك فارق كبير بين الذي يستخدم أداة التحليل للوصول الى نظرية عمل ، والذي يناضل من اجل اداة التحليل نفسها كهدف في حد ذاته، ان الاغراق الثقافي الذي شهدته الساحة الفلسطينية ــ العربية منذ عام ١٩٦٨ في اتجاه خاص في شكل نقاش لسلسلة ثورات عالمية ناجحة يمكن أن يشكل بالنسبة لنا دليل تجربة تعاوننا على تفادي أخطاء وتوضيح رؤية ، ولكنها لا يجوز ان تكون بالنسبة لنا وصية طبيب او معادلة جاهزة للنسخ لا يمكن مناقشتها . وكما قال رفاقنا الفيتناميون في لقائنا معهم : « نحن لنا واقع ، ومن خلال هذا الواقع نحن لنا خط » وفي فلسطين نحن لنا واقع ، ولهذا الواقع خصوصيات لا يمكن الا أن تفرض نفسها على مسيرتنا وعلى طبيعة خطنا .

س : عند الحديث عن نظرية فتح يبرز دائما السؤال عن العلاقة بالجماهير العربية ، وبالانظمة العربية ، وعن قضية الصديق والعدو كقضية لها اهميتها الاستراتيجية ؟

ج : كمدخل لكل ذلك لا بد اولا من الحديث عن شيء وضعناه نصب اعيننا منذ البداية ، ذلك هو « شخصية الثورة » فلكي تكون هذه الثورة المسلحة قادرة على أن تفرض نفسها على خارطة قوى الثورة العالمية من أجل العدل والحرية والسلام ، كان يجب أن نؤكد على فلسطينية الثورة . في ارضها ، وقيادتها ، وتخطيطها . وبهذه الشخصية الفلسطينية لها نستطيع ان نسترد للقضية في المجال الدولي وجهها العادل كصراع من اجل الحرية والعدالة .. ونسترد لها حجمها الحقيقي كصراع بين مليون فلسطيني مشرد كانوا يملكون الارض .. ويعيشون عليها ، وهم اليوم بلا وطن ، ولا ارض ولا مأوى ، ولا مستقبل ، وبين اثني عشر مليون صهيوني يملكون المال والسلطة والنفوذ في أمريكا واوروبا ينظمون بها زحفا بشريا مهووسا وحاقدا ، متعطشا للدم ، يتوافد على الارض المقدسة يزاحم اهلها فيها ، ويقوم في سبيل ذلك بالمذابح ، وينشر الفزع والرعب والارهاب .

من أجل هؤلاء المظلومين الذين فقدوا الارض والامل ، تفرض الثورة الفلسطينية المسلحة نفسها بلا خيار لتطرح على العالم شخصية المقاتل الفلسطيني الذي يعود بعد عشرين

عاما من الظلم والقسوة والضياع ليقاتل من أجل حقه في الحياة على أرضه كما يحياها الاخرون على أرضهم ، بعد أن عجز العالم بكل مؤسساته الدولية أن يحافظ على هذا الحق ، او أن يرفع عنه هذا الظلم وهذه القسوة .. لنطرح على الدنيا شخصية المقاتل الفلسطيني العنيد الصلب الذي لا يساوم ولا يستسلم من قبل أن يعيد الى ارض السلام (فلسطين) كل مثاليات العدل والمساواة .. من أجل هذا تصر الحركة على أن تحتفظ الثورة بشخصية الشعب الفلسطيني بارزة الى أن ننتهي من معركة التحرير . هذا التركيز على الشخصية الفلسطينية للثورة لا يمكن ان ينفي عنها شخصيتها العربية ، فنحن نؤمن ان معركة التحرير في فلسطين هي قضية مصيرية عربية يقوم فيها الفلسطينيون بدور الطليعة ، الا ان هذا التركيز في نظر الحركة ضروري لاسباب رئيسية: ١ ــ كاستراتيجية يمكن بها التصدي لمحاولات التضليل والخداع التي يضغط بها التحرك الاسرائيلي في المجال الدولي لينفي عن هذه المعركة وجهها العادل . ٢ ــ كوسيلة لتحديد المسئولية وتحديد الاختصاص في تنظيم يؤمن بالثورة ويتفاعل معها ، يبدؤها ويحميها ويتابع الاستمرار فيها .. تنظيم له من الارتباط بالارض وبالمصير والمستقبل ما يعطيه وضعا خاصا . ولا يعني هذا التحديد بالاختصاص والمسئولية في الثورة أي نوع من الانفراد بها ، او أي اعفاء للجماهير والقيادات العربية من مسئوليتها نحو هذه المعركة ، ولكنه تحديد للمسئولية الدولية والجماهيرية في قيادة الثورة وتوجيهها والاستمرار بها الى اهدافها ٣ ــ وفلسطينية الثورة هي مدخل قادر على تجميع واستقطاب الجماهير الفلسطينية التي تتناثر في اطراف الدنيا بلا رابط يجمعها او يشدها الى الارض والقضية والمستقبل .. وهي الوسيلة الوحيدة لتنقية الوسط الفلسطيني من جو السفسطة والتعقيد الناشئين عن التعدد في الولاء والاتكالية التي صنعتها سنوات الضياع الطويلة .

من هذا المنطلق نعالج بقية المسائل : العلاقة بالانظمة .. العلاقة بالجماهير .. وقضية الصديق والعدو . أن نظرتنا للانظمة العربية تنطلق من نظرتنا للمعركة الكبيرة في الارض المحتلة ، وللمسئوليات المتعاظمة لحركة الثورة في هذه المعركة ، وبالتالي من حاجتها لحشد الامكانيات في الوطن العربي بأي اسم وبأي شكل في جبهة عربية تقف مع الثورة . على هذا الاساس تقيم الحركة علاقاتها بالجماهير وبالقيادات العربية ، تمد يدها اليهم جميعا ليتعاونوا معها بما يحفظ لها كيانها الخاص وشخصيتها المستقلة . هنا يثور سؤال حول شعار عدم التدخل في الشئون المحلية للدول العربية وانظمتها . هذا الشعار ينبع من اعتبار ان موضوع هذه الانظمة هو من صميم اختصاص المواطن العربي القطري ، الذي يعرف احتياجاته ويدرك مصالحه .

و« فتح » ترى ان الثورة الفلسطينية المسلحة ترتبط بالارض العربية ولا ترتبط مطلقا بالانظمة عليها .. والنظام العاجز على أن يحمي نفسه ، وأن يعيش برضاء مواطنيه لا يمكن أن يعيش برضاء الاخرين ، ولا يمكنه حتى أن يكون قادرا على معاونة الثورة ومساندتها . ان انطلاق الثورة وتفاعلها هو الذي سيطرح طرحا جديدا مسئولا أمام الجماهير العربية مدى سلامة هذه الاوضاع والانظمة من عدم سلامتها بالقدر الذي تقف فيه هذه الاوضاع والانظمة المجاورة من مساندة الثورة او مقاومتها .. وعلى ضوء هذا الموقف يتقرر حتما مصير هذه الاوضاع والانظمة .

فيما يتعلق بقضية الاصدقاء والاعداء نحن نحكم نظرية الرؤيا للتاريخ المتحرك ، وليس التاريخ الثابت . بالنسبة لنا ليس هناك شيء اسمه التسليم بالامر الواقع والا لما وجدت فتح . فتح في البداية كانت مائة أو مائة وخمسين مناضلا ، ماذا كان يمكننا ان نفعل . ما كنا نسلم بالامر الواقع ؟ كنا نراهن على ما يجب احداثه لا على ما يمكن احداثه . ما يمكن احداثه ضمن أمر واقع شيء ، وما يجب احداثه شيء آخر . انك تتعامل مع

هذا النظام او ذاك وانت تعلم أن مواقفه خاطئة ، ولكن تراهن على تغيير هذه المواقف بفعل حقائق تصنعها . . هناك فرق بين الخطأ والخيانة . الخيانة بالنسبة لنا هي وقت أن يتطور الموقف الخطأ بحيث يستحيل تصحيحه . مثلا ، قبل مشروع روجرز كنا نواجه حالة العجز العربي ، كان صراعنا مع حالة العجز العربي ومراهنتنا كانت على احداث تغييرات في الواقع العربي تخرج بالقرار العربي من اطار العجز . الان الموقف يختلف ، صراعنا ليس مع حالة العجز العربي انما هو مع قرار العجز العربي . حالة العجز العربي تواجه بتغيير عوامل في حاله العجز العربي تخرج بصاحب القرار من حالة العجز الى حاله القدره ، الان نحن نواجه اراده العجز ، صراعنا الان مع قرار العجز ، هناك قرار باننا عاجزون . . حتى ولو حدث قتال الان ، فهو ليس قتال الذي يريد ان ينتصر ، وانما قتال الذي يريد ان يخرج من أزمة . يظل هذا القتال في اطار قرار العجز . ان قرار العجز العربي لا يغيره ان يقاتل هذا النظام لبعض الوقت ، او ان يدفع هذا النظام عشرة ملايين أو عشرين ، انما التغيير يعني التغيير في طريقة طرح القضية بداية ، بمعنى ، ما هي القضية ؟ ثم ثانيا طريقة تناول القضية . ذلك يتأتى عن طريق طليعة مركزية تقود حركة النضال من أجل تحرير فلسطين من خلال سلسلة طلائع مرتبطة بهذه القضية وتناضل حولها ومن أجلها لتحدث تغييرا في اطار القدرة العربية ، في اطار القرار العربي، تغيير القضية يعني تركيز الاضواء على جهة محددة على منطقة خطر واضحة . تغيير طريقة تناول القضية يكون من خلال طليعة مركزية متميزة ، واسلوب معالجة مختلف للقضية يتبنى أسلوب الكفاح المسلح بديلا عن الاسلوب التبشيري ، ثم حالة تميز تعبر عنها الاستقلالية ورفض الوصاية ، وحالة التميز تقود الى احداث تغيير في منطق القرار العربي وفي المنطقة العربية . كل هذا : القضية الواحدة ، التناول الواحد ، الاداة الواحدة سيؤدي الى وحدة في التوجه وفي الجهد ، وسيقودنا هذا الى وحدة الادوات التي تضع هذا الجهد في أداة واحدة . تعكس ذاتها في شكل اطار تطبيقي للوحدة العربية ذلك هو الفارق بين الصراع ضد حالة العجز ، والصراع ضد قرار العجز .

س : ديناميكية الصراع ضد حالة العجز كانت تعني خلق حقائق في الواقع العربي تخرج صاحب القرار من حالة العجز الى حالة القدرة . فكيف ترى ديناميكية الصراع ضد قرار العجز ؟

ج : انك تحدث حالة تغيير جماهيرية في الاقطار العربية بارادات فعل محلية من حول القضية ، هذا النضال الجماهيري المحلي من حول هذه القضية يترتب عليه احداث تغيير محلي في مسيرة وممارسات الانظمة المحلية . اما ان يحدث أو لا يحدث فهذا شيء آخر . النتيجة ان سلسلة التغييرات التي تحدث هنا ستكون تغييرات موجهة في اتجاه القضية الواحدة والمحورية . مجموع هذه التغييرات الموجهة كلها تصب في نهاية واحدة وذلك يعني ان هناك توجها موحدا للجهد العربي ، وهو بالتالي الذي سيجعل من الممكن توحيد الاداة او الادوات التي تقف خلف هذا الجهد . اي من خلال رؤية واحدة ، وقضية نضال واحدة ، وتناول للقضية واحد ، وتوجه من النضال موحد ، ويحدث تغييرا منظما لحساب القضية وفي نفس الاتجاه ، فاننا بهذا سنجد انفسنا جميعا نلتقي في مكان واحد . الفارق بيننا وبين الاخرين من الذين يختلفون عنا ، انه بالنسبة لهم كانت قضايا الاهتمام متعددة ، لكل اولوياته بما لم يجعل هناك املا في أن يأخذ الجهد مسارا واحدا . . في العراق مثلا قضية الاكراد ، في سوريا قضية الاشتراكية ، في مصر قضية الاحتلال البريطاني ثم قضية التنمية ، ولكن حين تكون هناك قضية واحدة ، والطلائع كلها ترى رؤية واحدة ، الجهد يكون موجها في اتجاه واحد ،

ذلك يجعل من الممكن توحيد الادوات خلف هذا الجهد ، وذلك يقودنا الى وحدة الاداة العربية .

ان التغيير ليس هو مجرد قرار بالحرب او عدم الحرب . التغيير هو في كيفية تناول القضية ، في تكريس مفهوم الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة اسرائيل : نحن طرحنا حرب الشعب في مواجهة الحرب الخاطفة : في الحرب الخاطفة يتساوى المليون والمائة مليون ، وينتصر فيها من يتحرك اسرع ، واسرائيل بميكانيكيتها وآليتها المتطورة أقدر على الحركة الاسرع . وفي الحرب الشعبية ينتصر من يصمد أطول . والوطن العربي بما يميزه من العمق البشري والعمق الجغرافي أقدر على الصمود الاطول .

ان التغيير بالنسبة لاي نظام عربي ليس في قراره بأن يحارب أو لا يحارب فحسب وانما في رؤيته السياسية التي بها سيوظف كل الجهد في البلد العربي المعين في اطار هذه الرؤية : مرة أخرى المسألة الجوهرية هي القضية ، وطريقة تناول القضية ، وأداة تناول القضية . التغيير يجب أن يعني قناعة بأن المعركة هنا في فلسطين ، وأن أسلوب تناولها هو بالكفاح الجماهيري المسلح طويل المدى وليس بالحرب الخاطفة .

س : من ديناميكية الصراع مع حالة العجز العربي ، أو مع قرار العجز العربي ، ماذا كنتم تتصورون رد الفعل من الانظمة ؟

ج : اذا كان موضوع صراعنا في البداية هو حالة العجز العربي ، ثم قرار العجز العربي ، فان موضوع صراع الانظمة منذ البداية معنا كان هو استقلالية العمل الفلسطيني ومحاولة احتوائه ، من أجل التغيير في قرار الثورة .. ومحصلة الفعل التي يقود اليها هذا القرار . ان النظام العربي لم يكن ليسمح بتطور قدرة الفعل والتأثير الفلسطيني في الارض العربية بما يعنيه ذلك من امكانية تحريك جماهيرية واحتمالات تغيير . لهذا كانت مهمته منذ الايام الاولى هي كيفية الالتفاف على الثورة الفلسطينية ومحاصرتها وانتزاع قدمها من أرضه ، ودفع قدمه الى الارض الفلسطينية ، وذلك تمثل في تواجده حاضرا في اطار القرار الفلسطيني في السنوات الاخيرة من خلال بعض المنظمات التي تم توليدها على الساحة الفلسطينية . ومن هنا يمكن القول ان استقلالية الثورة التي قاتلنا من أجل أن نحافظ عليها عربيا لكي يظل القرار الفلسطيني مستقلا متميزا وفاعلا . قد قاتلوا من اجل ان يفقدونا اياها فلسطينيا . بفعل ادوات لهم تسللت الى موقع القرار الفلسطيني .

س : ذلك يجرنا الى الساحة الاردنية .. لئن كان هذا هو موقف النظام العربي بشكل عام ، وكان هكذا واضحا ، فلقد كان من الواجب أن يكون أكثر وضوحا فيما يتعلق بالنظام في الاردن ؟

ج : في عام ١٩٦٨ واجهنا أول هجوم أردني علينا في الكرامة ، وفي ٤ تشرين الثاني ١٩٦٨ واجهنا هجوما أردنيا ثانيا في عمان . كان النظام الاردني يرى في الثورة تناقضه الرئيسي .. وان لم يكن هو تناقض الثورة الرئيسي . لهذا كان تحليلنا ان الصدام حتمي ولكن متى ومن يبداه ؟.. وما هي العوامل التي تحدد متى . وكان رأينا ان كون الصدام حتميا لا يبيح أن يتم الان ، ولا بد من تأجيله بأي ثمن . من اجل هذا اصبح الهدف المرحلي في الاردن هو اقامة حالة توازن بيننا وبين النظام، لانه حينما تقوم حالة توازن للقوى نستطيع أن نضع حدا لتحرك النظام المعادي لنا، أو وضع النظام في موضع المتردد بحيث لا يستطيع أن يتخذ قرار الصدام . وقد نجح هذا التكتيك حتى صدام يونيو ١٩٧٠ الذي عكس حالة التوازن بوضوح . الدليل انه في ١٩٦٨ فرض علينا النظام شروطه ، ١٤ شرطا ، وقبلناها ، في ٧٠/٢/١٠ لم يستطع النظام أن يملي علينا شروطه، ولم نستطع نحن أن نملي عليه شروطنا ، وفي يونيو ١٩٧٠ أملينا نحن شروطنا .

وكان يجب تطوير الامور بعدها لتتجاوز فتح استراتيجية التوازن الى مرحلة جديدة ؛ لان حتمية الصراع كانت تؤكد ان النظام لا يمكن ان يحتمل باستمرار حالة التوازن ، ولا بد ان يقدم على عمل تفجيري يربك هذا التوازن ، ويطرح اقامة احتمالات جديدة لتحسم في تناقضه الرئيسي . وكانت مناسبة مشروع روجرز وما أعقبها من حالة التعارض والانقسام في الساحة الوطنية هي الفرصة الذهبية للنظام يستثمرها . هذا الحسم من جانب النظام قابله حسم نسبي من جانب الثورة بعد أن أصبح النظام هو تناقضها الرئيسي . الا انه لم يكن هناك قدرة على عمل نقلة مرحلية سريعة تقيم توازنا بين القدرة والقرار . لم يكن هناك ميكانيكية فعل في الساحة الفلسطينية قادرة على توظيف الجهد المتعدد لادوات الثورة في آلة قتالية واحدة . وهكذا وجدت قيادة فتح نفسها في حاجة الى فترة زمنية اضافية لتقيم التكافؤ بين القدرة والقرار على أن تتحرك بسرعة لكي تصنع سلسلة النقلات المطلوبة من أجل تنفيذ قرار الحسم .

ان اقامة التوازن بين القرار والقدرة ، واتباع أسلوب النقلات المرحلية في حدود الرؤية، وليس في حدود الحلم هي من مكونات فكر فتح . لماذا ؟ فتح وضعت هدفا بعيدا ، والطريق اليه طويل وشاق ومتعرج . كيف تقنع المقاتلين بحتمية الانتصار ؟ وكيف توضح لهم مسيرتك دون أن يفقدك هذا المبادرة والقدرة على الحركة . كيف تقيم توازنا بين الغموض والانفتاح ؟ لا بد من تحقيق انتصارات صغيرة متوالية حتى يتضح للمقاتلين من خلال الممارسة أن المسيرة صحيحة ، وأن الرؤية المطروحة مضمونة . لهذا لا بد من التحرك في اطار مراحل تطول احيانا او تقصر أحيانا أخرى ، ولا تستطيع ان تكشف هوية المرحلة قبل وضعها في اطار التنفيذ ، وهذا ما يتطلب توفير قدرة في حجم قرار هذه المرحلة . بذلك تضمن الا تفقد حرية الحركة ومرونة التحرك .

عودة الى يونيو وما بعده :

بعد يونيو ومشروع روجرز حدث ارباك كبير للمسيرة ، اذ دخلت عوامل جديدة : فقد انشقت الساحة الاردنية الفلسطينية .. انشقت الساحة الوطنية من حول عبد الناصر وليس من حول حسين ، لان الخلاف لم يكن حول موقف الملك حسين من مشروع روجرز ، ولكن الخلاف كان حول موقف عبدالناصر . فهل تستطيع أن تقول اننا نستطيع أن نغير النظام وقد اختلت معادلة القوة بحيث لم نعد نضمن أن التنظيم الناصري في الجيش سيقف معنا ؟ موازين القوة التي أعدت سلفا لتشكل حالة التوازن ، والتي هي بدورها مرحلة للقفز الى مرحلة جديدة ، قد اختلت . كان لا بد اذن من مراجعة للحسابات . ولا بد من وضع أي تخطيط مقبل ضمن هذا الاطار . بعد تغيير معادلة القوة كنا في حاجة الى وقت لاعادة ترتيب الامور . ولكن اندفاع النظام المهووس لتفجير الموقف بأي شكل وضغط المنظمات الاخرى لمواجهة هذا التفجير بالتحدي والمبارزة ، أو الحرج من المنظمات الاخرى، جعل حجم القرار أكبر من حجم القدرة، وحال دون استثمار أي عامل زمني وجعل المبارزة تتم ضمن ظروف ومعادلة قوى ما بعد مشروع روجرز .

س : البعض يرى ما حدث في الاردن في أيلول ، أو بمعنى أصح اختلال معادلة القوى بعد يونيو ١٩٧٠ ، وعدم القدرة على مواجهة تبعات ذلك ، دليلا على أن ثمة نقصا في نظرية الثورة ؟!

ج : لا . فتح لها نظرية متكاملة تحكم رؤيتها وتحليلها للامور . ربما يحدث أحيانا نسيان للنظرية ، ويؤدي ذلك الى أخطاء ، العيب ليس في النظرية ولكن في الممارسة بعيدا عن النظرية . فتح كانت تناضل من أجل تحريك ارادة القتال العربية ، ومن هنا كانت ستتحرك ارادة التفجير . بعد ١٩٦٧ ، كانت اسرائيل تحاول أن تصفي ارادة القتال العربية ، وكانت فتح تناضل لحماية ارادة القتال العربية ومواصلة تحريكها . بدأت فتح

معاركها على هذا الطريق من الصفر حتى أول بلاغ عسكري لها في الفاتح من يناير ١٩٦٥ عن عملية نفق عيلبون ، والذي اعلن بدء الكفاح المسلح ، ثم كانت ٦٧ ، ثم كانت الكرامة ثم معارك العمق في الارض المحتلة ، وكان ذلك قمة نضال فتح من اجل حماية ومواصلة تحريك ارادة القتال العربية . ونستطيع القول ان الحصاد بوجه عام كان نجاحا ، الى ان كان يونيو ١٩٧٠ ، وكان مشروع روجرز ، وعندما جاء خطاب عبدالناصر يعلن قبوله لمشروع روجرز ، خرجت جريدة فتح في نفس الليلة تقول « لا » ، « لا » هذه كانت حكم النظرية في فتح التي ثبت صحتها . ولكن فتح في نفس الوقت كانت ترى أن مرحلة جديدة قد بدأت . ومن لا يرى تغير المراحل لا يمكن أن يضع تحليلا سليما . كان الوضع هكذا ، القاطرة والعربات في اتجاه واحد . وفجأة جاء مشروع روجرز ليحقق حالة فصل العربات عن القاطرة ، ليس ذلك فحسب ، بل ووضع القاطرة والعربات في اتجاهين متعارضين . هذان وصفان يعبران عن مرحلتين مختلفتين جذريا. قبل يونيو ١٩٧٠ كانت الثورة في حالة الهجوم لتحريك ارادة القتال في المنطقة، بعد يونيو ٧٠ ، وبعد قبول مشروع روجرز اصبحت الثورة في موقع الدفاع لحماية ارادة القتال القائمة من التصفية . ولهذا كان لا بد من اعادة ترتيب معادلة القوى على ضوء العوامل التي دخلت على الموقف .

هذا كان يفرض بشكل عاجل اتخاذ اجراءين : اجراء موضوعي ، واجراء ذاتي :

١ ــ الاجراء الموضوعي كان يتمثل في العمل على منع انفجار معادلة القوة في الساحة الوطنية ، والتي كان عبدالناصر فيها يمثل احد عناصر القوة الاساسية في الساحة الاردنية ــ الفلسطينية ، باعتبار الجماهير الوطنية في الاردن جماهير ناصرية . الا ان الخلاف كان قد حدث مع عبدالناصر ، بقي كيف نحول دون انفجار العلاقات حتى لا يتطور الانقسام في الساحة الوطنية ، وتنشأ اوضاع يستثمرها النظام الاردني في صدامه الحتمي مع الثورة .

٢ ــ الاجراء الذاتي: كان يتمثل في كيف تخفف فتح من كونها هدفا مرئيا ومعلنا يسهل التعامل ضده. كان يجب المواءمة بين مكتسبات الوضع العلني واعادة ترتيب الموجود في اطار سري. كان على فتح ان تفكر ضمن المرحلة الجديدة بعقلية جديدة تساعدها على مواجهة حالة العداء التي خلقها التعارض مع عبدالناصر ، وامكانيات استثمار هذا التعارض من جانب النظام في الاردن . الاجراء الموضوعي تم ، أما الذاتي فلم يتم . والذي منع حدوث ذلك هو عدم التوازن بين القرار والقدرة في الثورة الفلسطينية . لان اصحاب حق المشاركة في القرار الذين لم تكن لديهم القدرة كانوا يراهنون على قدرة فتح . ان أي قرار يتطلب جهدا لتنفيذه ، ومن لا يعاني من الجهد لا يجوز له أن يملك حق القرار أو المشاركة فيه. وأي قرار يحتاج الى حسابات : حسابات لما يؤدي الى القرار ، ولما يترتب على القرار. والذين كانوا يملكون القرار بحكم مشاركتهم في صنعه بشكل مباشر او غير مباشر دون ان يدفعوا ثمن القرار ، لم تكن تهمهم كثيرا حسابات القرار . فالقرار ليس عملية مزاجية ، ولكنه محصلة سلسلة مترابطة من معادلات القوى ، والذي ليس في موقع المعرفة لا يجوز أن يكون في موقع القرار .

س : هل جد بعد أيلول ما يمكن أن يكون مبررا لاعادة النظر في بعض جوانب نظرية فتح ، أو لاضافة شيء اليها ؟

ج : ان دروس الممارسة هي دائما اضافات لفكر كل حركة ثورية . ولكن ما نحن بصدده ، وما يطرح نفسه علينا بقوة الان هو ضرورة المواءمة بين نظرية فتح والواقع . على سبيل المثال (١) : من العناصر الاساسية لنظرية فتح رفضها للوصاية . كان ذلك سهلا في البداية ، حيث كانت فتح تعيش حياة « الشبح » في المنطقة العربية . لم يكن

في استطاعة أحد أن يمسك بهذا « الشبح » أو يمارس عليه أية وصاية . ولكن فتح الان بموجوداتها العلنية ، وقواتها العسكرية المنتشرة في مواقع على الارض العربية تشكل هدفا مرئيا يمكن التعامل ضده ، كما أنها بأعبائها المالية يمكن أن تضع نفسها في المجال المغناطيسي للضغط العربي . كيف تستطيع فتح أن توائم بين وضعها هذا والتزامها باستقلاليتها ؟ هل تصفي الوجود العلني ، ويكون ذلك التزاما بالنظرية على حساب الواقع الذي بذلت فتح سنين في بنائه ، وشارك في ذلك البناء جهد فلسطيني وعربي ، ثم تعود الى البدايات ؟ أو تحاول أن تقيم اطار علاقات عربية وفلسطينية يجعلها أقدر على الافلات من محاولات البعض ممارسة الضغط عليها .

كيف نحول دون أن يصبح الوجود العلني قيدا على قرار فتح ؟ قد يكون ذلك ممكنا بايجاد صيغة للوجود العلني الفلسطيني من خلالها تصبح فتح قادرة على ممارسة استراتيجية « الشبح ». ٢ ــ هناك ضرورة ملحة الان للحسم بين عقليتين : عقلية القاعدة بالجماهير ، أو القاعدة بالارض . هاتان العقليتان تمثلان نهجي عمل مختلفين : القاعدة بالجماهير : هي عقلية العمل السري ، عقلية الطليعة ، هي العقلية الهجومية من خلال « الشبح » المنتشر بين الجماهير . القاعدة بالارض : هي عقلية العلنية ، عقلية الثورة وليس طليعة الثورة ، عقلية الدفاع عن الارض .

لقد كان من الضروري في بداية فتح أن نختار القاعدة بالجماهير منهجا لنا ، وهذه الجماهير هي التي تعطينا أرضا نتحرك عليها . وتطور الامر الى أن أصبحت لنا قاعدة بالارض ندافع عنها ونحميها ، وأصبح هدف النظام العربي أن يحصرنا في اطار هذه العقلية بما يعزل بيننا وبين الجماهير . ولقد لعب السلاح العربي دورا خطير في ذلك ، فبعد مقاتل العصابات الذي كان يتمتع بحرية الحركة اصبح هناك المقاتل القابع خلف المضادات . ولا بد في عملية التصحيح من الملاءمة بين العقلية الاولى والعقلية الثانية ، وايجاد حالة تزاوج بينهما ، اذا ما أرادت فتح أن تستعيد قدرتها في الفعل . ان عقلية القاعدة بالجماهير تشكل حماية للمكتسبات التي أفرزتها القاعدة بالأرض ، والا فسيكون الدفاع عن هذه المكتسبات في ميزان القوة الحالي عاجزا كما حدث في الاردن .

س : هناك نقاش واسع في حركة المقاومة بعد أيلول . ولكن الملاحظ ان « فتح » لا تسهم كثيرا في هذا النقاش .. هل هذا العزوف عن المشاركة موقف من طبيعة ومضمون هذا النقاش ؟

ج : ان النقاش في فترات الانحسار ظاهرة طبيعية ، فلا بد أن تبرز أسئلة عدة تريد أجوبة تفسر ما حدث ، وتعطي مخرجا من المآزق . لكن فرق بين النقاش النظري الذي يطرح نفسه بديلا للكفاح المسلح ، والنقاش الذي يستهدف أن يكون دليلا لتكثيف وترشيد وتكريس الاهتمام بالكفاح المسلح وممارسته . لقد اتخذت المناقشات النظرية منحى أصبح يهدد وحدة أداة الثورة الفلسطينية أكثر مما يهددها ما تعانيه من غيبية وضياع في الرؤيا . ولعل السبب الذي فرض هذا المنحى هو اصرار الجميع على نظرية البديل في الساحة ، وليس على نظرية التكامل . ولمزيد من الايضاح فانه لم يأت في الساحة تنظيم بعد فتح وقدم في اطار الممارسة اي تطوير أو ابداع أو تجديد يشكل اضافة جديدة للجهد النضالي الفلسطيني الذي بدأته فتح . العكس صحيح . كانت معظم الممارسات نسخا منسوخة بالتوازي ، حتى في شكل الاطر التنظيمية التي استخدمت ، ولم يكن في استطاعتها أن تشكل حالة قفز تتجاوز فتح . كان ممكنا أن نتصور وجود هذه المنظمات مفيدا لو انها شكلت اضافة جديدة للجهد النضالي الفلسطيني ، وليس محاولة اقتسام لنتائج الجهد النضالي الفلسطيني ، الامر الذي أصبح يطرح السؤال : هل وجود المنظمات كان هدفا في حد ذاته ، أم أن وجودها كان من أجل هدف .

لقد كانت هناك محاولات معادية كثيرة تراهن على تصفية الثورة الفلسطينية من الخارج، من أجل هذا كان الضغط الاسرائيلي دائما على الحدود العربية يجعلها تتخذ موقفا معاديا للثورة الفلسطينية كما حدث في قرار القيادة العربية الموحدة منذ ١٩٦٥ بمطاردة واعتقال مناضلي فتح ، وكما حدث في محاولات الملك حسين في الكرامة وعمان عام ١٩٦٨ . ولقد تبين بعدها ان الهجوم الخارجي يقود الى صلابة الوضع الداخلي للثورة ، وبات واضحا أنه لا بد من تفتيت الثورة من الداخل حتى تصبح تصفيتها ممكنة . وهكذا بدأت الثورة الفلسطينية تواجه حالة اغراق بالمنظمات ، واغراق في الشعارات ، وفي المفاهيم المتناقضة كلها تؤدي موضوعيا الى توزيع الجهد والولاء الفلسطينيين في اكثر من اتجاه واكثر من اطار ، كما أدت الى تطوير حالة الاجتهاد في النضال الفلسطيني الى موضوع للعداء والاتهام ، وحينما يؤدي ذلك الى ارباك الوضع الداخلي ، وحينما تختل معادلة القوة يصبح من الممكن الهجوم من الخارج ، وما حدث في أيلول ١٩٧٠ يجب ان يكون درسا هاما في هذا الصدد .

س : هناك في ممارسات فتح بعض مآخذ ، أرجعت بعضها الى نسيان النظرية ، وأرجعت البعض الاخر لظروف خارج اطار فتح فلسطينيا أو عربيا .. ومع عدم الاخلال بأمن الحركة أو بما ينبغي أن يكون شيئا من شؤونها الداخلية ، هل ترى ثمة اسباب ذاتية لبعض معوقات في مسيرة فتح ؟

ج : بعض ذلك تطرقنا اليه عندما تحدثا عن مكونات فكر فتح ، والمشاكل التي اعترضت مسيرتها ، ضرورة التكافؤ بين القدرة والقرار ، ضرورة المواءمة بين النظرية والواقع ، ضرورة التزاوج بين عقلية القاعدة بالجماهير ، والقاعدة بالارض الخ .. ولكن هناك بعض عوارض أخرى ، هناك قضايا خاصة بالتنظيم : لقد حدثت قفزة في فتح من تنظيم الطليعة الى تنظيم الثورة فضاعت معالم تنظيم الطليعة في غياهب تنظيم الثورة .. ذلك لا يعني ان تنظيم الثورة الذي يستوعب الجماهير المتدفقة على الثورة والمندفعة نحوها مرفوض .. على العكس الطاقات الجماهيرية في حاجة الى اطارات تحسن توظيفها وتوجيهها .. ولكن يجب الا يؤدي ذلك الى غياب تنظيم الطليعة . كانت فتح تعتمد البناء الانتقائي في التنظيم ، بدرجة كبيرة أصبح البناء الان تلقائيا . فيما مضى كان التنظيم خاصا ، والفكر للجميع ، وربما يكون العكس هو السائد الان ، ان الفكر هو الخاص ، أما التنظيم فمطلق . لقد ترتبت على ذلك أوضاع أدت الى ضياع جهد كبير في أمور ادارية يومية ، والى نشوء بعض درجات من القلق تضاءلت معها القدرة على الخلق والتحليل والاجتهاد . ولقد أدى ذلك على المستوى السياسي الى أن سياسات فتح في بعض أوجهها لم تعد ترسمها القواعد البسيطة ، بقدر ما أصبحت ترسمها المخاوف والمحاذير مما أدى الى أن تفقد فتح بدرجة كبيرة مرونة الحركة التي تميزت بها، وتحولت سياستها في جانب غير هين من المبادرة الى رد الفعل .

س : عود الى نظرية فتح . لقد وضعت فتح هدفا استراتيجيا لها : اقامة الدولة الوطنية الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني بعد تحريره . هذا الهدف الاستراتيجي يثير اكثر من قضية : ١ ــ البعض يرى في هذا الهدف نوعا من عدم الواقعية ، ٢ ــ البعض يرى فيه مؤشرا على اقليمية يلصقها بـ « فتح » ، ٣ ــ البعض لا يبدو وكأنه يفهم المقصود بشعار الدولة الديموقراطية .

ج : ان الخلاف الذي كان مطروحا في الوطن العربي بعد قرار الامم المتحدة باقامة دولة اسرائيل كان خلافا جذريا بين عقليتين : عقلية الامن الوطني ، وعقلية الامن القومي . عقلية الامن الوطني كانت تنظر الى القضية كقضية حدود يمكن ان تضيق أو تتسع ، وهو فهم خاطىء وقاصر عن فهم معنى الوجود الصهيوني الذي لم يكن يرى خطره الا في

اطار فلسطين . هذه عقلية التعايش مع الاحتلال ، مع ما يمثله هذا من تكريس لارادة العجز والتراجع المستمر أمام الضغط والتوسع الصهيوني .

العقلية الثانية ، التي كرستها فتح ، هي تلك التي كانت ترى أن العدوان الصهيوني عدوان قائم يهدد عملية الميلاد العربي حتى ولو لم يكن هناك سوى شبر واحد من الارض تقوم عليه السلطة الصهيونية المعادية . لذلك ترفض فتح الوجود الصهيوني كلية ، باعتباره قاعدة متقدمة لقوى التحالف الاستعماري والصهيونية العالمية في الارض العربية ، يستطيع هذا التحالف ان يستخدم هذه القاعدة ويحركها في أي وقت ضد أية ارادة رفض أو تمرد عربية . من هنا كان اصرارنا على أن أي نظام عربي يحدد هويته على أساس مفهومه للقضية ، وطريقة تناوله لها ، وأداة هذا التناول . نستطيع القول ان فتح قدمت الصيغة الثورية لمفهوم القضية ، ولكيفية تناولها ، ولاداة هذا التناول ، ونستطيع أن نقول أن هذا المفهوم حقق انتصارا كبيرا .. ولكن بمشروع روجرز ، وما تبعه من مبادرات تسوية فان هناك مسعى خطيرا للانتكاس بهذا المفهوم الثوري ،والعودة للنظر في اطار الامن الوطني ، الذي لن يكون في هذه الحالة الا سرابا .

ان الكثيرين يتحدثون عن الواقع والواقعية، ويطالبوننا بها . ولهؤلاء نقول أننا واقعيون، ولكن واقعيتنا غير واقعيتهم . هم يرون الواقع مصدرا للتفكير ومنطلقا له ، فيقعون في اطار العجز ، ويتخاذلون . نحن نرى في الواقع موضوعا للتفكير ، نفهمه ، ونحلله ، لنفعل فيه ، لنغيره ، بخلق حقائق جديدة .

والفرق بين العقليتين هو الفرق بين الحركة والجمود ، بين التمرد والاستسلام ، فرق بين ما يجب أن يكون ، وما يمكن أن يكون .

ان الدولة الديموقراطية من وجهة نظرنا ليست مشروعا نطرحه ضمن المشروعات المطروحة للتسوية ، انه ليس مشروعا يجري النقاش حوله على مائدة المفاوضات . ولكنه مشروع يجري وضعه في التطبيق من خلال عملية نضالية طويلة تعيد صياغة عقل الانسان على ارض فلسطين من خلال حرارة القتال وتنمية الجهد النضالي المشترك في اتجاه مفهوم ديمقراطي للعلاقة يلغي عقلية المؤسسة الصهيونية ويرفض نظامها ويقيم الدولة الديمقراطية بديلا لها .

ان الانتماء لهذه الدولة سيكون فرديا ، أي انتماء مواطنين وليس جماعات او طوائف ، جميع المواطنين فيها متساوون في الحقوق والواجبات دون تمييز على اساس من الجنس أو الدين أو العقيدة .

يرون في ذلك بعدا عن الواقعية ؟ لا .. ان الوجود الصهيوني برغم تفوقه الان جزء من ظاهرة قديمة تحتضر ، ظاهرة الامبريالية والاستعمار .. مشروعنا للدولة الديموقراطية هو جزء من ظاهرة نامية ، جزء من المستقبل .. المستقبل كحتمية تاريخية هو لحركة التحرر العربي .. ودولتنا المتحررة الديموقراطية هي جزء من حركة التحرر العربي . لذلك نحن نربطها بالنضال المتنامي للجماهير العربية ، ولا يمكن أبدا أن نربطها بأية عملية تسوية آنية فمثل هذه التسوية ستكون ولا شك لصالح من يملك فرض شروطها. مع تصاعد نضالنا ونضال الامة العربية التحررية وتطور القدرة فيه سيكون أمامنا طريقان : ١ — طريق التطهير الشامل ، وذلك أمر مرفوض تاريخيا ، وانسانيا ، وحضاريا ، ٢ — اعادة صياغة عقل الانسان على أرض فلسطين بجهد نضالي يقود الى تصفية النظام الصهيوني واقامة الدولة الديموقراطية التي تنتمي للمنطقة بما يحقق الامن القومي. لماذا يرون في هذا منطقا اقليميا ؟ ان نظرية الطليعة في فتح تعكس البعد القومي للثورة الفلسطينية . الكثيرون يخلطون بين الاقليمية والقطرية . الاقليمية شيء والقطرية شيء آخر .. الاقليمية هي موقف انعزالي شوفيني .. اما القطرية فهي النضال القومي

من خلال الاطر المحلية باعتبار القطرية جزء من كل. وقطرية فتح من خلال مفهوم الطليعة يكرس البعد القومي لنظرية فتح ، كما يكرس الانتماء القومـــي للنضال الفلسطيني ، والانتماء لا يكون بالكلمات ، ولكن بالممارسات .

س : أخيرا ، ومن خلال كل المنطلقات والمبادىء التي طرحت ، فكيف هو التصور للخروج من الازمة الراهنة للنضال الفلسطيني ؟

ج : ان جدلية فتح تشير الى طريق الخلاص : جدلية فتح تقوم على تكثيف الفعل ضد الاحتلال حتى يصبح النضال الفلسطيني مشكلة اسرائيلية يقع عبء مواجهته المباشرة على اسرائيل ، بذلك يمكن مواجهة محاولات اسرائيل تعريب مهمـــة تصفية الثورة الفلسطينية .

هذا الفعل ستكون له ردود فعل هامة على جانبي الصورة في اتجـــاه تحقيقه هزيمة لنفسية الانسان الاسرائيلي التي ستعكس على الفور تصاعدا في نفسية الانسان العربي، وتصاعدا في جهده النضالي والتزامه الوطني . هذا الجهد النضالي العربي سيعود بدوره وينعكس في قدرة متصاعدة للجهد النضالي في الوطن المحتل . لقد كانت عمليات فتح الاولى تهدف الى رفع حرارة المواجهة على الحدود من أجل أن تضغط قرى الحدود على العواصم لكي تجعل السلاح ممكنا في يد الجماهير . وعمليات طلائع فتح قبل اعلان ميلادها هي التي حركت صفقة السلاح الروسية الاولى عام ١٩٥٥ ، حينما ردت عليها اسرائيل في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ بالهجوم على غزة ، فجاء قرار عبدالناصر بضرورة مواجهة العدوان بالسلاح وكانت صفقة السلاح الاولى . ان العدو يلجأ الى اسلوب خلـــق الحقائق المادية في الوطن المحتل لتكريس الاحتلال ، وخلق الحقائق السياسية في الوطن العربي التي تكرس الاستسلام . اننا مطالبون في المقابل بخلق حقائق نضالية في الداخل تكرس الثورة ورفض الاحتلال ، وهذه بدورها ستخلق حقائق سياسية في الوطن العربي تكرس ارادة القتال والرفض للاستسلام .

دليل حركة المقاومة الفلسطينية

غازي خورشـــيد

من منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

(ص. ب ١٦٩١ — بيروت)

٢٨٢ صفحة من القطع الكبير

٨ ليرات لبنانية ، تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر الدول .

رؤيا المستقبل

الدكتور محجوب عمر

المستقبل ..... النصر
والرؤيا طريقنا اليه

* * *

الثمانية مضت .

فاق شهداؤنا عدد ايامها .

وعلى أي جنب ، وفي أي أرض ، وبأي سلاح لم يحدث ان واجهنا شهيد وعلى وجهه علامة من حزن ، او تعبير عن ندم . فقبل أن يسدل جفنيه على آخر ما سيراه .. قطعة من أرض الوطن أو وجه للعدو قبيح او بيت في مخيم محترق ، أو طيف ام او حبيبة او غلذة كبد ، قبل أن يسدل جفنيه على شريط حياته اليانعة يكف قلبها عن الخفقان ، وتعود بلا حاجة الى استنشاق الهواء ، يأتيه صوت دائما يأتيه صوت ... « جايلك يا خوي .. »

من صاحب هذا الصوت ؟ من ؟

هو الاخ والرفيق ، هو الابنة والابن ، هو الاجيال القادمة على الطريق نفسه . هو يقين العودة وحتمية التحرير ، هو الثورة مستمرة حتى النصر .

* * *

المستقبل لنا . النصر لنا . ليس شعارا للتمني ، ولا عاد شعارا للانطلاق وانما حتمية تشير اليها الاعوام الثمانية وتحملها معها الاعوام القادمة . فماذا حملت معها الثمانية ؟ بل ماذا قدمت ؟

بعض السنين يمر دون ان يترك أثرا فيسميها المؤرخون سنوات الانحطاط ويتفقون . وبعض السنين يبين على الزمان بما أحدث من أثر ، عندئذ يختلف المؤرخون كل حسب انظاره والى أين تتجه ، كل حسب افكاره والى أين تقود ، ولكنهم جميعا في النهاية يقرون بأنها سنوات الانعطاف . والثمانية من النوع الاخير .

تحققت الانطلاقة ، وليس هذا بالامر الهين او اليسير ، ليس من السهل ان يذهب الانسان لمواجهة الموت وهو يعلم أن أمثاله لا يعدون المئة ، وان اعداءه يعدون بالملايين ، الا ان يكون واثقا بالنصر ، بالمستقبل . وليس في كل مرة انطلقت جماعة ثورية الى النضال ، اثمر نضالها وازدهر ، فبغض النظر عن النوايا والجهود ، تظل اصالة الفكرة ، وضرورة التاريخ هما شرطا النجاح والاستمرار .

وانطلاقة الفاتح من ١٩٦٥ اثمرت ، وازدهرت ، وكل سنبلة فيها أثمرت الف الف . ولا يمكن ، ولن يمكن لمؤرخ مهما كان موقعه ان يدعي ان ذلك كان مجرد مصادفة وانما لا

بد سيقر بان الانطلاقة جاءت تعبيرا عن الضرورة التاريخية وسارت فعـــلا في الاتجاه الصحيح .

والانطلاقة ليست وحدها ما تحقق ، وان كان يكفي الاعـــوام الثمانية ان تزهو بأنهـــا استمرار لطلقاتها . عادت فلسطين ، ولم تكن قبل الانطلاقة سوى نشيد حزين . عادت ملء السمع والبصر ، تفرض نفسها على طاولات الكبار حين يتفاوضون ومجامع الحكام حين يتلاقون ، ونشيد الصغار حين يصيحون ، وصيحة القتال حـــين يهجم الثـــوار المقاتلون . عادت بعد عشرين عاما من التآمر لمحو اسمها من فوق الخرائط ومن قلب الكتب ، بل ومن نفوس أبنائها أنفسهم . عادت وستظل ، ولم يعد في الامكان وأدها ، ولا كان . عادت لان ثمانية من الرصاص والدم أنطقت نيكسون باسم أصحابها بعد أن كانوا اللاجئـــين .. « ابحثوا لهم عن وطـــن ... لا بد للفلسطينيـــين من وطن والا أصبحوا قوة هدامة تهدد المعتدلين في المنطقة » . هذا ما نطق به سيد المستعمرين ان « اجهضوهم » فرددته على الفور مشاريع « الملك » ومؤامرات الضالعين وكـــان رد الثورة قاطعا : فلسطين كاملة . وسجلت احصاءات العدو أعلى نسبة عمليات في العمق اعترفت بها ، وأقر مدير مخابرات الصهاينة « بالزيادة الملحوظة » في العمليات ، « وبأن عشرات من الشباب قد انضموا مؤخرا الى منظمات التخريب » .

« لا بد لهم من وطن » ، والفلسطينيون كلمة منسوبة الى « فلسطين » وقد ظن الاعداء زمنا ان في الامكان اذابتهم فاذا بلهيب السلاح يجمع شتاتهم ويسعى لتحرير فلسطـــين ويستشعر الاعداء خطر المستقبل فيسرعون الى التآمر .

« قوة هدامة تهدد المعتدلين » أي « قطب ثوري يستقطب الثوار والحركات الثورية في المنطقة ويقويها » . انه العمق العربي للثورة الفلسطينية يرى نيكسون مستقبله الحتمي فيسرع الى التآمر .

« عشرات من الشباب ينضمون مؤخرا الى منظمات التخريب » . كانوا لا يزالـــون صبية عندما انطلقت الثورة منذ ثمانية أعوام ، وها هم الان يتقدمون للموت . ولا تغيب « ظاهرة المستقبل » هذه عن أعين الاعداء ، فيعترفون ، ويتوعدون . ولكن الاعوام الثمانية تكذب ما يقولون ، وتؤكد ان الثمانية الاخرى تحمل معها المزيد من الشباب . اليسوا يولدون ويكبرون ؟ .

سيسأل المشكك والمتشكك ، أليس في الاعوام الثمانية أخطاء على الاقل ؟ فيها .. ولكنها تعرجات الطريق . فالحركة التاريخية ليست خطا مستقيما ، ولا يمكن أن تكـــون . والحديث يدور عن المستقبل ، هل نحن نتجه اليه ام نحن في عكس الطريق ؟ البحث يجري عن صحة « الاتجاه » التاريخي كما يقال . هل مشت الاعوام الثمانية فيـــه أم عكسه ؟ ذلك هو جوهر التقييم ، فلئن كانت فيه ، في اتجـــاه المستقبل ، خضع ما سار فيه من تعرجات للبحث والدراسة والمحاسبة والحساب ، ولئن لم تكن فيه ، فما جدوى الكلام ؟ من الذي يشك في أن الثورة الفلسطينية سارت في الاعوام الثمانية الماضية في الاتجاه التاريخي السليم ؟ ان مسار « الثمانية » يقطع بصحـــة المنطلق والاهداف . وكشوف الخسائر والارباح ، حتى ولو اعدت ، تؤكد انه رغم كل ما فينا وما حولنا ورغم مشقة التعرف على الدرب والمشي فوق أشواكه في ليل ورثناه ، وتآمر يحيط بنا ، وغواية تريد حرف أبصارنا ، فان الثورة تنجز المزيد والمزيد . تتثبت جذورها ، وتتصلب عيدانها ، وتمتد افرعها ، وتعطي ثمارها ليس فقط للشعب العربي الفلسطيني وانمـــا ايضـــا للشعوب العربية كلها ولشعوب العالم اجمع . « الثمانية » تقطع بصحة الطريق ، نحو المستقبل . والمستقبل هو النصر .

والرؤيا تتعدد . كثيرون يحاولون ، وحاولوا . البعض في طرق مسدودة ، والبعض في

طرق معكوسة ، والبعض في طرق فرعية تصبح كالروافد الى الطريق الاصيل ، ثم « الطريق » نفسها ، تلك الموصلة الى المستقبل الى النصر . وحتى هذه الطريق الاخيرة، ليس من السهل رسمها في خطوط تتبع ما يقال عن أن اقصر الطرق هي تلك التي بين القمتين . فدعاة أقصر الطرق يتوهمون انهم فوق قمة ، وربما كانوا كذلك ، ثم يحاولون أن يخطوا الى القمة الاخرى دون أن يكلفوا أنفسهم عناء النزول ثم الصعود الى القمة الاخرى . ينسون ان بين النقيضين ، هاوية سحيقة ، وان « أقصر الطرق » تعال على الجماهير ، وان القفز بين « القمم » مغامرة وان المثل الشعبي يقول : « الطريق الطريق ولو دارت ولو طالت » .

ولقد اختارت « الثورة » الطريق الطويل ، « حرب الشعب طويلة الامد » ، ومنذ ثمانية أعوام (بل أكثر من ذلك ان اضفنا سنوات الاستعداد) وهي تسير فيه صاعدة من السهل الى السفح الى جسم الجبل .. الى قمة في المستقبل لا شك . ولم يكن اختيار « حرب الشعب **طويلة الامد** » مجرد اختيار « فكري » ، وانما كان في الاساس رفضا بالممارسة والتجربة لفكرة « اقصر الطرق » (الانقلابات) ، ولواقع « الانطلاق المعكوس » (الوحدة اولا) ، ولنظريات التفوق التكنولوجي وصراع « العمالقة » الدوليين .

ولكي ندرك ما تحقق على هذا الطريق في الاعوام الثمانية نذكر فقط انه عند الانطلاقة كانت الجماهير كلها تقريبا ، مشدودة الانظار والافكار الى الامل ببناء جيوش حديثة قوية متفوقة « ستحرر لها فلسطين » ، وان الذين كانوا في ذلك الوقت يتصدون «لقول الراي» للجماهير ، اتهموا فتح تارة باليمين الرجعي الذي يسعى لتوريط الدول التقدمية، وتارة باليسار المغامر الذي يضع نفسه في خدمة اخرين وكان أخف الاتهامات هو « الجنون » . واليوم لا يجرؤ انسان على التعرض **لفكرة** حرب الشعب طويلة الامد ..

ولقد اتت ممارسة الاعوام الثمانية بثمارها . انتصرت الفكرة وبات مؤكدا لدى قطاعات واسعة من الجماهير العربية ، وكل الشعب الفلسطيني العربي ، انه لا سبيل للتحرير الا بهذه الطريق ، وتدرب الالاف من الشباب على حمل السلاح واستعماله ، واستقرت مئات الآلاف من قطع السلاح الخفيف في أيدي الجماهير . ودارت وما تزال تدور معارك حامية بين انصار الفكرة وممارسيها ، واعداء الفكرة ومعارضيها ، **ولا بد من التنبيه بأن فكرة ((حرب الشعب)) طويلة الامد لا بد ، لكي تنتصر ، أن تمارس وان توضع في التطبيق وباستمرار** ، بينما لدى القائلين بفكرة الحرب النظامية الكلاسيكية التي تنتظر التفوق او الظروف الدولية ، على الدوام ما يبرر عدم امتحانها في التطبيق .

من هنا يمكننا ان نتبين ، نحن السائرون على طريق حرب الشعب طويلة الامد بأن علينا، امانة للسنوات الثماني وما قدمت من شهداء ، وايمانا بالسنوات المقبلة وما تحمل من انتصار ، علينا ان نواصل « حرب الشعب » ، ان نقدم على الدوام التضحيات على طريقها ، ان نمارسها لكي ننتصر . والحق انه مع الانتصار العام لفكرة حرب الشعب طويلة الامد ، الا أن ممارستها لم تكن بالشكل والصدق اللذين يجنبانها تهجم المعارضين وتآمر الاعداء . البعض يردد القول ثم يتخيل ان « طويلة الامد » هذه تعني اعمارهم ، وما أقصرها ! والبعض ردد هذا القول وهم يتوقعون ان يدفع الشعب ولا يدفعون هم ، البعض حمل معه الى ساحة الثورة « انقلابيته » القديمة التي تضيق بالطريق الطويل وتتعالى على الجماهير ، وتتعجل النتائج ويستهويها الضجيج . البعض لم يدرك بعمق معنى الطريق « الطويل » تاريخيا ، لم يدرك انها « طويلة » ليس فقط لاننا نواجه أعداء أقوياء داخل فلسطين المحتلة وخارجها ، ولكن ايضا لانها تعتمد الشعب جيشا لها ، ولم يدرك ان الممارسة الصبورة وحدها هي التي تعبىء قوى الشعب وتنظمها ، وان النداءات والشعارات وحدها لا تكفي بل لا تأثير لها دون ممارسة . وان هذه الممارسة

تتغير اشكالها وتتبدل مواقعها ولكنها تظل محكومة طوال الوقت بضرورة ان تظل ملتصقة بالارض والجماهير ، متمسكة بالبندقية والقنبلة تستغل كل ثغرة للاعلان عن نفسها والوصول الى كل جماهيرها ، وتحذر في الوقت نفسه كل منزلق يكشف اجنحتها وقواها ويسهل ترويضها وعزلها عن جماهيرها . ممارسة « حرب الشعب طويلة الامد » تعني ضرورة المحافظة على حرية حركة الثوار والثورة بين الجماهير . ان احدا لن يمنح الثوار حقا شرعيا في الوجود او التحرك ، وانما هو حق يؤخذ بالممارسة وحدها ، وبين الجماهير فقط . ان ممارسة حرب الشعب طويلة الامد تعني مصارحة الجماهير ، فهي التي تعرف جيدا ان احدا لا يولد وله أسنان ، وان الذي يتعلم الشيء يتعثر مرات قبل ان يتقنه ، الجماهير تفهم وتقدر حتى اخطاءنا ، وهي التي تعوض خسائرنا بشرا وسلاحا ، وهي التي تحمي فصائلنا وتغذيها ، وليس في اقناعها صعوبة وانما ذلك يتطلب ممارسة طويلة الامد بين الجماهير ومعها ، واضعين في الاعتبار ان الجماهير لا ترى في قلة العدد عيبا ، ولا في مواجهة الصعاب ما يثير الشفقة . ان نبتة البذرة الصحيحة تزيح ما فوقها من أتربة ، هكذا يعرف الفلاح ، ولهذا يسارع لحمايتها من الرياح .

ولقد اثبتت الاعوام الثمانية ، رغم بعض الممارسات الخاطئة ، اثبتت ان نبتة حرب الشعب قادرة وثابتة الى الحد الذي جعل الاعداء ، على اختلافهم يسعون لخنقها . فهي لم تحقق فقط خسائر فادحة للعدو ، وانما ، وهذا هو الاهم ، أصبحت أملا للشعوب العربية وللحركات الثورية كلها . ويسعى المستعمرون هذه الايام الى محاصرة « حرب الشعب » ، ومحاولة اشاعة اليأس في نفوس الجماهير بشأنها . فالجماهير العربية التي ترفض اي حل جزئي او استسلامي واضعة كل ثقتها في حرب الشعب ، لن يكون امامها الا الاستسلام اذا فقدت ثقتها في حرب الشعب . لهذا ينصب جهد الاعداء كله ضد الثورة مستغلين كل ثغرة ، محاولين بجميع الوسائل محاصرتها (حتى لا تستمر الممارسة فيكف تأثيرها) ، وتشويهها (حتى لا تنعزل عن الجماهير فيسهل القضاء عليها) ، وترويضها (حتى يمكن استخدام قواها المروضة في تمرير ما يريدونه من حلول وضرب ما يبشر من اجيال) . والاعداء لهم خبرة لا يستهان بها في هذا المجال ، ولكن لنا نحن ايضا خبرة لا يمكن نسيانها تؤكد لنا الانتصار ، ومثل فييتنام والاربعين عاما من القتال كفيل بالدرس والاتباع .

لقد اثبتت الاعوام الثمانية ، ولم تعد مشكلتنا « الوجود » وانما يحمل العام التاسع مشكلة « الاستمرار » . ولكي نستمر يجب ان نحطم الحصار على كل الجبهات . **على الجبهة القتالية** ، يجب ان نزيد من قدرتنا على ضرب العدو في عمق احتلاله . فتلك طريقنا الى جماهير الارض المحتلة ، ذلك يتطلب المزيد من التدريب والممارسة والتوجه نحو الارض والجماهير اساسا . **على الجبهة الدعائية** ، يجب ان نخترق جدار الصمت والتشويه ونصل الى جماهيرنا ، بالدعاية الصادقة الانسانية الصريحة ، بعمليات الدعاية المسلحة المدروسة والمخططة ، بالتخلي عن السفسطة والجدال الذي لا طائل وراءه ، والتحدث ببساطة عن انتصاراتنا وعثراتنا بأن نرتدي ثوب الجماهير تراثا وحديثا وسلاحا وتضامنا ووحدة . **على الجبهة التنظيمية** ، يجب ان نضاعف الجهود من أجل اعادة ترتيب صفوفنا بحيث تلبي احتياجات هذه المرحلة الارقى من نضالنا ، لقد اتسعت رقعة النضال وتنوعت مهامه من الارض المحتلة قبل ١٩٦٧ ، الى الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ الى الساحة الاردنية حيث يقيم قرابة مليون فلسطيني والتي يمكن اعتبارها الارض المحتلة بعد ١٩٧١ حيث يمارس العدو سيطرة سياسية واقتصادية وعسكرية فعلية . على كل هذه الارض المحتلة تتنوع مؤامرات الحصار ، من ارهاب وتشريد الى محاولة خلق اشكال متعاونة مع العدو ، الى ابادة وتصفية ومحاولة خلق

أشكال عاجزة ومشوهة تمتص تمسك الجماهير الفلسطينية بكيانها . ولقد أثبتت السنوات الثماني ، برغم بعض الممارسات الخاطئة والعفوية ، صحة المبادىء والاهداف التي طرحتها الثورة . كما قامت الاشكال التنظيمية في مرحلتي ما قبل وما بعد ١٩٦٧ باعباء وضع هذه المبادىء والاهداف في التطبيق . والان ، مع تغير الظروف ، ومع اتساع رقعة النضال ، فان علينا ان نستفيد من الخبرات التي اكتسبناها خلال السنوات الثماني الماضية ، وان نقوي من تنظيمنا ، ونزيد من توثق علاقاته الجماهيرية حتى يمكن ان يقوم بالاعباء الجديدة الملقاة على عاتقه . ولنذكر على الدوام انه لا يمكن الوصول الى وحدة حقيقية لقوى الثورة الفلسطينية ، بل لكل القوى المخلصة التي تناضل في سبيل القضية ما لم نتسلح بتنظيم موحد الارادة موحد المبادىء والاهداف والاساليب ، تنظيم ممارس متمرس يكون هو البلورة التي تجمع حولها كل البلورات الاخرى . كما أن الوحدة ، اي وحدة ، ليست مجرد شعار أو أمل أو حلم ، وانما هي الممارسة المشتركة على الدوام .

***

اذا تركنا الساحة الفلسطينية أرضا ، وجماهير ، الى الساحة العربية لوجدناها تعاني حصارا من النوع والاسلوب نفسه يحاول ان يحصر علاقات الثورة الفلسطينية بالحكومات ، ويعزلها عن الجماهير ، ويصل الى حد الصدام واحتمال الصدام . في هذه الساحة أيضا ، علينا ان نخترق الحصار بكل الوسائل والسبل ، وان نجد الصيغ الملائمة التي تمد الجسور النضالية بيننا وبين المناضلين في كل بلد عربي وان نتذكر ان خبرة السنوات الثماني اثبتت ان الثورة الفلسطينية لا يمكن ان تحل محل القوى الثورية العربية في كل بلد ، كما ان هذه القوى الثورية لا يمكن أن تقوم بما تقوم به الثورة الفلسطينية وبالتالي لا يجب ان تقيدها او تلغيها او تشترط عليها ما يفرض عليها من معارك ليست لها . وان العلاقة يجب ان تقوم على أساس ان فلسطين هي محور النضال العربي كله وبالتالي فان الثورة الفلسطينية هي مركز هذا النضال الذي يجب حمايته وتقويته والاتجاه اليه . لقد علمتنا السنوات الثماني واكدت ما طرحناه من ان أحدا لن يتقدم لتحرير فلسطين قبل أهلها كما أكدت السنوات الثماني نفسها ، وما أثمرته بين الشعوب العربية ، ان الاعداء يسعون لعزل هذه الثورة عن الجماهير العربية ، اتقاء لاشعاعها الثوري ، وسبيلا للقضاء عليها . كما علمتنا السنوات الثماني أيضا ، واكدت ، ما طرحته الثورة من أن الطريق الى الجماهير العربية ، ينطلق من فلسطين ، وان نضال الجماهير العربية يصب في فلسطين . وتؤكد هذه السنوات الثماني الماضية ان الثورة الفلسطينية التي تحارب على ساحتين ، الاولى هي الارض العربية المحتلة والثانية هي الارض العربية غير المحتلة ، تسعى للصدام على الارض العربية المحتلة بينما العدو يتحاشى هذا الصدام ويتكتم اخباره ويحاصره . اما على الارض العربية غير المحتلة فان العدو هو الذي يسعى لفرض الصدام على الثورة الفلسطينية بينما الثورة الفلسطينية تتجنبه وتتحاشاه الا ان يكون مفروضا بلا فكاك، او مشاركة لجماهير بلد عربي في صداماتها مع اعدائها دفاعا عن الثورة الفلسطينية وعداء للمشاريع الاستعمارية .

ولقد اهدتنا السنة الثامنة « ثمرة » نضال ما سبقها من سنوات على المستوى العربي في شكل مؤتمر نصرة الثورة الفلسطينية الذي انعقد في بيروت وضم ممثلين عن القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية ، ولا بد ان تتحمل السنة التاسعة وما يتلوها عبء تجسيد هذا التلاحم الشعبي العربي في نضال مسلح واحد ضد العدو وحماية متراصة للثورة ضد الطعنات والمؤامرات التي تأتيها من وراء .

اما على المستوى العالمي ، فقد أثمرت السنوات الثماني ما يمكن ان نطلق عليه دون

مبالغة انه تغيير كيفي في موقف القوى الثورية والتقدمية من قضية فلسطين . من قبل كانت المشكلة هي السياسات الاستعمارية والعدوانية للعدو ، ولكن بعد سنوات من النضال المسلح تصحح وضع القضية واصبحت قضية شعب طرد من أرضه ويريد استعادتها وتحريرها . ولولا « البندقية » ، لولا الممارسات الثورية والتصحيحيات ، لما أمكن قط حدوث هذا التغيير . ذلك يدفعنا الى المزيد . ان الحجة الفكرية ، مهما كانت منطقية ، تفقد قدرتها على الاقناع ما لم تكن مشفوعة بالممارسة . وفي قضية فلسطين بالذات لا يجب ان تقتصر جهودنا على الحصول على مجرد التأييد او المساندة . ان لهذه القضية بعدا وعمقا عالميين كما ان لها بعدا وعمقا قوميين ، ولهذا فان صفوف النضال الثوري الفلسطيني تتسع ، ويجب ان تتسع ، لكل المعادين للاستعمار والمناضلين من أجل الحرية ، وقد قدمت الثمانية الماضية أشكالا من هذا التلاحم العالمي في النضال ، وعرفت شهداء مناضلين من مختلف بلدان العالم فكانوا جسورا حية وفعلية بين النضال الثوري العربي الفلسطيني والنضال العالمي من أجل الحرية والتحرر . ولا بد أن العام التاسع ، وما يليه ، سيشهد المزيد والمزيد ، المزيد من المواقف الفكرية والسياسية الاكثر وضوحا من أصدقائنا وحلفائنا القوى الثورية والتقدمية في العالم ، والمزيد من النضالات العملية أيضا ضد العدو الصهيوني والاستعمار . ان الجماهير تتغذى بانتصاراتها ، وانتصار الفييتنام يغذي كل جماهير العالم المناضلة ويهدي كل طاقاتها الى جوار طاقة وخبرة الشعب الفييتنامي نفسه الى ثورتنا ، وما اسعد عامنا التاسع بأن يسجل انتصار الشعب الفييتنامي على الاستعمار بعد حرب شعبية طويلة الامد .. استمرت اربعين عاما .

* * *

ترى ماذا سيحمل العام التاسع معه ايضا ؟ وماذا يمكن ان نستقراه من الاعوام الثمانية اضافة الى ما ذكرنا ؟ سيحمل التفاصيل لما نتوقع وما بدأناه فعلا .

طريقنا يزداد وعورة ، بقدر ما حققنا من تغيرات وانجازات . فالعدو لا يستسلم ببساطة ، والقديم لا يرحل دون مقاومة شرسة في بعض الاحيان . اعباؤنا زادت ، بقدر ما أصبحت الثورة اطارا ينتشر على كل الساحة الفلسطينية ارضا وجماهير ، وتتوثق صلاتها بكل القوى الثورية عربية وعالمية . مهامنا ثقيلة ولكن خبرة السنوات الماضيات ضاعفت من قدرتنا ، وغرست كوادر شابة في النضال ، واتسعت صفوف النضال حتى لم يعد في قدرة الاعداء ان يحيطوا بها لا في ضربة ولا في ضربات . أعداؤنا سيسعون للقضاء علينا — ومتى كانوا لا يسعون؟ — في هذا لا يختلف العام التاسع عن الاعوام التي سبقته ولا عن التي ستليه . سلاحنا في أيدينا يجب ان يظل حرا ، جماهيرنا درعنا ، ويجب ان نظل لها ، ارضنا قبلتنا يجب ان نسعى اليها .. فلئن سقط منا شهيد فلتكن صيحة الجميع :

« جايلك يا خوي .. جايلك يا خوي » ...

عندئذ يكون الاستمرار ... يكون المستقبل ... يكون النصر ...

صحافة فتح والثورة

ابو ثائر

قبل ان تطلق حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » رصاصاتها في الفاتح من كانون الثاني ١٩٦٥ ، أطلقت وقبل ذلك بسنوات فكرها الثوري الذي كان انقلابا في كثير من المفاهيم السائدة انذاك . وعبر مجلتها المتواضعة « فلسطيننا » التي صدرت عام ١٩٦٠ بشرت « فتح » بالثورة ، وعبر علاقاتها بالصحف الاخرى حاولت «فتح» ان تقدم مفهوما جديدا للتحرير . ورغم ان الافكار الثورية لفتح لم يكن من السهل تقبلها في صحف اوائل الستينات ، الا انها استطاعت ان تجد طريقا لطرح افكارها سواء عبر المنشور السري الذي كثيرا ما كتب بخط اليد ، ام عبر علاقات رجالها الاوائل .

ـ في الكويت في الخامس عشر من ايار ١٩٦١ اصدرت جريدة الهدف الكويتية ملحقا خاصا عن فلسطين حمل اسم « فلسطيننا » وحررته بالكامل حركة فتح . ـ في القدس، كانت الكثير من مواد صفحة « عائدون » التي كانت تصدر كل ثلاثاء في جريدة فلسطين المقدسية ، هي من مواد مجلة فلسطيننا .. ولعل ذلك هو السبب الذي حدا بالسلطة الاردنية الى الطلب من الجريدة وقف تلك الصفحة ! وفي صحف لبنان ، كما في صحف الجزائر .. وفي صحف دمشق كما في صحف القاهرة كانت « فتح » تستطيع احيانا ان تنشر افكارها ..

واذا عدنا الى قراءة تلك الافكار المنشورة ، نجدها قبل الانطلاقة تركز على النواحي التالية :

اولا ـ ان الحروب الكلاسيكية ليست في صالح العرب ، ولن تحسم قضية تحرير فلسطين .

« يؤمن البعض بأن حربا صاعقة تقوم بها الجيوش العربية للقضاء على اسرائيل ، يمكن ان تحقق نصرا اكيدا للعرب خلال ساعات . ولكن هؤلاء ينسون الحقائق التالية :
أ ـ ان الجيوش العربية غير موحدة ، وغير متضامنة . ولهذا لا يمكن للجيوش العربية مثلا ان تخوض معركة وهي منفردة . ب ـ ان وضع الضفة الغربية غير امين عسكريا.
ج ـ ان جيش اسرائيل على استعداد دائم . ولهذا يجب علينا ان نحسب له حسابا عسكريا مدروسا . وهذا يعني ايضا عدم تمكننا من القضاء على اسرائيل في حرب صاعقة ، لاننا سنواجه قوات الميليشيا الاسرائيلية في كل قرية بجانب الجيش الاسرائيلي » . [فلسطيننا العدد ١٢ ديسمبر ١٩٦٠ ص ٣] .

ثانيا ـ ان الفلسطينيين يجب ان يأخذوا زمام أمورهم بأيديهم ، وان يكونوا طليعة النضال ، وان الارادة الفلسطينية يجب ان تكون حرة سيدة نفسها . « اننا عرب فلسطين نعلن بأننا نرفض الوصاية ، فنحن احق الناس بحكم انفسنا ، فالذين يدعون بأنهم يحموننا من الصهاينة كاذبون منافقون ، لان الصهاينة يحمون كراسيهم طالما امتدت النكبة .. [فلسطيننا العدد ١٣ يناير ١٩٦١ صفحة ٥] .

ـ « تحرير فلسطين واجب على كل فلسطيني ، وليس معنى هذا اقليمية ضيقة ، ولكن معناها ان على ابناء فلسطين قبل غيرهم العمل لتحرير بلادهم » [فلسطيننا العدد ١٧ أيار ١٩٦١] .

ـ « ان الشعب الفلسطيني يطالب بكيانه الحر ، ويرفض الوصايات العربية والدولية الاستعمارية . والشعب الفلسطيني سيطالب الدول العربية برفع وصايتها عنه ومساعدته ، ان كانت مخلصة ، لاسترداد وطنه » [فلسطيننا العدد ١٥ اذار ١٩٦١ ـ ص ٣] .

ثالثا ـ ان الثورة وحرب الشعب هما الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ، وان خوض هذه الحرب لن يحقق أغراضه الا اذا كانت الارض العربية المجاورة قادرة على تحمل نتائجها ومستعدة بالتالي للمساهمة فيها . ان الشعب الفلسطيني سيقاتل ، ولكن الارض العربية ستتلقى الضربات وعليها ان تستعد لذلك . لقد وعت فتح طبيعة العدو تماما ، وقبل أن تنطلق بعملها المسلح ، دعت الى اقامة المجتمع العربي المحارب .

ـ « لدينا طريق وحيد لانقاذ فلسطين ، وهو طريق شاق وصعب .. لكنه طريق الحياة الوحيد . انه طريق الثورة » [فلسطيننا العدد ١٢ كانون الاول ١٩٦٠] .

ـ ان خطة العمل يجب ان تتخذ شكل الحركة الفدائية التي تنطلق من جميع المناطق العربية المحيطة باسرائيل . وبمجرد بدء عمليات فدائية علينا ان نتوقع رد فعل وحشي على الحدود العربية . ولهذا يجب أن تكون الجيوش العربية جميعها في حالة يقظة لتأديب العدو عند محاولته القيام بعمليات ثأرية على حدودنا » . [فلسطيننا العدد ١٧ ايار ١٩٦١] .

ـ « عرب فلسطين لم يعودوا يؤمنون بانتظار الظروف الدولية التي يقول بها العاجزون، فطريق التحرير واضح ، وكل ما يحتاجه العرب لتحرير فلسطين هو جرأة تتيح للكيان الفلسطيني الظهور ، على ان يكون هذا الكيان ممثلا لارادة شعب فلسطين . وهذا الكيان سيحقق انطلاقة الثورة فتحمي الدول العربية حدودها ، وتقدم المساعدة للكيان » [فلسطيننا العدد ١١ تشرين الثاني ١٩٦٠ ـ ص ٣] .

رابعا ـ ان الشعب الفلسطيني لن يتنازل عن شبر من ارضه ، فلا قرارات الامم المتحدة ترضيطموحه ولا اية مشاريع دولية أخرى. انتحرير كاملتراب فلسطين هو الهدف الذي من أجله سيظل يناضل الشعب الفلسطيني ، وكل من يقول عكس ذلك خائن للشعب : « اننا هنا نعلن رفضنا لفكرة التقسيم الاستعمارية ، ونعلن شجبنا للتقسيم ، ونعلن استعدادنا لان نتهم كل فرد يعمل من اجل التقسيم بالخيانة العظمى والمروق » . [فلسطيننا العدد ١٣ كانون الثاني ١٩٦١] .

وانطلقت الثورة لتجد نفسها محاصرة اعلاميا ، على قدر مستوى الحصار السياسي والعسكري . قليلة هي تلك الصحف التي كانت تنشر سطرا او سطرين عن عمليات الثورة .. واقل هي الاذاعات التي كانت ترفق بيان الثورة عن عملياتها ، ببيان الناطق العسكري الصهيوني ، فمعظمها كان يكتفي بما يورده الاخير .. ولكن صوت الرصاص فوق أرض فلسطين ، خاصة بعد أن صمت كل الرصاص ، في اعقاب هزيمة حزيران ، كان اعلى من كل حصار . ومنذ ذلك الحين ، وحتى الان ، خاضت اجهزة اعلام فتح معارك متصلة سواء لصد الهجمات المعادية والمساهمة في الدفاع عن الثورة وفضح المؤامرات التي تحاك ضدها والمشاريع المشبوهة التي تسعى لتصفيتها ، أم لترسيخ مفاهيم فتح وأفكارها وبلورتها على ضوء التجربة والظروف الذاتية والموضوعية .

وفي محاولتنا لاستعراض المواقف الاساسية التي ناضل اعلام « فتح » لتثبيتها سنعتمد مصدرين فقط : ١ ـ نشرة فتح الداخلية ، ٢ ـ جريدة « فتح » اليومية ثم الاسبوعية .

أولا ــ بعد هزيمة حزيران ، جسدت فتح طريق النضال بالثورة فوق الارض المحتلة ، وكانت عبواتها المتفجرة في القدس وتل ابيب وعملياتها في طوباس والخليل وغزة ونابلس والجليل والجولان تعلن للجماهير العربية ان حرب الشعب هي الطريق الوحيد للرد على الهزيمة ولخوض معركة التحرير . الا ان المواقف العربية الرسمية كانت تسير في اتجاه مغاير ، تبحث عن الحلول السلمية وتسعى الى الخلاص يأتيها من السماء .. او من اروقة الامم المتحدة . ووجد اعلام فتح نفسه يواجه معركة تاريخية ..

ان المواقف الرسمية العربية وما يدور في فلكها من اجهزة اعلام تبشر بالحل السلمي وتحاول ان تصور الوصول اليه وكأنه انتصار ، خاصة بعد صدور قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، ثم مشروع روجرز لعام ١٩٧٠ ، وضد ما يسمى بالحل السلمي ، خاض اعلام فتح معارك متصلة ، انطلاقا من : أ ــ ان الحل السلمي ليس سوى قناع للاستسلام الذي تسعى القوى الامبريالية لفرضه على امتنا . ب ــ ان هذا الحل الاستسلامي لن يتم الا اذا صفيت الثورة الفلسطينية ، ومن هنا فان رأس الثورة الفلسطينية هو الثمن المطلوب . ج ــ ان طرح المشاريع الهدف منه فقط هو تمييع ارادة القتال لدى امتنا ، واشغالها عن التفكير بالطريق الصحيح . بالاضافة الى ان هذه المشاريع تمزق الموقف العربي وتزيد من حدة الصراعات . د ــ ان العدو لن يرضى الا بالاستسلام الكامل ، وهو سيظل يطلب المزيد من التنازلات وراء كل تنازل تقدمه الانظمة العربية ، حتى يتمكن من استيعاب كل الارض العربية المحتلة .

وفي العشرات من المقالات عالج اعلام فتح هذه القضايا بالتفصيل :

ــ « اذا كان البعض يعتقد ان تمرير الحل الاستسلامي شيء وسلامة وأمن الثورة الفلسطينية شيء آخر ، فان الاحداث التي تشهدها الساحة كل يوم تؤكد ان الامور لا يمكن الا أن تكون متداخلة بشكل يصعب فيه ــ لو سلمنا بحسن النيات ــ تمرير الحل السلمي بوجود الثورة الفلسطينية لان ارادة القتال وارادة الاستسلام لا يمكن ان تلتقيا، ولا بقاء الا لاحدى الارادتين » [جريدة فتح ١٩٧٠/٨/١ ــ « رأينا »] .

ــ « ان مشروع روجرز لم يأت بجديد ، ومن السهل ان ترى في طياته كل ابعاد التآمر الاميركي الصهيوني الذي ما زال مصرا على تصفية القضية الفلسطينية وتمزيق الشعب العربي الفلسطيني بعد القضاء على ثورته . فالمشروع يدور حول النقاط التالية :

١ ــ وضع جميع الاطراف على قدم المساواة ، الذين اعتدوا على فلسطين واحتلوها ومعها سيناء والهضبة السورية والذين اعتدي عليهم واحتلت أراضيهم . ٢ ــ المشروع يلح على اجراء مفاوضات بين الدول العربية واسرائيل على ان تبدأ هذه المفاوضات بصورة غير مباشرة عن طريق يارينغ . ثم بعد تهيئة الجو ــ اي بعد سحق الثورة الفلسطينية ــ تتحول الى مفاوضات مباشرة . ٣ ــ الاتفاق على تصفية القضية الفلسطينية والشعب العربي الفلسطيني بروح قرار مجلس الامن ، بحيث تختتم القضية تحت اسم التوصل الى سلام عادل . ويتم الاعتراف بسيادة وسلامة واستقلال اسرائيل مقابل انسحاب القوات الاسرائيلية عن بعض الاراضي التي احتلت بعد حرب حزيران . .... ولعل اخطر ما في هذه المؤامرة الاميركية الجديدة انها تلبس ثوب الصداقة ، لكي تستدرج بعض الدول العربية للوقوع بالفخ خطوة بعد خطوة ، ثم لتجد نفسها في النهاية متورطة باقتراف جريمة تصفية القضية الفلسطينية والقضاء على الثورة الفلسطينية ». [جريدة « فتح » الجمعة ١٩٧٠/٧/٢٤ العدد ٣٥] .

● « وماذا عن اسرائيل خلال كل هذا التسابق والجري للموافقة على مشروع روجرز ؟ انها صامتة تنتظر نتائج التمزق في الموقف العربي ، تنتظر الصراع الذي سيتولد نتيجة

هذا التمزق . وهي خلال هذا كله رابحة » . [جريدة « فتح » الاثنين ١٩٧٠/٧/٢٧ — العدد ٣٧] .

● « سقطت كل الاوراق ، واقتنع اشد المتفائلين بأن ما يسمى بالحل السياسي ، ليس سوى حلقة من مؤامرة تركيع امتنا ، عن طريق تمزيق صفوفها بين مؤيد ومعارض ، وعن طريق اشغال جزء من امتنا بمناورات سياسية ، تستنزف طاقتهم وقدراتهم ، وتحول دون تعبئة هذه الطاقات في موقعها الصحيح .

ولقد ثبت الان بما لا يدع اي مجال للشك ، ان المناورات الاميركية ومشاريع التسوية على هزالها ، ليست سوى نكتة فارغة يتلهى بها اعداؤنا ومؤامرة تستهدف الاستمرار في عملية تدويخنا ، واعطاء الفرصة للعدو الصهيوني للمضي في استيعاب الارض المحتلة ، وتجهيز نفسه بالمزيد من ادوات العدوان . ان العدو الصهيوني مدعوما بالامبريالية لا يريد حلا سلميا ، ولا يريد تسوية .. انه يريد الارض ويريد تركيع امتنا . وبعد ذلك فالامر لديه سيان .. حل سلمي او صلح او غيرهما .. فتلك لا تعود بالنسبة اليه مشكلة » . [مجلة « فتح » العدد ٣٢٢ تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٢] .

ثانيا — كانت مواقف « فتح » المعلنة عبر اجهزة اعلامها حاسمة تماما في كل المشاريع التصفوية التي حاولت ان تحرف مسيرة الثورة تارة باسم الدولة الفلسطينية وطورا باسم مرحلة النضال ، كما كانت هذه المواقف واضحة تماما فيما يتعلق بالاهداف الاستراتيجية للنضال الفلسطيني : « لقد اعلنت حركتنا انها ضد الحلول الاستسلامية كلها ، وهي تؤكد انها لن تقبل بشيء دون التحرير الكامل . ولهذا فنحن لسنا على استعداد للمساومة او القبول حتى بهدنة . ان ما نريده هو التحرير كاملا وشاملا . ولسوف نقاوم كل محاولة او مسعى لفرض الحلول الاستسلامية مهما كانت صيغته . وسنحارب الذين يرفعون شعار الدولة الفلسطينية المزعومة ، كما نحارب العدو الصهيوني » . [نشرة « فتح » الداخلية — العدد ١٠ الاثنين ٢٣ حزيران ١٩٦٩] .

● « لا يمكن ان ترضى الثورة او الجماهير الا بحل واحد ، لا مساومة فيه ، وهو الحل الذي ينبع من ماسورة البندقية ، وماسورة البندقية فقط . هذا الحل الذي يكتب بدم شهدائنا وجرحانا ، وتسطره الاجيال المؤمنة بالنصر .. والنصر فقط . .... لا يمكن ان يقبل اي مقاتل في هذه الثورة التي تمثل الطليعة العربية والثورة العربية بالتراجع . ان الطريق صعب وقاس مليء بالمؤامرات ، فمزيدا من اليقظة ، ومزيدا من الترابط ومزيدا من التحدي ، حتى نحقق النصر على كل الاعداء » . [من كلمة ابو عمار في حفل تخريج الدورة الاولى لفتوة فتح — نشرة « فتح » الداخلية العدد ٤٢ الاثنين ٢ شباط ١٩٧٠] .

ثالثا — الجماهير المنظمة والمسلحة والمعبأة ، هي وحدها القادرة على المضي في الثورة ومواجهة المؤامرات . ومن هنا فان السلاح يجب أن يصبح جزءا من حياة كل فلسطيني. كما ان تنظيم الجماهير يجب ان يكون المهمة الاساسية للطليعة : — « ان الجماهير هي المؤهلة اكثر من غيرها للوقوف في وجه دعاة الحل السلمي . وهذا يفرض علينا كطليعيين نتحمل مسؤولية قيادة الجماهير ان نتجه دوما الى الجماهير ، نضعها في الصورة وبدون ذلك فان الجماهير ستفاجأ بالاحداث وحينئذ ستكون انتفاضتها عفوية ومرتجلة يسهل سحقها والقضاء عليها ... ان الجماهير المنظمة غير قابلة للسحق والهزيمة » . [نشرة فتح الداخلية العدد ٤٢ الاثنين ٢ شباط ١٩٧٠] .

● « التنظيم يتحمل مسؤولية كبيرة وخطيرة تجاه الجماهير ، ومقياس نجاحه وفعاليته يتحدد عبر ما يقدمه التنظيم للجماهير وما تقدمه الجماهير للثورة . وهذه الحقيقة

الاساسية تحتم على التنظيم ان يراجع مواقفه وان يعتمد الاسلوب الاكثر فعالية في الاتجاه الى الجماهير وحشدها من وراء الثورة » . [المصدر نفسه] .

● « لا بد ان ننبه الجماهير الى خطورة هذه التحركات ، وان نطلب الى هذه الجماهير ان تشحذ من يقظتها ، وان تشدد القبضة على البندقية ، وان تحفر الخنادق ، وان تقيم المتاريس وان تستعد لخوض معركتها ، معركة الثورة » . [جريدة « فتح » ــ العدد ٥٠ ، الاثنين ١٠/٨/١٩٧٠] .

● « يقولون لماذا انتم في عمان ..

... نحن في عمان لاننا نريد ان نجعل الجماهير كلها جماهير مقاتلة ، تحارب وتقاتل ، مستعدة لاستقبال العدو ومنازلته .

ونحن واثقون ان عمان التي استعصت على المتآمرين ، لا بد ان تستعصي على جيوش العدو .. نحن هنا اذن لاننا نريد ان نجعل كل الجماهير جماهير مقاتلة ، ولاننا نريد ان نزرع السلاح في كل مكان لنواجه العدو في كل مكان » . [جريدة « فتح » الخميس ١٨ حزيران ١٩٧٠] .

رابعا ــ قبل ان يعلن المجلس الثوري لحركة فتح قراره بالالتزام بالنضال لاسقاط نظام الملك في عمان ، في اعقاب طرح مشروع المملكة العربية المتحدة ــ كانت مواقف فتح المعلنة قد حسمت هذه القضية من خلال تحليلها لطبيعة الصراع ، ومن خلال تأكيدها على الدور التآمري لذلك النظام . والذي يعود الى منشورات فتح عام ١٩٦٥ وما تلاها يجد انه لا يكاد يخلو منشور من فضح مواقف ذلك النظام الخائن للقضية . وعندما طرحت الحلول السلمية في المنطقة ، قالت « فتح » ان ذلك سيستدعي ضرب الثورة الفلسطينية ، وضرب الثورة الفلسطينية سيستدعي بالضرورة تعريب الحرب . وليس اكثر من النظام الاردني من هو مؤهل للقيام بهذا الدور : « تسعى اميركا لفتنة الحرب في الجنوب لتكون حربا بين الفيتناميين وبعضهم بدلا من الاميركيين .. تماما كما يحدث الان في نفس الوقت في المنطقة العربية من محاولات امريكا وعملائها لتعريب الحرب .. لتكون حربا بين الفلسطينيين واللبنانيين والاردنيين بدلا من الاسرائيليين المحتلين ، عملاء امريكا في فلسطين » . [نشرة « فتح » الداخلية ــ العدد ٥١ ، الاثنين ٦ نيسان ١٩٧٠] .

وقد لا نبالغ اذا قلنا ان ما من شيء توقعته نشرة وجريدة « فتح » حول الوضع في الاردن لم يتحقق سواء من حيث تحذيرها طوال اشهر قبل أيلول من حتمية الصدام وكشفها لاساليب النظام في الاعداد للمجزرة .. أم من حيث حديثها المستمر عن عقم الثقة بامكانية التعايش مع هذا النظام بعد ايلول ، وان القتال وليس الاتفاقيات هي وحدها التي تفرض بقاء الاردن وعودته قاعدة للثورة . قبل أيلول قالت نشرة « فتح » : ــ « ان القوى المتآمرة لن تكف عن تآمرها ، بل هي تعمل باصرار على ضرب الثورة ، وبالتالي سحق ارادة الجماهير . هذه القوى وبطبيعة تكوينها وضعت مصيرها في جانب ومصير الثورة والشعب في جانب اخر . ولهذا عمدت ولا تزال الى اتباع كل الاساليب الممكنة لشق وحدة الجماهير والوصول بهذه الجماهير الى هوة الحرب الاهلية ... وهي تعتمد الى تحريض بعض فئات شعبنا بشكل مكشوف ضد فئات اخرى ، وتعمل على فصل الجيش عن الشعب وتعبئته لضرب الشعب وسحق ارادته ، كما جندت ولا تزال عصبة من المثقفين والمنحرفين لخلق جو من التوتر والاستفزاز على امل الايقاع بين ابناء الشعب الواحد » . [العدد ٤٥ الاثنين ٢٣ شباط ١٩٧٠] .

وقالت جريدة « فتح » : « ان المؤامرة تستهدف : ١ ــ تصفية الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية في الاردن عامة لمصلحة الامبريالية والصهيونية وفرض حل استسلامي يكرس

الوجود الصهيوني على حسابنا وعلى انقاضنا . ب ــ خلــق شرخ في صفوف الشعب وحفر هوة ما بين ابناء البلد الواحد من سكان شرق النهر او غربه ، واستنزاف قوى الجماهير وامكانياتها في معارك جانبية . جـ ــ تحويل الجيش عن واجباته في الحدود الى مهمات قمعية في الداخل » . [العدد الاول ــ الاثنين ١٥ حزيران ١٩٧٠] .

● « ان المتآمرين ، وهذا وضع طبيعي يتفق تماما مع تكوين السلطة العميلة وارتباطاتها بأجهزة المخابرات الاميركية ، لا زالوا ماضين بجرائمهم » . [العدد ٨٣ الاثنين ١٤/٩/ ١٩٧٠] .

وبعد ايلول قالت « فتح » :

« كل ما قيل عن الوساطة ومحاولات التوفيق يستند الى اتفاقية القاهــرة . واتفاقية القاهرة تنص في المادة ١٣ على قيام الدول الموقعة بفرض عقوبات على الطرف المخالف. ولعله من الاستخفاف بالعقول ان نورد شواهد على نقض النظام العميل لهذه الاتفاقية .. بعد ان اصبحت الثورة كلها خارج الاردن ! ومن الاستخفاف بالعقول ايضا ان نقول بأن الدول العربية ملزمة باحترام تواقيعها .. فتلك بديهية طالما تحدثت عنها اذاعــات العرب !

الحقيقة التي يجب ان تقال بأنه من السخف بعد الان انتظار وقوع المعجزة ، فنعود الى الاردن عبر الوساطات وعبر الاتفاقيات .. بل من السخف الحديث عن اتفاقية القاهرة والمادة ١٣ ، بعد ان تحولــت في الحقيقة الى عقوبة فرضت عــلى الثورة باسم ضبط الاعصاب والتروي وحقن الدماء ..

قبل المادة ١٣ كنا في كل مكان في الاردن .. بعد عام من هذه المادة ، لم يعد لنا في الاردن غير جماهير مسحوقة معذبة .. تلعننا ، وستظل تلعننا اذا لــم نعرف كيف ننقذها . والانقاذ لا يمكن ان يتم الا عبر الصراع الدامي .. عبر القتال ..

وكفانا حقن تخدير ..

وكفانا صكوك براءة نمنحها لاعداء هذا الشعب ، عندما نرضى ان نتحــاور واياهم ، ولو على طريقة يارنغ .. لقد آن لنا ان نخرج من الخطأ الاستراتيجي الذي وقعنا فيه يوم قبلنــا اصلا بالوساطة مع نظام لا تحتــاج خيانته الى ادلــة او براهين .. ويوم استعضنا عن الجماهير المسلحــة بالوعود وبالمناورات السياسية التي تخالف ابسط منطلقاتنا النظرية .. هذه المنطلقات التي تجاوزت في طرحهــا كل العقليات الاصلاحية المناورة ، واعتمدت الجماهير حصنا وسلاحــا وطريقا » . [العدد ٣٠١ الاربعاء اول ايلول ١٩٧١] .

خامسا ــ كثيرون هم الذين يتجنون على الحقيقة عندمــا يقولون ان فتح تخلط بــين اصدقائها واعدائها .

●● في عددهــا رقم ٤٣ الصادر يــوم الاثنين ٩ شباط ١٩٧٠ قالــت نشرة « فتح » الداخليــة : « اذا اردت ان تبني عــلاقات ثورية حقيقية مــع قوى العالــم التقدمية واليسارية ، فيجب ان تقنع هذه القوى اولا بصحة منطلقاتك ، وبعدها ستجد الجميع يسعى للالتقاء معك كصديق نقف معه في خندق واحد ضد كل اعداء الانسان . انطلاقا من ايمان الثورة بهذه المعاني توجه وفد الثورة الفلسطينية الى موسكو » .

●● وفي العدد رقم ٣٣٥ الصادر في ٢٦ نيسان ١٩٧٢ قالت جريدة « فتح » الاسبوعية : يخلط كثيرون بين الاستراتيجية والتكتيــك ، وهــذا الخلط من اشد الامور خطرا على مسيرة الثورة ، وعلى وجودها نفسه . وحتى لا يكون حديثنا دراسة نظرية نسارع الى القول بأنه يحلو للبعض هذه الايام ان يضع الجميع في سلة واحدة ويعاملهم كأعداء فهذا

البعض يضع الامبريالية الامريكية والعدو الصهيوني والرجعية العربية في نفس المواقع او في نفس السلة التي يضع فيها الانظمة العربية الوطنية والاتحاد السوفياتي وكثير من دول المعسكر الاشتراكي ، وهو من اجل تبرير هذا الجمع لكل هذه القوى في الصف المعادي للثورة يقول بأن الانظمة العربية موافقة على قرار مجلس الامن وعلى جملة المشاريع الدولية الاخرى ، وان الاتحاد السوفياتي معترف (باسرائيل) وهو لا يتبنى شعار الحرب الشعبية الفلسطينية المسلحة الهادفة الى ازالة الكيان الصهيوني من اجل اقامة الدولة الديمقراطية التقدمية ، وبالتالي فلا احد يلتقي معنا والجميع سواسية . هؤلاء لا يريدون رؤية التناقضات الحادة والعميقة بين كل هذه القوى ، هذه التناقضات التي تسمح للثورة الفلسطينية من اقامة تحالفات مؤقتة او دائمة مع بعض هذه القوى» .

وبعد مناقشة تفصيلية لهذه الاراء تخلص جريدة فتح الى القول : « في وضعنا الراهن هذا الموقف السياسي يعني : ١ ــ عزل الثورة عن كافة القوى التي يمكن التحالف معها ، وبالتالي تخسر الثورة الكثير من مواقعها ومن قوتها . علينا أن ننبه بشدة الى ان هذه التحالفات تقوم على اساس البرنامج السياسي للثورة الفلسطينية وليس على اساس برامج القوى الاخرى . ٢ ــ ان هذا الموقف هو دعوة او مقدمة لكي يختفي اي شكل من اشكال الوجود العلني وان تتحول الى جهاز سري محدود ومعزول بعيداً عن الحركة الجماهيرية العريضة » .

سادسا ــ بقدر اهتمامها بتوضيح المواقف السياسية ظلت فتح عبر ادواتها الاعلامية حريصة على معالجة الازمة الذاتية بالاضافة الى اعتمادها مبدأ النقد والنقد الذاتي . ولقد حفلت جريدة فتح بالكثير من الدراسات للممارسات السابقة كلها ، واقتراح الحلول للازمة الذاتية :

في العدد رقم ٣٠٦ الصادر يوم الاربعاء ٦ تشرين الاول ١٩٧١ قالت « فتح » : ان استمرار المراوحة في المكان سيقود بالتدريج الى نزف الثورة والجماهير نزيفا مستمرا لا يوقفه سوى العمل بحسم على تحقيق ما يلي : ١ ــ اعلان خط سياسي واضح يجيب على كافة الاسئلة المطروحة . ٢ ــ القتال بكافة الامكانيات ضد نظام العملاء في الاردن وضد العدو الصهيوني . وهذا القتال لا يقود الى رفع الروح المعنوية فقط ، وانما يقود الى تحقيق الهدف الثالث ايضا . ٣ ــ بناء التنظيم الثوري القادر على ترجمة الخط السياسي الى برنامج عمل يومي والقادر ايضا على المضي في القتال حتى يتحقق النصر .

سابعا ــ واذا كنا لا نريد ان ندخل في تفاصيل مواقف فتح من الوحدة الوطنية ، فاننا سنكتفي بفقرة من الافتتاحية الاخيرة لجريدة فتح قبل ان تتوقف انسجاما مع قرار البدء بتطبيق الوحدة الاعلامية اعتبارا من الخامس من حزيران ١٩٧٢ .

« اذا كنا نشعر بحاجة لان نقول اي شيء ونحن نودع فتح الجريدة ، فهو الرجاء الحار لكل حملة البنادق في هذا الشعب ، بأن تكون خطوتنا هذه حافزا للجميع للارتفاع فوق كل تعصب تنظيمي ، ولتكون وحدة اداة الثورة بالنسبة لنا اهم من اي مكسب تنظيمي مهما كان . نحن في فتح وغيرنا في اي تنظيم اخر دخلنا تنظيماتنا لا عشقا في كلمات واسماء ، وانما من اجل فلسطين ، وفلسطين اليوم تريد قيادة واحدة وتريد اداة واحدة للثورة . ولقد لبينا نحن الامر .. امر فلسطين » .

● ● ●

انطلاقا من كل ما تقدم وبملاحظة مجموعة المواقف التي عبرت عنها ادوات فتح الاعلامية يمكننا ان نثبت الحقائق التالية : اولا ــ ان الاعلام الثوري اولا ، وقبل كل شيء اداة مهمة لدفع مجموع النضالات الجماهيرية والثورية باتجاه آفاقها الاستراتيجية والمتمثلة

بما يلي : أ ــ المساهمة بتعبئة الجماهير ورفع معنوياتها ورص صفوفها مع الثورة كخطوة اساسية على طريق تنظيمها وتسليحها . وهذا ما عبرت عنه ادوات فتح الاعلامية من اذاعات ومجلات وصحف ونشرات وكتيبات ، خاصة في الفترة من حزيران عام ١٩٧٠ الى أيلول من العام نفسه . ب ــ كشف مخططات القوى المضادة وفضحها امام الجماهير : مشاريع التسوية (قرار مجلس الامن ، روجرز ، الحلول الجزئية) والمؤامرات التي كانت تتعرض لها كالشعبة الخاصة والقاء القنابل والمتفجرات . جـ ــ المساهمة في دفع فصائل الثورة نحو الوحدة الوطنية من خلال الحوار والاقتناع الديمقراطي . ومن هنا قامت جريدة « فتح » بفتح صفحاتها لقادة كل التنظيمات الفدائية ، وأجرت معهم احاديث مطولة ، كما استكتبت العديد منهم. وعلى سبيل المثال اجرت احاديث مع الاخوة جورج حبش ، نايف حواتمه ، ضافي جميعاني ، بهجت ابو غربية ، منيف الرزاز . د ــ ساهم اعلام فتح ايضا باتجاه الوحدة الوطنية في الساحة الفلسطينية الاردنية وافرد صفحات مطولة لتثبيت هذه القضية ، كما قام باجراء لقاءات مع معظم الشخصيات الوطنية الاردنية ، واستكتب العديد منهم .

ثانيا ــ وكما اسهم اعلام فتح في النضالات الجماهيرية ودفعها باتجاهها الصحيح ، ساهم ايضا وداخل صفوف الحركة نفسها بالنضال من اجل تثبيت المواقف الصحيحة وادانة المواقف الخاطئة . واكد دائما على اهمية توفر الشروط الاساسية لانتصار التنظيم الثوري ، وذلك بتجاوز اوضاعه السلبية ، وبتعميق مفهوم العمل التنظيمي والسياسي واهميته . كما أكد مرارا على ضرورة العمل السياسي واهميته داخل القوات المسلحة . وليس من قبيل الصدفة ان يقوم اعلام فتح المركزي بالاشراف على مدارس الكادر في حركة فتح ، خاصة عام ١٩٧٠ ، وتمثل ذلك بمعسكر ٩٩ الذي تدرب فيه كوادر التنظيم وكوادر من القطاعات العسكرية ومن الميليشيا ايضا . وهذا يوضح ان دور الاعلام الثوري لا يقتصر على الاعلام السياسي للحركة ، وانما يسهم في صميم البناء الحركي نفسه .

ثالثا ــ اهتم اعلام فتح بشكل واضح ومركز بنقل التجارب الثورية وتقديمها للمناضلين والجماهير . وقدم العديد من الدراسات والريبورتاجات عن ثورات الصين وفيتنام وكمبوديا ولاوس وكوريا والاتحاد السوفياتي والبانيا ويوغوسلافيا وكوبا والتوباماروس ، وذلك بهدف ترسيخ مفهوم وحدة المناضلين والثوار في هذا العالم . وليس صدفة ان زاوية اسبوعية من صفحتين تقع تحت عنوان : العالم جبهة قتال .

● ● ●

تبقى كلمة اخيرة . .

لقد وعت فتح منذ البداية طبيعة المرحلة وعرفت الاعداء من الاصدقاء . . وحللت الظروف المحيطة بعملها وما ستتمخض عنه من مؤامرات تسعى لذبحها ، لان ذلك هو وحده طريق ذبح الثورة الفلسطينية وبالتالي فرض الركوع على شعبنا وامتنا بتصفية كل حركة التحرر الوطني العربية . . فهل كانت ممارسات « فتح » على مستوى وعيها النظري ؟ ليس هنا مجال الرد على هذا التساؤل او مناقشته . . ولكننا نثق بأن « فتح » التي تجاوزت كل الظروف المعيقة والشائكة ، قادرة في هذه المرحلة ايضا على تجاوز كل الازمات ذاتية كانت ام موضوعية . . اذا ما استمرت في امتلاك الارادة نفسها التي جعلتها عام ١٩٦٥ تقفز فوق كل العقليات السلبية والمناورة والمنهزمة . . وتبدأ حرب الشعب . . وشبابنا المنزرعون في بيارات غزة وقمم العرقوب والجولان . . يملكون حتما هذه الارادة .

النزول عن الكرمل

محمود درويش

ليومٍ يُحدّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي .
تركتُ ورائي حذائي ، وبيجامتي ، وضريحاً مُعدّاً لأيّ كلامْ
تركتُ التي أوجَعَتْها ذراعي . تركت التي أوجعتني يداها
تُفتّشُ عن عاشق بعد خمس دقائق من هجرتي .

ليومٍ يحدّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي
تمرُّ الرصاصةُ فوق جبيني ، وتجمعُني مثلما تجمع القبلةُ الشفتينْ
وتولدُ رمّانةٌ في الصخور التي دجّنتْني ، وتجعلني عاشقين
بعيداً .. بعيداً . وآخرُ أيامنا تتقاضى مكافأة الانتظارْ
ولا أقَعُ الآن في الفرق بين اسمكَ الحلو والرّقم المستعار

ليومٍ يحدّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي .

تخيّلتُ أنكَ مُتّكَئي
فسئمتُ العلاقة بين المسامير والخشَبَهْ
وحين ترجّلتُ عن قمّة الرمح والجرح أمسكتُ شيئاً
فكان حذاء الحرسْ
يكمّلني هابطاً .. هابطاً
منذ ذاك النهار المبكّر أبحث عن موطيء القدمين
وأتبعُ نهراً ، ولا أتبع الموج . والنهرُ لا موج فيه
لأني أحاول أن استردّ زفيري .

يُقاسمُني ضابطٌ عربيٌّ جراحي
ويحرسها كي ينـال وساما
ويمنعني عن مواصلة الموت ، يأخذ نصف جراحي
ويترك نصفاً لأمن الأممْ .
يهزّ أصابع كفّي
فتسقط ذكرى ،
رصاصٌ قـديم ،
صنوبرةٌ ،
ثمر فاسدٌ ،
تهمـةٌ ،
أسئـلهْ
يفتّشُ كفيَّ ثانيـةً فيصادر حيفا التي هرّبتْ بندقيّه

ويا أيهـا الكرملُ ،
الآن تقرع أجراس كل الكنائسْ
وتعلن أنّ مـاتي المؤقّت لا ينتهي دائمـاً ، أو ينتهي مرةً . أيهـا الكرمل ، الآن تأتي اليـك العصافيرُ من ورقٍ . كنتَ لا فرق بـين الحصى والعصافيرِ ، والآن بَعْثُ المسيح يُؤجّل ثانيـةً . أيها الكرمل ، الآن تبدأ عطلةُ كل المدارس .

وتُنشدني الآن فيروز . والآن نأخـذ أنبوبـة من حبوبٍ تُسيل الدموع ، فنبكي على جبل طائر في الرؤى . أيهـا الكرمل ، الآن يجعلني ضابط آخر عرضة للخلود .

بُعدنا عن الشجر . ألبحرُ فاصلةٌ بيننا
وها نحن بين الطهارة والاثم شيئان يلتحمان وينفصلان

كأنّ الأحبّة دائرةٌ من طباشيرَ
قابلةٌ للفناء وقابلة للبقاء .
وها نحن نحمل ميلادنا مثلما تحمل المرأة العاقر الحُلُما
وها أنتَ مئذنة الله حيناً
وقُبّعةٌ لجنود المظلّات حينا
وها أنتَ يا كرملي كُلّما جرّدتني الحروب من الأرض أعطيتني حُلُما..
وها أنا أُعلن أن الزمان تغيّر :
كانت صنوبرةٌ تجعل الله أقربْ
وكانت صنوبرة تجعل الجرح كوكب
وكانت صنوبرة تُنجب الأنبياءْ
وتجعلني خادماً فيهمُ
أيها الكرمل المتشعّب في كل جسمي
لماذا تحمّلني كل هذي المسافات
والبحرُ فاصلةٌ بيننا ؟ .

أوقفتني فتاةٌ معبّأة بالدوالي
وكانت تغنّي على طُرُق الشام :
يا ليت دالية واحده
لم تسافر معي .. فأعود اليها
ويا ليتها لا تقارن صدرك بالموتِ
كنت حبيبي – لأن معانقة الكرملِ اندلعتْ في خيالي

قبّلتني فتاةٌ لأني لفظتُ أسم كرملها في مُكَبِّر صوت ، فجاءت الى فندقي لتقول « أُحبّك » ، والتجأتْ لاسمه في ذراعي .
– وماذا يقول الجبلْ ؟
● بكى قصبٌ في الغدير ، وكان الغدير مرايا ، فلم ينطق الجبلُ
– وهل رحلوا ؟
● تصبّبتِ الريحُ من جبهتي فمسحتُ الرياح كما تمسحين العرق ..

تذكّرتُ أني نهضت صباحاً ، وكانت شهادةُ ميلاد أُمّيَ قابلة للنقاش
وكانت أناشيد صوت العرب
تُرَتّبُ أمتعة اللاجئين ، وتبني جسور العبور ، وصارت فلسطين
أقرب ، فاختلف اللاجئون على موسم القمح والبرتقال .

أوقفتني فتاةٌ معبّأةٌ بالدوالي
وكانت تغنّي على طُرُق الشام :
يا ليت داليـة واحده
لم تسافر معي .. فأعود اليها
وقالت : لماذا أتيت ؟
فقلتُ : لأحمل أمتعة اللاجئين
وقالت : أُحبُّكَ
قلـت : مع الوقت ينفجر الحب فينا ، فمـا تصنعين !
فقالت : توظّفتُ عشرين عاماً على مشنقه
وحين ترجّلتُ لم أجد الأرض
ضاعت مع الريح حرّيتي !..

وسافرتُ —
يا أيها الكرمل ، البحر ، والعشب ، والنار
يا صخرة الفرح العائمـه
وصمّمتُ جلدي قميصاً لأُخفيَ آثار طعنتك النادمه
فأنكرني ضابطٌ عربيٌّ ،
وكنتُ على باب أمي هناك أنادي دمشقْ
فتسمع نبض دمي في حفيف صنوبركِ المبتعد
وتغسلني دجلةُ الخير حين أموت من الوجد شوقاً الى أرض بابل .
وها أنذا الآن
حين دخلتُ الى الجامع الأمويّ تساءل أهل دمشق :

مَنِ العاشقُ المغتربْ ؟
وكانت مياه الفرات ونافورة النيل تحذف آثار زنزانتي عن ضلوعي .
وحين وقفتُ على النيل يوماً ، وشاطيء دجلة يوما
تساءل كل الذين رأوا دهشتي
مَن السائح المغتربْ ؟ ! .

بعيداً .. بعيداً تكون جراح الحسين مناره
وعند اللقاء يفرّون منها
ويرجمها ضابطٌ بالحجاره ..

وسافرتُ — يا أيها الكرمل القافيه
في أناشيد أهلي البعيدين
يا أيها الكرمل الكارثه
حين تقترب الخيلُ من خندق الحاميه

تركتُ الحبيبة — لم أنسها — في غروب الشجرْ
تطرّز من زَبَد البحر منديلها وضمادي
توهّمتُ أنّ السموات أبعدُ من يدها عن جبيني
وأوهمتُها أن قلبي يصلْ
ولكنني كنتُ أشعر أن العصافير كانت معرّضةً للاباده
وأنّ يدي تنتقلْ
الى جُثّة ضائعه

تركتُ الحبيبة — لم أنسها — عند سفح الجبل
تُعير العصافيرَ ألوانها
وكانت يداها ينابيـع من كلّ لونٍ وما اشتُقّ منـه
وحدثتها عن معاني القبل
وقلتُ لها : لن أُحدّق فيك
لاني نسيتُ صلاة الهوى . من تملّاكِ صلّى .

ولكنني كنتُ أشعر أن الينابيع كانت معرّضة للجفاف
وأنّ فمي ينتقل
الى لُغَة ثانيــه

تركتُ الحبيبة لم أنسهـا
تركت الحبيبه
تركت ...

أُحبُّ البلاد التي سأحبْ
أحب النساء اللواتي أُحب
ولكن غصناً من السرو في الكرمل الملتهب
يُعادل كل خصور النساء
وكلّ العواصم

أُحب البحار التي سأحبُّ
أحب الحقول التي سأحبُّ
ولكنّ قطرةَ ماءٍ بمنقار قُبَّرة في حجارة حيفا
تعادل كل البحار
وتغسلني من ذنوبي التي سوف أرتكبُ

أدخلوني الى الجنّــة الضائعه
سأطلق صرخةَ ناظم حكمت :
آه . . يا وطني !..

العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية

المقدم الهيثم الايوبي

« أي نصر كبير تنتظرون اكثر من افهام عدوكم بانه عاجز عن قتالكم »
(مونتيني)

جدلية العمل والردع : العمل والردع مفهومان جدليان يدخلان في التخطيط الاستراتيجي على جميع المستويات . واذا كان العمل يعني **اللجوء الى القوة** بمختلف مستوياتها واشكالها لقهر ارادة الخصم فان الردع هو محاولة قهر هذه الارادة عن طريق **وجود القوة أو التلويح بها واستعراضها** . ويستهدف هذان العاملان التأثير على حرية عمل الخصم وتحديدها ومضاعفة قيودها والوصول في حالة النجاح الكامل الى شل القوة المعادية وتجريدها من المبادهة ومنعها من العمل ، مع منح القوة الصديقة حرية العمل والمبادهة بأوسع معانيها ، علما بأن حرية عمل أحد الطرفين في كل نزاع تقيد حرية الطرف الاخر وترسم حدودها وأبعادها . ويضم كل مشروع أستراتيجي مزيجا من العمل والردع ، وكلما تزايدت القدرة على الردع قل العمل وتحقق النصر (قهر ارادة الخصم) مع استخدام قسط صغير من العمل ، ويصل العمل الى أدنى درجاته واقلها عنفا عندما يرتفع الردع ليصبح شاملا . وكلما قلت حدة الردع ومقدرته على التأثير ازدادت الحاجة لعمل أكبر يمارس دوره الضاغط في حوار الارادات . ويكمن الفرق بين الردع والعمل في أن بوسع الردع أن يلعب دوره مع غياب عنصر العمل نظرا لانه يعتمد في الاساس على وجود القوى والتهديد بالعمل الكامن الذي تمثله هذه القوى ، على حين أن العمل الذي يستخدم جميع القوى أو جزءا منها يحمل في طياته شيئا من الردع الذي يدفع الخصم الى التفكير بالاخطار التي يمكن أن يتعرض لها اذا ما تصاعدت العمليات وتم استخدام القوى الباقية التي لم تدخل مجال العمل بعد . « اذا اردنا أن نمنع شيئا استخدمنا الردع ، وان شئنا تحقيق أمر ما كان لا بد من العمل »(١) . يقودنا تحليل هذا القول الى أن فكرة الردع تحمل قيمة سلبية تتمثل في **منع** الخصم من المبادرة والقيام بعمل من الاعمال لتحقيق هدفه السياسي — وهذا في حد ذاته جزء من هدفنا السياسي — على حين تحمل نقيضتها (فكرة العمل) قيمة ايجابية تتمثل في **تحقيق** الهدف السياسي المنشود رغم المعارضة التي يمكن ان يبديها الخصم أو حلفاؤه . ويستهدف الردع قبل كل شيء الحفاظ على السلم ، وتثبيت « الوضع الراهن » في منطقة محددة ، ومنع هذا العمل المعادي أو ذاك ، والحد من اتساع النزاعات او حدتها ، وهو في هذه الحالة **ردع دفاعي** يختلف عن **الردع الهجومي** الرامي الى شل مقاومة العدو ومنعها من الرد على عمل من أعمال الصديق . ومع هذا ، وبالرغم من وجود « ردع دفاعي » و « ردع هجومي » فان جوهر الردع في الاساس دفاعي ، على حين أن جوهر العمل هجومي يستهدف اجبار الخصم على تبديل « الوضع الراهن » تحت ضغط العنف بأعلى أشكاله ، وتحقيق نتيجة نعتبرها **ربحا** سواء أكان هذا الربح ايجابيا (أخذ شيء من الخصم) أم سلبيا (الحفاظ على ما نملكه) .

وبالرغم من تباين قوانين العمل والردع واختلاف اساليبهما،وعدم تماثل حدة استخدامها للادوات المتشابهة ، فان النتيجة التي يعملان من أجلها بشكل **مباشر او غير مباشر** ، ويسعيان الى تحقيقها داخل معسكر الخصم أو داخل **حلقته القيادية** الرئيسية هي نتيجة سيكولوجية تدفع الخصم الى ايقاف العمل بعد البدء به (العمل) أو الامتناع عن القيام به أصلا (الردع) بعد اجراء مجموعة من **العمليات الحسابية** التي تقارن مجمل المخاطر التي يمكن ان يتعرض لها — اذا استمر في العمل أو اذا بدأ به — والغنم الذي يمكن أن يحصل عليه ، وتتأكد من ان الخسائر ستكون أكبر من الارباح ، وأن متابعة الصراع ستؤدي الى كارثة أو ستؤدي الى وقوع أضرار بالغة على الاقل ، وأن الارباح مهما بلغت أهميتها قد تكون عاجزة عن تعديل قيمة الخسائر — على الصعيدين الداخلي والدولي — حتى لو تم الانتصار .

ميكانيكية العمل والردع : يوجد العمل والردع حيثما يوجد النزاع ، مهما كان حجم هذا النزاع وحدته . وهما يقومان بتأثيراتهما بشكل متناوب او متطابق سواء بقي النزاع في مستوى الحرب الباردة أم انتقل الى مرحلة الصدام المسلح . ويلعب هذان العاملان دورهما في الصراع العربي — الاسرائيلي الذي كان منذ بدايته (مع بدايات الغزو الصهيوني الاستيطاني المسلح) ولا يزال حتى اليوم ، ورغم الاشكال المختلفة التي أخذها (صدام شامل ، عمليات محدودة ، قصف جوي ، تجسس ، تخريب ، هدنة ، وقف اطلاق نار . . . الخ) عبارة عن نزاع مصيري لا هوادة فيه بين طرفين يستهدف أحدهما الحفاظ على حقه وأرضه وحضارته ، على حين يحاول الاخر انتزاع الارض وحرمان اصحابها من حقهم في العيش عليها ، بغية اسكان يهود العالم وفرض سيطرتهم وحضارتهم على المنطقة كلها . ولا شك في أن حدة النزاع وطول مدته وتعقيده وتشابك العوامل المتداخلة فيه ناجمة عن أهمية « هدف النزاع » المذكور وحيويته بالنسبة للطرفين ، وضخامة الاخطار المادية والمعنوية والحضارية التي يمكن ان يتعرض لها من يستسلم منهما او يكف عن الصراع بمختلف أشكاله .

اننا نعتبر ان حربنا التحررية ضد العدو الاسرائيلي ستكون حربا طويلة ضارية لان قواعد الحرب طويلة الامد تؤكد ذلك ، ولان العدو يملك من القوى المادية والمعنوية (الداخلية والخارجية) والدوافع الناجمة عن اهمية « هدف النزاع » ما سيجعله يقاتل بشراسة لم يقاتل بها الفرنسيون في الجزائر او الامريكيون في فيتنام ، حتى بعد وصولنا الى المرحلة الثالثة من مراحل حرب التحرير الشعبية (مرحلة الهجوم المضاد الشامل) لانه سيقاتل آنذاك ، وحسب التعابير الاسرائيلية الشائعة ، قتالا « لا مناص منه » و « ظهره الى البحر » . ويرى الاسرائيليون أيضا أن صراعهم مع العرب سيكون طويلا عنيفا . لان أهمية الهدف بالنسبة للعرب ، وضخامة الامكانات العربية الكامنة ، وبوادر الوحدة والتطور العربيين ، واحتمالات تبدل موازين القوى العالمية لصالح المعسكر التقدمي المعادي للعدوان ، ترسم كلها آفاق تحول جذري ستنبثق عنه بلا جدال قوة تهدد الوجود الاستعماري الاسرائيلي المصطنع في قلب المنطقة العربية . واذا كانت القوى الثورية العربية تنادي باعداد وشن **حرب تحرير شعبية طويلة الامد** ، فان القوى الامبريالية — الصهيونية — الاسرائيلية تطبق ضدنا **حربا استعمارية طويلة الامد** تعتمد على استمرارية الصراع ، ومتابعة الضغط والهجوم والمباداة خلاله ، مع تناوب الردع والعمل حسب مقتضيات الموقف المحلي والعالمي ، وموازين القوى الملموسة الجاهزة للاشتباك في لحظة معينة .

أهداف الردع الاسرائيلي : اذا راجعنا تاريخ الصراع العربي — الاسرائيلي منذ بدايته حتى اليوم وجدنا أن خطة **الحرب الاستعمارية طويلة الامد** هذه تتلخص في اختيار اسرائيل للظرف الدولي والعربي الملائم لها لتسديد ضربة قوية (عمل اقصى) تحقق

انتصارا عسكريا ، وتقدم مكاسب اقليمية مادية ومعنوية ، والانتقال بعد ذلك الى الدفاع عن هذه المكاسب والحفاظ على « الوضع الراهن » عن طريق التلويح بالقوة (الردع الشامل) بغية « تجميد الكفاح العربي ليستنقع في الحركة الصامتة لسباق التسلح . من غير اطلاق نار ولا معارك ، لتنام القضية دوليا وتهدأ ، وليموت الكفاح العربي بعجزه عن خوض حرب التحرير التي لا حياة له بدونها »(٢). وقد يتخلل ذلك استخدام جزئي للقوة (العمل الجزئي) لتحقيق مكاسب مادية صغيرة يضاف اليها عدد من المكاسب المعنوية التي تتراكم مع رصيد الردع . وعندما تجد أن الردع لم يعد كافيا ، أو أن الظروف الدولية والعربية ملائمة من جديد ، أو أن هناك احتمالا لانقلاب أحد الظروف ضدها بشكل يبدل موازين القوى فانها تعود الى تسديد ضربة وقائية (عمل أقصى) تجهض بها اية محاولة لتهديدها قبل استفحال خطرها . ولتأمين الحفاظ على « الوضع الراهن » وحماية المكاسب ، يسعى الردع الاسرائيلي الى تحقيق نتائج نفسية متعددة اهمها خلق تناقض داخل الانسان العربي بين الرغبة بالتحرير وعدم القدرة عليه ، واخضاعه لضغط معنوي مستمر يجعله في موقع المحاصر بين الرغبة بالعمل والعجز عنه ، ويقوده في نهاية المطاف الى الخضوع للاحتلال النفسي الذي يفوق في أهميته الاحتلال العسكري المادي لانه مبني على **قناعة ضمنية بضخامة القوة الاسرائيلية وعدم جدوى الصراع معها** ، أو كما يذكر آلون في كتابه « الستار الرملي » : « الوصول الى النتيجة بأن اسرائيل حقيقة واقعة في المنطقة لا يمكن ازالتها من الوجود ، وان مصير أية محاولة اخرى لمهاجمتها هو الفشل المؤكد »(٣). ومع استمرار الردع وانعدام العمل والعمل المضاد يحاول العدو قلب « الوضع الراهن » الى « وضع راهن مقبول به » ، أو مسلم به ، أو يمكن التعايش معه ، او قلبه ان أمكن الى « وضع معترف به قانونيا ». ولقد صرح الجنرال موشي دايان بعد حرب ١٩٦٧ حول ذلك بقوله : « ان هدف اسرائيل هو تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى سلام دائم مع العالم العربي . وللوصول الى ذلك ، فان علينا حماية حدودنا الجديدة بطريقة تطرد أدنى أمل قد يعلق في اذهان اعدائنا بقدرتهم على طردنا بقوة السلاح »(٤). وتحدث آلون عن ذلك خلال شرح ضرورة تقوية الجيش الاسرائيلي فقال : « اذ من المعروف انه طالما أن الجيش قادر على حسم المعركة والانتصار فيها . . فان ذلك يؤدي الى ردع العدو من الدخول في حرب جديدة . وارتداع العدو ولفترة زمنية طويلة من شأنه أن يؤدي الى تسليم بالامر الواقع والتسليم يؤدي بالتالي الى السلام . . . »(٥). ولقد لخصت مجلة « الازمنة الحديثة » السوفييتية أهداف خطة الردع التي يطبقها العدو الاسرائيلي بعد حوادث القصف الجوي المتكررة ضد سوريا ولبنان ، وقبيل عدوان ١٦ ايلول ١٩٧٢ على جنوب لبنان بما يلي : « وتريد تل ابيب وحماتها الامريكان عرض العضلات واستعراض القوة العسكرية لغرض كسر الرغبة في نفوس العرب في النضال من أجل استعادة الاراضي المغتصبة في سبيل التسوية العادلة لنزاع الشرق الاوسط »(٦).

أساليب الردع الاسرائيلي : وللوصول الى كل هذه النتائج . وتحقيق الردع على مختلف درجاته ومستوياته ، تلجأ اسرائيل الى التدابير التالية : ١) خلق القوة الرادعة ، ٢) التلويح بالقوة مع رفع مستوى التصديق ، ٣) التأكيد على جدية التهديد بالهجوم المضاد الاجهاضي ، ٤) الردع غير المباشر ، ٥) تحقيق « الردع النشط المتدرج » عن طريق « الرد المرن » (الذي يدخل في مجال بحث العمل) ، ٦) الاعتماد على عقائد الخصم .

١ ــ **خلق القوة الرادعة** : تحاول اسرائيل منذ نشأتها حتى اليوم الارتفاع بالردع الى مستوى الردع الشامل . ولقد سمح لها ميزان القوى المادية والمعنوية ، واختلاف أهمية النزاع بينها وبين الدول العربية ، والوضع الدولي المساعد (الدعم الامبريالي والضمان

الثلاثي الامريكي ـ البريطاني ـ الفرنسي) وعدد من العوامل الذاتية العربية (انعدام الوحدة ، التخلف الاجتماعي والتقني ، الصراعات الداخلية والاقليمية) بتحقيق هـذا الردع ازاء الدول العربية المحيطة بها ، والتي اضطرت الى الوقوف موقف الدفاع بعد حرب ١٩٤٨ . وكان هذا الردع الشامل والموقف العربي الدفاعي الذي نجم عنه وراء سكون الجبهات العربية ـ الاسرائيلية في فترة ٤٨ ـ ٥٦ وفترة ٥٦ ـ ٦٧ وجزء من فترة ٦٧ ـ ٧٢ . ولكن هناك مراحل مؤقتة انخفض فيها الردع الشامل الى مستوى الردع المحدود على مختلف درجاته ، وهي فترة كسر السلاح ودخول السلاح السوفييتي الى الجيشين السوري والمصري قبل حرب ١٩٥٦، وفترة الوحدة المصرية ـ السورية، وفترة اعادة تشكيل القوات المصرية قبيل حرب ١٩٦٧ ، وفترة حرب الاستنزاف وتدفق الاسلحة السوفييتية وخاصة الطائرات ميغ ٢١ وسوخوي والصواريخ المضادة سام ـ ٢ و سام ـ ٣ بعد حرب ١٩٦٧ ، ولعلنا نشهد اليوم بداية فترة جديدة من فترات الردع المحدود بعد المحاولات الجادة التي يبذلها الاتحاد السوفييتي لاعادة تسليح سوريا بأسلحة متطورة ، وزيادة فاعلية الجيش السوري ورفع مستوى قدرته القتالية ، وان كنا نعتقد بأن انخفاض الوجود السوفييتي في مصر قد يقلل من ذلك الاحتمال . ويمكننا ان نلاحظ هنا أن العمليات الاسرائيلية تتزايد مع تناقص شمولية الردع (العمليات الاسرائيلية ضد قطاع غزة ١٩٥٥ ، وعملية البطيحة على الجبهة السورية ١٩٥٥، عملية التوافيق ١٩٦٢ ، عملية السموع ١٩٦٦ ، قصف مشروع التحويل قبيل حرب ١٩٦٧ ، القصف الجوي والاشتباكات على الجبهة السورية في ايلول ـ تشرين الاول ١٩٧٢ ... الخ) ويتم تصاعدها حتى تصل الى الصدام الشامل (١٩٥٦ و ١٩٦٧) عندما يصل الردع الى حدوده الدنيا .

اما بالنسبة لحركة المقاومة فقد كان الردع متدنيا بل معدوما منذ البداية ، **نظرا لروحها الفدائية ومبررات انطلاقها التي تعتبر ردا على الاحتلال ورفضا للهزيمة والردع ، ولاهمية « هدف النزاع » بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني (وجود أو لا وجود) ، وانعدام الاهداف الحيوية الفلسطينية الضخمة(مدن، مصانع، مراكز عسكرية كبيرة... الخ) التي يمكن ان يشكل التهديد بضربها او خسارتها تأثيرا رادعا حاسما** ـ باستثناء مخيمات اللاجئين التي لا يستطيع العدو الاسرائيلي حاليا التوصل اليها أو ضربها على نطاق واسع دون التعرض لحملة استنكار عالمية شديدة . ولقد ادى انخفاض مستوى الردع بالنسبة للمقاومة رغم تهديدات العدو وحجم قواته الى اضطرار القوات الاسرائيلية الى زيادة العمل وتصعيده ضد قواعد المقاومة لتحقيق الردع المباشر ، مع اللجوء الى ضرب الدول العربية المضيفة لتحقيق الردع غير المباشر ، بالاضافة الى السير خطوة حذرة على طريق قصف المدنيين في المخيمات . وسنعود الى هذا الردع غير المباشر في فقرة تالية .

ويعتمد الردع الاسرائيلي على ضخامة حجم القوة العسكرية الاسرائيلية ومستوى فاعلية قواتها الضاربة (مدرعات ، طيران ، قوات محمولة جوا ، صواريخ أرض ـ أرض) . ويؤكد الجنرال ييغال آلون ذلك في كتابه « **ألستار الرملي** » عندما يقول : « وكلما عززت اسرائيل قوتها الاجتماعية والعسكرية على مستوى رفيع تزيد من امكانية الردع »(٧) ... « ان الامل الوحيد بردع العدو حتى لا يفترض حربا على اسرائيل يرتبط بقوة جيش الدفاع وبطريقة استخدامها »(٨) وعندما تحدث آلون في كتابه « **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** » عن بناء الجيش بعد حرب ١٩٤٨ استعدادا للجولة الثانية مع العرب قال : « كانت الغاية من هذه الاستعدادات هي تجنب الحرب المهدد بها ، أما الوسيلة فهي بناء أداة عسكرية قوية تردع العدو عن الهجوم ، واذا قامت الحرب رغم ذلك تكسبها »(٩). ثم عاد ليكرر الفكرة نفسها بشكل أكثر صراحة عندما

تحدث عن تشكيل القوات العسكرية الاسرائيليـــة بعد حرب ١٩٦٧ وقال : « ان هدف هذه القوات الصريح والمعلن هو ردع العدو عن بدء حرب جديدة . واذا قامت الحرب رغم ذلك ، تضمن النصر الاسرائيلي بأكبر قدر من السرعة والكفاءة مـــع أقل قدر من الخسائر »(١٠) دون ان يخرج في قوله هذا عن فكرته التي صاغها في عام ١٩٦٨ عندما قال « ان ما نحاول تحقيقه هو احراز القوة العسكرية الضرورية لردع محاولات تجديد الاشتباكات على نطاق واسع »(١١). ويمكننا أن نذكر العديد من تصريحـات الزعماء الاسرائيليين التي تبني الردع على قوة السلاح . ويذكر الجنرال حاييم بارليف رئيس الاركان السابق « ان الخطوط الرئيسية في تخطيط قوات الجيش الاسرائيلي تعتمد ، منذ السنوات القليلة الماضية ، على مبدأ **الاولويات** . ونحن مقتنعون، حتى بعد حرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] ، **ان الافضلية القصوى يجب ان تعطى لعناصر قوتنا التي تمتاز بقيمة ردعية والتي تنتسب للقوات الرادعة**.تلك القوات قادرة على نقل الحرب الى اقليم العدو، وقادرة على دحر العدو اينما كان.هذا موقف ثابت لن يتغير.ان القوات التي تحتل المراكز الاولى في سلم الاولويات هي السلاح الجوي، القوات المدرعة، والقوات المحمولـــة جوا . أما عناصر قواتنـــا المسلحة الاخرى فهي ، الى حـــد كبير ، عناصر مساعدة»(١٢). وفي احتفال يوم سلاح المدرعات (١٩٧٢) قالت رئيسة الحكومة غولدامايير للضباط : « ان اعداءنا يحافظون على وقف اطلاق النار ليس من حبهم للسلام بل من خوفهم من الدبابات والجنود والطيارين الاسرائيليين »(١٣) وينطبق هذا القول على مـــا قاله قائد سلاح الطيران الجنرال مردخاي هود عند التحدث عن توقف اطلاق النار على القناة « لقد تمت المحافظة على الهدوء النسبي المستمر منذ سنتين بفضـــل قوة الردع التي يمتلكها جيش الدفاع . ان قوة الردع لدى جيش الدفاع تنبع من لياقة هذا الجيش واستعداده وقوة سلاح الطيران »(١٤) كما ينطبق على ما قاله الجنرال اسحاق رابين لافريل هاريمان السفير المتجول والمبعوث الخـــاص للرئيس جونسون في مطلـــع آذار ١٩٦٥ . فلقد سأل هاريمان الجنرال رابين خلال زيارة الحدود السورية ــ الاسرائيلية والاطلاع على مشروع تحويل مياه نهر الاردن « متى ستنشب الحرب » فأجابه رابين : « يجب ألا تنشب ، وعلينا ألا نعبر الحدود لكي نمنع هذا التآمر ، ولكن من أجل ذلـــك على اسرائيل أن تكون قوية ، وعلى العرب أن يكونوا واثقين من أننا أقوياء »(١٥).

ويستخدم الساسة الاسرائيليون هـــذه الفكرة نفسها للحصول عـــلى دعم الامبريالية الراغبة بتهدئة المنطقة **والحفاظ على الوضع « الراهن » فيها بما في ذلك من استغلال وبلقنة وتخلف** . وهم يطالبون بتزويدهم بالاسلحة والطائرات التي تكفل تفوقهم الساحق على العرب مجتمعين ، وتؤمن بالتالي الردع والسلام [!!] المؤقت الذي يضمن هضم المناطق المحتلة استعدادا لعملية احتلال جديدة . ولقد ذكر أبا ايبان في مقابلة أجراها في نيسان ١٩٧١ مع اذاعة اسرائيل ما يلي : « لن تتخلى الولايات المتحدة عن اسرائيل لانها توصلت هذا العام الى استنتاج هو انها تدعم اسرائيل لا لمجرد العطف عليها ، بل كما ذكر نيكسون للحيلولـــة دون خـــرق ميزان التسلـــح لان ذلـــك ضروري للمصالـــح الامريكية »(١٦). وأورد كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** أن افريل هاريمان السفير المتجول والمبعوث الخاص لجونسون حكى لصديق يهودي أنه اقتنع بعد جولته في عام ١٩٦٥ في منطقـــة الحدود السورية ــ الاسرائيلية بضرورة مساعدة اسرائيـــل « وبأن عليه ان يوصي لدى الرئيس جونسون بمنح اسرائيل أسلحة وان يبيعها للمـــرة الاولى طائرات »(١٧)، وهذا ما دفع الجنرال عيزر وايزمان الى زيارة الولايات المتحدة في العام نفسه لطلب ٦٥ سكاي هوك و ٤٥ فانتوم معززا طلبه بقوله « كلما كنا أضعف كلما زاد ميلنا للهجوم المسبق في لحظة الخطـــر »(١٨). وبعد حرب ١٩٦٧ زار الجنرال وايزمان الولايات المتحدة ثانية ، وتحدث أمـــام الجنرالات الامريكيين عن أسباب اندلاع الحرب بقوله : « لم تكن لدينا طائرات بما فيه الكفاية ، وعرف العرب هذا ، ولذلـــك

فقدنا قوة الردع الخاصة بنا ، وأدى هذا الامر الى التحدي العربي الذي أدى في النهاية الى حرب الايام الستة »(١٩) ثم انتقل الى الحديث عن منع الحـــرب عن طريق الردع وزيادة الاستعداد . وختم كـــلامه مطالبا بتزويد اسرائيل بالسلاح الامريكي قائـــلا : « انتصرت اسرائيل في حرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] بمساعدة العتـــاد الفرنسي الذي كان بحوزتها . ولكن عليها أن تمنع الحرب القادمة بمساعدة العتاد الامريكي الذي ستحصل عليه »(١٠). ولقد اشترك الجنرال حاييم بارليف عندمـــا كان رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي في حملة المطالبة بالدعم والاسلحة والطائرات عندما قال : « وليس هناك من سبب يجعلنا قلقين على وضعنا ازاء التجهيز والتسليح : ان الوضع الحالي ، برغم انه ليس هناك حدود في هذا المجال ، يبعث على الارتياح عدا الطائرات المتقدمـــة جدا . ان من المهم جدا أن نحصل على هذه الطائرات لسبب رئيسي هو صفتها الردعية . اننا لا نسعى الى الحرب ، والعامل الرئيسي لمنع الحرب هو قوتنـــا الرادعـــة . وان الطائرات المتقدمة مهمة جدا للوصول الى هذه الغاية »(٢١). ثم ادلـــى اسحاق رابين سفير اسرائيل في الولايات المتحـــدة بدلوه في هذا المجال ، وصرح أمـــام مؤتمر اللجنة الامريكية ـــ الاسرائيلية للشؤون العامة « أن باستطاعة اسرائيل أن تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالـــم العربي مجتمعة لايـــة فترة ممكنة ـــ خمسة أو عشرين او خمسين سنة ـــ ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمـــة لدفاعنا »(٢٢). وهذا يعني ان اسرائيل مستعدة لتنفيذ استراتيجية امريكا لمحاربة الآسيويين بالآسيويين (بعد تطويرها) شريطة تزويدها بالاسلحة والمعدات اللازمة للتفوق على العرب وردعهم . ولقد بـــدا تعاطف الساسة الامريكيين مع تسليح اسرائيل واضحا خلال حملة انتخابات الرئـــاسة الامريكية الاخيرة ، اذ تسابق الحزبان الجمهوري والديموقراطي الى التصريح بضرورة دعم اسرائيل وتزويدها بالسلاح الذي يضمن تفوقها وعدم الضغط عليها لتقديم التنازلات قبل التوصل الى صلح كـــامل ومفاوضات مباشرة . وتقول صحيفة هيرالـــد تريبيون الامريكية أن البرنامج الذي قدمه الحزب الديموقراطي في هذه الانتخابات كان يتضمن ما يلي : « يعلن الحزب الديموقراطي دون لبس تضامنـــه مع اسرائيـــل ويقرر بأن يلتزم ويحافظ علنا محافظة أكيدة وفي المدى الطويل عـــلى التزامه لاسرائيل . وأن يمنحهـــا الطائرات وكل الاعتدة العسكرية التي تحتاج اليها للمحافظة على قوتها الرادعة تجاه التهديدات العربية باستئناف الحرب بواسطة المساعدة السوفييتية العسكرية »(٢٣). وتتابع تل أبيب محاولة ابتزاز الاسلحـــة والمساعدات بحجة منع الحـــرب ، ويعتقد المراقبون أن هذا هو أهم أسباب زيارة وزير الدفاع موشي دايان لواشنطن في منتصف تشرين الثاني من العام الحالي بعد اعادة انتخاب نيكسون رئيسا للولايـــات المتحـــدة الامريكية . ولقد أكدت صحيفة الازفستيا (١٩٧٢/١١/١٦) «أن دايان يسعى من زيارته للولايات المتحدة الى الحصول على تأكيدات واشنطن بأنها ستلبي مطالب اسرائيل من شحنات الاسلحة وخصوصا طائرات الفانتوم المقاتلة وقاذفات القنابل التكتيكية من طراز (أ ـــ ٤) » . كما أكدت النبأ نفسه كل مـــن النيويورك تايمـــز (١٩٧٢/١١/١٤) وانترناشونال هيرالد تريبيون (١٩٧٢/١١/١٥) اللتان اكدتا ان دايان سيسعى للحصول على القاذفات المقاتلة (ف ـــ ٤) والقاذفات التكتيكية (أ ـــ ٤) بالاضافة الى الصواريخ أرض ـــ أرض (لانس) ، وطائرات الهليكوبتر المقاتلة (كوبرا) ، والصواريخ الموجهة بالتلفزيون ، وعدد من الاسلحة المتطورة الاخرى .

٢ ـــ **التلويح بالقوة مع رفع مستوى التصديق** : يشكل التهديد باستخدام القوة (عرض العضلات) درجـــة أعلى من درجة وجود القوة في سلـــم تصعيد الردع . ويعتبر هذا التهديد تطبيقا عمليا للقول المشهور « برهن عن قوتك كي لا تستخدمها » (ليوتي) . وهذا يعني استغلال الاعلان عن القوة الرادعة والقدرة على استخدامها بغية ردع العدو وقهر ارادته واحباط مخططاته . ويستخدم الاسرائيليون التهديد في ردعهم المتدرج عندما

يرون أن مستوى الردع آخذ في التناقص ، أو عندما يعتبرون أن الهدف لا يتطلب المجازفة بالعمل وما يحمله هذا العمل من أخطار أو انعكاسات (داخلية ودولية) ، أو عندما يكون الظرف الموضوعي و « تحديدات العمل » (سنتحدث عن هذه التحديدات فيما بعد) تتطلب التريث والانتظار . ويذكر الجنرال يشعياهو جافيش في هذا الصدد : « ان قوتنا هي أفضل وسيلة للردع وهذا الاستعراض للقوة ممارسة لتلك الوسيلة المثلى »(٢٤). وتقدم لنا سلسلة التهديدات الاسرائيلية بضرب المدن ، وتدمير المراكز الحيوية والاقتصادية العربية ، وقصف قواعد المقاومة او مخيمات اللاجئين ، واجتياح مناطق الحدود واحتلال بعض أجزائها بصورة دائمة أو مؤقتة ، ومطاردة زعماء المقاومة داخل البلدان العربية وفي جميع ارجاء العالم ، صورة واضحة عن مدى اعتماد الاستراتيجية الاسرائيلية على هذا النوع من الردع . ولقد ذهبت بعض التصريحات الى حد التهديد بضرب « المصالح الحيوية العربية » (جيروزاليم بوست) ، وتدمير منابع البترول في الجزيرة العربية « لوقف مساعدة الدول البترولية لحركة المقاومة » ، والاعلان عن ضرورة مهاجمة ليبيا « حتى لا تشعر القيادة الليبية بأنه لا يمكن اصابتها ، وبأنها خارج نطاق الهجوم »(٢٥).

ومن المؤكد أن فاعلية التهديد أمر مرتبط كل الارتباط **بمستوى تصديق الخصم وتقديره لجدية هذا التهديد وقدرة العدو على تنفيذه ، واستعداده النفسي للتخلي عن الهدف خوفا من التعرض للخطر نظرا لصغر الهدف بالنسبة للخطر المتوقع أو للقناعة باستحالة تحقيق هذا الهدف** . ويعتمد الاسرائيليون اعتمادا كليا على الحفاظ على مستوى تصديق عال لتهديداتهم ، لذا فهم يربطون بين التهديد بفعل مقبل مع نتائج تهديدات سابقة لحقها فعل رادع ، ولا يطلقون التهديد الا بعد أن يعدوا القوى اللازمة لتنفيذه ، ويضمنوا حدا أدنى من نجاح العمل الذي قد يضطرون اليه عند رغبتهم بتصعيد الردع . ويقول الجنرال آلون في كتابه « **أنشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** » : « ان مجرد امتلاك الاسلحة لا يردع العدو بالضرورة وانما يردعه اليقين بأن المدافع مستعد لاستخدامها بسرعة وفاعلية . . . أي أن هذا **التصديق** هو الذي قد يمنع استخدام هذه الاسلحة على الاطلاق »(٢٦). وبالرغم من ارتفاع مستوى التصديق للتهديدات الاسرائيلية فان هناك حالات انخفض فيها مستوى الردع الى درجة دفعت الاسرائيليين الى الانتقال من التلويح بالقوة الى استخدام هذه القوة . ويقدم الجنرال آلون مثلا عن فشل وجود القوة أو التلويح بها لتحقيق الردع عندما يتحدث عن حرب ١٩٦٧ ويدعي ان اسرائيل كانت تستهدف في تلك السنة « منع الحرب عن طريق الاتفاقيات الوقتية أو بالقوة الرادعة الكامنة في القوة العسكرية . . . وفي هذا الشأن أثبتت هذه السياسة أنها كانت عديمة الجدوى وعقيمة »(٢٧). ويعيد ذلك الى سوء تقدير العرب لقوة اسرائيل وخطئهم في حساب احتمالات ردود فعلها ويقول : « فمن الواضح أن العدو لم يحسن تقدير قوة أسرائيل العسكرية ومدى تأهبها واستعدادها لاستخدام هذه القوة في استراتيجية هجومية . ولذا فقد مضى في سلسلة من الاستفزازات التي أرغمت اسرائيل على أن تمد يدها ، وجعلت من اللازم عليها أن تستخدم كامل قوتها العسكرية »(٢٨). ولا يأخذ الجنرال آلون هنا بعين الاعتبار مسألة **انخفاض مستوى الردع التهديدي بسبب حجم « هدف النزاع » بالنسبة للعرب ، وضخامة الدفع المعنوي الذي تمارسه الجماهير العربية الراغبة بالتحرير على قياداتها** ، بالاضافة الى الخطأ السياسي الذي وقعت به هذه القيادات عند تقدير موازين القوى وردود الفعل على المستوى العالمي ، وعند تقدير تحديدات العمل .

ولقد ذكرنا من قبل عددا من الحالات التي اضطر فيها الاسرائيليون لتنفيذ التهديد ضد الدول العربية نظرا لانعدام تأثيره ، ولكن المثل الاوضح هو مثل حركة المقاومة التي لم

يتوصل العدو الى ردعها مباشرة عن طريق وجود القوة أو التهديد باستخدامها بل حتى عن طريق استخدامها بمختلف الاشكال وأشدها عنفا . وهذه هي الظاهرة التي أذهلت المنظّرين العسكريين الاسرائيليين ، واحبطت العديد من مخططاتهم ، ودفعتهم بعد **تصاعد العنف الثوري في مواجهة العنف القمعي** الى ادخال عامل جديد في حسابات مواجهتهم مع المقاومة وهو عامل « **لا عقلانية ردود الفعل** » الذي يزيد قدرة المقاومة على تحقيق المفاجأة ، ويجعل قادة العدو عاجزين عن تحديد كافة الاحتمالات التي يمكن ظهورها ، ويجبرهم على وضع عشرات الخطط البديلة المحتملة .

٣ ــ **التأكيد على جدية الهجوم المضاد الاجهاضي** : يحتل «الهجوم المضاد الاجهاضي»، أو « الهجوم المضاد الوقائي » مكانة كبيرة في الاستراتيجية الاسرائيلية ، ولقد شرحه قادة العدو مطولا وميزوه عن « الحرب الوقائية » ، واعتبروه نوعا من الدفاع الديناميكي ، وبرروا به كل هجماتهم العدوانية على الجبهات العربية . كما تحدث عنه الكتاب العسكريون العرب بشكل مسهب يجعل من التكرار التحدث عنه في هذا المقال(٢٩). وكل ما يهمنا هنا هو بحث هذه المسالة من وجهة نظر تأثيرها الردعي .

يستفيد الردع الاسرائيلي من جدية التهديد « بالهجوم المضاد الاجهاضي » (الوقائي) اعتمادا على المبدأ العسكري القائل : « لا ينتج الردع التقليدي عن القدرة على الانتصار ... ولكنه ينتج من الراي الذي نكونه عن قدرة الخصم على الانتصار »(٣٠). ولقد قام العدو بهجومه المضاد الاجهاضي (الوقائي) على نطاق واسع شامل مرتين (١٩٥٦ و ١٩٦٧) ، كما قام بهذا الهجوم مرات عديدة على نطاق محدود على الجبهات المصرية والسورية والاردنية وفي جنوب لبنان وحقق خلال هذه الهجمات عددا من الانتصارات العسكرية التي جعلت للتهديد بهذا « الهجوم المضاد الاجهاضي » (الوقائي) وزنا ملحوظا في حسابات القيادات العربية . ويشرح بيغال آلون أهمية هذا التهديد بقوله : « ان الاعتراف بالحق في الهجوم المضاد الاجهاضي يزيد قدرة الاقناع الرادع للطرف المدافع ، ويقلل بالتالي من احتمالات العمل الفدائي »(٣١).

٤ ــ **الردع غير المباشر** : تلجأ الدول عادة الى « الردع غير المباشر » للصراع ضد عدو لا تستطيع التأثير عليه بشكل مباشر ، ولا يمكنها أن تتوصل الى ردعه ردعا شاملا **رغم استخدامها لمختلف وسائل الردع المتوفرة لديها** . ولقد استخدمت اسرائيل في صراعها ضد رجال المقاومة الفلسطينية كل أساليب الحرب الشاملة ، وصعّدت عملياتها ضدهم الى أقصى حد ممكن ، واستخدمت في ضربهم جميع الوسائل المكنة (تخريب ، تجسس ، اغتيال ، هجمات برية ، قصف جوي) . ولكن هذه الحرب الشاملة التي نادى بها عدد من « الصقور » الاسرائيليين ، والتي اعتقد الملحق العسكري زئيف شيف انها تنطوي « على أمل بكبح جماح الارهاب واتعاب الارهابيين [رجال المقاومة] ومن يدعمونهم »(٣٢) لم تؤد الى النتيجة المرجوة ، ولقد ذكرت النيويورك تايمز (٧٢/١٠/١٨) بعد تصاعد عمليات القصف البري والجوي ضد قواعد المقاومة « ان التكتيك الاسرائيلي الجديد في ضرب الفدائيين العرب لا تتوفر له على المدى البعيد فرص التوصل الى نتائج نهائية » ... « ان قوة التدمير التي يمارسها الفدائيون لا يمكن أن تقضي عليها الغارات الجوية كما أن ضرب الفلسطينيين بالقنابل لا يحل المشكلة الفلسطينية » .

ويمكننا أن نؤكد أنه بالرغم من عنف الضربات المباشرة وتواترها فان المقاومة لم تختف من الوجود ، بل بقيت عنصرا متحركا لا يمكن تجاهله أو التغاضي عن تأثيرات ضرباته في الداخل والخارج . ويعتبر بقاؤها واستمرار فاعليتها (رغم تضاؤل هذه الفاعلية بعد خسارة الساحة الاردنية) تأكيدا لقول رئيس أركان الجيش الاسرائيلي السابق الجنرال حاييم بارليف « لا يمكن ان تنتهي الحرب ضد الارهابيين [رجال المقاومة] الا في **اطار التسوية** . ويستحيل القضاء على هذا النشاط ، انما من الممكن تحديده »(٣٣). وهذا هو

بالضبط نفس ما تقوله المقاومة **المصممة على الصراع حتى تسوية هذه الازمة** . والاختلاف بين بارليف والمقاومة هنا هو اختلاف في تفسير معنى التسوية التي يراها بارليف من خلال **تثبيت قواعد الدولة العنصرية المعتدية مع الحفاظ على طابعها اليهودي ، وتصفية حق الشعب الفلسطيني ، وارضائه بشكل أو بآخر بعد اعطائه جزءاً من الارض على حساب كل الحق** . على حين تراها المقاومة من خلال **تصفية البنية الاستعمارية الصهيونية العنصرية ، واعادة الحق المغتصب الى أصحابه ، واقامة الدولة الديموقراطية كجزء من أجزاء الوطن العربي الكبير** .

وكان الرد الاسرائيلي على صمود المقاومة أمام تصعيد الردع هو اللجوء الى « الردع غير المباشر » مع متابعة الحرب الشاملة لتحقيق « الردع المباشر » . وليست هذه هي المرة الاولى التي تلجأ فيها اسرائيل الى مثل هذا الاسلوب . فلقد استخدمته في عام ١٩٥٥ عندما هاجمت المحطة وخزان الماء في غزة ، ونسفت مركز الشرطة في خان يونس على من فيه بغية خلق حالة من الردع غير المباشر ضد فدائيي غزة العاملين بقيادة مصطفى حافظ ، والذين كانوا يزرعون الهلع والدمار في النقب والجزء الجنوبي من اسرائيل . ثم استخدمته في عام ١٩٦٥ عندما ضربت عددا من الاهداف الاردنية في جنين وقلقيلية والشونة ، وفي عام ١٩٦٦ عندما ضربت القليعات والسموع وقريتين مجاورتين ومخفرا للشرطة الاردنية في رجم المدافع بغية دفع السلطات الاردنية الى الحركة ضد رجال المقاومة الذين بدأ نشاطهم الفعال داخل اسرائيل في عام ١٩٦٥ وتصاعد في عام ١٩٦٦ . بيد ان ازدياد نشاط المقاومة بعد حرب ١٩٦٧ ومضاعفة فاعليتها واتساع رقعة عملياتها ووجود عدد من قواعدها ومعسكراتها داخل البلدان العربية جعل ضربات اسرائيل الانتقامية ضد الدول العربية المحيطة بها أمرا متكررا مستمرا . ولم تعد هذه الضربات تجري بفترات متباعدة تفصل بينها أشهر أو سنوات ، بل صارت تجري بشكل **متصاعد مستمر شبه منهجي** .

وتستند فكرة الردع الاسرائيلي غير المباشر على ان ضخامة « هدف النزاع » بالنسبة للانسان العربي الفلسطيني تجعل ردعه صعبا ان لم يكن متعذرا . ولا ينطبق هذا القول دائما كل الانطباق على الانسان العربي في الاقطار المضيفة التي تضم — أو كانت تضم — قواعد ومعسكرات لرجال المقاومة (سوريا ، لبنان ، الاردن) . ويعتبر الانسان العربي ولا شك أن القضية الفلسطينية واحدة من **أهم قضاياه** ، ولكنها لا تشكل قضيته **الوحيدة** . ويحاول العدو الاسرائيلي استغلال هذا الفارق في أهمية « هدف النزاع » والافادة من بعض النزعات الاقليمية ، ويركز أعلامه على الخطر الذي يتعرض له أمن البلدان العربية ورخاؤها وحياة مواطنيها من جراء وجود قواعد مقاومة على أرضها ، مستهدفا بذلك خلق شرخ بين الانسان العربي الفلسطيني والانسان العربي في الاقطار المضيفة ، وتعميق هذا الشرخ باستمرار حتى يضع الانسان العربي في النهاية أمام اختيار صعب : **أمنه وحياته ، أم دعمه لاشقائه الفلسطينيين في صراعهم المصيري** . ويرافق هذه الحملة الدعائية التفتيتية مجموعة من التدابير الرادعة التي تبدأ بالتهديد والضغط المباشر او غير المباشر (عن طريق السفراء المحايدين والشخصيات العالمية المرموقة المتعاطفة مع هذه الدولة العربية أو تلك) ، وتنتهي بعمليات العنف كقصف القرى المسالمة (قصف اربد ، والسلط ، والعقبة ، وحاصبيا ، ونهر البارد ، والهامة ، وتلكلخ ، ومصياف ، ... الخ) بحجة وجود قواعد مقاومة الى جوارها ، وعمليات التسلل والاختطاف (اختطاف المزارعين في الغور وفي جنوب الاردن ، اختطاف الضباط السوريين الخمسة وعدد من العسكريين اللبنانيين في جنوب لبنان ، اختطاف المزارعين وسكان الجنوب) ، واجتياح مناطق الحدود (عملية الكرامة ، العرقوب الاولى في أيار ١٩٧٠ والعرقوب الثانية في شباط ١٩٧٢ ، اجتياح القطاع الاوسط في جنوب لبنان في

ايلول ١٩٧٢ ... الخ) ، واجراء عمليات تخريب (طرود ناسفة ، اغتيالات ... الخ)، واحتلال بعض المواقع بصورة مؤقتة (غور الصافي ، جنوب الحاصباني ، منطقة العرقوب)،او الحفاظ على الوجود العسكري بقوات احتلال شبه دائم(تلة محمود المشرفة على منطقة العرقوب ، ومرتفعات الهبارية والعديسة وبعض أراضي راميا وقطمون ... الخ) . ونسف البيوت بحجة مساعدة سكانها لمنظمات المقاومة ... (يذكر زئيف شيف في هآرتس ١٩٧٢/١/١٣ انه حتى ايلول من العام الماضي تم نسف ٢٠٠ منزل في القرى اللبنانية وجد فيها رجال المقاومة ملجأ لهم وقدم أصحابها مساعدة لهم) .

ويمكن اعتبار الحملة الدعائية عملا اساسيا في هذا المجال . ففي آب ١٩٧١ هدد موشي دايان باجتياز الحدود اللبنانية لضرب المقاومة قائلا : « ليس هناك حالة حرب بين اسرائيل ولبنان . ونحن بالتأكيد نرغب باحترام سيادة لبنان بكل دقة . الا انه عندما تسمح السلطات اللبنانية للفدائيين بالعمل ضدنا من اراضيها فليس أمامنا خيار سوى عبور الحدود »(٣٥). وفي أواخر شباط ١٩٧٢ تلقت الحكومة اللبنانية انذارا اسرائيليا مرسلا عن طريق لجنة الهدنة وعدد من الديبلوماسيين الغربيين . ويؤكد هذا الانذار ان الاسرائيليين قرروا العمل « ضد كل تهديد مباشر او غير مباشر ضد مستوطناتهم الواقعة على الحدود »(٣٦). وفي حزيران ١٩٧٢ حذر الجنرال دافيد اليعازر رئيس الاركان العامة لبنان من عمليات اخرى داخل حدودها اذا لم تغير سياستها . وقال « ان اسرائيل ستواصل اتخاذ كافة الخطوات اللازمة لتضمن الامن والهدوء على الحدود الشمالية »(٣٧). ولقد صرح ابا ايبان امام المؤتمر ٧٥ للمنظمة الصهيونية الامريكية « بأنه يأمل بأن تنظر الحكومة اللبنانية ايضا الى الفدائيين كخطر على وجودها »(٣٨). ولقد تصاعدت حملة التهديدات ضد لبنان والدول العربية الاخرى بعد عملية ميونيخ . وأعلن ييغال آلون امام الصحافيين : « ان اسرائيل لن تقف مكتوفة الايدي ازاء تزايد اعمال الارهاب ، وعلى الدول العربية أن تعي جيدا انه ليس بامكان اسرائيل الحفاظ على استمرار وقف اطلاق النار في الوقت الذي تصعد فيه هذه الدول معركة ارهاب غير رسمية »(٣٩). واكدت جميع وسائل الاعلام الاسرائيلية بأن على لبنان أن يأخذ زمام المبادرة والعمل ضد رجال المقاومة والا تعرض امنه وسيادة أراضيه للخطر . ففي يوم ١٦ أيلول ١٩٧٢ (خلال الغزو المدرع الاسرائيلي للقطاع الاوسط في جنوب لبنان) ذكر حاييم هرتزوغ المعلق العسكري في الاذاعة الاسرائيلية بأن على الحكومة اللبنانية أن تقرر الآن « اذا كانت تريد أن تجري عمليات مشابهة لعملية اليوم ضد قواعد الارهابيين [قواعد المقاومة] الموجودة داخل البلاد » في أماكن « اعمق من الاماكن التي جرت فيها عمليات اليوم »(٤٠). ثم نشرت صحيفة دافار في اليوم التالي بأن « أمام الحكومة الخيار بين طرد المخربين [رجال المقاومة] من أراضيها أو الاستمرار في التفرج على اسرائيل وهي تقوم بذلك بنفسها »(٤١)، وضربت الجيروزاليم بوست على الوتر نفسه بأن قالت : « لا بد من أحد أمرين ... اما أن تأخذ الحكومة على عاتقها مهمة السيطرة على الارهابيين [رجال المقاومة] ومنعهم من العودة الى أرض فتح ، واما ان يتكفل الجيش الاسرائيلي بتنفيذ هذه المهمة . وعندئذ يصبح هذا الجزء من الاراضي اللبنانية عرضة لدوريات منظمة من جانب الجيش الاسرائيلي »(٤٢). وتبرر اسرائيل تهديداتها وأعمالها العدوانية ضد الدول العربية بتحميل هذه الدول مسؤولية نشاط المقاومة . والتأكيد على انه « لولا مساعدة الدول العربية » لهذه المقاومة « في جميع المجالات لما كان بامكانها الاستمرار »(٤٣). وان الدول العربية التي يوجد داخل أراضيها قواعد للمقاومة « مسؤولة عن كل محاولة للقيام بأعمال ارهابية »(٤٤). ففي حفل تأبين قتلى ميونيخ من الرياضيين الاسرائيليين ، قال الوزير ناتان بيليد في مقبرة هرتسليا « اننا لن نعفي من المسؤولية تلك الدول العربية التي تعتبر قاعدة لعمليات ومخططات ومؤامرات المخربين [رجال المقاومة] »(٤٥). وقال الوزير يوسف الموجي في المناسبة نفسها في مقبرة حيفا :

« اننا نقول لكل تلك الدول العربية التي تساعد هذا النمو السرطاني ، هذه الدول التي تشد أزر القتلة أننا لن نعفيها من المسؤولية »(٤٦). وفي تشرين الثاني ١٩٧٢ ، وبعد ازدياد التوتر على الحدود السورية ــ الاسرائيلية وقصف الاسرائيليين لمراكز الجيش العربي السوري ورد المدفعية والطيران السوريين على العدوان ، كتبت صحيفة هاتسوفيه (١٠/١١/١٩٧٢) « طالما ان المخربين [رجال المقاومة] لا ينشطون فان الحدود تبقى هادئة . ولكن عندما يمكّن الجيش السوري المخربين [رجال المقاومة] من القيام بأعمال تخريبية فانه في الواقع يكون مسؤولا عن هذه الاعمال المعادية » . وذكر المراسل العسكري روني دانيال أن غاية القصف الاسرائيلي « هي أن نوضح للسوريين بأنهم مسؤولون عن كل عملية تخريب يقوم بها المخربون [رجال المقاومة] المنطلقون من أراضيهم »(٤٧).

وهكذا نرى أن الضغط الاسرائيلي على الدول العربية المجاورة يستهدف ارهاب هذه الدول وتكبيدها خسائر جسيمة في الارواح ، والحاق الاضرار باقتصادياتها (شل الزراعة في غور نهر الاردن ، والاضرار بالمواسم السياحية في لبنان) وخلق مشكلة سكانية لديها باجبار سكان المناطق المعرضة للضرب الى النزوح نحو المدن ، واستثارة الاهالي ضد الدولة العاجزة عن حمايتهم بشكل يؤدي الى تأزم الخلافات وتصاعد الصراعات السياسية الداخلية ، وابعاد الاهالي عن مساندة رجال المقاومة ودعمهم وايوائهم ، والتوصل في النهاية الى خلق حالة نفسية متوترة « لا يمكن للدول العربية المضيفة أن تتحملها »(٤٨).

وينتظر الاسرائيليون أن تتوصل هذه الحالة النفسية المقرونة بالعجز العسكري **النسبي** الى ردع الدول المجاورة ردعا مباشرا يؤدي بالتالي الى التصرف بشكل يردع المقاومة . وتختلف طبيعة التصرف الذي ينتظره العدو ــ وقد ينتظره طويلا ــ باختلاف طبيعة النظام في هذا البلد العربي أو ذاك ، ومدى ارتباطه بقضايا العروبة وقضيتها المحورية (فلسطين) ، وحجم رصيده الشعبي ، وسيطرته الداخلية ، وتماسكه وقدرته على تحمل الازمات ... الخ وهو يتراوح ما بين الضغط المعنوي والادبي ، وايقاف المساعدة ، والحد من العمل ، أو منعه منعا كاملا بقوة السلاح . ومن المؤكد ان الاسرائيليين يفضلون الوصول الى منع العمل بشكل كامل ، وذلك عن طريق دفع الدول العربية الى أن تمعن التفكير « في انه من الخير لها أن توقف العمليات الارهابية بقوتها الذاتية »(٤٩). ولكنهم يعرفون أن الوصول الى هذه النتيجة يتطلب صعود سلم الردع بشكل محسوب . وهم يصرون في البداية على المطالبة « بايقاف التسلل عبر الحدود » ، ثم يطالبون « بابعاد القواعد عدة عشرات من الكيلومترات »(٥٠) عن الحدود ، ثم يتزايد نهمهم فيطالبون الحكومات العربية باجبار رجال المقاومة « على القاء سلاحهم أو مغادرة البلد أو الانصياع بشكل مطلق لاوامر السلطة المتعلقة بحفظ النظام والامن »(٥١). ويصل التصعيد في بعض الحالات الى درجة مطالبة الحكومات العربية بالتحرك ضد المقاومة على الحدود وداخل المدن ، وفي كل مكان توجد فيه **قواعدهم او قياداتهم او مراكز اعلامهم ومؤسساتهم الثقافية .**

وتقدم اسرائيل السلطة الاردنية كمثال لما ينبغي القيام به ، وهي تذكر سوريا ولبنان في كل مناسبة (رغم جميع الفروق القائمة بين نظامي هذين البلدين وعدم التشابه في رد فعلهما المتوقع على التهديد والضربات الرادعة) بأن عليهما أن يحذوا حذو النظام الاردني الذي عمل على ضرب حركة المقاومة انطلاقا « من مصلحة أردنية ذاتية . اذ كان كل هجوم على قرى الحدود الاسرائيلية يؤدي الى رد اسرائيلي ينتج عنه وقف زرع الحقول وتدفق اللاجئين من هضبة جلعد جنوبا الى عمان »(٥٢). وتؤكد لهما أن هذا هو السبيل الى ايقاف الغارات الجوية وتهدئة مناطق الحدود وعودة الحياة الطبيعية اليها . وهذا

يعني انها تطالبهما بأن يستخدما جيشيهما لا في حراسة الحدود الاسرائيلية فحسب ، بل في قمع بوادر أي تحرك وطني وخنق كل امكانات ولادة القوى الثورية ايضا . ويجدر بنا هنا أن نذكر بأن الموقف الاردني الحالي ازاء الحركة الوطنيـــة ، وخضوعه للردع الاسرائيلي المباشر ، وممارسته العملية في ردع حركة المقاومة ، لا يختلف كثيرا عـــن المواقف الاردنية السابقة . ففي تصريح لغلوب باشا لصحيفة التايمز قال قائد الفيلق العربي الاردني السابق : « بذلت خلال الاعوام الثمانية التي تسلمت فيها القيادة جهودا متكررة لضمان تعاون الحكومة الاسرائيلية في عملية منع التسلل . وقد اقترح الاردن تعاونا بوليسيا وثيقا ، واقامة اتصال تلفوني مباشر بين ضباط البوليس على جانبي الحدود ، كما عرض الاردن أن يسمح للبوليس الاسرائيلي وكلابه بتعقب آثار المخربين [رجال المقاومة] عبر الحدود داخل الاردن حيث يمكن أن يقابلهم البوليس الاردني ويساعدهم »(٥٣). وليس هناك ما يؤكد اقوال غلوب عن التعاون السابق مع العدو في الصراع ضد عمليات المقاومة سوى حديث الملك حسين مع الاسوشيتدبرس في عام ١٩٦٦ بعد العدوان الاسرائيلي على السموع والذي قال فيه : « اذا كان الارهابيون [رجال المقاومة] يتسللون عبر الحدود رغم جميع التدابير التي نتخذها فان اسرائيل تتحمل مسؤولية مساوية تتطلب منها اغلاق الجانب الخاص بها من الخط »(٥٤).

لقد نجح الردع غير المباشر ضد المقاومة في الاردن ، واستراحت اسرائيل الى حد بعيد من العمليات على جبهة عريضة . ويحاول الاسرائيليون اليوم الحصـــول على نتائج مشابهة بالضغط على سوريا ولبنان ، ولقد ركزوا عملياتهم في البداية بصورة خاصة على لبنان وحاولوا جاهدين ضرب قواعد المقاومة الفلسطينية والقرى المجاورة لها مع تحاشي التعرض للمخافـــر العسكرية اللبنانيـــة وللسكان اللبنانيين ان امكـــن (خلق التناقض) ثم اتجه العمل نحو الحدود السورية بغية ضرب قواعد المقاومـــة بصورة خاصة . ولكن رد الفعل السوري العنيف الفوري ، واعلان السلطات السورية عن استعدادها للرد ، ورفضها للتهديد والردع دفع الاسرائيليين الى تصعيد العنف لخلق التناقض المنشود . وتمثل هذا التصعيد مؤخرا بضرب قواعد الجيش السوري نفسها . ولقد اعلن الجنرال اسحق هوفي قائد جبهة العدو الشمالية « ان الجيش الاسرائيلي تبنى سياسة جديدة تقضي بمهاجمة قواعد الجيش السوري وليس مخابىء الفدائيين العرب فقط على خط وقف اطلاق النار »(٥٥). بيد ان طبيعة النظامين السوري واللبناني ، وحجم القوى الوطنية الفعالة في هذين البلدين ، وعوامل عديدة اخرى تجعل امكانات نجاح الردع في سوريا ولبنان أقل بكثير مما يتوقعه العدو ، ولكن دون ان يكون ذلك مستحيلا .

٥ ــ تحقيق « الردع النشط المتدرج » عن طريق « الرد المرن » وهذا يعني عدم الاكتفاء بالرد السلبي ، بل اللجوء الى الردع الايجابي الكامن في اعمـــال ذات طابع هجومي تتصاعد حدتها وفق ضرورات الموقف . وسنرى هذا الامر بالتفصيل فيما بعد عند بحث اشكال العمل وسماته .

٦ ــ الاعتماد على عقائد الخصم : لا يمكن للردع أن ينجح ويصل الى ذروة تاثيراته الا اذا اعتمد على عقائد الخصم وخاطب عقله بلغة يفهمها ويؤمن بها . ولا يمكن في أي حال من الاحوال ردع العدو ذي العقيدة الهجومية بتدابير دفاعية بحتـــة ، كما ان الردع بالقوات الهجومية لا يكون كاملا بالنسبة لعدو دفاعي العقيدة . ولقد طبقت اسرائيل هذه القاعدة في ردع الجيوش العربية ذات العقيدة الدفاعية ، واعتمدت في فترتي ٤٨ ــ ٥٦ و٥٦ ــ ٦٧ على الردع ببعض الضربات الهجومية المحـــدودة وبالقوة الهجومية الكامنة ، مع الاعتماد بشكل واضح واساسي علـــى الردع بقوة الترتيبات الدفاعيـــة (مستعمرات دفاعية تحميها الابراج والاسلاك وحقول الالغام ، وقوات احتياطية مدرعة

وجوية للهجمات المعاكسة المحلية والعامة ، ملاجىء ، حظائر من الاسمنت المسلح للطائرات ، شبكة دفاع جوي فعالة ... الخ) . ثم جاء خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة بعد حرب ١٩٦٧ تطبيقا للفكرة نفسها . ولقد ذكرت غولدا مايير رئيسة وزراء اسرائيل في نادي الصحافة في القدس « انها ترغب بحدود من شأنها ردع المصريين عن مهاجمة اسرائيل . واذا هوجمنا على الرغم من ذلك ، فيجب أن نستطيع الدفاع دون سقوط ضحايا »(٥٦). ويقول زئيف شيف عند بحث مسألة الدفاع : « ان الرد الدفاعي فقط من جانبنا من شأنه اقناع المصريين والروس ان الخطر الكبير هو في فشل الهجوم والعودة الى الخطوط الحالية . لذلك فان احدى مهامنا هي خلق وضع يجعل الطرف الثاني والروس خاصة يدركون بأن المخاطرة التي يتحملها المصريون والسوريون ستكون مخيفة اكثر من فشل تلقائي للهجوم . لان هذه مخاطرة لقوتهم العسكرية التي اعادوا بناءها في العام الاخير وكذلك بالنسبة لاهداف أخرى »(٥٧). ويشدد بارليف على أهمية الدفاعات بعد حرب ١٩٦٧ فيقول « ان اساليبنا هي ان نعرض انفسنا للعدو **أقل** قدر ممكن ، وأن **ننهك** العدو اكبر قدر ممكن »(٥٨).

وبعد حرب ١٩٦٧ ، وحسم الطيران للمعركة بسرعة مذهلة ، وعودة فكرة الجنرال دوهي عن «السيطرة الجوية» وقدرتها على النصر ، **واقتناع بعض القيادات العربية بأن النصر مرهون بالتفوق الجوي** ، لجأت اسرائيل الى استخدام هذه الحالة الذهنية ، وبنت جزءا كبيرا من سياستها الردعية على التلويح بالطيران او استخدامه بمختلف الاشكال . اما بالنسبة لردع حركة المقاومة ذات العقيدة الهجومية والاساليب التعرضية ، فقد عمدت اسرائيل الى تبني خطوط الاسوار والموانع ، ولكن ردعها اعتمد في الاساس على أساليب المبادرة التعرضية والهجمات البرية والجوية داخل الارض المحتلة وخارجها نظرا لتقديرها بأن هذه هي الاساليب التي تفهم قيادات المقاومة اهميتها البالغة.

قواعد العمل (« المناورة الخارجية » و« المناورة الداخلية ») عندما يفشل الردع ويعجز عن قهر ارادة الخصم يصبح من الضروري القيام بالعمل لتحقيق هدف معين او لرفع مستوى الردع من جديد . وليس العمل بالضرورة عسكريا بحتا ، ولكنه عبارة عن مجموعة أعمال سياسية ودبلوماسية وعسكرية تتجه نحو « **مكامن الحساسية** » عند الخصم في سبيل تشتيت قواته واضعافها وضربها . ويخضع العمل عادة لتحديدات متعددة تنجم عن الامكانات المتوفرة ، وامكانات الخصم ، والجو العام ، والردع ، ولا يمكنه الانطلاق بكل عنفه الا اذا انخفضت التحديدات السلبية الى الحد الادنى ، وغدا ميزان القوى واتجاه الرأي العام ملائما الى أبعد مدى ممكن . ويبقى ميزان القوى — بمعناه الشامل المادي والمعنوي والسياسي — الحكم الاخير في اختيار العمل المناسب. ومن الواضح أن اسرائيل قد اختارت في مجابهاتها الرئيسية مع الدول العربية وفي فترات الازمات القصوى (١٩٥٦ و١٩٦٧) أسلوب العمل الحاسم المباشر المترافق مع عمل سياسي ودبلوماسي ودعائي كثيف ، وان التحديدات العسكرية والدبلوماسية التي تلت حرب ١٩٦٧ جعلتها تلجأ الى أسلوب الحفاظ على المكتسبات مع تسديد ضربات مستمرة مترافقة مع أعمال غير مباشرة وضغوط متنوعة بغية اجبار الدول العربية **على اعتبار الحل المتلائم مع الاهداف السياسية الاسرائيلية أمرا مقبولا وحلا وسطا ممكنا** . اما بالنسبة لحركة المقاومة الطامحة الى التوصل من خلال الصراع والمعاناة اليومية الى خلق الظروف الملائمة لشن حرب تحريرية طويلة الامد ، فان الرد الاسرائيلي ضدها يعتمد على تسديد ضربات متلاحقة مباشرة تكلف المقاومة والشعب الفلسطيني تضحيات باهظة ، بالاضافة الى العمل ضد المقاومة بشكل غير مباشر عن طريق ضرب الدول المضيفة والضغط عليها (كما رأينا في فقرة الردع غير المباشر) .

وبالرغم من الدعم الغربي لاسرائيل ، وبالرغم من وقوف الولايات المتحدة معها بشكل

يزيد من حرية عملها في أي عدوان تشنه ، فان لهذه الحـرية حدودا تحاول تل ابيب توسيعها الى أبعد حد ممكن عن طريق العمل السياسي ـ الاقتصادي ـ الديبلوماسي ـ العسكري الرامي الى اكتساب « المناورة الخارجية » قبل البدء بالعمل . ولقد كان هدف « المناورة الخارجية » الاسرائيلية دائما **تنمية ارادة اصدقائها وتدمير ارادة خصومها** عن طريق تفتيت عدوها واضعافه ، وتمتين أواصر ارتباطها مع الاصدقاء ، وجذب أصدقاء جدد من معسكر المحايدين ، وتحييد عدد من الخصوم او دفعهم نحو السلبية . ويمكننا أن نؤكد هنا بأن هذه المناورة نجحت بشكل ملحوظ منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ ، ثم بدأ هذا النجاح بالتناقص بعد حرب ١٩٦٧ وانفضاح الموقف الاسرائيلي المتعنت الرافض لقواعد المنطق في العلاقات الدولية بشكل يزيد توتر المنطقة ويهدد بصدام العمالقة . ولقد ساد بعد حرب ١٩٦٧ رأي يقول بأن نجاح « المناورة الخارجية » الاسرائيلية يعود الى تعاطف العالم مع هذه الدولة الصغيرة وسط البحر العربي « الراغب بابتلاعها » . كما يعود الى مهارة الدعاية الاسرائيلية وضعف الدعاية العربية وأخطائها . والحقيقة ان التعاطف العاطفي والانساني ، ونشاط الدعاية بأنواعها يبقيان ـ رغم أهميتهما ـ عاملين مساعدين يؤثران على يهود العالم ، وعلى الرأي العام العالمي غير الفعال ، **وليس لهما أي أثر في الاوساط العليا التي تتخذ فيها القرارات الحاسمة المبنية على تقدير المصالح المادية والايديولوجية ، وفهم اتجاهات التطور العالمية وموازين القوى الدولية .** ولا تستفيد منهما هذه الاوساط الفعالة الحاكمة الا لصياغة المبررات الخارجية المنمقة لتصرفاتها ومواقفها المعلنة . ولا يمكننا ان نعزو نجاح « المناورة الخارجية » الاسرائيلية الا الى عاملين رئيسيين هما : قدرة اسرائيل على اقناع الدول المؤيدة لها او المحايدة بأن **مصالحها** المباشرة مرتبطة ببقاء اسرائيل ودعمها وزيادة قوتها الاقتصادية والعسكرية ، وعجز العرب عن تحقيق هذا الهدف مع الاصدقاء وعدم قدرتهم على **تهديد** مصالح الدول الامبريالية المعادية بشكل جدي .

ومن المعروف أن أهداف «المناورة الخارجية» تختلف باختلاف «صيغ العمل» (المجابهة) بين قوتين متنازعتين (أ) و (ب) . فاذا كانت المجـابهة مباشرة وسريعة كان عـلى « المناورة الخارجية » التي تقوم بها (أ) المتفوقة على (ب) والراغبة بضربها هو تأمين اكبر قسط من مساعدة (ج) أي الدول التي تنطبق مصالحها مع مصالح العمل ، مـع الحفاظ على سلبية (د) بقية دول العالم . وهذا هو بالضبط ما حققته المناورة الخارجية الاسرائيلية بنجاح في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . فلقد قامت بالضربة مع الحصول على اكبر مساعدة مادية ومعنوية من (ج) ، وحسمت المعركة بسرعة قبل أن تخرج (د) مـن سلبيتها . أما في المجابهة المباشرة طويلة الامد ، فان على المناورة الخارجية التي تقوم بها (أ) التي لا تملك التفوق الحاسم على (ب) أن تستفيـد من (ج) مـع محـاولة « اجتذاب »(٥٩) القسم الاكبر من (د) بغية قلب موازين القوى . وهـذا هو الاسلوب الذي حاولت اسرائيل تطبيقه خلال حرب الاستنزاف دون نجاح ملحوظ . ويختلف الامر في المجابهة مع حركة المقاومة لانها مجابهة غير مباشرة تتم بين قوة قمعية متفوقة ماديا وقوة ثورية تمتلك الدافـع المعنوي وتراهن على النمو عبر الصراع . واذا كـان من مصلحة حركة المقاومة القيام بعمل طويل الامد (المناورة بالاعياء) وفق مبادىء الحرب التحررية طويلة الامد بغية قلب موازين القوى عن طريق النمو واكتساب اجزاء من (د) . فان من مصلحة اسرائيل شن حرب شاملة سريعة (المناورة بالافناء) بعد تحييد (د) . ولكن تحديدات العمل (القوة العربية الذاتية ، وجود عـدد من قواعد المقاومة عـلى أراضي دول عربية تحظى بدعم الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية ، ووجود عدد من هذه القواعد على أراضي دول عربية تحظى بالتعاطف الغربي ... الخ) تمنع القوة الاسرائيلية **حتى الآن** ، من شن هذه الحرب ، وتجبرها عـلى اللجوء الى العمليـات المضادة طويلـة الامد (المناورة المضادة بالاعيـاء) التي تشكل جـزءا من « الحرب

الاستعمارية طويلة الامد » . ولهذا فان « مناورتها الخـــارجية » تستهدف كسب اكبر مجموعة من (د) أو تحييدها على الاقل لزيادة هامش حرية مناورتها المضادة بالاعياء . ومن المفيد هنا أن نفهم حجم تحديدات العمـــل الاسرائيلي ضد المقـــاومة أو ضد الدول العربية المضيفة ، ونعي أبعادها ، ونرصد تحولاتها ، لان ذلك يساعدنا على فهم مسبق لاحتمالات تحول استراتيجية العمـــل الاسرائيلية ضد المقاومة عندمـــا تتعرض هـــذه التحديدات لتحولات أساسية . ان القوة العربية الذاتية (قوة مصر وسوريا وما يضاف اليها من قوى عربية داعمة) ووجود بعض قواعد المقاومة في دول تحظى بدعم الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية عاملان مهمان في تحديد عمل العدو الذي لا يرغب **الان** بصدام مباشر واسع مع العرب واستثارة الاتحاد السوفييتي على نطاق واسع . ولكن تبديل موازين القوى لصالحه ـــ بفضل دعم امريكي مكثف يقلب هذه الموازين بشكـــل حاسم ـــ والتوصل الى تجميد الردع السوفييتي عن طريق تخفيض الوجود السوفييتي في المنطقة الى أدنى حد ممكن ، او عن طريق قيام الولايات المتحدة الامريكية باتخاذ تدابير تجعل اي تدخل سوفييتي يعني تصعيـــد المجابهة الباردة بين العمالقـــة الى مستوى الصدام ، سيدفع هذا العدو الاسرائيلي الى العمل وفق مناورة الابادة (كما حصل في عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧) . اما بالنسبة لوجود قواعد للمقاومة على اراض عربية تحظى بالتعاطف الغربي (المبني على مصالح الغرب المادية والثقافية والمعنوية) فهو أمر بالغ الاهمية ولقد أشار العقيد الاحتياطي والباحث العسكري مئير بعيل خلال احداث معركة العرقوب الثانية (شباط ١٩٧٢) عن التحديدات الغربية للعمل الاسرائيلي ضد قواعد حركة المقاومة في لبنان . وقال بأن أفضل الاساليب لوضع حد لنشاط المقاومة في أرض فتح هو الاحتلال أو السيطرة « ولكن المعضلة ان هذه هي لبنان ، ولبنـــان دولة ذات اتجاه غربي تتمتع بعطف فرنسا والولايات المتحدة . ولهما فيها مصالح . ان ضربـــات قاسية ضد مثل هذه الدولة ، وان احتلالا مستمرا وطويلا لاراضي جنوب لبنان سيؤديان بصورة تلقائية الى ضغوط كبيرة من جانب فرنسا طبعا ، والاخطر من جانب الولايـــات المتحدة ، والمعضلة هنا في رأيي أصعب كثيرا »(٦٠). وذكرت المصادر الفرنسيـــة بعد عدوان ١٦ ايلول ١٩٧٢ على جنوب لبنان أن السفير الاسرائيلي بن ناتان دعي الى وزارة الخارجية الفرنسية لاخطاره « بأن فرنسا لا تستطيع ان تبقى لا مبالية ازاء أية عملية من شأنها انتهاك حرمة السيادة اللبنانية »(٦١) ونسب مراسل صحيفة يديعوت أحرونوت في واشنطن لمصادر امريكية قولها بعد العدوان نفسه « ان الولايات المتحدة تعتبر تغلغل القوات الاسرائيلية العميق في الاراضي اللبنانية خلال الاسبوع الماضي بمثابة رد فعل مبالغ فيه كثيرا لعمليات المقاومة الفلسطينية »(٦٢) ثم ذكرت وكالة رويتر في ٧٢/١٠/١٦ وبعد القصف الجوي ضد عدد من القرى في لبنان وسوريا بأن « الولايات المتحدة أظهرت قلقها » ازاء هذه الغارات وأن « هذه أول مرة تظهر فيها الولايات المتحدة مثل هذا القلق منذ عملية ميونيخ »(٦٣) كما ذكرت الوكالة نفسها أن وزارة الخارجية البريطانية أعلنت على لسان الناطق بلسانها في مؤتمره الصحفي اليومي : « ان حكومة صاحبة الجلالة قلقة ازاء لجوء اسرائيل الى أعمال عسكرية ضد لبنان وسوريا . وترى حكومة صاحبة الجلالة أن هذا لا يخدم قضية تسوية نهائية للصراع العربي ـــ الاسرائيلي »(٦٤). ولقد كررت وسائل الاعلام الاسرائيلية أكثر من مرة أن هذا العامل المحدد يشكل واحـــدا من أهم « القيود السياسية » التي تمنع الجيش الاسرائيلي من ضرب قواعد حركة المقاومة في الخارج(٦٥)، وأشارت اليه صحيفة شعاريم عندما قالت « بأن على اسرائيل الاكتفاء بأعمال الدوريات في أرض فتح مع الحفاظ على الاستقرار في المنطقة لان زيـــادة التوتر على الحدود من المحتمل أن يضر بعلاقاتنا الطيبة مع الولايات المتحدة »(٦٦) ولكن هذه الاقوال كلها لا يمكن أن تخفي حقيقة عدم ثبات **هذا العامل المرتبط بوضع سياسي سريع التبدل يمكن انقلابه بمجرد انقلاب اتجاهات المصالح أو تبدل قيم اوزانها النسبية .**

ولا يعتبر كسب « المناورة الخارجية » نهاية لاعداد الجو الملائم للعمل وتوسيع حقل حريته . اذ لا بد من اعداد الاداة المستعدة لهذا العمل والمؤمنة به . و « من المؤكد أن سهولة العمل تتزايد عندما يتم العمل حسب اتجاه القوى الكبرى المتحكمة بتطور المجتمعات »(٦٧) **سواء كان هذا الاتجاه صحيحا أو موهوما خلقته الدعاية الديماغوجية الطويلة بعملية « غسل دماغ جماعية »** ، وبنت عليه عقائد ديناميكية فعالة (النازية ، الفاشية ، الصهيونية) . وتختلف دوافع العمل عند القيادات عن دوافع العمل عند الشعب . وتعتمد القيادات في قراراتها على حسابات طويلة تدخل العوامل المادية والعوامل الذاتية في الحسبان بصورة عقلانية . ولكنها تدفع جماهير شعبها الى العمل، وتؤمن تلاحم جيشها وشعبها وصلابتهما بدوافع وقوى أخرى نابعة من الاهواء كالاخلاص للطائفة أو العشيرة أو الامة أو الدين أو الايديولوجية ... الخ .

ولقد أمنت السلطات الاسرائيلية القسم المادي من « المناورة الداخلية » عن طريق اعداد اقتصاد البلاد وتنمية القوة العسكرية وتجهيزها بالمعدات اللازمة للصراع . كما أمنت القسم المعنوي بخلق المجتمع المتلاحم المتحفز للحرب . وساعدت الدعاية الصهيونية ـ الاسرائيلية على تدعيم هذا التلاحم بشكل ملحوظ ، وحققت ما يسميه لودندورف بـ « التماسك السحري » أمام الخطر الخارجي رغم كل الخلافات الداخلية الممكنة ، معتمدة في ذلك على التعصب الديني ومجموعة من الاساطير مثل « العودة الى أرض الاجداد » و « التعرض لخطر الابادة » ، و « عدالة الحرب الدفاعية الوقائية » بالاضافة الى التخويف الدائم من الهزيمة والعودة الى حياة التشرد في كل بقاع الارض ، وما يرافق ذلك من تعذيب وارهاب و « بوغرومات » وأفران ابادة . وبالاضافة الى الدعاية المكثفة ، استخدم الزعماء الاسرائيليون عمليات العنف والانتقام ضد العرب لزيادة التلاحم الداخلي . ويذكر الدكتوران شلومو أهروتسون ودان هورفيتش من دائرة العلوم السياسية في الجامعة العبرية في دراسة نشرتها مجلة **الدولة والحكم** « أن عمليات الانتقام كانت بمثابة بديل للحرب . واستطاعت اسرائيل بواسطتها أن تعيش تحت ضغط النزاع مع العرب دون الاندفاع الى حرب دائمة » كما انها « شجعت تنمية الوفاق الاجتماعي العام في اسرائيل ، وطورت التماثل مع الدولة ، وساعدت على التماسك الاجتماعي »(٦٨). وهذا ما يفسر وقوف سكان اسرائيل باسرهم ـ باستثناء قلة يسارية تقدمية ـ مع سياسة دولتهم العدوانية التوسعية ، ومع كل تصرفات هذه الدولة بما في ذلك عملياتها الارهابية وتدابيرها القمعية ضد المدنيين من العرب(٦٩). الامر الذي يعني على الصعيد الاستراتيجي زيادة حرية عمل القيادات الاسرائيلية الى حدودها القصوى .

سمات العمل الاسرائيلي : تستغل اسرائيل الظروف الملائمة لها للبدء بالعمل . ويتسم عملها ضد القوات العربية النظامية ، وضد حركة المقاومة بسمات نابعة من وضع اسرائيل الاستراتيجي ، وطبيعة القوى المعنوية التي تحرك قواتها المسلحة ، وحقيقة مهمتها القمعية في قلب الوطن العربي . ويمكن تلخيص هذه السمات بما يلي : ١) المبادرة الهجومية ، ٢) الرد المرن ، ٣) الرد الاعنف ، ٤) الرد المتواصل .

١ ـ **المبادرة الهجومية :** ترتكز الاستراتيجية الاسرائيلية الدفاعية ـ الهجومية في الاساس على الهجوم . وهي تمارس الهجوم على نطاق واسع عندما تستهدف تدمير القوات العربية أو احتلال أراض جديدة ، كما تمارسه على نطاق محدود خلال فترات الدفاع الديناميكي التي تلجأ اليها للحفاظ على المكاسب المحققة . وتنبثق هذه « المبادرة الهجومية » من عمل القوات الاسرائيلية المسلحة لتحقيق هدف الاستراتيجية الاسرائيلية الاساسي : **التوسع والامن** اذ أن **التوسع** بحاجة لهجوم يدمر قوات الخصم ويحتل أراضيه ، **والامن** بمفهومه الايجابي يعني درء الخطر قبل وقوعه وذلك عن طريق تدمير

مكامن الخطر بضربات وقائية تتسم بمبادرات هجومية تعيد الى الاذهان — حسب تعبير صحيفة « ديلي وورلد » الشيوعية الامريكية — « **الضربات الوقائية** للجيش الهتلري . كما انها تعيد الى الاذهان ... ما سمي **رد الفعل الدفاعي** الذي حاولت الولايات المتحدة أن تبرر به عمليات القصف في الهند الصينية »(٧٠). ولقد طبقت اسرائيل مبدأ « المبادرة الهجومية » ضد الجيوش العربية فحققت بذلك مكاسب كبيرة على الصعيدين المادي والمعنوي . كما طبقت المبدأ نفسه ضد حركة المقاومة ، فكانت تدابيرها ضد خلايا الداخل هجومية بحتة ، ومزجت الهجوم والدفاع خلال صراعها ضد قواعد الخارج مع الحفاظ على روح المبادرة الهجومية كعنصر أساسي من عناصر الصراع . **واذا كانت « المبادرات الهجومية » الاسرائيلية ضد الجيوش العربية تصطدم بواقع دفاعي ، فان هذه المبادرات ضد حركة المقاومة تصطدم بواقع هجومي في الاساس** (ضمن اطار دفاع استراتيجي غير مباشر) . وبالرغم من اختلاف وسائل المقاومة وأساليبها وقواها عن أساليب العدو ووسائله وحجم قواه فان جوهر الصراع بينهما عبارة عن صدام بين مبادرتين هجوميتين : احداهما « مبادرة هجومية تحريرية » والثانية « مبادرة هجومية قمعية » . وتتجسد « المبادرة الهجومية » الاسرائيلية ضد الجيوش العربية بمبدأ « الهجوم المضاد الاجهاضي » (الوقائي) ، كما تتجسد خلال العمل ضد المقاومة بمبادرات ضرب جميع الاهداف (قواعد — معسكرات — اشخاص — مراكز اعلام) داخل الحدود وخارجها . ويشمل تعبير « خارج الحدود » هنا كل مكان يقع خارج الاراضي المحتلة . ولقد اذاعت محطة الاذاعة الاسرائيلية نقلا عن دافار (٧٢/٩/٧) « ان الحرب الدفاعية مهمة ولكنها ليست كافية . وان التحول سيطرأ عندما تأخذ اسرائيل زمام المبادرة لتصفية المخربين [رجال المقاومة] في كل مكان يوجدون فيه » . ونقلت محطة الاذاعة نفسها نقلا عن هآرتس (١٩٧٢/٩/١١) « ان علينا ان نركز جهودنا للقضاء على الوباء من خلال المبادرة الى ضرب المخربين [رجال المقاومة] في كل مكان » .

وقد تلاقي فكرة ضرب المقاومة خارج الاراضي العربية معارضة بعض العناصر التي تخشى أن يؤثر ذلك على علاقات اسرائيل بدول العالم . ولكن الضرب داخل الدول العربية أمر مقبول في معظم الاوساط الاسرائيلية . ففي ندوة مع الاذاعة الاسرائيلية تحدث العقيد الاحتياطي مئير بعيل بهذا الصدد قائلا : « بالنسبة للدول العربية فالامر واضح . ان الدول العربية هي دول معادية . واقامة حركات سرية تعمل ضدها يعتبر أمرا مشروعا . ولكن الامر صعب بالنسبة للدول الصديقة لاسرائيل ، أو على الاقل الدول التي تتخذ موقفا محايدا »(٧١). وتطبق اسرائيل عند اجتياز حدود الدول العربية المجاورة النظرية الاستعمارية التي لا تعترف **بالحدود السياسية** بين الدول ، وتستعيض عنها **بالحدود الايديولوجية** اي الحدود التي تقف عندها القوات المعادية لها ، أو **بحدود مدى عمل القوة** ، أي الحدود التي تستطيع القوة القمعية الوصول اليها رغم تحديدات العمل المختلفة . لذا فهي تطارد رجال المقاومة عند انسحابهم من الاراضي المحتلة الى الاراضي العربية المجاورة ، وتقوم دورياتها بعمليات الحراسة العميقة داخل الاراضي العربية — في لبنان حاليا وفي الاردن حتى عام ١٩٧٠ — وتشن قواتها البرية أو المحمولة جوا الاغارات على قواعد المقاومة حيثما كانت ، كما تقوم مدفعيتها وقواتها الجوية بقصف هذه القواعد في عمق البلدان العربية . وتحاول تحقيق المفاجأة في كل هذه الهجمات عن طريق الافادة من حرية العمل في الزمان والمكان واختيار الاسلوب . ويذكر المراقب السوفييتي ايغور اورلوف تصريحا يقول فيه الجنرال دافيد اليعازار « نحن احرار في شن الهجمات في الوقت الذي نراه ، وعلى المكان الذي نختاره ، وبالسبل التي تروق لنا »(٧٢). ولا يخفي المسؤولون الاسرائيليون نواياهم حول خرق الحدود . ففي حديث أذيع من التلفزيون الاسرائيلي في ٤ آذار ١٩٧٢ ونقلته دافار في اليوم التالي

تحدث وزير الدفاع الاسرائيلي موشيه دايان عن الرد على نشاط المقاومة من لبنان فقال « اننا لا نستبعد امكان اجتياز وحداتنا الحدود اذا اقتضى الامر للدفـــاع عن مواطني اسرائيل »(٧٣) وفي ٢٧ حزيران ١٩٧٢ زار دايان كريـــات شمونة وتحدث عن مسائل الامن بقوله « واذا كنت اتفهم السياسة الامنية جيدا فان جهودنا بالنسبة للفترة القادمة يجب أن تتركز على ردعهم [رجال المقاومة] عن‌مزاولة نشاطهم في الجانب الاخر أكثر من تركيزها على الدفاع عن منطقتنا بواسطة الجلوس والانتظار في الملاجىء »(٧٤). ثم اطلق في ١١ تموز من السنة نفسها تصريحا أكد فيه على أن الجيش الاسرائيلي سيضرب المقاومة « داخل الاراضي اللبنانية »(٧٥). ونقلت صحيفة المجاهد الجزائرية (٢ تموز ١٩٧٢) على لسان غولدا مايير قولهـــا بضرورة « ملاحقة المقـــاومة وحماية حدودها [حدود اسرائيل] ما دامت السلطات اللبنانية غـــير قادرة على ذلك » كمـــا نقلت على لسان رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال اليعازر تصريحه الـــذي قال فيه « ان مناطق الجنوب اللبنانية اصبحت مناطق محرمة لا تخضع لسلطة لبنان . ولنا الحق في اقتحامها وملاحقة الفدائيين فيها » وتذكر صحيفة دافار (١٩٧٢/٩/٢١) ان الدوائر المسؤولة في القدس صرحت « بأنه اذا عاد الارهابيون [رجال المقاومة] الى قواعدهم في لبنـــان بموافقة الحكومة اللبنانية فان اسرائيـــل ستضطر الى أن تبعث الى المنطقة بوحدات عسكرية للقيام بعمليات تمشيط وعمليات بوليسية ذات طابع دائم » وتحدد دافار منطقة الجنوب بانها « تمتد من الحدود الاسرائيلية حتى نهر الليطاني الذي يفصل جنوب لبنان عمليا عن باقي البلاد » . وفي هـــذا التصريح تحديد واضح لنوايـــا المبادرة الهجومية وحجمها ومنطقة عملها وطبيعة القوات المشتركـــة فيها . وهو لا يختلف في جوهره عن تصريحات القادة الامريكيين الخاصة بضرورة قصف المنشآت والمراكز الحيوية في فيتنام الشمالية ، ومطاردة رجال جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية (الفيتكونغ) برا وجوا عند اجتيازهم الحدود الفيتنامية ـــ اللاووسية ، أو الفيتنامية ـــ الكامبودية .

٢ ـــ **الرد المرن** : لا تلجأ اسرائيل الى العمل الا بعد ان تضمن ربح المناورتين الداخلية والخارجية . ويكون عملها واسع النطاق اذا أمنت لها هاتان المناورتان حرية العمـــل القصوى . ويبقى نشاطها محدودا داخل هامش معين لا يحـــدد عرضه سوى حريـــة العمل التي تم الوصول اليها . وبما أن هذه الحرية أمر **قابل للتبدل** وفق تبدل **عدد كبير** من المتحولات فان **الهامش الذي يمكن لاسرائيل أن تمارس نشاطهـــا فيه هامش مرن يضيق ويتسع بشكل مستمر** . وهذا ما يجعل عملها مبنيا على مبدأ « الرد المرن » أي الرد بتوجيه الضربات بحدة واتساع يختلفان باختلاف طبيعة الهدف ، وحجمه ، والاثر المطلوب تحقيقه ، والرغبة بالتصعيد والقدرة عليه ، دون التقيد باطار رد محدود جامد يسهل كشفه بتكراره ، أو يستنزف من الامكانات ما لا تتطلبه عملية الرد ، او يستثير ردود فعل لا تسمح بها تحديدات العمل . وتتراوح الاهداف السياسية للرد الاسرائيلي المرن ضد الجيوش العربية بين الحصول على **السلـــم والامن** (أي استسلام العـــرب الكامل) ، أو تحقيق مكاسب محلية يمكن الاحتفاظ بها او المساومة عليها (هدف محدود)، أو تسديد ضربات اجهاضية تستنزف قوى العرب المادية والمعنوية . وتحدد اسرائيـــل اهداف ردها العسكري بشكل يتلاءم مع الهدف السياسي المنشود في لحظة معينـــة . ويكون هذا الهدف متناسبا مع **مكامن الحساسية** في الدول العربية وضرورات الموقف . وهو يتراوح بين تدمير القوات العسكرية العربية تدميرا كاملا لتجريد الامة من درعها وشل ارادتها (١٩٥٦ و ١٩٦٧) أو احتلال مواقع استراتيجية مهمة والبقاء فيها (فترة ١٩٤٨ ـــ ٤٩ ، شرم الشيخ ، جنوب لبنان) ، أو ابادة جزئية للقوات العسكرية على الحدود (الاعتداءات الاسرائيلية على مختلف الجبهات العربية منذ حرب ١٩٤٨ حتى اليوم) ، أو ضرب الاهداف العسكرية وراء الحدود (عملية القطيفة ، وقصف معسكرات الجيش المصري ، وقصف تجمعات الجيش العراقي في الاردن وكلها بعد عام ١٩٦٧) ،

أو شل القدرة العسكرية عن طريق ضرب المدنيين والاهداف الاقتصادية الحيوية على الحدود (مدن القناة ، ومنشآت البترول في السويس) ثم الانتقال بعد ذلك لضرب أهداف مماثلة بالعمق (مصنع أبي زعبل ، مدرسة بحر البقر ، نجـع حمادي ... الخ) . والوسائل التقنية لتحقيق مثل هذه الاهداف العسكرية هي: الهجمات الشاملة التقليدية، والاغارات البرية ، والاغارات بالقوات المحمولة جوا ، والاغارات بالقوات البرمائية والضفادع البشرية ، وعمليات التخريب عن طريق العملاء والمتسللين .

وتعتبر عمليات التخريب نوعا من الصراع الخفي الذي لا يعلن عنـه دائما ، وتأتي الاغارات البرية كأبسط انواع الرد المرن وأكثرها بدائية . ولقد استخدمتها اسرائيل ضد الجيوش العربية مرات متعددة قبل الحصول على التفوق الجوي الساحق ، ثم تأتي الاغارات بالقوات المحمولة جوا والقوات البرمائية في درجة أعلى على سلم التصعيد في الرد المرن . ومن المعروف أن اسرائيل لم تستخدم القوات البرمائية على نطاق واسع الا في عملية خليج السويس ، اما استعمالها للقوات المحمولة جوا فهو أكثر تكرارا بفضل ما تملكه من تفوق جوي . واذا اعتبرنا الهجمات الشاملة التقليدية (الحرب) أعلى درجات التصعيد وجدنا أن استخدام الطيران يأتي بعده باشرة . ومـن المعروف ان اسرائيل لم تستخدم هذا السلاح في حوادث الحدود قبل عام ١٩٦٤ الا مرة واحدة في عام ١٩٥١ عندما قتلت القوات السورية سبعة من رجال الشرطة الاسرائيليين . ويذكر كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** أن بن غوريون كان يرفض استخدام هذا السلاح « وكان احساسه انه بذلك يزيد من حدة حوادث الحدود . وان الدول العظمى لن تصمت ازاء هذا العمل العسكري المتطرف . وان من الاحسن ان يكون الرد بواسطة وحدات الاغارة وتجنب التصعيد عن طريق استعمال الطائرات »(٧٦). ثم يذكر الكتاب نفسه كيف طلب رئيس الاركان العامة آنذاك الجنرال اسحاق رابين استخدام الطيران للرد على قصف دان ودفنه في تشرين الثاني ١٩٦٤ ، وكيف وافق رئيس الوزراء ووزير الدفاع ليفي اشكول على ذلك « وقد مر استعمال الطائرات بصمت . ولم يهتز الرأي العام » ... « وكانت هذه هي العملية الاولى في سلسلة العمليات الجوية التي سبقت حرب الايام الستة »(٧٧). ثم تصاعد استخدام الطيران بعد ذلك حتى حرب ١٩٦٧ وهذا دليل على أن تحديدات العمل لم تكن كما يذكر الكتاب المذكور آنفا مقتصرة على التردد أمام الرأي العام العالمي بل كانت متعلقة ايضا بالخوف من رد العرب على القصف الجوي بقصف جوي في فترة عدم وجود التفوق الجوي الساحق . وانعدام هذا الخوف بعد أن قفز سلاح الطيران الاسرائيلي بمساعدة فرنسا الى مستواه المتقدم . وفي الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٢ استخدم الاسرائيليون سلاحهم الجوي على أوسع نطاق وخاصة خلال فترة حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية . ولقد وجهوا ضرباتهم ضد الاهداف العسكرية (دفاعات ، قواعد صواريخ ، تجمعات) وضد الاهداف المدنية والاقتصادية على القناة وبالعمق. وكان قصف الاهداف المدنية والعسكرية بالعمق أعلى درجة تصعيد وصل اليها ردهم المرن قبل اسبوع تساقط الطائرات الذي أدى الـى مشروع روجرز وتوقف اطلاق النار . ويؤكد كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ان تل ابيب كانت تعتقد انه يمكن « بعمليات القصف البعيدة المدى ... تحقيق الكثير مع عـدم المخاطرة اكثر من اللازم . ان هذه العملية لا تستوجب حربا شاملة ولا كذلك عبور قناة السويس . ان هذه العملية هي توسيع وتعميق لعمليات موجودة دون احتلال مناطق ، ودون ابادة قوات كبيرة »(٧٨). وكان موشي دايان قد صرح منذ صيف ١٩٦٨ باحتمالات ضرب الاهداف المدنية لقهر ارادة الصمود المصرية عندما قال « اذا أردنا واذا احتجنا لذلك يمكننا ان نجعلهم ينهارون عن طريق السكان المدنيين ... ان المسافة اليوم حتى القاهرة مائة كيلومتر . وهذه مسألة في متناول ايدينا . وكوننا في سيناء يمكننا من القيام

بارهاب في المدن العربية اذا رأينا ضرورة لذلك »(٧٩). ولا يمكن تفسير هذه المغالاة في استخدام الطيران الاسرائيلي خلال تصعيد الرد المرن الا باحساس الاسرائيليين بتفوقهم الجوي بعد حصولهم على اعداد وفيرة من الطائرات المتطورة ، وشبكات الدفاع الجوي الصاروخية .

وتتجلى مرونة الرد الاسرائيلي في العمل ايضا ضد المقاومة الفلسطينية . ويذكر الجنرال بيغال آلون في كتابه **الستار الرملي** في معرض الحديث عن الرد على المقاومة بأن على الجيش الاسرائيلي أن يلجأ الى « ضم سليم لوسائل الامن السلبية والايجابية **طبقا لظروف المكان المناسب** »(٨٠). وان يستخدم الرد الدفاعي والحواجز والدوريات ... الخ « وبالاضافة الى ذلك فمن الواجب أيضا ان تستغل اسرائيل حقها التقليدي [!] وقدرتها التنفيذية للعمل والردع ايضا خلف خطوط وقف القتال ، سواء أكان ذلك بطلقات صغيرة ام بضربات ثقيلة ، وذلك طبقا للظروف والضرورات . فالتعقب والمتابعة والتصرف **حسب الظروف بانسياب ومرونة** في اسلوب العمل من شأنه في نهاية الامر ان يقلص من عمليات العدو »(٨١). ومن الطبيعي ان تختلف الاعمال الموجهة الى المقاومة عن الاعمال الموجهة الى الجيوش العربية نظرا لان طبيعة العمل وتأثيراته الفعلية والردعية (المادية والمعنوية) تختلف باختلاف المجتمعات التي تتعرض اليه ، **ومكامن حساسيتها** ، وطبيعة قواها المقاتلة ، وحجم تعبئتها المعنوية ، وضخامة أهدافها الاقتصادية والبشرية وامكانية تعرضها . فكلما زاد تعقيد المجتمع ازداد حجم الاهداف التي يمكن ضربها ، وتصاعدت امكانية الاختيار في « الرد المرن » . وتضاعفت تأثيرات هذا الرد المادية والردعية . ومن الملاحظ ان الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني حاليا ، وطبيعة قوات المقاومة واماكن توزعها تجبر اسرائيل على التوجه « بردها المرن » نحو الاهداف العسكرية ، والمراكز الاعلامية والسياسية ، والشخصيات الهامة في حركة المقاومة . ويدفعها الى القيام بالحرب السرية التخريبية على نطاق واسع ، واستخدام أساليب الخطف وأخذ الرهائن ، بالاضافة الى الضربات العسكرية البرية التقليدية ، وعمليات الاغارة بالقوات المحمولة جوا وعمليات القصف الجوي . ولم تستطع اسرائيل حتى الان تحقيق جميع أغراضها ضد حركة المقاومة عن طريق الحرب السرية او العمل البري المباشر . نظرا لان أساليب المقاومة القتالية ، وأطرها التنظيمية ، واستخدامها لتكتيكات الكر والفر ، وتبعثر قواعدها ومعسكراتها ... الخ وعددا آخر من تحديدات العمل التي ذكرناها آنفا منعت التدخلات البرية من الوصول الى نتائجها المرجوة . ولهذا استخدم العدو التدخلات الجوية التي أعطت عملياته مستوى عميقا **متميزا** قليل التكاليف نسبيا ، وكبدت المقاومة عددا من الخسائر ، دون ان تتوصل الى تحقيق « الردع المباشر » ، وان كانت — كما رأينا من قبل — سببا من اسباب « الردع غير المباشر ». ويمكننا ان نتصور قيام المخططين العسكريين الاسرائيليين في المستقبل (في حالة ضمان حياد الرأي العام العالمي) بتصعيد « الرد المرن » على حركة المقاومة الى مستوى ضرب « الرهينة » الفلسطينية الوحيدة **الكبيرة والحساسة** بآن واحد (مخيمات اللاجئين في سوريا ولبنان) وخاصة بعد أن أعلنت الاوساط الاسرائيلية (حسبما ذكرت صحيفة النهار ، ١٩٧٢/٩/١٧) بأن هذه المخيمات هي « مراكز تجميع الاعضاء الجدد في المنظمات الفدائية وتدريبهم . وفي هذه المخيمات مستودعات ذخيرة . ومن هذه المخيمات ينطلق الفدائيون للقيام بعمليات ضد اسرائيل وضد المصالح والشخصيات الاسرائيلية في الخارج . »

٣ — الرد الاعنف

العنف سمة من سمات الحرب التي يعرفها كلاوزفيتز في كتابه « في الحرب » بأنها « العنف المدفوع الى حده الاقصى » . ولا يمكن الاخذ على خصم من الخصوم استخدام

العنف في الحرب لان هذا الاستخدام نابع من طبيعة الاشياء . ومن الخطأ التنديد بأية استراتيجية عسكرية لاستخدامها العنف لان هذا العنف يأخذ في لحظة الصدام اهمية اساسية لا غنى عنها خاصة وأنه لا يمكن الرد على عدو عنيف بتدابير سلمية او بنصف تدابير . واذا كنا ندين العنف الاسرائيلي أو أي عنف عنصري استعماري فان هذه الادانة لا تشمل فكرة العنف نفسها — فهناك عنف شرعي تحريري — ولكنها تشمل الاهداف الكامنة وراء العنف القمعي الاستعبادي . ولا يستهدف حديثنا هنا بحث مسألة العنف الاسرائيلي ، بل بحث مسألة الرد الاعنف اي بحث تقنية معينة يستخدمها العدو في الرد خلال العمل .

تعمل القوات الاسرائيلية دائما على تصعيد العنف ، وترد على كل ضربة تسددها لها القوات العربية النظامية او قوات المقاومة بضربة أعنف تستهدف ازالة الاثر المعنوي الجيد الذي تتركه الضربة العربيـــة بين صفوف الجماهير العـــربية ، ورفع معنويات يهود العالم والاسرائيليين في الاراضي المحتلة . وتحاول مخططات العدوان المعادية دائما انزال اكبر خسارة بالقوة العسكرية العربية لتحقيق **الردع المادي** مع الحاق خسائر جسيمة بالسكان المدنيين لتحقيق **الردع المعنوي** ، وشل القيادات ومنعها من متابعة التخطيط لعمليات قد يدفع الاهالـــي المسالمون ثمنها غاليا . ومـــن أهم مبادىء الرد الاسرائيلي الاعنف **هو أن تكون له الضربة الاخيرة عند توالـــي الضربات والضربات المعاكسة** . ويعتمد العدو في تحقيق ذلك على قدرته على التصعيد ورغبته به ، وعدم رغبة القوات العربية بالتصعيد او عدم قدرتها عليه .

ويدل سجل حوادث الحدود العربية — الاسرائيلية منـــذ بدء الصراع حتى اليوم ، ان العدو كان يرد على كل عملية تشنها المقاومة الفلسطينية والقوات العربية النظامية بعملية كبيرة تتجاوز ابعاد العملية العربية . ويذكر الصحفي شبتاي طيفت : « كـــان الكثيرون عندنا يريدون ان يروا اعمال انتقام ارهابية . ويعتقـــد الكثيرون ان هذه هي الطريقة الوحيدة لمحاربة الارهاب العربي »(٨٢) . ويفسر المنظرون الاسرائيليون ذلك بأنه عبارة عن سياسة « السن بالسن » التي تطورت بعد ذلك الى تكديس حساب عدة عمليات وتسديده بعملية انتقامية واسعة النطاق وصفها ليفي اشكول بقوله : « لا يجب أن نتصرف دائما طبقا لسياسة السن بالسن ، فمن الممكن ايضا ان تكون هناك مجموعة من الاسنان بدلا من سن واحدة »(٨٣) . ويقول زئيف شيف عن عمليات الانتقام ضد العرب « ان العقاب لا يكفي بل يجب تحديد ثمن مضاعف او اكثر لكل عملية اضرار بنا »(٨٤) . وهذا ما عبر عنه دايان منذ البداية بـــ « تحديد ثمن باهظ لدمائنا »(٨٥) .

وبالرغم من رغبة العدو الدائمة بتسديد الضربة الاعنف ، فان مخططاته لا تتجاهل كليا التحديدات المحلية والعالمية للعمل . ففي خلال حـــرب الاستنزاف ، وبعد أن قـــرر الاسرائيليون تسديد ضربة اعنف للمصريين في العمق رأوا — حسب ما يذكر كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** — « انه يجب تجنب أن تصيب الضربات الاسرائيلية العرب اصابة بالغة حتى لا يجد الروس انفسهم دون خيار امـــام ضرورة ان يخفوا لنجدتهم »(٨٦) . ويذكر الكتاب نفسه أن من التحديدات التي حسب الاسرائيليون حسابها قبل تسديد ضربة جوية عنيفة للرد على عمليات الكوماندوس المصرية في تموز ١٩٦٩ : تحديدات ثلاثة هي : الرغبة بادخار الطائرات الاسرائيلية القليلة لمرحلـــة الصدام ، والخوف من أن يرد المصريون بطيرانهم الذي زادت قوته ، والخوف من رد فعل سوفييتي عنيف . وان هذه التحديدات لم تمنعهم رغم ذلك من قصف القطاع الشمالي بعنف في ٢٠ و٢٢ تموز بشكل صعد العمليات على الجبهة وزاد حدة التوتر . ولما سئل الجنرال عيزر وايزمان عن سر هـــذا التصرف رد بقوله : « لقد كان هـــذا التصعيد لمنـــع التصعيد »(٨٧) .

٤ ــ الرد المتواصل

ان حجم « هدف النزاع » واهميته وحيويته بالنسبة للانسان العربي عامــة والعربي الفلسطيني خاصة ، واستمرار وجود « سبب النزاع » يضعفان آثار الضربات مهما بلغ عنفها واشتدت حدة شراستها . لذا يحاول العدو الاسرائيلي تسديد الضربات بشكل متواصل مستمر للوصول الى درجة معينة ثابتة من الردع مطبقا بذلك قاعدة عسكرية أساسية تقول بضرورة « ترتيب تتابع الجهود بشكل يجعل تأثيراتها متلاقية في الزمان والمكان »(٨٨) الامر الذي يؤدي في النهاية الى التقاء الجهود وتلاحمها ووحدتها وتأمين « اقتصاد القوى » . ولقد كان الرد المتواصل قبل حرب ١٩٦٧ يكتفي بتسديد الضربات على فترات متعاقبة لتصفية حسابات متراكمة . ولكن تصاعد حركة المقاومة بعد هذه الحرب وازدياد فاعلية عملياتها في الداخل والخارج، واندلاع حرب الاستنزاف على القناة جعل الاسرائيليين يلجأون الى « السياسة الجديدة » أي الرد المتواصل بتواتر كبير ، المتمثل بالعمل ضد جبهــة القناة بلا انقطاع ، واعتبــار القتال ضد رجــال المقاومــة « كسياسة مستمرة لا كمجرد رد فعل على عمليات يقومون بها »(٨٩) . وتقول جيروزاليم بوست « ان الفترة السابقة التي تميزت بالقيام بالرد على كل عملية تخريبية كانت تصلح لتلك الفترة حيث كانت أعمال المخربين [رجال المقاومة] غير منظمة كما هو الحال الان . ولكن لم يعد معقولا الان ان لا نعمل ضدهم الا في الوقت الذي يتوقعونه »(٩٠) . وتؤكد هآرتس ــ بعد قصف القرى السورية واللبنانية في ايلول ١٩٧٢ ــ ان « الرد مهما كان قاسيا فانه لن يكون كافيا لمنع تكرار الاعمال الخطيرة الا اذا كان مستمرا ومتواصلا »(٩١) . وهكذا تعلن كل وسائل الاعلام الاسرائيلية بأن الرد على الضربات العربية سيكون بضربات مستمرة « لا يمكن ان تظل عرضية او متقطعة »(٩٢) ولا بد كما يقول الجنرال دايان من « ان تتم على مراحل »(٩٣) .

* * *

وهكذا نرى أن العمل والردع الاسرائيليين يسيران بشكل منسق متواتر متعاقب متصاعد يصل في بعض الاحيان الى التلويح الخفي بالسلاح الذري والكيميائي بغية التأثير على ارادة الصمود العربية وقهرها . ولا يمكن تحديد نجاح العدو في « عمله وردعه » الا من خلال مقياس واحد : هو مستوى صلابة **الارادة العربية الجماعيــة** وقدرتها علــى الاستمرار بالعمل الفعال في حوار الارادات .

---

١ ــ **استراتيجية العمل** ، اندريه بوفر ، ترجمة دار الطليعة ، ص ٢٦ .

٢ ــ **« نشرة الاشتراكي العربي »** ، الاتحــاد الاشتراكي في سوريا ، العدد ٢٥ ، أواخر مايو ١٩٧٢ .

٣ ــ **الستار الرملي** ، يينال آلون ، ترجمة مركز التخطيط ، ١٩٦٩ ، ص ٣٧ .

٤ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٧٢/٩/١٩ .

٥ ــ **الستار الرملي** ، ص ٩٨ .

٦ ــ **تاس** ، ١٩٧٢/٩/١٣ .

٧ ــ **الستار الرملي** ، ص ٤٥ .

٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ٩٨ .

٩ ــ **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، يينال آلون ، ترجمة دار العودة ، ص ١٣٨ .

١٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ٢٥١ .

١١ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٨/٨/١٤ ذكرها ابراهيم العابد في **مدخل الــى الاستراتيجيــة الاسرائيلية** .

١٢ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٨/٩/٢٠ ذكرها ابراهيم العابد في **المرجع السابق** .

١٣ ــ **نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١٠/٢٦ .

١٤ ــ **المرجع السابق** .

١٥ ــ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، يشعياهو بن فورت ، وأوري دان ، وزئيف شيف ، ترجمة دار العودة ، ص ٢٢٨ .

١٦ ــ **دافار** ، ١٩٧١/٤/١٨ .
١٧ ــ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، ص ٢٢٨ .
١٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ٢٣٠ .
١٩ ــ **المرجع السابق** ، ص ٢٣٢ .
٢٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ٢٣٢ .
٢١ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٨/٩/٢٠ ذكرها ابراهيم العابد في **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** .
٢٢ ــ **نيرايست ريبورت** ، ١٩٧٢/٥/٧ ، نقلته **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١/٦/ ١٩٧٢ .
٢٣ ــ عن **الانوار** ، ١٩٧٢/٧/١٤ .
٢٤ ــ من حديث الجنرال يشعياهو جافيش مع التلفزيون الاسرائيلي ، **الاهرام** ، ١٤/١١/ ١٩٧٢ .
٢٥ ــ **المرجع السابق** .
٢٦ ــ **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ص ١٥١ .
٢٧ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٩٣ .
٢٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٩٣ .
٢٩ ــ راجع في هذا المجال : **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، العميد هيثم الكيلاني ، منشورات مركز الابحاث الفلسطينية . **ومدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** ، ابراهيم العابد ، منشورات مركز الابحاث الفلسطينية . **ونحو استراتيجية عربية جديدة** ، المقدم الهيثم الايوبي واكرم ديري ، دار الطليعة . **ونشأة وتطور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ١٨٨٧ و١٩٧٧** ، اعداد مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الاهرام .
٣٠ ــ **الردع والاستراتيجية** ، الجنرال اندريه بوفر ، ترجمة دار الطليعة ، ص ٦٧ .
٣١ ــ **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ص ١٥١ .
٣٢ ــ **معاريف** ، ١٩٦٩/٣/٣ .
٣٣ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٩/٩/٨ .
٣٤ ــ من تعليقات وزير الخارجية الاسرائيلية على عمليات الجيش الاسرائيلي في لبنان ، عن نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١/٢٧ .
٣٥ ــ **الحياة** ، ١٩٧١/٨/٢٠ .
٣٦ ــ L'Orient le Jour ١٩٧٢/٣/٢
٣٧ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٦/٢٤ .
٣٨ ــ **الانوار** ، ١٩٧٢/٧/١٧ .
٣٩ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/٢٠ .
٤٠ ــ نقلته رويتر ، و ، و.ص.ف. ، ١٦/٩/ ١٩٧٢ ، **النهار** ١٩٧٢/٩/١٧ .
٤١ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/١٧ .
٤٢ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٧٢/٩/٢٢ .
٤٣ ــ من أقوال أبا ايبان في مؤتمره الصحفي في ١٩٧٢/٩/٨ ، **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/٩ .
٤٤ ــ من اقوال وزير الشرطة شلومو هيلل في حديث مع وفد الجباية الموحدة في الولايات المتحدة . نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** باللغة العبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ٢٩/٩/ ١٩٧٢ .
٤٥ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** باللغة العبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/٧ .
٤٦ ــ **المرجع السابق** .
٤٧ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١١/٢١ .
٤٨ ــ حاييم هرتزوغ ، **وكالة البرق اليهودية** ، ١٩٦٩/٢/٢٦ .
٤٩ ــ **الستار الرملي** ، ص ٩٢ .
٥٠ ــ زئيف شيف ، **هآرتس** ، ١٩٧٢/٣/٣ ، عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٦/ ١٩٧٢/٣ .
٥١ ــ دوف يئون ، نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ٢٥/٩/ ١٩٧٢ .
٥٢ ــ **دافار** ، ١٩٧١/٣/٢٩ .
٥٣ ــ **الناتيز** ، ١٩٦٨/٨/٢١ .
٥٤ ــ **الاسوشيتدبرس** ، ١٩٦٦/١١/٢٩ .
٥٥ ــ **النهار** ، ١٩٧٢/١١/١٢ .
٥٦ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١٠/٢٤ .
٥٧ ــ **هآرتس** ، ١٩٦٨/٦/٧ .
٥٨ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٨/٩/٢٠ ذكرها ابراهيم العابد في **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** .
٥٩ ــ لا يحمل « الاجتذاب » هنا معنى الاجتذاب العاطفي او الانساني ، بل الاجتذاب عن طريق

اقناع (د) بأن مصالحها المباشرة او غير المباشرة تفرض عليها الخروج من السلبية الى العمل .

٦٠ ــ نشرة **مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/٣/١ ، عن اذاعة اسرائيل بالعبرية .

٦١ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/١٧ .

٦٢ ــ نقلته **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/٢٤ .

٦٣ ــ نقلته **الانوار** ، ١٩٧٢/١٠/١٧ .

٦٤ ــ **المرجع السابق** .

٦٥ ــ **هاعولام هازيه** ، ١٩٧٠/٣/٤ .

٦٦ ــ **شعاريم** ، ١٩٧٢/٦/٢٤ . نقلته نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، **١٩٧٢/٦/٢٤** .

٦٧ ــ **استراتيجية العمل** ، بونر ، ص ٦٤ .

٦٨ ــ عرضت الدراسة **معاريف** ، ١٩٧١/٧/١٤ ، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧١/٨/١ .

٦٩ ــ نشرت صحيفة L'Orient le Jour في عدد ١٩٧٢/٣/٢ نقلا عن و.ص.ف. أن مؤسسة بوري اجرت في شباط ١٩٧٢ عملية استفتاء لمجموعة يتألف ٩٠ ٪ منها من الشبيبة . وكانت نتيجة هذا الاستفتاء : ان ٨٤ ٪ من المجموعة أيدت العمليات القمعية عن طريق القصف بالطائرات . وان ٣٤٣ ٪ منها فقط كانت ضد مثل هذه العمليات لعدم فاعليتها ؛ على حين تحفظ ٦٤٣ ٪ في اجوبتهم ؛ وكان ٦٤٤ ٪ الباقين بدون رأي .

٧٠ ــ نقلته **تاس** ، ١٩٧٢/١٠/١٨ .

٧١ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/١٤ .

٧٢ ــ **تاس** ، ١٩٧٢/١١/٢ .

٧٣ ــ **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/٣/١٦ .

٧٤ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٦/٢٧ .

٧٥ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٧/١١ .

٧٦ ــ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، ص ٦٥ .

٧٧ ــ **المرجع السابق** ، ص ٦٥ .

٧٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ٣٠٨ ــ ٣٠٩ .

٧٩ ــ **المرجع السابق** ، ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥ .

٨٠ ــ **الستار الرملي** ، ص ٥١ .

٨١ ــ **المرجع السابق** ، ص ٩١ .

٨٢ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٢/١٠/٦ ، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/١٠/١٦ .

٨٣ ــ **هآرتس** ، ١٩٦٨/٩/٢٢ ، ذكرها ابراهيم العابد في **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** .

٨٤ ــ **المرجع السابق** .

٨٥ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٢/١٠/٦ .

٨٦ ــ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** . ص ٣٠٩ .

٨٧ ــ **المرجع السابق** ، ص ٢٧٨ .

٨٨ ــ **استراتيجية العمل** ، ص ١٠٢ .

٨٩ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١٠/١٤ .

٩٠ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١٠/١٧ .

٩١ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/١١ .

٩٢ ــ من تصريح ليبغال آلون ، نشرته **النهار** ١٩٧٢/٩/٢١ .

٩٣ ــ نشرة **مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ٧٢/٣/١٦ عن حديث دايان التلفزيوني في ١٩٧٢/٣/٤ .

الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الاجنبي ١٩٢٢ ــ ١٩٣٩

كين ميركورد

كانت فلسطين عام ١٩٢٢ بلدا زراعيا صغيرا ذا موارد طبيعية قليلة وصناعة ضئيلة . اذ يقول التقرير القنصلي الامريكي لعام ١٩٢٢ « لم يكن التطور الصناعي على طريق الصناعة التحويلية المحضة امرا عمليا بالنسبة لفلسطين دون اكتشاف موارد معدنية محلية مبشرة، ولم تكن هنالك ضمانة على ان شيئا كذلك سيحدث »(١).وعلى الرغم من ذلك ، فبعد سبعة عشر عاما كانت الصناعة اليهودية في فلسطين تنتج كل شيء من اسمنت البورتلاند الى الاسنان الاصطناعية . كذلك كان الانتاج الصناعي قد قفز من ١،٠٠٠،٠٠٠ جنيه فلسطيني عام ١٩٢٢ الى ١٠،٠٠٠،٠٠٠ جنيه عام ١٩٣٣ . وبدا لكثير من المراقبين كأن معجزة عصر حديث قد حدثت في الارض المقدسة . كما اعلن الصهيونيون في فلسطين وفي الغرب بابتهاج « أن ما انفق من الجهد وراس المال قد تكلل بالنجاح وان فلسطين قد غدت مركزا صناعيا تنفذ منتجاتها ليس للبلدان المجاورة فحسب بل ايضا الى اماكن بعيدة مثل افريقيا الجنوبية »(٢). الا ان المراقبين لم يكونوا جميعا على مثل ذلك الابتهاج . فقد كانت «المعجزة» بالنسبة للبعض مجرد «سراب» . فقد كان هؤلاء يشيرون الى ما تدفق على البلاد من راس مال بلغ ١٢٦،٠٠٠،٠٠٠ جنيه بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣٩ ويدعون ان اقتصاد البلاد لن يقوى على البقاء حينما يتوقف هذا الدفق . وقد حذر اقتصادي امريكي آنذاك من « ان هذه البحبوحة الظاهرة ما هي الا تفاقم مؤقت او تضخم مصطنع لا يستند الى اسس اقتصادية سليمة . اني لا ارى لهذا البلد سوى مصير اسود حقيقي وانهيار اقتصادي مريع »(٣). وتضارب الآراء هذا يثير السؤال عما اذا كان التوسع الصناعي اليهودي في فلسطين قادرا على الحياة دون الاعتماد على راس المال الاجنبي .

يجب اولا التمييز بين « الصناعة اليهودية في فلسطين » و « الصناعة الفلسطينية » ، اذ كان في الواقع اقتصادان في فلسطين خلال الانتداب ، يتقاسمان ارضا مشتركة ولكن تقررهما قوى مختلفة واحيانا متنازعة . فالاقتصاد اليهودي ، الذي تولد عن رغبة الصهيونيين في اوروبا وامريكا في اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، قد تميز بفيض متواصل من المهاجرين ورؤوس الاموال . والى جانبه كأن يقوم الاقتصاد العربي وهو اقتصاد زراعي في معظمه ويتسم بنمو سكان طبيعي سريع وتراكم بطيء في راس المال واليد العاملة الماهرة . وكان ثمة بين هذين الاقتصادين حد أدنى من التبادل . وكانت القوى التي تفرقهما سياسية اكثر منها اقتصادية . اذ وضع الصهيونيون ضغوطا قانونية وغير قانونية على المستعمرين اليهود لابتياع المصنوعات اليهودية وتشغيل العمال اليهود فقط ، بينما نادى القادة العرب بمقاطعة المنتوجات اليهودية واربابب العمل اليهود . وكان الفريقان ناجحين الى حد بعيد . ففيما عدا تبادل شيء من ناتج الزراعة العربي مقابل المصنوعات اليهودية ، وبعض راس المال اليهودي مقابل الارض

العربية ، ثم بعض الايدي العاملة العربية مقابل الاجور اليهودية كان الاقتصادان مميزين ، وينموان بطريقتين مختلفتين اختلافا واضحا . وقد نمت الصناعة العربية في فلسطين بثبات بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣٩ فارتفع انتاجها ٢٠٠٪ ، لكنها لم تنم بمثل سرعة الصناعة اليهودية التي اسهمت باكثر من ٨٠٪ من اجمالي ناتج فلسطين الصناعي بحلول عام ١٩٣٩ . الا ان الصناعة العربية كان لا يمكن لها الا ان تكون قادرة على الحياة دون الاعتماد على راس المال الاجنبي ، اذ انها لم تتلق اي دعم عن طريق تدفق سيل ضخم من راس المال الاجنبي . وهكذا ينشأ السؤال ما اذا كان ممكنا للتوسع الصناعي اليهودي ان يستمر دون دعم راس المال الاجنبي .

مقومات التوسع الصناعي اليهودي في فلسطين

تذهب النظرية الاقتصادية الى ان تطور الصناعة في اي بلد تقرره عوامل اربعة : المواد الخام ، اليد العاملة ، الاسواق ، وراس المال . ويكون البلد في وضع مثالي من حيث امكانات التطور الصناعي اذا ما توفرت فيه المواد الخام بكثرة ، وكذلك اليد العاملة الرخيصة ، والاسواق الواسعة التي تتمتع بالحماية ، وسبل الوصول الى راس المال **الذي لا يحمل الفائدة** . وعند النظر في مدى توفر هذه الشروط في فلسطين يظهر ان « الوطن القومي اليهودي » لم يكن في وضع مواتي بالنسبة للعوامل الثلاثة الاولى . اما بالنسبة للعامل الاخير ، اي راس المال ، فيمكن القول انه كان الشرط الاساسي لقيام الصناعة اليهودية .

١ ــ **المواد الخام** : ان حاجة الصناعة الاولى هي الطاقة . ويمكن الحصول على الطاقة بواسطة انواع الوقود المعدني (الفحم الحجري ، والنفط) او بواسطة القوة المائية . وحتى عام ١٩٣٢ كان تزويد فلسطين بالطاقة يعتمد كليا على الوقود المعدني . وبما ان فلسطين لم تكن تنتج اي نفط او فحم حجري ، كان عليها ان تستورد كل حاجتها من الخارج ، الامر الذي كان يكلفها باهظا . فحتى بعد مد خط انبوب شركة نفط العراق من كركوك الى حيفا عام ١٩٣٥ ، كان النفط في فلسطين اغلى منه في اي من البلدان المجاورة او في الولايات المتحدة . وقد قدر ان الطاقة الكهربائية المولدة من وقود النفط كانت اغلى سبع مرات في فلسطين عنها في الولايات المتحدة عام ١٩٢٥(٤). ومنذ البداية علق الصهيونيون املا كبيرا على استخدام نهر الاردن كمصدر للطاقة الهيدروكهربائية الرخيصة .وفي عام ١٩٢٦ منح امتياز تطوير موارد نهر الاردن الى جماعة من اليهود البريطانيين الذين انشأوا شركة كهرباء فلسطين . وكانت خطتهم للاستفادة من مجرى نهر الاردن بين بحيرة طبريه والبحر الميت تقتضي انشاء ثلاث محطات للطاقة . وعندما تم انجاز المحطة الاولى عام ١٩٣٢ ، قامت شركة كهرباء فلسطين ، التي كانت قد بدأت تنتج الكهرباء من مولدات الديزل في حيفا وتل ابيب وطبريه ، بتخفيض اسعارها بنسبة ٤٠٪ . على ان الحصول على الطاقة الكهرمائية لم يكن قليل التكاليف كما كان يتوقع . فعلى اساس تكاليف انشاء المحطة الاولى ، قررت الشركة التخلي عن خطتها لانشاء محطتين كهرمائيتين اضافيتين وانشأت بدلهما محطتين بخاريتين في تل ابيب وحيفا . وعلى الرغم من ذلك كان متوسط سعر الكهرباء في فلسطين عام ١٩٣٧ لا يزال اغلى بمرتين عنه في الولايات المتحدة(٦).

ان تقديرا واقعيا لموارد فلسطين المعدنية كان يمكن ان يظهر ان هناك القليل من الرواسب التي يمكن استغلالها تجاريا . حيث لم يكن هناك امل كبير في انشاء صناعة تقوم على الرواسب المعدنية المحلية باستثناء مياه البحر الميت التي تحتوي على كميات كبيرة من البوتاس والبرومين والاملاح المعدنية . وقد اخذت شركة بوتاس فلسطين ، التي كان يمولها يهود امريكيون وبريطانيون ، على عاتقها استغلال هذه الثروة . وابتدأ الانتاج عام ١٩٣١ وازداد بسرعة بعد ذلك الى ان اصبح يسهم عام ١٩٣٨ بـ ٥٠٪ من

صادرات فلسطين الصناعية . الا ان الشركة لم تسهم الا قليلا في تطوير اقتصاد فلسطين . فبما ان ارباح الشركة ، التي كان يملكها الاجانب ، كانت تذهب الى رأسماليين غير مقيمين ، كما ان انتاجها كان يصدر دون أن يمر بعمليات تصنيع اضافية في فلسطين ، فان اسهام الشركة الوحيد في الاقتصاد الفلسطيني كان عن طريق الاجور التي تدفعها لعمالها (اقل من الف عام ١٩٣٧)(٧) وعن طريق مشترياتها من المواد المصنوعة محليا .

وقد تحدث بعض الصهيونيين المتفائلين عن بعث اعمال الصناعة التي كانت تقوم في العهد التوراتي مثل مناجم نحاس سليمان قرب العقبة . الا ان صهيونيين اكثر واقعية واوسع اطلاعا على علم الاقتصاد ، وان لم يكن على الكتاب المقدس ، اشاروا الى ان « سليمان لم يكن له خيار في ابتياع نحاسه من اناكوندا او فلبس — دودج او روديسيا او تشيلي »(٨). وهكذا بقيت المناجم مقفلة طوال فترة ما بين الحربين أما موارد فلسطين الاخرى فكان استثمارها هي ايضا امرا غير مربح بالدرجة نفسها . وما ظهر من صناعات قليلة قائمة على الموارد المحلية — مثل تعدين الكبريت قرب غزة ، وانتاج الاسمنت ، وتبخير الملح من مياه البحر — فقد اعتمدت في بقائها على الحماية الجمركية وكانت تنتج للسوق المحلية فقط .

كانت اهم المواد الخام المستعملة في الصناعة في فلسطين تقليديا هي انتاجها الزراعي . فالزيتون كان يمد بالزيت صناعة الصابون العربية الواسعة التي كان انتاجها في العشرينات في مقدمة صادرات فلسطين الصناعية . وقامت صناعة صابون يهودية الى جانب الصناعة العربية الاقدم عهدا ، الا انها اخفقت في الاستفادة من ثروة فلسطين الوافرة من الزيتون اذ ان الصابون ذا الطابع الاوروبي الذي كانت تنتجه كان يعتمد على زيوت غربية كان يجب استيرادها . كما كان هناك عدد من المؤسسات ، معظمها يهودي ، لتحويل الكرمة الى خمرة ، الا ان احلام الصهيونيين في صناعة خمرة مربحة لم تتحقق قط . وكان الصهيونيون يعلقون اكبر الامل على صناعة المواد الغذائية القائمة على انتاج فلسطين المتزايد من الحمضيات . وكان ان أمكن بنجاح انشاء صناعة تعليب بحلول اواخر الثلاثينات ، الا ان الامال في الحصول على سوق تصدير واسعة لم تتحقق فقد بلغت صادرات الفواكه المعلبة عام ١٩٣٧ ، ١١٠٠٠ جنيه فقط (مقابل صادرات الحمضيات الطازجة التي بلغت ٤،٣٢٩،٧٠٤ جنيهات)(٩). بالاجمال كان يتوفر في فلسطين موارد طبيعية قليلة يمكن على أساسها تصنيع « الوطن القومي » . وفوق ذلك ، كانت الموارد المتوفرة اما مستغلة من قبل رأسماليين اجانب او متروكة الى حد بعيد دون استغلال . كما ان اكثر من ٥٠٪ من الصناعات اليهودية في فلسطين كانت تعتمد على المواد الخام المستوردة(١٠)، مما اضر بقدرتها على المنافسة في السوق العالمية، خاصة وان القيمة المضافة عن طريق التصنيع للصناعة اليهودية لم تتجاوز الـ ٦٠ — ١٠٠٪ من قيمة المواد الخام والوقود (مقابل ٢٠٠٪ في المانيا)(١١).

٢ — **اليد العاملة** : هناك صفتان للقوة العاملة لبلد ما تقرران تأثيرها على التطور الصناعي : كلفتها ، ومهاراتها . وبينما لم يكن بالامكان ان تزود فلسطين الصناعة اليهودية بالجموع الحاشدة مثل ما هي الحال في الصين او اليابان ، كان يمكنها تزويد اليد العاملة الرخيصة على نطاق محدود وذلك عن طريق اليد العاملة العربية . غير ان اليد العاملة العربية الرخيصة كانت محظورة على ارباب الصناعة اليهود بسبب اهداف الصهيونية السياسية . فكانت الوكالة اليهودية تؤكد ان « المشاريع اليهودية في فلسطين يجب ان تكون المركز الطبيعي لامتصاص اليد العاملة اليهودية »(١٢) وكان يضغط على ارباب الصناعة اليهود لاستخدام العمال اليهود ، بغض النظر عن الكلفة . لذلك فمن مجموع القوة العاملة المستخدمة في الاقتصاد اليهودي والتي بلغت عام ١٩٣٥

٧٠،٠٠٠ ــ ١٠٠،٠٠٠ لم يزد عدد العرب عن ٥٠،٠٠٠(١٣). ولم يكن العرب يستخدمون على نطاق واسع سوى في المشاريع الكبيرة التي يملكها الاجانب (شركة كهرباء فلسطين ، وشركة بوتاس فلسطين واسمنت نيشر) والتي أقيمت في فلسطين بهدف الربح التجاري وليس لاسباب خيرية .

وكانت اليد العاملة اليهودية اغلى من العربية ، لان الوكالات الصهيونية قصدت خلق وطن قومي لليهود في فلسطين يتمتع بمستوى من الحياة يناظر ذلك السائد في دول اوروبا الصناعية . وبالنتيجة كان العمال اليهود يعوضون اجورا اعلى من اجور العمال العرب في المهنة نفسها . وقد ظهر من احدى الدراسات ان معدل اجور العمال الصناعيين اليهود اعلى بنسبة ١٤٥٪ منه للعمال الصناعيين العرب . وبالمقارنة مع اوروبا ، كانت اجور اليهود اقل مما هي في معظم البلدان المتقدمة (مثل بريطانيا العظمى ، والسويد) ولكنها اعلى مما هي في البلدان الاقل تقدما (مثل بولندا وبلغاريا)(١٤).

من جهة اخرى ، كانت الصناعة اليهودية محظوظة في تلقيها سيلا متواصلا من العمال المهرة خلال الانتداب . ففي الفترة ما بين ١٩٢٢ ــ ١٩٣٣ كان ١٨٪ من المهاجرين اليهود قد سبق لهم ان حصلوا على خبرة صناعية (١٥)، وقد ارتفعت النسبة بلا شك مع تزايد موجة الهجرة من المانيا في اواخر الثلاثينات . وكانت الجوارب ، والحقائب ، الجلدية ، والاسنان الاصطناعية ، ثلاث صناعات جديدة انشأها المهاجرون اليهود المهرة . بيد ان المهاجرين من ذوي المهارات الصناعية لم يستمروا عادة في مزاولة المهن التي تلقوا تدريبهم فيها . فقد اظهرت احدى الدراسات أن ٥٤٪ من المهاجرين الذين كانت لهم خبرة صناعية سابقة لجأوا الى مهنة جديدة عند وصولهم الى فلسطين ، وان ٦٤٪ من العمال اليهود الصناعيين في فلسطين قد تلقوا تدريبهم المهني في البلاد(١٦). وبالنظر الى ان الاقتصاد اليهودي في فلسطين كان بالدرجة الاولى زراعيا وان الصناعة الحديثة لا تتطلب سوى قلة من العمال المهرة لادارة نشاطات الكثرة من العمال غير المهرة نسبيا ، فان السيل الضخم من العمال المهرة الصناعيين الى فلسطين كان الى درجة ما شيئا **غير ضروري** .

٣ــ **الاسواق:** يعتمد الانتاج الصناعي الحديث على وفورات الحجم Economies of Scale المتأتية من انتاج السوق ذي النطاق الواسع . وفلسطين بعدد مستهلكيها البالغ ٧٥٠،٠٠٠ في عام ١٩٢٢ كانت تفتقر الى سوق محلية كبيرة . وكانت سوق الصناعة اليهودية اصغر حتى من ذلك ، اذ انها كانت تكاد تكون مقصورة على سكان فلسطين اليهود . ففي عام ١٩٣٥ لم يشتر العرب الذين كانوا يشكلون ٧٠٪ من السكان سوى ١٠٪ من الانتاج الصناعي اليهودي(١٧). ومع ان « الوطن القومي » كان السوق الاسرع نموا في العالم حيث قفز من ٨٣،٠٠٠ مستهلك عام ١٩٢٢ الى ٤٥٥،٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، لم يكن يعتبر سوقا ذا نطاق واسع حتى في نهاية الفترة .

وقد عكست بنية الصناعة اليهودية صغر السوق التي كانت تقوم على خدمتها . فكانت معظم المؤسسات الصناعية اليهودية صغيرة للغاية اذا ما قورنت بمثيلاتها في البلدان الصناعية . ففي عام ١٩٣٠ كان عدد المصانع التي توظف اكثر من ٥٠ شخصا ٢٠ مصنعا فقط(١٨). وفي عام ١٩٣٧ كان معدل عدد الموظفين في المؤسسة الصناعية اليهودية ١٣٠٣ موظفين فقط(١٩). ان مؤسسات على هذا النطاق لا تكاد تعتبر «صناعة» بالمعنى الحديث للكلمة .

غالبا ما كانت المشاريع اليهودية الكبيرة تعاني الصعوبات بسبب مبيعاتها غير الكافية. فقد كتب اقتصادي يهودي عام ١٩٣٧ ان « بعض هذه المصانع وصل الى حجم عملياته

الراهن فقط مع مرور الوقت، الا ان معظمها قد انشىء منذ البداية بنية الانتاج على نطاق واسع ، بما تسوغه الاحوال التقنية والاستهلاك المحلي . الا ان الحقيقة ان هذه المصانع بقيت في معظم الحالات بعيدة عن بلوغ مرحلة الاستغلال الكامل لطاقتها الانتاجية . وحتى ان بعضها لم يبلغ حد انتاجه الادنى »(٢٠). وقد ادت هذه الطاقة الفائضة الى انخفاض نسبة الانتاج الى الاستثمار حيث كانت بشكل عام نحو ١:١ للصناعة اليهودية (مقابل ١:٢ للصناعة العربية) . ويشرح ديفيد هورويتز « ان مثل هذه العلاقة بين راس المال واجمالي حركة المبيعات من الطبيعي ان يزيد النفقات العامة Overhead charges مما يخفض الارباح ويؤدي الى نشوء صناعة محلية اقل قدرة على منافسة المنتوجات الاجنبية »(٢١) مثل هذه النسبة المنخفضة في حالة الصناعات حديثة النشاة لم يكن ليسبب قلقا مفرطا ، الا ان عدم تحسن هذه النسبة مع مرور الوقت اثار الشكوك حول مدى ربحية الصناعة اليهودية في فلسطين. حتى ان هذه النسبة انخفضت الى ٤:٣ عام ١٩٣٧ وعام ١٩٣٩(٢٢).

ولعدم قدرة السوق المحلية على استيعاب الانتاج الصناعي اليهودي، التفت الصهيونيون الى السوق العالمية . وفي السنوات الاولى ركزوا انتباههم بشكل خاص على جارتي فلسطين ، مصر وسوريا .

وقد عبر موظف تجارة بريطاني عن اعتقاد كان سائدا على نطاق واسع آنذاك حين قال « لكي يكون لمصنع ما اي حظ حقيقي في النجاح النهائي يجب ان يتطلع الى أسواق مصر وسوريا لكي تأخذ القسم الاكبر من مصنوعاته »(٢٣). غير ان الامر الذي أغاظ الاستراتيجيين الصهيونيين هو ان مصر وسوريا بدل ان تكونا اسواقا للصناعة اليهودية اصبحتا تصدران الى فلسطين من السلع الصناعية أكثر مما تستوردان منها . ففي عام ١٩٣٧ استوردت فلسطين من مصنوعات مصر وسوريا بقيمة ٧٥٠،٠٠٠ جنيه بينما صدرت لجارتيها بقيمة ٢١٠،٠٠٠ جنيه فقط . والميزان التجاري للصناعة اليهودية كان اسوأ حتى من ذلك ، فان اكثر من نصف الصادرات الى مصر ، وربع الصادرات الى سوريا كان يأتي من صناعة الصابون العربية التقليدية . وتحت وطأة اليأس لجأت شركة يهودية واحدة على الاقل الى ممارسة « اغراق السوق » لكي تزيد من مبيعاتها في سوريا(٢٤).

ولم تكن مصنوعات الوطن القومي في الاسواق العالمية الاخرى بأوفر حظا . ففي عام ١٩٣٧ كانت قيمة صادرات فلسطين الصناعية ٥٦٠،٠٠٠ جنيه فقط أي أقل من ٧ ٪ من اجمالي الناتج الصناعي . وأكثر من ذلك فقد كان نصف هذا الرقم الزهيد يمثل صادرات البوتاس والبرومين التي كانت تنتجها شركة بوتاس فلسطين التي يملكها الاجانب . هذه النتيجة الضعيفة على مسرح التجارة الخارجية ، يضاف اليها دليل الطاقة الفائضة في الصناعة اليهودية ، تشير الى أن المصنوعات اليهودية لم تكن قادرة على المنافسة في السعر أو النوعية في السوق العالمية .

كانت الصناعة الفلسطينية حتى في السوق المحلية ، تواجه في الحقيقة ، المشاكل من منافسة السلع المستوردة . فخلال فترة ما بين الحربين كانت واردات السلع المصنوعة اكبر بشكل عام من مجمل ناتج فلسطين الصناعي . (مثلا بلغت الواردات ٩،٣٦٢،٠٠٠ جنيه مقابل انتاج قدره ٨،٨٤٢،٠٠٠ جنيه عام ١٩٣٩) واعتبر الصهيونيون ان وجود هذا الوضع السيء كان بسبب ان السوق المحلية للصناعة اليهودية كانت دون حماية .

وقد أطلقت الوكالة اليهودية على فلسطين صفة « جنة مغرق السوق » « a dumper's paradise » وطلبت اعادة النظر في سياسة الباب المفتوح المنصوص عليها في قانون الانتداب(٢٥). وفي عام ١٩٢٧ أصاب الصهيونيون بعض الرضى عندما استبدلت

الضريبة حسب القيمة ad valorem tax البالغة ١١ ٪ على الواردات والتي كان معمولا بها منذ عام ١٩٢١ برسوم محددة Specific duties كان من شأنها زيادة الرسم على السلع الجاهزة التامة الصنع وخفضه على المواد الخام . وفي السنوات التالية زيدت التعرفة على السلع المصنوعة مرة اخرى ، مع ان المتحدثين الصهاينة لم يتوقفوا عن الادعاء أن الصناعة اليهودية كانت دون حماية . وبحلول عام ١٩٣٧ كان حاجز التعرفة الجمركية قد وصل حدا أثار تعليق بعثة المنتدبين الدائمة فعندما لاحظت البعثة ان معدل مستوى الرسم قد ارتفع الى ٢٩،٥ ٪ تساءلت عما اذا كان هذا المعدل بمثل هذا الارتفاع شيئا ضروريا(٢٦). وكان الرسم على بعض البنود مرتفعا بشكل خاص (٧٠٪ على الاسمنت ، ٩٠ ٪ على دلو الحديد المطلي بالزنك، و٣٥٠٪ على عيدان الثقاب)(٢٧). ويستنتج السير جون هوب سمبسون انه « يبدو ان صناعة الحجم الكبير في فلسطين تعتمد على التلاعب بالتعرفة الجمركية » كما يورد مثالا عن شركة اسمنت نيشر احدى الشركات الكبرى « التي كانت تعتمد على الحماية الجمركية ليس فقط من اجل ارباحها بل ومن أجل وجودها »(٢٨) والشيء نفسه يمكن ان يقال عن مصنع « نور » لعيدان الثقاب .

ان حماية الصناعات الناشئة مبرر معروف جيدا لفرض تعرفة مرتفعة ، الا ان «الاطفال» يكبرون . غير ان الصناعة اليهودية في فلسطين لم تكن بطول أواخر الثلاثينات قد أظهرت أيا من علامات النضوج ، وأصبح أمرا مفروضا ان تستنتج بعثة بيل لعام ١٩٣٦ انه « للآن ان كان هناك اي صناعات على الاطلاق فقليلة هي تلك التي تتلقى الحماية والتي يمكنها منافسة البضائع المستوردة في السعر والنوعية »(٢٩). اذا الافتقار الى السوق المحلية الكبيرة أثبت انه مشكلة رئيسية بالنسبة للصناعة اليهودية في فلسطين . وبما ان منتجات هذه الصناعة كانت غالية ، الامر الذي لا يمكنها من المنافسة في السوق العالمية ، فقد واجهت الصناعة اليهودية حركة مبيعات منخفضة ، وطاقة فائضة ، وارباحا متدنية .

٤ــ **رأس المال**: من خواص البلدان النامية ان تعد حركتها التصنيعية للانطلاق بتطعيمها بجقنة من رأس المال الاجنبي . وكان « الوطن القومي اليهودي » محظوظا بشكل خاص لتمكنه من الوصول الى رأس المال الذي يقوم بمثل هذا الدور . فبين عامي ١٩٢٢ و١٩٣٩ تدفق مبلغ ١٢٦،٠٠٠،٠٠٠ جنيه على « الوطن القومي » . ولم يكن هذا الرقم ضخما فحسب ، بل ان معظمه لم ينتج عنه اي عبء على الاقتصاد اليهودي لانه لم يأت من مدنيين أجانب . فقرابة ٧٥،٠٠٠،٠٠٠ جنيه كان قد جلبها ٣٠٠،٠٠٠ مهاجر قدموا الى فلسطين خلال هذه السنوات . و٢٥،٠٠٠،٠٠٠ جنيه أخرى كانت تمثل تبرعات مختلف المؤسسات الصهيونية من أجل اقامة الوطن القومي . وكان ٢٠ ٪ فقط من رأس المال المستورد على شكل استثمارات لرأسماليين أجانب(٣٠). ونتيجة الوضع المواتي هذا كانت فلسطين تتمتع بدين خارجي منخفض جدا بالنسبة لبلد نام(٣١).

الا أن الصناعة لم تنل سوى جزء ضئيل من رأس المال هذا . وقد يكون ما يبلغ هذا المبلغ قد استعمل في تغطية نفقات المهاجرين الجارية ــ المأكل والملبس ، الخ(٣٢). اما استثمارات قطاع البناء وبدرجة أولى اسكان المهاجرين فقد امتصت ٤٠،٠٠٠،٠٠٠ جنيه في الثلاثينات فقط(٣٣). ومن حقلي الاستثمار المنتجين ، الزراعة والصناعة ، تلقت الزراعة النصيب الاكبر من تدفق رأس المال . فقد تدنى الاستثمار في الصناعة الى أقل من ١١ ٪ من مجموع رأس المال المستورد(٣٤). وهذا التقدير القليل الذي أولي للاستثمار في الصناعة عبر عن نفسه من خلال الوضع المتناقض الذي ساد في الثلاثينات اذ أخفقت المشاريع اليهودية لانها لم تتمكن من اجتذاب قدر كاف من رأس المال العامل Working Capital بينما كان يهود فلسطين يحملون من السندات الاجنبية (١١٠،٠٠٠،٠٠٠

جنيه عام ١٩٣٧)(٣٥) أكثر مما يستثمر في الصناعة اليهودية في فلسطين . وعلى الرغم من ذلك أعطى تدفق رأس المال على الوطن القومي دفعا حيويا للصناعة اليهودية بتمويله الانفاق على السلع الاستهلاكية والاسكان . وقد نمت الصناعة اليهودية حول هذه السوق . فخمسة وسبعون بالمائة من الصناعة اليهودية كانت في مجال انتاج السلع الاستهلاكية بينما كان ثلثاها مرتبطين بصناعة البناء(٣٦) وبازدياد عدد المستهلكين، وكذلك الحاجة الى المأوى ، نمت الصناعة اليهودية في فلسطين ، حيث مول نموها بدفق من رأس المال الاجنبي لا ينتهي . وكمثل حبل الجنين السري كانت واردات رأس المال تغذي الصناعة اليهودية في فلسطين بالقوت الذي يعطيها الحياة . لكن مثل الجنين أيضاً ، كان على الصناعة اليهودية أن تصبح يوماً ما قادرة على البقاء بالاعتماد على النفس .

قدرة التوسع الصناعي اليهودي في فلسطين على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي

ان الصناعة اليهودية في فلسطين — بافتقارها الى الموارد الطبيعية ، والى السوق الواسعة النطاق لمنتجاتها ، وكذلك بسبب ما كانت تتطلبه اليد العاملة فيها من أجور على المستوى الاوروبي — لم تكن لتنمو الا بالاعتماد على دفق مستمر من رأس المال الاجنبي. وهكذا يبرز السؤال حول مدى قدرة التوسع الصناعي اليهودي على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي . وهذه القدرة تعني بتحديد أكثر « القدرة بنهاية الامر على البقاء والتوسع دون الحاجة الى دفق ملموس من رأس المال الاجنبي الذي تحركه اعتبارات غير حسابات الربح المالي المجردة »(٣٧).

ويشهد الكثير من الصهاينة أن ذلك كان هدف الوطن القومي اليهودي . فقد حذر اقتصادي يهودي اخوانه في العقيدة من أن « واردات رأس المال الضخمة لا يجوز اعتبارها ظاهرة طبيعية ودائمة »(٣٨). وكتب آخر « ان توقف تدفق رأس المال في آخر الامر ، الذي يبدو انه شيء لا بد منه بالنسبة لفلسطين كما بالنسبة للبلدان المدينة الاخرى ، يجب ان يبقي الاقتصاد اليهودي قادرا على الانتاج والبيع ان كان للمستهلكين داخل فلسطين او في الخارج وذلك بأسعار مساوية للاسعار العالمية »(٣٩). وقد برزت الشكوك حول قدرة الوطن القومي على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الخارجي منذ وقت مبكر يعود الى عام ١٩٢٦ عندما أثارت بعثة المنتدبين الدائمة السؤال عما اذا كانت سياسة تغطية الواردات بواسطة رأس المال الاجنبي شيئا يمكن ان يقود الى « الاكتفاء الذاتي » . وبعد عامين تتساءل البعثة « كم من الوقت يحتاج سكان فلسطين اليهود لكي يصبحوا أقل اعتمادا على المساعدات التي يتلقونها من خارج البلاد »(٤٠). وقد عبر السير جون هوب سمبسون في تقريره لعام ١٩٣٠ عن قلقه ازاء اليوم « الذي ينتهي فيه الانفاق من رأس المال المستورد ويصبح على المهاجر أن يعيش من عمله»(٤١). وفي عام ١٩٣٦ تساءلت البعثة الملكية لفلسطين عما اذا كان ممكنا اعتبار سيل رأس المال الى فلسطين وضعا « ثابتا او دائما » . وأشارت الى « ميزة في مردود التجارة تثير القلق » وهي حقيقة ان مجمل الصادرات لعام ١٩٣٦ لم يكن كافيا لتغطية الواردات من المواد الغذائية ، والمشروبات والتبغ فقط(٤٢).

غير ان الشكوك التي أثارها الاجانب لم تؤثر على ثقة الصهيونيين في الصناعة اليهودية بل قدموا التفسيرات المختلفة لما بدا من اعتماد الوطن القومي على الحسنات . وكانوا يفسرون الامر بأنه الوطن القومي شأنه شأن البلدان النامية الاخرى كان يجتاز طورا « انتقاليا » حيث يكون « شيئا نموذجيا وجود نظام تمويل لحركة النمو الجديدة يعتمد على رأس المال الاجنبي » . وقد تنبأوا « انه سيأتي الوقت الذي تتسلح فيه البلاد بجهازها الانتاجي الخاص وتصبح قادرة على الاستغناء عن تجارة الواردات الاكثر

ثقلا »(٤٣) . واعترف صهيونيون آخرون ان خسائر قد حدثت في انشاء الوطن القومي الا انهم كانوا يحتجون ان ذلك كان ثمنا تحمله أصحابه بطيبة خاطر(٤٤) . حتى ان بعضهم تساءل عن مدى صحة الحكم على الوطن القومي على هذا الاساس اذ أن « هدفه ليس الحصول على الربح وانما الابقاء على أكبر عدد من الناس على أرضهم واعالتهم على المستوى الاوروبي » . وقد امتدح هؤلاء الاقتصاديين اليهود على « نجاحهم الباهر في القيام بعمل غير اقتصادي بأكثرية طريقة اقتصادية ممكنة »(٤٥) .

والاختبار النهائي لقدرة الصناعة اليهودية في فلسطين على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي كان يمكن أن يكون وقف واردات رأس المال وقفا تاما . ولحسن حظ الوطن القومي لم يحدث ذلك قط في سنوات ما بين الحربين . الا أنه في وقتين خلال هذه الفترة انخفض تدفق رأس المال الى الوطن القومي بصورة كبيرة . وبالتحليل التاريخي لنتائج هذين الانخفاضين يمكن التوصل الى افتراض حول ما كان يمكن ان يكون اثر الانقطاع الكامل لواردات رأس المال ، ومن ثم تقرير ما اذا كانت الصناعة اليهودية في فلسطين قادرة على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي ام لا .

على ان الافتقار الى البيانات الاحصائية يجعل تحليل فترة الركود الاولى في عام ١٩٢٦ أمرا غير ممكن . على أي حال ، ايما كانت المضاعفات بالنسبة للصناعة اليهودية فقد كانت مثبطة لدرجة انهـا جعلت بعض الصهيونيين يتحدثون عن « تصفيـة التجربة الصناعية »(٤٦) . اما فترة الركود الثانية ما بين ١٩٣٦ و١٩٣٧ فاكثر قابلية للتحليل .

كانت الحرب الايطالية ــ الاثيوبية عام ١٩٣٥ وبداية الثورة العربية عام ١٩٣٦ قد قادتا الى انخفاض في حركة الهجرة من ٦٢،٠٠٠ عام ١٩٣٥ الى ١٠،٣٥٠ عام ١٩٣٧ وفي واردات رأس المال من ١٠،٨٠٠،٠٠٠ جنيه عام ١٩٣٥ الى ٥،٥٠٠،٠٠٠ جنيه عام ١٩٣٧ . وكان اثر انخفاض واردات رأس المال على الصناعة الاسرائيلية سيئا لدرجة ان الحوار حول مدى « صلاحية فلسطين للصناعة » أخذ يسمع مرة أخرى في الدوائر الصهيونية . وكان حوارا عكس نفسه في انخفاض قدره ٣٠ ــ ٤٠ ٪ في التثميرات الجديـدة في الصناعة(٤٧) . وقد اعترت الصعوبات بشـكل خاص تلك الصنـاعات التي كانت تقوم على توفير حاجة المهاجرين من المسكن والسلع الاستهلاكية . كمـا عانت الصناعات المرتبطة بصناعة البناء انخفاضا في الانتاج الصناعي بلغ ٢٠ ــ ٢٥ ٪ . وبحلول عام ١٩٣٧ انخفض الانتاج الصناعي ٢٠ ٪ عما كان عليه عام ١٩٣٥(٤٨) . ويجب التذكر ان **معدل** واردات رأس المال فقط هو الذي انخفض . فبالارقام المطلقة كانت الواردات لا تزال كمية موجبة . وكان انتاج الصناعة اليهودية ينخفض بينما يستمر نمو سكان فلسطين اليهود الذين كانوا لا يزالون يتلقون الدعم المصطنع من رأس المال الخارجي .

وتشير نتائج فترة ركود ١٩٣٦ ــ ١٩٣٧ الى أن الصناعة اليهودية في فلسطين قـد أصبحت غير قادرة على البقاء دون الاعتماد عـلى رأس المال الاجنبي بحلول اواخر الثلاثينات . وبسبب تمويل الصناعة اليهودية عن طريق سيل ضخم من رأس المال الاجنبي ، نمت هذه الصناعة بأسرع مما تخوله امكانات فلسطين الاقتصادية . ولو ان واردات رأس المال توقفت كلية لواجه الصهاينة ، بناة الوطن القومي ، قرارات صعبة سياسية واقتصادية . فانهيار الكثير من المشاريع الصناعية اليهودية غير الكفؤة، ابتداء بتلك المرتبطة بصناعة البناء ، كان يمكن أن يحدث مشكلة بطالة لا يمكن التخفيف منها الا بشكل جزئي عن طريق نقل قسم من القوة العاملة الى الزراعة . وفي المدى الطويل كان الحل الفعال الوحيد ، سيكون عن طريق خفض معدلات الاجور للعمال الصناعيين اليهود الى مستوى يمكن أرباب الصناعة اليهود من المنافسة بنجاح في السوق العالمية . الا أن اخفاق الصناعة اليهودية في المنافسة في السوق العالمية، وحتى للبضائع المستوردة

في السوق المحلية ، يشير الى أنه كان لا بد أن تنخفض الاجور انخفاضا كبيرا قبل أن تصبح المنتجات اليهودية في وضع تنافسي .

الا أن أي هبوط في معدلات الاجور كان سيمثل انخفاضا في مستوى المعيشة في الوطن القومي ، بما يظهر الطبيعة المصطنعة لبحبوحة الوطن . ومثل هذا الانخفاض كان سيقود الى ازدياد حركة الهجرة من فلسطين التي بدورها كان يمكن ان تعكس اتجاه حركة رأس المال بقلبها من واردات دائمة الى صافي صادرات . ذلك كان سيزيد من مشكلات الصناعة اليهودية باحداثه دورة يمكن ان تقف فقط عندما يصبح مستوى معيشة اليهود في فلسطين مساويا لمستوى معيشة سكان فلسطين العرب . فالوقف الكامل لواردات رأس المال كان سيفرض على الصناعة اليهودية في فلسطين ان تجتاز عملية انكماش واعادة تنظيم مؤلمة تصبح بعدها بالضرورة قادرة على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي .

الا أن الصناعة في « الوطن القومي » كانت قد نجت من مثل هذه المصيبة في الثلاثينات بواسطة انبعاث جديد لواردات رأس المال عام ١٩٣٨ . وهكذا كان الحبل السري قد انسد بصورة مؤقتة فقط . وبحلول عام ١٩٣٩ بدأ الاستثمار في الصناعة والانتاج الصناعي يعود الى ما كان عليه في السابق .

الخاتمة

ان الرد الاكثر بداهة على القول ان الصناعة اليهودية في فلسطين بحلول عام ١٩٣٩ قد أصبحت غير قادرة على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي هو حقيقة ان الصناعة اليهودية ، التي تسمى الآن الصناعة الاسرائيلية قد استطاعت فعلا البقاء وهي تنمو باستمرار . اذ يبلغ ناتج اسرائيل الصناعي الان أكثر من بليون دولار في العام ويضم نشاطات صناعية جديدة مثل العجلات والطائرات والقذائف . غير ان تفحصا أكثر امعانا للتطور الصناعي اليهودي خلال عشرين السنة الماضية يظهر ان الصناعة الاسرائيلية تواجه العقبات نفسها التي لاحقت الصناعة اليهودية خلال الانتداب . فهي لا تزال تعتمد على المواد الخام المستوردة حيث لم تكتشف أي موارد طبيعية جديدة . كما تستمر حركة الهجرة في دعم السوق المحلية للصناعة الاسرائيلية ، ولكن السوق تبقى صغيرة بالمقاييس الحديثة حتى باضافة السوق العربية التي وقعت تحت الاحتلال والتي تبلغ مليون نسمة. وتستمر هجرة العمال المهرة حيث تقوم على أكتافهم الصناعات الجديدة. الا أنه يستمر أيضا حلم الصهاينة في توفير مستوى من المعيشة ليهود فلسطين يساوي ذلك السائد في بلدان اوروبا المتقدمة ، مما يبقي الاجور متضخمة بصورة اصطناعية . وبالتالي فالصناعة الاسرائيلية تواجه المشاكل في قدرتها على المنافسة في السوق العالمية . وتبقى صادرات السلع الصناعية بالنسبة الى مجمل الناتج الصناعي منخفضة بالنسبة لامة صغيرة تعتمد على التجارة. كما ان أكثر من ٤٠ ٪ من الصادرات الصناعية تأتي من صناعة واحدة هي صقل الالماس ، التي بسبب استعمالها مدخلا input واحدا هو اليد العاملة الماهرة لا تستطيع احداث التطورات في الصناعات المحلية المساندة الا قليلا . ويبقى جل الصناعة الاسرائيلية يتكيف بالاحتياجات المحلية للسلع الاستهلاكية والمساكن ، ويعتمد في ازدهاره على دفق مستمر من المهاجرين ورأس المال .

واسرائيل ليست أقرب الى الاستقلال الاقتصادي من«الوطن القومي»الذي انبثقت منه. فاسرائيل، مثل «الوطن القومي»، تستورد دائما أكثر مما تصدر، والاقتصادي اليهودي نفسه الذي حذر من مخاطر الاعتماد على واردات رأس المال في الثلاثينات يواصل الاشارة الى ان « أي ارتفاع في العجز التجاري ، حتى لو تمت تغطيته بواسطة مصادر

الدخل غير الدائمة تلك (واردات رأس المال) سيزيد الشق بين اسرائيل والاستقلال الاقتصادي »(٤٩). وفائض واردات اسرائيل الحالي قد نما الى حد لم يكن ليتصوره الصهيونيون القدامى ، اذ وصل الى ١٢٦٥ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، وهو يستمر في الازدياد . وفائض الواردات المتصاعد هذا قد تم تمويله بواسطة دفق متعاظم من رأس المال الى « الوطن القومي اليهودي » . فقد دخلت اسرائيل اكثر من عشرة بلايين دولار على شكل رأس مال مستورد منذ تأسيس الدولة ، مما جعل مبلغ الـ ١٢٦ مليون ليرة التي دخلت البلاد ما بين عامي ١٩٢٢ و١٩٣٩ يبدو بالمقارنة صغيرا كالقزم .

ولم يقتصر الامر على ازدياد حجم اعتماد اسرائيل على التمويل الخارجي فحسب بل ان تركيب رأس المال المستورد قد اتجه الى الاسوأ . فالدفعات المحولة (رأس المال الذي يجلبه المهاجرون ، واموال الوكالات الصهيونية ، والتعويضات الالمانية ، الخ) تشكل قسطا من رأس المال المستورد أصغر الان مما كان عليه من قبل . واصبح التعاقد على نطاق واسع من اجل قروض خارجية امرا مفروضا مما جعل خاصة « الوطن القومي » الاكثر بعثا للامل ، وهي انخفاض الدين الخارجي ، تنقلب الان . فدين اسرائيل الخارجي اليوم — ٣٫٥ بليون عام ١٩٧٠ — هو من أعلى الديون في العالم اذا ما قيس بالنسبة للفرد . وفي السنة القادمة سيتكلف الاسرائيليون مبلغ ٨٦٠ مليون دولار كدفعات مستحقة على هذا الدين(٥٠) .

لذلك فمسألة قدرة الصناعة اليهودية في فلسطين على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي تبقى قائمة . واذا كان ثمة شيء ، فالصناعة الاسرائيلية اكثر اعتمادا على واردات رأس المال مما كانت عليه صناعة «الوطن القومي» في أي وقت من الاوقات. واذا ما توقف تدفق رأس المال اليوم، فان الصناعة الاسرائيلية ستعاني ليس من غياب الدعم الخارجي فحسب بل أيضا من انكماش الاستهلاك المحلي الذي يصبح ضروريا لكي تستطيع اسرائيل الوفاء بالتزاماتها الى الدائنين الاجانب . وهكذا تبدأ العملية التي أوجزت في القسم الاخير : تقلص الانتاج ، وارتفاع البطالة وهبوط الاسعار . الا ان الصناعة اليهودية في فلسطين لم تواجه للآن الاختبار النهائي لقدرتها على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي — الاختبار الذي يتم بوقف كامل لرأس المال المستورد. فالحبل السري لم ينقطع بعد .

المصادر الاساسية للبيانات الاحصائية هي التالية :
Reports on the Administration of Palestine and Transjordan, London, H. M. S. O., 1923-1938; Sa'id B. Himadeh, *Economic Organization of Palestine*, Beirut, American University Press, 1938; and *A Survey of Palestine*, Jerusalem, Govt. of Palestine, 1946.

١ — وردت الاشارة اليها في :
Kurt Grunwald, *The Industrilization of the Near East*, Tel Aviv, Palestine Economic Society, 1934, p. 68.

٢ — **المصدر نفسه ، صفحة ٦٨ .**

٣ — وردت الاشارة اليها في :
T. Canaan, *Conflict in the Land of Peace*, Jerusalem, 1963, p. 65.

٤ — Robert R. Natthan, Oscar Gass, and Daniel Creamer, *Palestine, Problem and Promise*, Washington, Public Affairs Press, 1946, p. 180.

٥ — انظر حمادة ، ص ٥٤ .

٦ — ناثان وآخرون ، ص ١٨١ .

٧ — انظر Grunwald, p. 181; and David Horowitz and Rita Hinden, *Economic Survey of Palestine*, Tel Aviv, Jewish Agency for Palestine, 1936, p. 91.

٨ — ناثان وآخرون ، ص ٩٣ .

٩ — حمادة ، ص ٢٥٧ .

١٠ — هورويتز وهيندن ، ص ٩٢ .

١١ — انظر *Census of Jewish Industry* for 1928, 1933, and 1937 in Himadeh, pp. 232-249.

١٢ — وردت الاشارة اليها في :
Sir John Hope Simpson, *Palestine: Report on Immigration, Land Settlement and Development,* London, H.M.S.O., 1930, p. 127.

١٣ — Alfred Michaelis, "Economic Conditions in Palestine", *Palnews Economic Annual of Palestine,* 1937, p. 22.

١٤ — انظر Himadeh, p. 284; and Horowitz and Hinden, p. 195.

١٥ — جرونولد ، ص ١٢ .

١٦ — Erwin Wittkowski, "The Development of Industry in 1937", *Palnews Economic Annual of Palestine,* 1938, p. 44.

١٧ — ميخائيلس ، ص ٢٢ .

١٨ — هوب سمبسون ، ص ١١٤ .

١٩ — انظر حمادة ، ص ٢٤٩ .

٢٠ — Erwin Wittkowski, "Problems of Industry in Palestine", *Palnews Economic Annual of Palestine,* 1937, p. 85.

٢١ — هورويتز وهندن ، ص ١٠٢ .

٢٢ — انظر *A Survey of Palestine,* p. 499.

٢٣ — وردت الاشارة اليها في : هوب سمبسون، ص ١١٦ .

٢٤ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٩ .

٢٥ — Jewish Agency of Palestine, *Memoranda for the Palestine Royal Commission,* 1936, p. 224.

٢٦ — انظر *Minutes of the Permenant Mandates Commission,* XXXII, Geneva, 1937, p. 119.

٢٧ — Palestine Royal Commission, *Report,* London, H. M. S. O., 1937, p. 211.

٢٨ — هوب سمبسون ، ص ١١٣ .

٢٩ — Palestine Royal Commission, p. 209.

٣٠ — Nadav Halevi, *The Economic Development of Israel,* New York, Frederic A. Praeger; 1968, p. 19.

٣١ — هورويتز وهندن ، ص ١٦٥ .

٣٢ — ناشان وآخرون ، ص ٢٢٦ .

٣٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٤٣ .

٣٤ — *Survey of Palestine,* p. 511.

٣٥ — Ludwig Gruenbaum, "Palestine's Balance of Payments", *Palnews Economic Annual of Palestine.*

٣٦ — هورويتز وهندن ، ص ٩٢ و١٠١ .

٣٧ — Alfred E. Kahn, "Palestine: A Problem in Economic Development", The American Economic Review, Vol. XXXIV, p. 539.

٣٨ — Alfred Michaelis, "The Partition of Palestine and its Economic Aspects", *Palnews Economic Annual of Palestine,*

٣٩ — كاهن ، ص ٥٤٨ .

٤٠ — *Minutes,* IX, p. 165; and XXXI, p. 50.

٤١ — Hope Simpson, p. 116.

٤٢ — *Report,* p. 213.

٤٣ — Horowitz and Hinden, pp. 123 & 165.

٤٤ — Kahn, p. 545.

٤٥ — Doreen Warriner, *Land and Poverty in the Middle East,* London, 1945, p. 71.

٤٦ — جرنولد ، ص ٦٨ .

٤٧ — ويتكوسكي ، ص ٧٩ .

٤٨ — هورويتز وهندن ، ص ٨٥ — ٨٩ .

٤٩ — David Horowitz, *The Economics of Israel,* Oxford, Pergamon Press, 1967, p. 107.

٥٠ — *The Jerusalem Post* (Weekly Overseas Edition), Feb. 29, 1972, p. 6.

المواقف البريطانية في فلسطين بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ .

برباره حداد

يطرح البحث في المواقف البريطانية في فلسطين ابان الادارة العسكرية مشكلة تستأثر باهتمام بالغ اذ تتناول توزع السلطة في زمن الحرب وصراع السياسات المتضاربة . فالمواقف البريطانية داخل حكومة الوطن لم تسهم في تكوين السياسة العامة فحسب ، بل ان مواقف الرجالات العسكريين عملت على تكوين الادارة العملية المباشرة للبلاد . وخلال التشويش الذي ساد طوال مفاوضات الصلح أدى النزاع الظاهر بين المواقف الناشئة عن هذين الموقعين من مواقع السلطة الى زيادة العداء بين سكان البلاد من العرب واليهود . ان الصهيونيين يميلون الى اعتبار هذه الفترة من الحكم العسكري بمثابة صفحة قاتمة بنوع خاص في تاريخ العلاقات الصهيونية ــ البريطانية . ولقد قال حاييم وايزمان ، الذي تظاهر عادة بلعب دور الوسيط والرجل المعتدل ، ما يلي : « ان كبير الاداريين ، الجنرال موني ، كان يضم بين هيئة أركانه عددا من المستشارين والمسؤولين الذين شعروا منذ اللحظة الاولى بأن واجبهم يقضي بغرس الانطباع لدى الجماعات اليهودية الخاضعة لامرتهم بأنه مهما يبلغ الجنون بالسياسة في لندن للاتيان بأفعال أو التصريح بأقوال ، فنحن هنا في عالم يختلف تمام الاختلاف عن عالمهم »(١). ان الهجوم المرير الذي شنه الصهيونيون على العسكريين جرى ايصاله الى مسامع وزارة الخارجية البريطانية بلهجة قوية على لسان الكولونيل ر. ماينرتزهاغن الذي زعم « بأن موظفي الادارة يناصبون الصهيونية العداء في آرائهم بلا استثناء تقريبا . وأنهم يقومون بتشجيع العرب »(٢). هذه الازدواجية الظاهرة في المواقف من الوطن القومي اليهودي ، كما جرى التعبير عنها في تأييد حكومة صاحب الجلالة لتصريح بلفور من جهة ، وفي التصريف العملي لشؤون فلسطين على يد « ادارة مناطق العدو المحتلة » (O.E.T.A.) من جهة ثانية ، لم تبلغ ذروة حدتها الا عند قيام اضطرابات عيد الفصح عام ١٩٢٠ . فالحكومة في لندن اصبحت غير قادرة آنذاك على تجاهل الانتقادات الشديدة والموجهة ضد « ادارة مناطق العدو المحتلة » . وفي الوصف الذي أطلقه ماينرتزهاغن على اضطرابات الفصح، اذ اعتبرها بمثابة « نموذج دقيق ومصغر عن المذبحة » ، نجد انه كان يوجه تهمة خطيرة للغاية ضد الادارة العسكرية البريطانية . لذا كان من الضروري اجراء تحقيق حول مختلف التهم والمزاعم التي أخذت تتراكم ضد الادارة العسكرية ، فانعقدت محكمة للتحقيق في ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ . وعند هذا المنعطف بالذات جرت مقارنة مواقف كل من حكومة صاحب الجلالة وادارة مناطق العدو المحتلة لكي يتم التحقق والتثبت مما اذا كان العسكريون يستخدمون سلطاتهم بطريقة تتنافى أو تتعارض مع مشيئة رجال الدولة البريطانيين .

وعلى الرغم من أن البحث في مختلف التزامات الحلفاء وتعهداتهم أثناء الحرب يقع خارج

نطاق هذه المقالة ، فمن الضروري القيام بمراجعة مختصرة للظروف والملابسات التي أدت الى اصدار الحكومة البريطانية لتصريح بلفور . ان سياسة الحفاظ على استقلال الامبراطورية العثمانية وسلامتها الاقليمية ، بعد أن سيطرت هذه السياسة على موقف بريطانيا في القرن التاسع عشر ، أخذ التخلي عنها يتم بشكل متصاعد عند نهاية القرن وفي مطلع القرن العشرين . فقد نادى سولزبوري بانتهاج سياسة جديدة ترمي الى تقسيم الامبراطورية العثمانية بين الفرقاء المعنيين. ورغم أنه كانت لدى كل دولة طامعة فكرة عن القسم الذي ترغب في المطالبة به، فان مشكلة «تركة الاستانة» جرى تركها بدون حل . وبدلا من بذر الشقاق بين الحلفاء اتفقت كل من بريطانيا وفرنسا اثناء الحرب العالمية الاولى على أن تكون القسطنطينية من نصيب روسيا . لذا يجوز القول بأن اتفاقية سايكس ـ بيكو عام ١٩١٦ كانت بمثابة استمرار لسياسات توازن القوى في القرن التاسع عشر ، بحيث جرى تحويلها الى توازن مضاد للمطالب الروسية . والمعروف ان فلسطين كانت ستوضع ، بموجب هذه الاتفاقية ، تحت ظل حكم دولي .

تورطت بريطانيا في القضية العربية عن طريق الاعتبارات الاستراتيجية في المقام الاول ، ورأى البريطانيون انه من المستحسن العمل على احداث انتفاضة بين العرب الذين تتراكم لديهم الشكوى والتذمر . ففي الاتفاقات المعقودة مع الشريف حسين ، وهو الذي يبدو أن مصلحته الرئيسية كانت تدور حول توطيد دعائم السلطة الشريفية ، أعرب المفاوضون البريطانيون عن تحفظاتهم بصدد المصالح الفرنسية في تلك الاقسام من الليفانت (الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط) « الواقعة في غربي دمشق وحمص وحماه وحلب ، لا يمكن ان يقال عنها عربية محضة »(٢). وهناك تحفظ ثان يتعلق بالمصالح البريطانية في ولايتي البصرة وبغداد . بيد ان اقتراح الشريف حسين كان ينم عن الموافقة على ترك حل هاتين المسألتين الى ما بعد نهاية الحرب . ان بريطانيا ، حين قطعت هذه التعهدات على نفسها وابرمت اتفاقية سايكس ـ بيكو ، لم تكن في وضع يسمح لها أن تتنبأ مسبقا بذلك الرد القومي العنيف الذي نشأ عقب الحرب . ففي عام ١٩١٦ لم يوجد تيار مفرد من العمل القومي العربي ، بل اكتفى « المتآمرون » من أعضاء الجمعيات السرية في سوريا بابلاغ الحسين عن طريق فيصل مسودة أهدافهم السياسية لكي يسترشد بها في المفاوضات مع المندوب السامي البريطاني، السير هنري مكماهون. ولقد تحاشى الحسين ، مثلما تحاشت بريطانيا ، ايراد أية اشارة صريحة الى مصير كل من لبنان وفلسطين ، لتعذر التوفيق بين ذلك وبين أفكار الجمعيات السرية العربية . ان اتفاقية سايكس ـ بيكو لم توضع أبدا موضع التنفيذ ، اذ أخذت مفاهيم جديدة تحل محلها من ١٩١٧ الى ١٩١٩ . ثمة نفر من رجال الدولة البريطانيين اجتذبتهم فكرة الوطن القومي اليهودي ، بينما تخوف نفر آخر لئلا يؤدي تنفيذ الاتفاقية الى اعطاء الفرنسيين كثيرا من السلطة والنفوذ في الليفانت . كما تورط منهم آخرون على صعيد شخصي بقضية القومية العربية . فالبيان الانجلو ـ فرنسي عام ١٩١٨ والعهد البريطاني المقطوع الى السوريين السبعة (١٩١٨) ، ولجنة كينغ ـ كرين التي أوفدها الرئيس ويلسون (١٩١٩) ـ هذه كلها أدخلت مبدأ تقرير المصير والحكم بالموافقة بناء على رغبات الشعب بحيث أدى ذلك الى ابطال مخطط سايكس ـ بيكو على نحو فعال . وبما ان اتفاقية سايكس ـ بيكو لم توضع أبدا موضع التنفيذ الصارم ، فان فلسطين لم توضع هي أيضا في ظل ادارة دولية ، بل جرى وضعها تحت ادارة الحكم العسكري البريطاني. ومهما يكن من المتعذر تحديد البواعث والدوافع التي أيدت اصدار وعد بلفور والرعاية البريطانية لقضية الوطن القومي اليهودي ، فمن المؤكد وجود الجاذب المتعلق بالقيمة الاستراتيجية لفلسطين كقاعدة بريطانية . ان بريطانيا قد يتسنى لها استخدام فلسطين لفرض منطقة عازلة تفصل بين مركزها على قناة السويس وبين المركز الفرنسي المتوقع في سوريا . وربما اعتقد البريطانيون بأن تصريحا مؤيدا للصهيونية يمكنه اجتذاب

الاميركيين الى جانب الحلفاء . كما ان هذا التأييد قد يؤدي بدوره الى ابعاد اليهود الروس عن القسم البلشفي من الثورة الروسية والى ابقائهم حلفاء في الحرب لكل من بريطانيا وفرنسا .

احتلت القوات البريطانية فلسطين في ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٧ . وعمل التنظيم العسكري تحت ظل حاكم اداري عام تلقى الاوامر من القائد العام ، الجنرال اللنبي ، عن طريق قائد القطعات العسكرية ، كونغريف . كان هذا الاخير يستشير القائد العام في المسائل الرئيسية ، ويمارس صلاحياته بانفراد في غيرها من القضايا . اما وزارة الحربية فكانت هي المسؤولة النهائية عن تنفيذ السياسة ، بحيث تتصرف بناء على التعليمات الصادرة عن وزارة الخارجية . ولقد اصدرت وزارة الخارجية تعليماتها الى ادارة فلسطين باتباع المواد المندرجة تحت الرقم ٣٥٣ من الفصل الرابع عشر في مجموعة القوانين العرفية : « لم يعد من المسموح به لمن يحتل أراضي العدو أن يفرض مشيئته دون عقبات ، وأن يعمد الى تغيير شكل الحكم القائم وقلب القوانين الدستورية والمحلية، متجاهلا حقوق السكان »(٤). وبكلام آخر ، فان واجب العسكريين كان يقضي بالحفاظ على الوضع الراهن وبعدم استصدار قوانين جديدة ، وبتصريف أعمالهم دون التسبب في اقلاق راحة عامة السكان .

ثمة افتراض من جانب الصهيونيين ومؤيديهم يزعم بأن العسكريين لم يقوموا بتأدية هذه الوظيفة دون تحيز وتحامل . واما بسبب الاخلاص الشخصي للقضية العربية أو بدافع الشعور المعادي لليهود والمناوىء للصهيونية فان الادارة العسكرية في فلسطين (ادارة مناطق العدو المحتلة) تعرضت للتهمة التالية : معاملة السكان اليهود بغير انصاف وتجاهل سياسة الحكومة المركزية في لندن .

ومن الضروري عند بحث المواقف البريطانية ازاء فلسطين خلال هذه الفترة ، وقبل تعيين الادارة المدنية وعلى رأسها هربرت صموئيل في تموز (يوليو) ١٩٢٠ ، أن نمهد لذلك أولا بدراسة موقف أولئك الذين أخذوا زمام المبادرة في اصدار وعد بلفور وعملوا على تأييده . ورغم ان هذه المقالة تولي اهتمامها الرئيسي للفترة التي أعقبت الحرب مباشرة ، فمن الضروري بحث مواقف رجال الدولة البريطانيين من فلسطين خلال الحرب . ثم ندرس في قسم ثالث منها السياسة الفعلية لادارة منطقة العدو المحتلة . هل أقدم رجال تلك الادارة على تجاهل رغبات الحكومة المركزية في لندن بصورة كلية ؟ وهل كان موقفهم من الصهيونيين يتصف بالعداء والتحيز ؟ وهل كانوا مسؤولين عن اضطرابات الفصح عام ١٩٢٠ ؟ وفي قسم ختامي سوف نعمد الى اجراء مقارنة بين مواقف هاتين الفئتين للتثبت من نقاط اتصالهما او تعارضهما . ان « الموقف » هو مسألة غير ملموسة وذاتية ، مما يخلق صعوبات واضحة في دراسة مواقف هاتين الفئتين ويفرض علينا بالتالي استخراجها وتعميمها من الآراء المسجلة بقلم عدد ضئيل جدا من الرجال . وبناء عليه فان اهتمام هذه الدراسة سوف يبقى محصورا بالمواقف السائدة لدى المسؤولين الحكوميين من جهة ، ولدى الضباط العسكريين ، من جهة اخرى .

مواقف رجال الدولة البريطانيين من فلسطين

صدر وعد بلفور بصيغة رسالة كتبها ناظر الدولة البريطانية للشؤون الخارجية الى اللورد روتشيلد في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ . ونص الوعد المذكور على ان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي . ورغم ان الدوافع الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية لعبت دورا رئيسيا في اتخاذ القرار النهائي ، فان حقيقة كون الصهيونية كفكرة قد اجتذبت اليها العديد من رجالات الدولة البارزين ، هذه الحقيقة ، كانت لها أهمية بالغة في صياغته . فالصهيونية

أو التعاطف مع القضية اليهودية لم تكن فكرة مجهولة لدى البريطانيين قبل عام ١٩١٧ ، بل كانت هناك على الدوام ، ومنذ اوائل القرن التاسع عشر ، قطاعات من الرأي البريطاني تعي مشاكل الشعب اليهودي . ففي ١٩٠٢ حاول اللورد لانسدون توطين اليهود على نطاق واسع. وفي عام ١٩٠٣ قدم تشمبرلين الى هرتزل عرضا يقضي بتحويل يوغندا الى وطن يهودي ممكن(٥). بيد ان المحاولات المتقطعة من جانب رجالات الدولة لارساء دعائم تشريع مؤيد للصهيونية في السياسة البريطانية لم تكن ناجحة . وبعد الرفض الصهيوني لمشروع يوغندا سقطت الحركة في ادراج النسيان — حتى كان ادخال فكرة الصهيونية من جديد لدى رجال الدولة البارزين باعتبارها سياسة عملية وتكتيكية في زمن الحرب .

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ أعلن المستر اسكويث بأن « الحكومة العثمانية هي التي قامت بتوجيه الضربة القاضية الى السيادة العثمانية ، ولسنا نحن »(٦). وفي هذا اليوم بالذات طلب هربرت صموئيل من السير ادوارد غراي تأييد القضية الصهيونية . على ان تحبيذ غراي للاقتراح لم يمنع اسكويث من الاعتقاد بأن مثل هذه الرعاية سوف تكون بمثابة عبء يثقل كاهل الحكومة البريطانية . ولولا الجهود الملحاحة التي بذلها نفر من الصهيونيين الاغيار (غير اليهود) لكانت الاماني الصهيونية قد أبعدت من جديد الى المسرح الخلفي. ان تشارلز بريستويك سكوت،رئيس تحرير **المانشستر غارديان**،وهربرت سايدبوثام ، المعلق والناقد العسكري في الصحيفة ، كانا من الاوائل والسباقين في رؤية التقاء المصالح بين بريطانيا العظمى وفلسطين اليهودية . ففي مقالة كتبها خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ كان سكوت يأخذ بعين الاعتبار مسألة تقسيم الامبراطورية العثمانية المتداعية مصرحا بأن روسيا تفضل بريطانيا على فرنسا الكاثوليكية في ارض الاماكن المقدسة(٧). واذا استولت بريطانيا على مقاطعة جديدة في بلاد ما بين النهرين ، فلا ينبغي فصل مركزها هذا عن مصر بواسطة رقعة معادية . ان بريطانيا كانت بحاجة الى دولة عازلة (فاصلة) . وعلى اساس هذه الفرضية اعلن سايدبوثام « بأن مستقبل الامبراطورية البريطانية ، كأمبراطورية بحرية ، يعتمد بأسره على تلك الدولة المنشودة »(٨). ثم عمد سايدبوثام فيما بعد الى اعادة التوكيد على الاعتبارات الاستراتيجية التي تدعو الى تبني سياسة صهيونية ، وذلك في تقرير اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ . فهو يقول ما يلي : « لقد ذهبنا الى هناك ابان الحرب لاننا وجدنا الامر لا يطاق فيما لو بقي خط اتصالنا الرئيسي مع الشرق مارا بين جبهتين قتاليتين . وكان من الضروري توسيع رقعة الاحتلال بحيث تشمل على الاقل ذلك القسم الجنوبي من فلسطين بأكمله ، وهو القسم الذي لعب دورا بالغ الاهمية في التاريخ الحربي على مر العصور »(٩).

لذا اطلق سايدبوثام متعمدا الوصف التالي على فلسطين ، بقوله انها « مفتاح مصر »(١٠). كما شدد على الحسنات الاقتصادية لفلسطين الخاضعة للسيطرة البريطانية . فكتب يقول : « ان مركز بريطانيا العظمى الخاص لا يمكنه الاخفاق ، بحكم طبيعة الاشياء ، في اعطائها الفرصة كاملة لكي تعثر في فلسطين على سوق جديدة ورابحة : وعلى ما يوازي ذلك أهمية : في حصولها على التسهيلات الاستثنائية لضمان الوصول الى الاسواق النامية في البلدان المحاذية »(١١).

وبعد نهاية الحرب كانت لدى البريطانيين أسباب جديدة تحدوهم لضمان فلسطين صديقة ، كما اعتبروا فلسطين مركزا للمواصلات في المنطقة . ان أمن فلسطين كان ضروريا لانجاح مشروع مد انابيب البترول الى حيفا وبالنسبة للخطوط الجوية صوب الشرق(١٢). وبعد ذلك بزمن طويل أدى التوتر مع ايطاليا نتيجة لحرب الحبشة الى التشديد على أهمية حيفا وملاءمتها كقاعدة بحرية .

لماذا اختارت انجلترا في الظاهر ان تمنح دعمها وتأييدها للحركة الصهيونية بدلا من القضية القومية العربية ؟ ولماذا رأت بريطانيا في تأييد الدولة اليهودية مشروعا أضمن وأجدر بالتأييد ؟

ان الباعث الاول على التأييد البريطاني للصهيونية كان نابعا على الارجح من الامال المتطلعة الى وضع النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الاميركية بخدمة قضية الحلفاء(١٣) . مثلما ورد اقتراح يقول بأن هذا التأييد من شأنه ابعاد اليهود الروس عن الحزب البلشفي في روسيا وأبقائهم حلفاء متحاربين الى جانب فرنسا وبريطانيا . فأنجلترا كانت تأمل في ان يحول نفوذ اليهود الروس دون انتقال تجارة الحبوب الروسية، التي كانت بأيدي اليهود ، الى المانيا . والحكومة البريطانية « كانت تفكر بالوضع المتدهور بسرعة في روسيا ، وبالنفور من الحرب لدى قطاع لا يستهان به بين اليهود الاميركيين ، أو بالقيمة الدعائية لاعلان مؤيد للصهيونية . كما انها فكرت بالصفة المستعجلة والملحة للمسألة ، في ضوء التقارير التي افادت بان كل تأخير يطرأ على اصدار ذلك التصريح معناه اتاحة المجال امام الالمان لاضعاف مفعوله وعرقلة سيره »(١٤) .

لقد صرح اللورد كيرزون في مجلس اللوردات بتاريخ ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٢٠ بأن السبب الرئيسي وراء التصريح كان استراتيجيا(١٥) . وأعلن ونستون تشرشل في مجلس العموم بتاريخ ٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ بان الدافع الاولي كان يهدف الى كسب التأييد الروسي والاميركي(١٦) .

وعلى الرغم من كون هذه الاسباب المعقولة بمثابة العوامل الظاهرة التي أدت الى اصدار تصريح بلفور فان المواقف الموالية للصهيونية لدى رجال الدولة البارزين كانت دافعا حاسما لاتخاذ القرار . ففي شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٦ ، عندما سقطت حكومة الائتلاف الاولى ، وصلت الى مقاعد السلطة فئة جديدة من رجال الدولة وبينهم لويد جورج وآرثر بلفور . وجاء الان الباعث على الصهيونية الاممية في انجلترا من فوق. ان هؤلاء الساسة هم الذين دشنوا أول تصريح رسمي بالسياسة البريطانية الموالية للصهيونية ، لذا يصبح من الضروري دراسة مشاعرهم نحو الافكار الصهيونية وازاء الحركة القومية العربية التي كانت آخذة في الظهور .

تنبع أفكار الاتجاه الصهيوني الاممي من ثلاثة مصادر عامة ، هي التالية :

١ ــ **الرومنطيقية الدينية والتطلع المسيائي** : يعبر الكولونيل ماينرتزهاغن بوضوح تام عن النواحي العاطفية والرومنطيقية في الصهيونية الاممية . فهو يقول : « لقد تأثرت ايما تأثر بالوعد الالهي عن بقاء الارض المقدسة ميراثا ابديا لبني اسرائيل . مثلما تأثرت أيضا بالاعتقاد القائل ان الارض المقدسة مرتبطة على نحو لا تنفصم عراه مع كل من الديانة اليهودية والشعب اليهودي »(١٧) .

انه ينظر الى سياسة بريطانيا الموالية للصهيونية من خلال اعتبارات مسيائية Missianic فيقول : « يعتبرنا الصهيونيون صراحة بمثابة الاداة التي أرسلها الرب لتحقيق الوعد وارجاع الارض المقدسة الى بني اسرائيل »(١٨) . أما الذين كانوا من رجال الكنيسة طيلة حياتهم امثال لويد جورج وآرثر بلفور والجنرال سمطس فقد تأثروا على نحو رومنطيقي بفكرة العودة اليهودية الى الارض المقدسة . ان لويد جورج ، مثلا ، رغم اظهاره بين الحين والاخر لـ « مسحة من العداء للسامية بشكله المألوف والسوقي » ، كان حساسا ازاء الطبيعة التوراتية للحركة . فقد ارتبطت مع ذكريات طفولته والتقاليد المستمدة من مقاطعة ويلز تلك النبوءات التي توقعت ارجاع اليهود الى الارض المقدسة. وسبق له مرة ان صرح بأنه يعرف عن تاريخ فلسطين اكثر مما يعرفه عن تاريخ مقاطعة ويلز(٢٠) . حتى ان اسماء ميادين المعارك حركت خياله وهزت ذكريات طفولته عن تعلم

الكتاب المقدس . ومما يدل خير دلالة على نظرته التوراتية الاستحسانية للارض المقدسة قيامه برسم حدود فلسطين من دان الى بئر السبع(٢١). ففي وصفه للاستيلاء على القدس قال لويد جورج : « لكن انتباه محاربيها عام ١٩١٧ انجذب الى جبال اليهودية القابعة وراءها . لقد اشتعلت جذوة الحماس الصليبي في نفوسهم من جديد . وأصبح افتداء فلسطين وانقاذها من براثن العدوان التركي المتهلهل بمثابة عمود اللهب الذي دفعهم الى الامام . ان اتفاقية سايكس ــ بيكو التهمتها النيران . وأرض كنعان لم تكن جديرة بالقتال في سبيلهـا لكي تترك الى مصير أجاج (ملـك العماليق) ولكي يجري تقطيعها اربا اربا على مرأى من الرب »(٢٢).

من الواضح ان لويد جورج في وصفه لتعقيدات الحرب العالمية الاولى كـان متأثرا الى أبعد حـد بالفكرة الرومنطيقية عن الافتـداء والخلاص . والواقع ، كمـا قال اللورد اسكويث ، هو ان « لويد جورج لا يكترث البتة لليهود ... بل يعتبرها اهانة وانتهاكا ترك الاماكن المقدسة تنتقل الى ملكية ... فرنسا الملحدة واللاأدرية »(٢٣). بيد ان هذا التعلق العاطفي بفلسطين والاماكن المقدسة لا يمكنه ، فيما لو توخينا الانصاف التام ، ان يعلل تأييد لويد جورج لتصريح بلفور . فهو قد كان يعي أيضا القيمة الاستراتيجية لفلسطين الخاضعة للسيطرة البريطانية ، كما انه شعر بشيء من العطف نحو اليهود كشعب مكافح ، يوازي عطفه على البوير(٢٤). ورغم انه صرح فيما بعد بان تأييده أعطي كمكافأة لوايزمان على مساعدته في صنع المواد الكيماوية خلال الحرب ، فان هذه المواقف وغيرها مما يقل عنها عينية كانت بلا ريب ذات أهمية في اتخاذ قراره النهائي .

٢ ــ **عدالة التاريخ وعقدة الذنب** : ورغم ان آرثر بلفور قـد تربى هو أيضا في احضان تقاليد الكنيسة البروتستانتية ، فمن البادي ان مواقفه تجاه الصهيونية تكونت بواسطة ايمانه بعدالة التاريخ لصالح اليهود واحساسه بالذنب المسيحي لما عانوه من اضطهاد. ففي خطاب القاه داخل مجلس اللوردات بتاريخ ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٢٢ قال ما يلي: « فلنعتبر ما اذا كـانت حضارة اوروبا بأسرها وتنظيمها الديني برمته قـد برهنت بين الحين والاخر على ذنبها في اقتراف جرائم فظيعة بحق هـذا العرق »(٢٥). ومما قاله بلفور الى حاييم وايزمان ، الـذي أعجب به الاول أشد الاعجـاب ، « ان الحضارة المسيحية مدينة لليهود بما لا تستطيع الوفاء به ... لقد أسهمتم خـير اسهام بكل من ديانتنا وعلومنا وفلسفتنا ، رغم تشردكم وشتاتكم »(٢٦). كان بلفـور شديد الاهتمام باليهود كأمة ولذا فانه اعترض بشدة عـلى الاعتبارات الاستراتيجية او غـيرها من المبررات الانتهازية(٢٧). ان ايمانه بفضائل الاعتزاز بالعرق والوطن جعلـه يستحسن أهداف الحركة الصهيونية . كان يعتقد بان اليهود هم جماعة من الناس كثيرة المواهب وعلى مستوى رفيع من الذكاء . لكنهم بحاجة الى وطن « لكي يقدموا للعالم كنوزا مثل الكنوز التي صدرت عن اليونان القديمة »(٢٨). لقد تمسك اللورد بلفور بهذه الفكرة عن القومية اليهودية تمسكا أعمى ، غير عابىء بالعقبات العملية التي تنطوي عليها . ففي خطاب ألقاه بتاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٩١٩ صرح بلفور بقوله : « ان الدول الاربع الكبرى تلتزم بتأييد الصهيونية . وسواء أكانت الصهيونية على صواب ام خطأ، وحسنة أم سيئة ، فان جذورها تنبع من تقاليد عريقة في القدم وتنغرس في حاجـات حاضرة ، مثلما تصبو الى آمال ومرتجيات برهن المستقبل . وهذه كلها تنطوي على مغزى أعمق بكثير من رغبات أو تحامـلات ٧٠٠ الف عربي من الذين يقيمون الآن في تلـك الارض القديمة »(٢٩).

٣ ــ **العداء للسامية أساس الصهيونية** : يمثـل مـارك سايكس صيغة ثالثة من صيغ الصهيونية الاممية . وتشبه أفكاره الى حد ما افكار ثيودور هرتزل ، اذ يفترض كـل منهما اساسا عقلانيا وراء ظـاهرة العداء للسامية(٣٠). فاليهود في وجودهم الحاضر

يشكلون مصدر ازعاج بالنسبة لكل أمة من الامم . ولقد تقبل سايكس تلك « الصورة الشائعة عن اليهود باعتبارهم يتكالبون على النقود ويركضون وراء الدرهم دون رابط يشدهم الى مكان ما ، وهذا مما يزيد في احتقارهم بنظره ، اذ يحاولون الظهور بما هم ليسوا عليه »(٣١). ومثلما احتقر سايكس عرب المدن ، فانه كان يكره اليهودي الليفانتيني . ومما قاله في ذلك : « اذا كان البعض يمتلىء سرورا وحبورا لرؤية اولئك اليهود السمناء الملساء يتحدثون الى نساء على شاكلتهم ، فانا لست من هذا البعض »(٣٢). لكن جهود هربرت صموئيل هي التي جعلت سايكس يستلهم فكرة الصهيونية ، أي الفكرة القائلة بتجديد اليهود لكي يصبحوا أمة من الناس الجديرين بالاحترام . فلو اعطي اليهود وطنا قوميا لما عادوا بلية على المدنية ، ولانصرفوا الى غرس تلك الفضائل التي ربط سايكس بينها وبين حراثة الارض . بيد ان سايكس لم يكن يتصور اقامة وطن سياسي لليهود ، بل كان بالاحرى ينشد لهم قومية روحية وثقافية . ففي هذا الجو العتيد كان من المقدر لليهود ان يصبحوا « أمة من الفلاحين وملاكي الاراضي الحقيقيين ، مثل سائر الناس ، وليس امة من المتمولين والكوزموبوليتانيين والراديكاليين »(٣٣). لقد آمن بالصهيونية وأيد تصريح بلفور لكي يتسنى لليهود ان يتجددوا . ولم يكن هذا بالطبع السبب الاوحد وراء تأييده . لقد كان سايكس من اوائل الذين ارتأوا الاستفادة من القيمة الدعائية في كسب تأييد اليهود الاميركيين . لكن هذه المواقف الكامنة نحو الصهيونية ولدى البارزين من رجال الدولة البريطانيين ساعدت على تكوين السياسة الصهيونية البريطانية خلال الفترة الباكرة التي أعقبت الحرب مباشرة . حتى ان المرؤوسين استبد بهم الحماس للصهيونية . فقد سافر فيتز موريس ، وهو احد الخبراء المحليين لدى السفارة البريطانية في تركيا ، الى روما في محاولة لكسب التأييد البابوي لسياسة ممالئة للصهيونية(٣٤). وفي مطلع ١٩١٧ أصبح من المتعذر على الحكومة البريطانية اقصاء الصهيونية الى المسرح الخلفي .

وفيما كان الصهيونيون ينصرفون الى ممارسة « نشاطاتهم الدائبة تحت ستار الكتمان في لندن »(٣٥)، يجدر بنا التساؤل عما يلي : كيف شعر رجال الدولة البريطانيون ازاء السكان العرب ووعيهم القومي الآخذ بالظهور ؟ ان تصريح بلفور ومراسلات الحسين ــ مكماهون قد صدرت عن أصول مختلفة تمام الاختلاف . فالتصريح جاء تمشيا مع سياسة توازن القوى العائدة للقرن التاسع عشر . بينما كانت المراسلات اتفاقية مع شريف مكة تقضي برعاية الثورة العربية في شبه الجزيرة ، لكي يتسنى الهاء قوات الاعداء . وعلى زمن كيتشنر أعطي الحسين وعدا باقامة كيان سياسي اسلامي ومستقل يكون مركزه في شبه الجزيرة العربية(٣٦). ففي احدى البرقيات التي أرسلها كيتشنر الى عبد الله بن الحسين في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٤ نجده يقول له : « . . . ربما تسنى لعربي أصيل المحتد ان يتسلم زمام الخلافة في مكة او المدينة »(٣٧). ومع مجيء عام ١٩١٧ ، وفي معرض الرد على قيام جمال باشا بافشاء سر اتفاقية سايكس ــ بيكو للشريف حسين ، وعدت بريطانيا باقامة دولة عربية واحدة . كما ان التصريح البريطاني للسبعة والبيان الانجلو ــ فرنسي صدرا في وقت لاحق بمثابة ابطال فعلي لاتفاقية سايكس ــ بيكو وانكار حقيقي لها . بيد انه خلال المفاوضات التي أدت الى صدور وعد بلفور كان معظم الساسة البريطانيين لا يعرفون سوى القليل عن السكان العرب في فلسطين ، ومن المؤكد انهم لم يعتبروا هؤلاء العرب بمثابة جماعة قومية موحدة . وحتى في النص الرسمي لتصريح بلفور فانه لا يؤتى على ذكر العرب بنوع خاص ، بل يتم ادراجهم تحت التسمية الغامضة والمطاطة لفئة « الطوائف غير اليهودية »(٣٨). ان آراء العرب لم يعبر عنها ، بل جرى تصنيفهم كما يلي : « فقد اعتبروا [العرب] اما من البدو او الافندية او الفلاحين . البدو يمتلكون شبه الجزيرة العربية ، اما الافندية فانهم اما من المرابين او من أصحاب الاملاك الغائبين او الاثنين

معا ، ولا يستحقون اي اهتمام . والفلاحون في فلسطين ، شأنهم مثل شأن الفلاحين في اماكن اخرى ، سوف ينتفعون كثيرا من الحماية التي يقدمها لهم الاستعمار الاوروبي ضد جشع الافندية الذي يأخذ بخناقهم »(٣٩) .

ولما كانت القومية العربية فكرة حديثة العهد جدا ، وبما أن العرب لم يقدموا انفسهم كهيئة متماسكة ومتراصة الصفوف ، فقد سهل على الكثيرين من الانكليز ان يعتقدوا بانعدام القدرة السياسية لدى العرب على تنظيم انفسهم . وممـا قاله ماينرتزهاغن : « العربي يمثل الركود ويجسد اللااخلاق والحكم المهترىء ، بالاضافة الى مجتمعه الفاسد والكاذب »(٤٠) . « فالعربي سوف يبقى على احتضانه للافكار الجامدة، ولن يرى أبعد من العقائد الضيقة التي نادى بها محمد »(٤١) . لقد اعتقد ماينرتزهاغن بان «المملكة العربية ليست اكثر من مجرد حلم ، وان الشعور القومي العربي يستمد اساسه من نقودنا الذهبية ليس الا »(٤٢) . أما آرثر بلفور فقد أعلن صراحة بانه ينبغي على ٧٠٠ الف عربي من سكان فلسطين الا يقفوا حجر عثرة في طريق فكرة نبيلة وسامية كالفكرة الصهيونية(٤٣) .

ونظر مارك سايكس الى العربي في ضوء مشابه تقريبا لنظرة اليهودي الليفانتيني . فاعتقد بذلك « العربي الحقيقي الذي سوف يستعيد أمجاد الخلافة الغابرة ، ويجمع بين أحدث الطرق الاوروبية وذلك التسامح والتقوى التي عرفت عن المسلمين في عصرهم الذهبي — وحافظت على نقاوتها من شوائب الليفانتينية والالحاد والمادية »(٤٤) . لكن هذه الصورة للعربي النبيل والاصيل لم تكن لتوجد الان في الشرق الاوسط . فهو يقول بان « سكان الموصل يتحدرون من صلب تلك العشائر العربية الحضرية ، كالعشائر التي تقيم في كل من حماه وحمص ودمشق ، وهي المعروفة بالفخار والتبجح والغرور . وهم ، على فصاحتهم ودهائهم وسرعة انفعالهم وجبنهم ، يمثلون في نظري صورة من أشد الصور استنكارا لما يتاح للمرء ان يراه في الشرق »(٤٥) . كما انه اطلق على البدو تسمية « متسكعي الصحراء »(٤٦) .

ان قضية العرب لم تحظ بتأييد فعلي ابان مفاوضات الصلح ، ولم تتوفر للعرب تلك الشخصية التي تمثل مصالحهم بقوة هناك . ولقد بدا ان اهتمام لورنس بالقومية العربية لم يتجاوز الطابع الرومنطيقي والعابر من الاهتمام . فهو يصرح قائلا في احدى المرات : « ان هدفنا كان يقضي باقامة حكم عربي ، يستند الى قواعد عريضة تضم الاهالي والسكان المحليين بحيث يكفي ذلك لاستخدام حماس الثورة وتضحياتها الذاتية مترجما الى شروط للسلام »(٤٧) .

بيد ان اهتمام لورنس يبدو على قدر كبير من الانانية وحب الذات في جوهره . فلو أقدمت الحكومة البريطانية ، بدافع المصالح الامبريالية ، على خيانة الحركات الوطنية العربية ، لكان هو نفسه يشعر بالاهانة والاساءة على صعيد شخصي(٤٨) . وفي رسالة بعث بها الى روبرت غريفز عام ١٩٢١ كتب لورنس يقول : « ليتني لم أذهب الى هناك ، فالعرب أشبه بصفحة طويتها ، والتتمات أمور بالية وعفنة »(٤٩) . حتى انه اظهر في بعض الاحيان ميولا صهيونية . ففي رسالة الى أمه نجده يضمنها الوصف التالي : « ... خيام البدو القذرة والمتهدمة ، حيث يناديك الناس الى الدخول والتحادث معهم ... بينما كانت فلسطين بلدا لائقا ، ويمكن ارجاعها الى سابق عهدها بسهولة تامة . اذ كلما عجل اليهود في حراثتها ، كان ذلك من الافضل »(٥٠) . ربما ان الصهيونية أتاحت فرصة أمام اخراج الفرنسيين من الليفانت ، فان هوغارث او لورانس لم يعارضا السياسات الصهيونية ابان مؤتمر الصلح . فقد كتب لورانس في احدى اوراقه المؤرخة في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ يقول : « يأمل العرب ان يحتفظ البريطانيون بما استولوا عليه . انهم لن يوافقوا على الاستقلال اليهودي بفلسطين ، لكنهم سوف

يبذلون طاقتهم لتأييد التسلل اليهودي (الهجرة) ، اذا ما تم ذلك خلف واجهة بريطانية ، بعكس الواجهة الدولية »(٥١) .

أما العرب ، كما يفترض تمثيلهم بشخص فيصل ، فقد تبنوا الحجة نفسها في اتفاقية فيصل ــ وايزمان . أي اذا ما قامت بريطانيا بالوفاء بالتزاماتها وتعهداتها ، فان العرب لن يعارضوا في اقامة وطن قومي لليهود بفلسطين .

غير ان هذا بالطبع لم يأخذ بعين الاعتبار رغبات عرب فلسطين ، الذين ما لعبوا دورا في الثورة العربية ولم يدعوا ان الامير فيصل ينطق بلسانهم . أما الامر بالنسبة للبريطانيين فقد كان على النحو التالي : ان سكان فلسطين الاصليين لم يؤلفوا جماعة متميزة ، لذا افترض البريطانيون ان فيصل كعربي ينطق بلسان جميع العرب في المنطقة. رأت بريطانيا ، في توقها لاحراز مركز السيادة على المنطقة ، انه من الضروري اسناد تأييدها الى اولئك الناس الذين من المرجح بقاؤهم اوفياء للمصالح البريطانية . وفي ذلك يقول ماينرتزهاغن :

« يقوم اقتراحي على مصادقة ذلك الشعب الذي تشير الاحتمالات الى كونه بمثابة الصديق الوفي ــ اعني : اليهود »(٥٢) . ويقول ايضا « ان العربي يفرح للخلاص المؤقت من النير التركي . هذا الخلاص الذي حققناه له ، لكن هذا الفرح لن يعمر طويلا . وسرعان ما يتوق العربي لعودة اسياده القدامى »(٥٣) .

وبناء عليه فقد اعتبر رجال الدولة البارزون قيام دولة يهودية بمثابة نتيجة محتملة لتصريح بلفور . ان بلفور أبلغ ماينرتزهاغن عام ١٩١٨ بأنه يأمل في اقدام اليهود عند نهاية المطاف على بناء دولة لهم (٥٤) . واشار نفيل تشامبرلين في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ الى ما سماه « الدولة اليهودية الجديدة التي سوف يتم انشاؤها »(٥٥) . أما الجنرال سمطس فانه قال في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ ما يلي : « سوف تشهدون خلال الاجيال الآتية دولة يهودية عظمى تقوم هناك من جديد »(٥٦) .

واشار تشرشل صراحة الى « دولة يهودية تحت حماية الامبراطورية البريطانية »(٥٧) . كما قال لويد جورج عن تصريح بلفور بان التصريح « لم يتضمن بالضرورة اقامة دولة يهودية مستقلة في زمن مبكر ، لان مسألة الدولة كانت رهنا بالتطور التدريجي »(٥٨) . وكانت هناك قلة من الرجال النافذين في لندن ، بالاضافة الى جماعة صغيرة داخل حزب المحافظين والى اعضاء وزارة الهند واعضاء الحزب الاندماجي الذي تزعمه كل من ادوين مونتاغو وكلود مونتيفيوري ــ ممن عارضوا السياسة البريطانية المائلة للصهيونية .

ان السياسة البريطانية الصهيونية ، وهي التي نشأت عن الظروف العامة للحرب وكونتها مواقف رجال الدولة البارزين في بريطانيا ، قد اعتراها ضعف كبير عند نهاية الحرب وحتى لدى اصدار التصريح البريطاني للسوريين السبعة والبيان الانجليزي ــ الفرنسي . بدأت بريطانيا تظهر علامات التأرجح بين قطبي سياسة موالية للصهيونية واخرى مؤيدة للعرب . وهذا التردد ازاء تأييد العرب أم اليهود هو الذي قضى فيما بعد على نفوذ بريطانيا بفلسطين . بيد ان مرض الرئيس ويلسون وعدم نشر تقرير لجنة كينغ ــ كرين وعجز فيصل أمام الضغط الفرنسي هي التي أنزلت الضربة القاضية بمبدأ تقرير المصير ، مما ترك الحكومة البريطانية أمام سياسة موالية للصهيونية وان لم تلتزم بهذه السياسة . وبعد الحرب أخذ الحماس الكبير الذي أظهره العديد من رجال الدولة بالفتور والزوال . لقد توفي مارك سايكس في شباط (فبراير) ١٩١٩ . لكنه أدرك قبل وفاته كيف أنه قلل من أهمية القومية العربية : « فالامور وصلت الى مرحلة تتعدى نطاق تصوره لما ستكون عليه الصهيونية ، بينما أثارت رحلته الاخيرة الى فلسطين عدة

شكوك في نفسه »(٥٩). وفي عام ١٩١٨ قال الكولونيل ماينرتزهاغن بأنه « لا يرى كيف يمكن اقامة دولة يهودية على الاطلاق دون ان يؤدي ذلك الى الحاق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للعرب »(٦٠). حتى ان وايزمان بالذات ادرك الخطورة الكامنة في المشكلة العربية(٦١). لقد استقال اللورد بلفور في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ . ويبدو ان لويد جورج توصل الى ملاحظة التضارب الموجود بين تعهدات زمن الحرب ، مثلما فقد اهتمامه بالصهيونية بعد عام ١٩١٩(٦٢).

وبينما كانت مفاوضات الصلح الطويلة تمتد بشكل غير متوقع ، كان من المفترض قانونيا في الادارة العسكرية ان تحافظ على « الوضع الراهن » بفلسطين ، حتى ولو تم ذلك ازاء موقف بريطاني متوقع في تأييد الصهيونيين .

مواقف « ادارة مناطق العدو المحتلة »
من فلسطين

أقيمت الادارة العسكرية في فلسطين بعد احتلال القدس عام ١٩١٧ . واستثنت مفاوضات الصلح الطويلة التي أعقبت هدنة مودروس مسألة اتخاذ زمام المبادرة في اصدار أي قرار سياسي بالنسبة لمنطقة العدو المحتلة . فتم حكم البلاد بموجب القانون العرفي حفاظا على الوضع الراهن وبغية المضي في تصريف المسائل العملية المتعلقة بارجاع شؤون البلاد الى مسابق عهدها في ظل حد أدنى من القلاقل والاضطرابات . لقد وصف ماينرتزهاغن التنظيم الاداري العسكري بأنه « اجراء مؤقت وقصير الامد ، عقيدته الركود وغايته حفظ السلام »(٦٣). أما المشكلات العملية التي واجهتها هذه الادارة المؤقتة فكانت عويصة بالفعل . وبما ان وجودها كان عرضة للزوال ، فقد كان من الصعب تجنيد أشخاص للعمل في خدمتها من بين الموظفين الدائمين في سلك الخدمة المدنية . ان رونالد ستورز، حاكم القدس ، وصف مجموعة الرجال المتعاونين معه بأنهم بقايا من الجنود المحترفين بالاضافة الى خليط من المساعدين جرى اختيارهم على الطبيعة امثال موظف يعمل في مكتب طوماس كوك ، واحد العازفين على الارغن وتاجر صور ولوحات بالاضافة الى رجل اسكوتلاندي من غلوسكو يعمل في تقطير الكحول(٦٤). وكانت هيئة الموظفين في الادارة تشهد التغيير باستمرار نظرا لارتحال الضباط المسرحين من الخدمة . ففي سنة واحدة تعاقب على الادارة ثلاثة من كبار الاداريين ، هم موني ، واتسون ، وبولز . وخلال قيام لجنة بالين بتحقيقاتها سنة ١٩٢٠ كان هناك اربعة من الاداريين الرئيسيين بالاضافة الى ثلاثة من ضباط الاركان وستة من نواب الحكام العسكريين في الرملة واربعة منهم في اريحا(٦٥). لذا يتراءى لنا بانه كان من الصعب الحفاظ على استمرار السياسة في مثل هذا الوضع . فالبلاد بحد ذاتها كانت تعاني حالة من الفوضى السائدة زمن الحرب ، ومشاكل الصحة والاحوال الصحية العامة كانت ملحة وتتطلب الحل العاجل . ان س. ر. آتشبي ، مستشار الادارة للشؤون المدنية . وصف القدس بما يلي : « انها مدينة رائعة من مدن القرون الوسطى ، لكنها قذرة ، وضواحيها منتشرة الارجاء . تعوزها الغابات وينقصها الماء ، طرقاتها غير ملائمة ولا توصل الى مكان محدد . وما عدا ذلك ، ففيها حكومة لا تمارس وظائفها على خير ما يرام ، مثلما انها مدينة يتوزع سكانها الى عدد لا يحصى من الطوائف المتنازعة فيما بينها »(٦٦). ولقد انشأ الجنرال موني دائرة للمالية والقانون والعدلية والصحة والزراعة ، وفيما بعد للتربية والاشغال العامة(٦٧). ورغم انه لم يستطع تغيير نظام الضرائب ، فهو الذي أدخل عليه التحسينات . لقد انشأ محاكم الصلح والمحاكم العليا التي وظف فيها رجال القضاء من البريطانيين ، مثلما انشأ محكمة للاستئناف(٦٨). أما الامتيازات فجرى الغاؤها . وقامت الادارة ايضا بتحسين طرق المواصلات واعادت تشغيل الخط الحديدي بين يافا والقدس .

بيد ان حل هذه المشكلات العملية كان اكثر سهولة من تلك التي لها طابع سياسي ، حتى ان العسكريين ارغموا بحكم منصبهم على معالجة المشكلات السياسية مكرهين . ان الحكومة المركزية في لندن ، عقب صياغة وعد بلفور ، لم تقدم سوى القليل من الارشادات لكل من العسكريين واليهود عن كيفية معالجة المضاعفات السياسية المترتبة عن الوعد . وتشكيل وطن قومي لليهود اضحى رهنا بالطاقة التي يبديها اليهود أنفسهم. غير ان عددا من الصهيونيين المتطرفين كانوا في نظر حكومة صاحب الجلالة على ما يبدو يتسببون في افتعال الاحتكاك والصدام داخل فلسطين . وهناك كراس وضعه المستر ابرلين ونادى فيه بضرورة مغادرة العرب لفلسطين وهجرتهم الى الحجاز(٦٩).

ان البعثة الصهيونية الخاضعة لتأثير حاييم وايزمان والتي وصلت فلسطين في شهر نيسان (ابريل) ١٩١٩ ، قد تم ارسالها لايقاف مثل هذه الامور . وبموجب نصوص ميثاقها جرى«الاعتراف بها كهيئة عامة واعطيت حق تقديم المشورة والتعاون مع الادارة في جميع الشؤون المتعلقة بتأسيس الوطن القومي »(٧٠). كما منحتها حكومة صاحب الجلالة البريطانية حرية ارسال البرقيات العسكرية واستخدام اجهزة التلغراف والهاتف ، حتى انها استطاعت الحصول على تسهيلات انتقالية وتجارية لاشخاص ليسوا في عداد افرادها(٧١).

ورغم ان هذا « التنظيم » كان محصورا في الظاهر بأعمال الاغاثة وتنظيم شؤون اليهود، فان البعثة المذكورة تصرفت كهيئة حكومية قائمة بذاتها ، مما ادى بدوره الى ازدواجية بينها وبين عدة دوائر تابعة للادارة العسكرية . وبينما ارادت البعثة الصهيونية أن يجري اعتبارها بمثابة شريك للادارة ، فان العسكريين تبنوا النظرة القائلة بوجوب معاملة اليهود ، تمشيا مع سياسة الحفاظ على الوضع الراهن ، على قدم المساواة مع سائر السكان وليس اكثر من ذلك .

لكن بلفور عام ١٩١٩ حدد سياسة حكومة صاحب الجلالة امام ماينرتزهاغن على نحو مختلف تماما . فقال ما يلي : « ان جميع مخططات الانماء والمشاريع الصناعية من مختلف الانواع والمساعدات المالية كافة يجب أن تستند الى المبدأ الذي يعتبر الصهيونيين بمثابة الامة الاكثر رعاية في فلسطين »(٧٢). ان حماس الصهيونيين في فلسطين تسبب في حمل العسكريين على مقاومة ضغوطهم بواسطة الحفاظ على الوضع الراهن وعلى القيام بدور الحكم للفصل بين الصهيونيين والعرب . لقد واجه العسكريون وضعا متناقضا خلال زمن من مفاوضات الصلح المثيرة للبلبلة . وانطوى غموض السياسة على بعض الحسنات بالنسبة للحكومة البريطانية ، اذ اتاح لها ان تصوغ السياسة وفقا للاحداث(٧٣). بيد ان هذا الغموض في الموقف البريطاني من مسألة الوطن القومي لليهود حشر العسكريين في وضع محرج للغاية فالصهيونيون وجهوا اتهامات قاسية للادارة باتخاذ موقف مناوىء لهم وبالتسبب في الصدامات بين العرب واليهود ، واثارة اضطرابات عيد الفصح ١٩٢٠ ، بالاضافة الى التجاهل التام لرغبات حكومة صاحب الجلالة . ان اضطرابات عيد الفصح عام ١٩٢٠ اوصلت هذه الشكاوى الى مسامع حكومة صاحب الجلالة ، فجرى تشكيل محكمة تحقيقات في ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ لكي تحقق في أسباب الشعور العنصري والقلاقل داخل فلسطين . لذا يصبح من الضروري بحث الاتهامات الدقيقة التي زعمها الصهيونيون ثم الانتقال الى دراسة المواقف لدى المسؤولين العسكريين .

خلال قيام لجنة بالين للتحقيق بمتابعة أعمالها التي استغرقت خمسين يوما واستمعت فيها الى ١٥٢ شاهدا عمدت البعثة الصهيونية الى توجيه اتهامات ثلاث ضد الادارة العسكرية . هذه الاتهامات هي كما يلي :

اولا : شكت من « بعض الملاحظات الحمقاء التي ابداها مختلف المسؤولين وكانت تنم عن تحيز شخصي ضد اليهود »(٧٤). فقد سبق لحاييم وايزمان ان رفع شكواه من كون « الروس واليهود والبولشفيك كلمات مختلفة للشيء نفسه في اذهان معظم المسؤولين البريطانيين ... وحتى عندما لم يكن هؤلاء على جهل تام بالتطورات ، فانهم لم يجدوا اي مبرر للوقوف بجانب اليهود ونصرتهم ... غير عابئين بوجود الوعد (تصريح بلفور) او عدمه»(٧٥). واستنتج ماينرتزهاغن بأن موظفي الجيش البريطاني وافراده كانوا على قدر كبير من البلادة الذهنية مما حال دون استحسانهم لقيم الصهيونية . فقال : « انهم يخلطون بين الافكار النبيلة في الصهيونية وبين الشخصية اليهودية كما صورها شكسبير »(٧٦). كما هاجم رونالد ستورز على صعيد شخصي متهما اياه بالعداء للصهيونية وبان « اتصاله الوثيق بالعرب جعل عقله شرقيا وادخل على تفكيره عنصرا قويا للغاية من عناصر الدس والتآمر والنفاق الفكري »(٧٧). وفي حديثه عن المهاجرين الوافدين الى فلسطين قال دوغلاس دوف : « كان علينا اظهار الشدة وعدم المودة نحوهم . ولم يكن يجدي الواحد منا نفعا لدى رؤسائه اذا ما حسبوه يكن عطفا زائدا تجاه اليهود العائدين (٧٨). وفي التقرير الذي أعدته البعثة الصهيونية عام ١٩١٩ وردت تهمة تقول بان « التشنيعات والاستهزاءات الموجهة ضد الصهيونيين وضد المستوطنين اليهود والبعثة الصهيونية كانت تسمع في كل ناد من أندية الضباط المنتشرة بين دان وبئر السبع »(٧٩).

ثانيا : صرحت البعثة بان العسكريين قاموا « بأعمال محددة تنم عن تحيز من جانب الادارة والمسؤولين »(٨٠). ان تصريح بلفور لم ينشر في فلسطين حتى تاريخ الثامن والعشرين من شهر نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، مما بدا وكأنه يقدم الدليل على مخالفة الادارة لمحتوياته . لقد شكت البعثة من رفض المسؤول البريطاني ان يتعلم اللغة العبرية واعطائه الافضلية الى غير اليهود في التعيينات بالوظائف الحكومية ، ومن حظره بيع الاراضي الى اليهود وسماحه للفئات العربية المحتجة بعقد الاجتماعات(٨١). وعلاوة على ذلك ، أوصى الجنرال بولز في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ بالغاء البعثة الصهيونية . كما قال هوراس ب. صموئيل ، أحد الموظفين القضائيين في فلسطين ، بان العسكريين ارادوا « اقامة دولة عربية كبرى او اتحاد دول يشمل الحجاز والعراق وسوريا وفلسطين »(٨٢). فالادارة البريطانية ، بنظر صموئيل ، تحدثت بصورة عدائية عن الدعاية الفرنسية ، لكنها تساهلت ازاء الدعاية الشريفية(٨٣). وقال ايضا بان رغبات اكثرية السكان العرب كما ظهرت في تقرير لجنة كينغ ــ كرين « جاءت مطابقة تمام المطابقة لسياسة الزمرة العسكرية »(٨٤). وبذلك أعطت ادارة فلسطين الانطباع بأنه يمكن تحويل سياسة حكومة صاحب الجلالة البريطاني عن مسارها فيما لو توافر مقدار مطلوب من التصميم والعزم .

ثالثا : اتهم الصهيونيون الادارة البريطانية في فلسطين بانها لم تبادر الى اتخاذ الاحتياطات الكافية للحؤول دون نشوب اضطرابات عيد الفصح سنة ١٩٢٠ . وذهب بعض الصهيونيين ، امثال الكولونيل ماينرتزهاغن ، الى حد الزعم بأن الاضطرابات التي ذهب ضحيتها ٢١٦ اصابة من اليهود من اصل ٢٥١ نشبت بفعل التشجيع النشيط من جانب العسكريين(٨٥). لقد كانت هناك عدة حوادث قبل اضطرابات الفصح . ففي شهر آب (اغسطس) ١٩١٩ أرسل بعض الساسة الدمشقيين عملاء لاثارة القلاقل في فلسطين وأفلحوا في تشجيع بعض قبائل البدو على مهاجمة المستوطنات اليهودية بالانطلاق من أراضي الدولة الفيصلية . وفي شباط (فبراير) ١٩٢٠ أغار المهاجمون العرب على مستعمرة المطلة اليهودية . كما انه اثناء احتفالات عيد الفصح ، عندما يصل الهيجان الطائفي الى الذروة عادة ، « فان النغم السائد لدى المسؤولين

العسكريين البريطانيين حينذاك كان دون ريب يضمر العداء لليهود »(٨٦). فالكولونيل ماينرتزهاغن قال بأنه حذر الجنرالين بولز واللنبي من الكارثة المتوقعة ، لكن أحدا منهما لم يعره أذنا صاغية(٨٧). ويزعم ماينرتزهاغن بأن البريطاني دوترز — تايلور خاطب محافظ القدس عقب الاضطرابات بقوله : « لقد اعطيتكم فرصة ثمينة ، وبقيت القدس طوال خمس ساعات دون حماية عسكرية . كنت آمل ان تغتنموا هذه الفرصة ، لكنكم أخفقتم في ذلك »(٨٨). بعد هذه الحادثة طالب كبير الاداريين (الحاكم الاداري لفلسطين) بالغاء البعثة الصهيونية وتسريح الفيلق اليهودي . وسجل تقرير المنظمة الصهيونية عن سنة ١٩٢٠ ما يلي : « اما أن يرحل اليهود أو أن ترحل الادارة العسكرية »(٨٩). فلم يمض وقت قصير حتى اتخذت حكومة صاحب الجلالة البريطاني قرارها بتعيين هربرت صموئيل في منصب المندوب السامي على رأس ادارة مدنية ، لكي يتسلم مهام منصبه بفلسطين في ١ تموز (يوليو) ١٩٢٠ .

ان موقف العسكريين ازاء كل من فلسطين والعرب واليهود ينبغي النظر اليه في ضوء مركزهم الخاص الذي كان يختلف أشد الاختلاف عن موقع رجالات الدولة البريطانيين ومركزهم في لندن . فقد صدرت الاوامر الى الادارة العسكرية ، عقب حرب طويلة ومنهكة ، باتباع سياسة عديمة الخيال في جوهرها وترمي للحفاظ على الوضع الراهن . لذا يجوز لنا القول بمعنى « ما ان الرجالات العسكريين كانوا « أعداء » للحماس »(٩٠). بينما راحت الجالية اليهودية ، وقد تاهت عجبا وزهوا بتصريح الحكومة البريطانية المتضمن سياسة موالية للصهيونية ، تباشر العمل في اقامة وطنها القومي وسط حماس منقطع النظير . وكما صرح حاييم وايزمان بقوله : « ان الامال المسيائية التي طالعناها بين سطور وعد بلفور أصيبت بخيبة مريرة عندما حصل الاحتكاك والاتصال بيننا وبين الحقائق القاسية لمقر القيادة العامة »(٩١). حتى ان ماينرتزهاغن بالذات أدرك بأن البعثة الصهيونية سوف تكون « شوكة في جنب »(٩٢) الادارة البريطانية . وبينما كان يفترض في العسكريين ان يحافظوا على الاوضاع ويؤمنوا استقرارها في حالة من الركود والجمود ، أخذت البعثة الصهيونية تتلهف لوضع الخطط في سبيل بناء الوطن القومي . فانصرفت هذه البعثة الى تشكيل لجنة للاراضي وقوة يهودية للدفاع ، بالاضافة الى وحدة طبية صهيونية ونظام قضائي يهودي ودائرة استخبارات يهودية(٩٣). وطالب الصهيونيون ان يتم الاعتراف بالعبرية كلغة رسمية ، مثلما طالبوا بتمثيل العلم والنشيد القومي اليهودي كرمزين لفلسطين . ففي عام ١٩١٨ جرى تدشين وضع الحجر الاساسي لمبنى الجامعة العبرية . بيد ان الاحتكاك بين الهيئتين بقي ، بفضل التأثير المعتدل الذي مارسه حاييم وايزمان ، على حد أدنى . وفي نهاية ١٩١٩ تم توسيع البعثة الصهيونية واصلاحها . فقام يهود يتحدرون من أوروبا الشرقية ، أمثال مناحيم يوسشكين الذي كان يضمر كرها متأصلا لكل الرجالات العسكريين ويحتقر التسويات ، بوضع سياسة البعثة وتكوينها(٩٤). مما أدى بدوره الى جعل البعثة المذكورة تزداد تطرفا وعدوانية واستبدادية في الرأي . فالاقتراحات المقدمة لاتخاذ خطوات تؤول الى توسيع مشاركة اليهود في الادارة العسكرية ، واقتراح المطالبة بتشكيل لجنة أراضي تضم ممثلين عن الصهيونيين ، قوبلت بالرفض من جانب العسكريين اذ رأوا فيها خرقا صريحا للوضع الراهن(٩٥). وفي مناسبات ثلاث مارست البعثة ضغطا على الادارة عن طريق النفوذ الذي تمتعت به المنظمة الصهيونية في لندن لدى الحكومة البريطانية . فقد احتج الجنرال موني في مناسبة منها ضد الفيتو الذي تبنته البعثة الصهيونية حيال قوانين الاراضي وضد احالتها للمشكلة الى لندن . بينما نعرف بأن الادارة حاولت استصدار قوانين تحظر المضاربة بأسعار الاراضي مثلما تمنع بيع او شراء الاراضي غير المسجلة(٩٦).

لقد تعرض العسكريون منذ البداية لانتقادات الصحافة الصهيونية ، ورغم أن هذه الصحافة لم تكن قادرة على ابعادهم عن مناصبهم ، فانهم لم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم علانية(٩٧). ان حكومة الظل هذه كانت مصدر ازعاج دائم للعسكريين . وكل دائرة من دوائر الادارة الرسمية جرى استنساخها وتكرارها داخل البعثة الصهيونية . ففي عام ١٩١٩ تقدم القاضي الاميركي والصهيوني براندیس من الحاكم الاداري العام باقتراح يجعل تنفيذ كل سياسة رهنا بالموافقة المسبقة من جانب البعثة الصهيونية . والمعروف ان دائرة الاستخبارات الصهيونية كانت تعمل بنجاح فعال للغاية . ففي صيف ١٩١٧ اكتشفت المخابرات التركية حلقة تجسس صهيونية، هي جماعة النيلي (Nili = تتألف هذه اللفظة من الاحرف الاولى لعبارة في العهد القديم تعريبها : « فصيح اسرائيل لا يكذب ») التي قامت على تنظيمها أسرة آرونسون ، وعملت بصورة وثيقة مع قسم المخابرات التابع للجنرال اللنبي .

لذا ليس هناك ما يدعو الى العجب والاستغراب أن يكون الصهيونيون ما زالوا في وضع يسمح لهم بالوصول الى بعض المعلومات السرية(٩٨). فقد جاء في تقرير بالين ما يلي : « أتى الدكتور وايزمان مؤخرا ، وخلال اجتماعه الى البريجادير — جنرال ووترز — تايلور ، على ذكر وثيقة سرية للغاية هي خطة الدفاع التابعة للجيش الثامن ، لكنه رفض بصورة قاطعة ان يبوح بكيفية حصوله عليها »(٩٩). كما استخلص تقرير لجنة بالين للتحقيق بأن موقف الصهيونيين يطابق الوصف الذي أطلقه أحد الشهود ، الدكتور باترسون ، من المقيمين القدامى في مدينة الخليل ، بقوله انه موقف متعجرف ووقح وينطوي على الاستفزاز والتحريض(١٠٠). وفي تقرير رونالد ستورز نجد ان المسؤولين والضباط البريطانيين شعروا بأنهم « محاصرون من كل جانب وعرضة للتهديد والخطر »(١٠١). كما قال الجنرال بولز في التقرير الذي أوصى بالغاء البعثة ما يلي : « فيتضح مما تقدم ان سلطتي الخاصة وسلطة أي دائرة من دوائر الحكومة ، هما عرضة للتنزي عليهما من قبل اللجنة الصهيونية . واني متأكد انه من المتعذر استمرار هذا الوضع دون أن يسبب ضررا ويوقع الامن العام في معضلات تعم البلاد ، فتجر الحكومة الى مآزق حرجة »(١٠٢).

فلو انه كانت هناك أية مظاهر من الشعور المناوىء للصهيونية أو اليهود ، لكان من المرجح أنها جاءت نتيجة مباشرة للاحتكاك الذي ولده هذا الوضع الشاذ . وبينما أرغم العسكريون على التعامل مع جماعة صهيونية منظمة وملحاحة في انتزاع مطالبها المتشددة ، فانهم بالمقابل لم يعانوا سوى القليل من الصعوبات لدى تعاملهم مع العرب. وعلاوة على ذلك ، فان العاملين في ادارة مناطق العدو المحتلة كانوا أقرب احتمالا الى تعلم العربية من العبرانية ، كما ان البعض منهم ، أمثال ستورز و ويفل ، كانت له خبرة مع العرب اثناء الحرب . ومما قاله ماينرتزهاغن بأن « العربي أحيط بتلك الهالة نفسها من الرومانسية التي درج مسؤولونا في أفريقيا الشرقية على الباسها لقبائل « المازاي » »(١٠٣). حتى أن هوراس صموئيل بالذات أقر بأن العرب أظهروا سجايا وعادات حميدة أفضل مما أظهره اليهود بلا استثناء(١٠٤). وقال آشبي ، وهو الذي آمن بالحركة اليهودية كتعبير روحي رائع ، ما يلي : « ان يسوع المسيح ، لو انه وجد على الاطلاق ، كان يهوديا سوريا ولا يزال هنا في القدس . لكنه لن ينخرط في سلك الخدمة ، بل يكون شاذا ومتعبا ، وشوكة في جنب أية حكومة »(١٠٥). كما شكا متذمرا من عجرفة الحركة الصهيونية السياسية ونزعتها الاستئثارية ، فقال : « ان العربي ليس شديد الذكاء ، لكنه ألطف من اليهود بكثير في نواح عديدة . وهو ليس بالانسان المجدد الى هذا الحد ، لكنه يعوض عن ذلك كله بأنه مثال الجنتلمان المهذب »(١٠٦). ان حماس اليهود الوافدين حديثا الى فلسطين وعدوانيتهم كانا طاغيين الى ابعد الحدود، مما حمل آشبي

على القول بأن « سلوكهم يصعق الارستوقراطيين المسلمين مثلما يصدم الجنتلمان الانكليزي »(١٠٧).

حتى ان الضباط البريطانيين اليهود استنكروا تصرفات الصهيونيين وعارضوا في تشجيع استخدام اللغة العبرية بفلسطين(١٠٨). وعلى الرغم من كون حفنة ضئيلة بين الضباط قد أظهرت قدرا معينا من الشعور المناوىء للصهيونية ، فان ذلك لا يبرهن على وجود تحيز عام ضدهم من جانب الادارة . فالتقرير المرفوع من لجنة بالين للتحقيق يذكر بأن جميع حالات التمييز على صعيد شخصي ، مما تضمنه التقرير اياه ، كانت تطال أربعة مسؤولين معينين وقد تمت تنحية هؤلاء عن مناصبهم وتجريدهم من مسؤولياتهم(١٠٩). ان اليهودي الصهيوني نورمان بنتويش أدلى أمام لجنة التحقيق بشهادة مفادها « انه لم يكن هناك تحيز عام . هناك ضابط أو اثنان من الذين أظهروا بعض العداء لليهود . لكن اليهود انفسهم يتحلون بحساسية مفرطة ، وهم على استعداد للانتقال الى موقف الهجوم واعتبار تصريح ١٩١٧ (وعد بلفور) بمثابة أمر ينبغي تحقيقه فورا »(١١٠).

ان الحياد كان غاية العسكريين في شؤون الادارة العملية ، لكن العديد من المسؤولين والضباط كانوا على الصعيد الشخصي ملتزمين بتأييد قضية الصهيونية . فقد قال رونالد ستورز ، وهو الذي نظر الى الصهيونية كفكرة نبيلة وسامية ، ما يلي : « نحن أيدنا الصهيونية ، وينبغي لنا الاستمرار في دعمها وتأييدها باعتدال وعدالة لا يردعهما رادع ودون تسرع او مواربة »(١١١). ويتحدث ستورز بأن ادارة مناطق العدو المحتلة في الواقع اقدمت عمدا على خرق الوضع الراهن وانتهاكه في حالات معينة لصالح الصهيونية . فهو يقول : « ان اول بيان اصدره الجنرال اللنبي وكل شيء صدر عني كان بالعبرية ، مثلما كان بالانكليزية والعربية . وقد تواجد الضباط اليهود في هيئات اركاننا ، مثلما تواجد الكتبة والتراجمة اليهود في مكاتبنا »(١١٢).

والواقع ان بعض الدوائر ، مثل دائرة الهجرة ، كانت ملأى فوق طاقتها النسبية بالموظفين اليهود . ففي شهر آب (اغسطس) ١٩٢٠ كان اليهود يشغلون ٤٤ منصبا من أصل ٦١ بين فئة الموظفين الصغار(١١٣). حتى ان الصهيونيين واليهود أمثال نورمان بنتويش والبرت هيامسون لم ينجوا من انتقاد البعثة الصهيونية . ولقد تسبب حياد الجنرال اللنبي في حمل ويفل على حسبانه مؤيدا لليهود ، مثلما حدا بالكولونيل ماينرتزهاغن الى وصفه بالمؤيد للعرب(١١٤). كما يرد في حديث مسجل وغير منشور جرى بين هربرت صموئيل واللنبي ما يلي : « قال اللنبي بأنه حتى يتم توقيع معاهدة الصلح مع تركيا لا يمكن اتخاذ اية خطوات لتوطين اليهود بفلسطين .وأكد حياده المطلق ازاء اليهود والمسيحيين والمسلمين ، مثلما شدد على حياد ضباطه . بينما عمد الدكتور وايزمان الى اتهام موني وستورز بأنهما يناوئان الصهيونية ، لكنهما لم يناوئاها »(١١٥). ومما قاله لويد جورج عام ١٩١٩ مخاطبا الضباط والمسؤولين : « اذا توقف أحد الطرفين عن رفع الشكوى فسوف تعزلون من مناصبكم »(١١٦). مثلما كتب رونالد ستورز وسط غضبه وسخطه يقول : « كان هناك بيننا من يودون لو يصرخون مع ميكوتيو بأعلى صوتهم : « ليت الطاعون ينزل على بيتكما » ! »(١١٧).

ان الصهيونيين لم يكتفوا باتهام المسؤولين انهم يظهرون تحيزا شخصيا فحسب ، بل نسبوا اليهم تحيزا عاما تدل عليه بعض الاعمال المعينة . ففي تلك الحالات التي قدم الصهيونيون دلائل عنها الى محكمة بالين ، استخلصت لجنة التحقيق ما يلي : « ان مسألة التمييز المجحف غير واردة على الاطلاق ، وحتى في تلك الحالات التي تثور حولها بعض الشكوك ، فان التمييز لم يحصل بتأثير تفضيل العربي على اليهودي ، بل أملته مسائل السياسة المحلية »(١١٨). فالدكتور روبينوف ، مثلا ، زعم ان الموظفين اليهود عوملوا باجحاف لدى تسلم دائرة الصحة العامة لاعمال مكافحة الملاريا . بينما يبين

تقرير بالين بأن الترتيبات المتعلقة بتسلم المهام جرى اتخاذها بالاتفاق مع « الوحدة الطبية الصهيونية الاميركية » ، وان المناصب التي عرضت على المسؤولين الصهيونيين قوبلت بالرفض من جانبهم اذ اعتبروا الاجور رديئة للغاية(١١٩).

لقد عالجت الادارة العسكرية مشكلة الهجرة الى فلسطين بطريقة واقعية دون أن تغض الطرف عن خير السكان كافة ومصلحتهم أجمعين . وبما أن ٩٠ بالمائة من السكان كانوا غير يهود ، فقد أخذ الصهيونيون المتحمسون في لندن ، أمثال بلفور و وايزمان ، يطالبون بهجرة فورية دون قيد أو شرط ، لكي يتم تكبير حجم الجالية اليهودية بفلسطين . لكن فلسطين كانت بلدا فقيرا من الناحية الاقتصادية ، تكاد تخلو من الصناعة وتجارتها ضئيلة ، كما انها تخلو من الموارد الطبيعية . لذا فقد شعرت الادارة بأن رفع القيود عن تدفق المهاجرين سوف يخلق مشكلة بطالة خطيرة للغاية . ولان البلاد غير قادرة على تحمل عدد كبير من السكان الذين يعتمدون على موارد خيالية للرزق والعيش ، فان الجنرال اللنبي لم يصدق بأن وايزمان كان ينوي بالفعل استقدام هذا العدد الضخم من اليهود ، بينما لم تكن مؤن الاطعمة أو الخدمات الصحية متوافرة بشكل كاف(١٢٠). مثلما اعتبر مشاريع وايزمان الرامية الى توطين ٥٠ ألف يهودي في السنة ضربا من المحال على الصعيد الاقتصادي(١٢١). ان خمسمائة فقط من أصل ٧ آلاف يهودي هاجروا الى فلسطين بين ١٩١٧ و١٩٢١ كان قد تم توطينهم سنة ١٩٢٢ . ونحو ١٥ بالمائة كانوا عاطلين عن العمل ، مثلما ان النصف منهم تقريبا كان يعتمد في معيشته ، بصورة جزئية على الاقل ، على الاشغال والمنافع العامة والمؤسسات الخيرية الصهيونية(١٢٢).

يتبين لنا مما تقدم لماذا كانت الادارة حريصة كل الحرص على تفحص المهاجرين وافرادهم بعناية فائقة لكي يتسنى لها اختيار أولئك الذين يتقنون بعض المهارات او يمكنهم العود بالفائدة على اقتصاديات البلاد .

وكذلك أشار الصهيونيون الى تردد العسكريين في اذاعة نص وعد بلفور ونشره معتبرين الامر دلالة على تحيز عام . فقد جاء في تقرير بالين بأن معنى الوعد احتاج الى ما يتراوح بين أربعة وخمسة أشهر لكي يتسرب الى الناس ، وعندما حصل ذلك انحاز ٩٠ بالمائة من أهالي البلاد ضد الادارة البريطانية(١٢٣). وربما كان الغموض الذي اكتنف تصريح بلفور وتقلقل المركز البريطاني هما من العوامل التي تسببت في حمل العسكريين على الامتناع عن نشر الوثيقة واذاعتها . بيد انه يجوز لنا الافتراض بأن التحفظ على اذاعة الوثيقة ليس معناه كون الفلسطينيين يجهلون وجودها . فالسيدة نيوتن تقول بأنه حتى اثناء فترة ما قبل الحرب كانت هناك حفنة من الصحافيين الفلسطينيين أدركت أهداف الصهيونية ومراميها البعيدة ، مثلما نبهت الى خطر الحركة الصهيونية على المصالح الزراعية والاقتصادية العربية(١٢٤). ورغم ان السكان العرب في فلسطين كانوا على بينة من مضمون تصريح بلفور ، فان الاحتجاجات المبعوثة الى لندن وقيام التظاهرات أخذت تتصاعد بعدما تزايدت نسبة الهجرة اليهودية وجاءت نشاطات البعثة الصهيونية لتقرع ناقوس الخطر(١٢٥).

تلقت الادارة تعليمات في احدى المرات تقضي بارسال تعميم الى مختلف الطوائف في البلاد للتأكد من الجهة التي يفضلون ان تتولى حكمهم . كما ان التصريح الانجلو — فرنسي والتصريح البريطاني للعرب السبعة جعلا الالتزام البريطاني بسياسة صهيونية أكثر غموضا والتباسا . وحين كان في لندن أعرب كلايتون عن الحاجة الى انتهاج سياسة محددة . مثلما توسل حكومة صاحب الجلالة ، تمشيا مع موقفه القائل بالمساواة بين فئتي السكان ، أن تجري انتخابات بحيث تخرج منها أكثرية من بين العرب واليهود ، لان هذه الاكثرية ضرورية لتقرير الاتجاه السياسي للبلاد(١٢٦). حتى ان الكولونيل ماينرتزهاغن قال في حزيران (يونيو) ١٩١٩ ما يلي : « من الواضح ان الوضع

السياسي في فلسطين ... ناتج عن افتقار حكومة صاحب الجلالة الى سياسة واضحة وعن اخفاقها في التوضيح للملأ بصورة لا تقبل الشك بأن تأسيس الوطن القومي هو السياسة الرسمية والمعلنة لحكومة صاحب الجلالة »(١٢٧). ومما قاله ماينرتزهاغن في تقاريره : « ان الرأي لدى العديد من المسؤولين في الادارة الحالية يميل الى ان صياغة هذا البيان بأسلوب معتدل لكنه صريح للغاية يمكنها الوصول الى حد ازالة المخاوف المحلية »(١٢٨). على انه مهما يكن الوضع قد بدا غير مؤكد ، فان تصريح بلفور جرى دمجه على الاقل بصورة رسمية في مبنى السياسة البريطانية . ان لجنة بالين للتحقيق أعتبرت عدم نشر التصريح بمثابة خطأ فادح من جانب الادارة العسكرية(١٢٩).

وفي التهمة الثالثة التي وجهها الصهيونيون الى العسكريين اتهموهم بتشجيع العرب وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحؤول دون نشوب الاضطرابات خلال الاحتفالات بعيد الفصح ١٩٢٠ . وهذا ما يبدو انه الدلالة الاشد خطورة على وجود تحيز مناوىء للصهيونية لدى الادارة . يقول تقرير بالين بأن الامير فيصل خلال شهر كانون الثاني (يناير) كان يشن حملة لصالح انتداب فرنسي على سوريا ومن جملتها فلسطين ، بناء على ترتيبات خاصة مع المسيو كليمنصو . أما مدير الشؤون الخارجية لدى الامير فيصل ، وهو المعروف بتأييده لبريطانيا ، فقد أبلغ ووترز ـ تايلور عن وجود دعاية عنيفة ضد بريطانيا ، ليس في سوريا وحدها فحسب ، بل وفي فلسطين ايضا والعراق وايران . وهي دعاية تدعمها الاموال الفرنسية(١٣٠). لذا فقد تداول المسؤولون البريطانيون في فلسطين حول مسألة الاعتراف بفيصل كحاكم على رأس دولة عربية ، آملين ان يضع ذلك حدا للدسائس والمكائد الفرنسية . ويقول تقرير بالين ما يلي : « ان التداول بهذا الامر لم يكن صادرا عن أية مخالفة او تنكر لسياسة الحكومة أو عن اي اشمئزاز من الاهداف الصهيونية »(١٣١). و« ليس من دليل هناك على ان التداول بشأن هذه السياسة كان معروفا لدى انسان آخر غير الصهيونيين »(١٣٢). لذا فمن المرجح ان هذا التداول لم يزد في حدة الاستياء العربي من الوضع السياسي .

لم ينكر الجنرال بولز في تحقيقات اللجنة انه ومرؤوسيه تلقوا تحذيرات كافية قبل الاضطرابات . لكن الكولونيل براملي سبق له في حزيران (يونيو) ١٩١٩ ان بعث برسالة الى وزارة الحربية يلفت انتباهها فيها الى عدم كفاية قوات الشرطة ، فقوبل طلبه بالرفض نظرا لانعدام الواردات(١٣٣). ان اليومين من التظاهرات التي سبقت الاضطرابات كان لهما أثر سيىء الحظ ، اذ « غرسا في ذهن السلطات شعورا خاطئا بوجود الامن »(١٣٤).

لقد استنتجت لجنة التحقيق بأن مختلف التهم الموجهة ضد العسكريين ، من أنهم كانوا على علم بالخطة واعطوا اشارة البدء بتنفيذها كما قاموا بسحب قوات الشرطة اليهودية من داخل المدينة ، « لا تستند الى دلائل ثبوتية ومادية »(١٣٥). لكن « هيئة التحقيق وجدت نفسها ملزمة بتسجيل رأيها في أن اعتقال السيد جابوتنسكي وملاحقته قضائيا كان عملا ينقصه التسامح »(١٣٦)، وان العسكريين أبطأوا في بسط سيطرتهم الكاملة على المدينة بعد اعلان الاحكام العرفية(١٣٧). وفيما عدا ذلك فقد ردت المحكمة الاتهام الصهيوني باعتباره يفتقر الى الادلة والبراهين . ان اعمال العسكريين خلال هذه الازمة لا يمكن دمغها بأنها كانت صراحة مناوئة للصهيونية أو مؤيدة للعرب بنوع خاص . بيد ان نشاطات البعثة الصهيونية عند هذا المنعطف والانتقادات الموجهة من اليهود الى الادارة قد أدت الى استفزاز « ادارة مناطق العدو المحتلة » بصورة كافية ، مما حال دون قيام هذه الادارة باتخاذ التدابير الكافية ، سواء بصورة شاملة أم عن حماس ، لحمايتهم .

وضعت الادارة العسكرية لفلسطين في مركز صعب وحرج بالنسبة للاهداف الصهيونية،

وذلك نظرا لطبيعتها المؤقتة ولتمسكها بسياسة الابقاء على الوضع الراهن . ولان العسكريين حاولوا ممارسة سياسة المساواة بين العرب واليهود ، ولكون ادارة مناطق العدو المحتلة لم تستطع اعطاء تفسير دقيق لتخبط النوايا السياسية البريطانية ، فقد كان من المحتم على الصهيونيين ان يعتبروا الادارة بمثابة عدو للوطن القومي المنشود . فالآمال الفورية للصهيونيين لم تتحقق ، مثلما ان اليهود تسرعوا في تجاهل الضمانات التي ينص عليها تصريح بلفور بشأن السكان « غير اليهود » . ومن المحتمل أن يكون هذا الشعور السلبي تجاه العسكريين قد تسبب في حمل بعض المسؤولين والضباط على ان يصبحوا ضد الصهيونية . وربما نظروا الى اليهود من زاوية مماثلة لنظرتهم الى الفرنسيين ، فاعتبروهم بمثابة مغتصبي مركز النفوذ البريطاني ومسببي القلاقل والاضطرابات في المنطقة . كما انهم عرفوا من خلال خبرتهم العملية بأن العرب ليسوا مجرد جزء سديمي وغير مميز من تلك « الطائفة غير اليهودية » . ومن الطبيعي ان يعرب السكان العرب عن مخاوفهم وقلقهم ازاء الهجرة غير المقيدة وظهور الطوابع الصهيونية ، بالاضافة الى وجود فرقة عسكرية يهودية للدفاع والى محاولة الاستيلاء على الاماكن المقدسة(١٣٨) .

ورغم ما يرجح من تعاطف الكثيرين مع شقاء العرب ومصيبتهم ، فان الظاهر ، بناء على الدلائل الواردة في تقرير بالين واستنادا الى المذكرات الشخصية ، هو ان المسؤولين والضباط حاولوا معاملة كل طائفة من الطوائف على قدم المساواة . كما حاول رونالد ستورز بنوع خاص جمع كل المذاهب والمعتقدات تحت سقف واحد في المشروعات التي سعى لانجاحها ، مثل جمعية نصرة القدس وجمعية الموسيقى .

لم تكن الاضطرابات التي وقعت عام ١٩٢٠ نتيجة لمعاملة اليهود باجحاف ، بقدر ما كانت نتيجة التقصير في معاملتهم بحزم كاف . لقد حصلت تجاوزات على الوضع الراهن عدة مرات وتحت وطأة الضغوط الصهيونية ، مما دفع بالعرب الى فقدان الثقة بالادارة وجعلهم يمسكون زمام الامور بأيديهم . فالكولونيل ماينرتزهاغن لا يطالب العسكريين بمعاملة الفريقين على قدم المساواة، بل بمحاباة الصهيونيين واعطائهم الميزة والافضلية . ومن الطريف ان نلاحظ ما قاله ماينرتزهاغن الى ووترز — تايلور بأنه يعتبر نفسه مرشح الدكتور وايزمان(١٣٩) . ففي مثل هذا الوضع ، حيث تعرض العسكريون لضغط متواصل من جانب الصهيونيين ، كان من الصعب الابقاء على الوضع الراهن بصورة تؤدي للحؤول دون نشوب اضطرابات سنة ١٩٢٠ . ان تقرير بالين يشدد على هذه الحاجة الى مزيد من الضبط الحازم للامور . فيقول : « ان الحاجة تدعو الى يد حازمة كل الحزم من جانب الدول والسلطات المنتدبة، بحيث تقوم هذه بافهام جميع الاطراف بشكل واضح تماما انه على الرغم من كون تصريح بلفور أمرا مفروغا منه وسوف يتم تنفيذه على وجه مؤكد ، فان الادارة سوف تقيم التوازن الصارم بين جميع الاطراف بالتساوي(١٤٠) .

ان مواقف العسكريين من فلسطين تكونت ضمن وضع عملي ، وهم الذين أتاحوا لهذا الوضع ان يفلت زمامه من أيديهم . اما مشاعرهم نحو السكان فقد تكونت على اساس الاحداث الفعلية والاتصالات الشخصية ، مثلما دفعتها الرغبة الى اعادة البلاد لسابق عهدها وللحفاظ على الامن والسلام .

خلاصة واستنتاج :

ان مواقف كل من رجالات الدولة البريطانيين الذين أخذوا زمام المبادرة لاستصدار تصريح بلفور ودعمه ومواقف الادارة العسكرية المؤقتة لاراضي العدو المحتلة تكونت بفعل اهتمامات كل منهم ومسؤولياته في فلسطين . وبما ان آراءهم كانت مستقاة من مصادر منفصلة ، فقد تحتم عن ذلك نشوء ازدواجية معينة في الافكار .

أما رجال الدولة ، في وضع من أوضاع زمن الحرب ، فقد كونوا مواقفهم بطريقة اكثر عمومية وأشد نظرية من الادارة العسكرية . كانوا بعيدين عن المشكلات العملية الناجمة عن اتباع مثل تلك السياسة ، وكانوا اما غير متعاطفين مع حركة القومية العربية الناشئة او جاهلين لوجودها . فالسياسي البريطاني المؤيد للصهيونية بدا انه يجني فوائد معينة عبر تطلعه الى مركز الحلفاء في الحرب والى مركز الحكومة البريطانية في الشرق الاوسط . وربما تسنى لتصريح بلفور اجتذاب اليهود الاميركيين الى جانب الحلفاء . كما رجح الاعتقاد فيما بعد بأن الوطن القومي اليهودي في ظل التأييد البريطاني يمكنه توفير المنافع الاستراتيجية والاقتصادية للمركز البريطاني في الشرق الاوسط . وعلاوة على هذه الاسباب العينية المتقدم ذكرها ،فان رجالات الدولة ، بعكس العسكريين ، كانوا قادرين على النظر الى الصهيونية كفكرة بدلا من اعتبارها مشكلة عملية . واستطاع الرجال المثقفون والمبدعون ، أمثال حاييم وايزمان ، تقديم الصهيونية بطريقة شاملة وقوية للغاية . فالمستر بلفور ، مثلا ، « اجتذبته نحو الصهيونية عوامل من طراز السحر الذي تحلى به (وايزمان) بالاضافة الى قوة اقناعه وملكاته العقلية »(١٤١) . والصهيونية ، حين جرى تقديمها على صورة هذا المثال الاعلى الرائع ، استهوت الرجل البروتستانتي الذي درج على قراءة الكتاب المقدس مثلما استهوت المسيحي المشحون بعقدة الذنب . كما ان تصريح بلفور لقي الدعم والتأييد كبادرة ايجابيه على مختلف الصعدان : بين يهود العالم أجمع ، وبالنسبة لكفاح الحلفاء في الحرب ونظرا لمركز بريطانيا في الشرق الاوسط . فلم يجر النظر اليه على اساس الوحدة الاصغر ، أي من زاوية فلسطين بحد ذاتها .

ومن ناحية أخرى ، فان الادارة العسكرية كانت مهتمة بهذه الوحدة الصغرى وبالمضاعفات العملية للصهيونية في فلسطين . وكانت ادارة مناطق العدو المحتلة ملتزمة باتباع سياسة الحفاظ على الوضع الراهن ، مما أدى بطبيعة الحال الى ادانة تلك السياسة من جانب الصهيونيين المتحمسين والمفرطين منهم في التفاؤل . فلم يكن من المحتمل حصول الاتصال بين الادارة واليهود الغربيين والمثقفين ، أمثال وايزمان ، بل وجدت الادارة نفسها مرغمة على التعامل مع عدد كبير من اليهود الوافدين من أوروبا الشرقية ، حيث غلبت على مواقف هؤلاء نزعات التشدد في المطالبة والغطرسة والتطرف ، بينما كانت أفكارهم في بعض الاحيان « تشوبها الصبغة البولشفية »(١٤٢) . لقد كان العسكريون على معرفه بوجود حركة القومية العربية النامية ، وادركوا ان هؤلاء الناس ليسوا مجرد جزء من كتلة سديمية للسكان غير اليهود . بيد انه حتى ولو كان بعض الضباط من أعداء الصهيونية على صعيد شخصي ، فالادارة قامت بمعاملة العرب واليهود على قدم المساواة بالنسبة للسياسة العامة . واذا كان ثمة ما يؤخذ على الادارة فهو أنها لم تعامل اليهود بالحزم الكافي تنفيذا للاوامر والتعليمات الصادرة عن وزارتي الخارجية والحربية . لقد عمدت الادارة الى انتهاك حرمة الوضع الراهن في مسائل من طراز تقرير استخدام اللغة العبرية والسماح بهجرة يهودية دون قيود .

وبما ان وايزمان والبعثة الصهيونية لم يتمكنوا بسهولة من التلاعب بالموقف القوي الذي اتخذه الجنرال اللنبي ازاء الحفاظ على الوضع الراهن ، على غرار تلاعبهم بالمستر بلفور ، فان الصهيونيين في خيبة أملهم تهجموا على ادارة مناطق العدو المحتلة باعتبارها تتصرف ضد رغبات حكومة صاحب الجلالة . ربما تسنى التحقق من صحة ذلك ، لو ان الحكومة البريطانية تمسكت أشد التمسك بموقفها المؤيد للصهيونية . لكنها لم تفعل ذلك . اذ حالما أصدر السياسيون تصريح بلفور بدأت تنتابهم الخواطر اللاحقة عمن يستطيع تمثيل المصالح البريطانية بفلسطين على خير وجه . وفي فترة متأخرة من عام

١٩١٩ ، بعد التصريح البريطاني للسوريين السبعة وبعد البيان الانجلو ـــ فرنسي ، قامت حكومة صاحب الجلالة بمحاولات خاصة في هذا الصدد تهدف الى ايصال سياستها لادارة مناطق العدو المحتلة(١٤٣) . بيد ان أصحاب المبادرة في اصدار تصريح بلفور كانوا آنذاك قد توقفوا عن تأييد السياسة الصهيونية بالاستناد الى اقتناعهم السابق . ان سايكس توفي عام ١٩١٩ ، بينما استقال بلفور وفقد لويد جورج اهتمامه بالصهيونية . من السهل لنا أن نفهم لماذا رفض العسكريون استباق الدوافع السياسية البريطانية قبل انعقاد مؤتمر الصلح ، ولماذا رفضوا بالتالي معاملة الصهيونيين باعطائهم الميزة والافضلية على العرب . ففي أذهان هؤلاء العسكريين لم يكن البريطانيون ابدا على التزام كلي باتباع سياسة ممالئة للصهيونية . ورغم الغاء ادارة مناطق العدو المحتلة وتبني موقف مؤيد للصهيونية في صياغة صك الانتداب ، فقد وجد الكثيرون في لندن ممن أعلنوا معارضتهم لتصريح بلفور عقب انتهاء الحرب .

ان كيرزون الذي أصبح ناظرا لوزارة الخارجية عام ١٩٢٠ كان متخوفا من دخول اليهود الاوروبيين الشرقيين باعداد كبيرة الى فلسطين باعتبارهم يحملون نزعات بولشفية(١٤٤)، كما خشي من استفزاز العرب نظرا للمشاكل التي تقاسي منها بريطانيا في العراق . وحتى عام ١٩٢٣ كانت هناك داخل حزب المحافظين نواة صلبة من المعارضة لتصريح بلفور . فقد أعلن الكثيرون معارضتهم للتكاليف الحقيقية والممكنة التي سوف تقع على عاتق دافع الضرائب البريطاني بغية الحفاظ على الامن والسلام بفلسطين(١٤٥) . وأعرب السير وليام جوينسون ـــ هيكس ، ناظر دائرة التجارة لما وراء البحار ، عن معارضته للظلم الذي ينطوي عليه تصريح بلفور وللتفسير القائل بأن «الوطن القومي» يعني اقامة دولة يهودية (الكومنولث اليهودي)(١٤٦) .

ان هذه المعارضة تمتعت بتأييد صحيفتي « التايمز » و« الدايلي ميل » حتى وفاة اللورد نورثكليف ، مساعد ناظر الدولة للشؤون الخارجية ، في سنة ١٩٢٢ . كما ان السيد ج . م . ن . جفريز ، وهو صحفي ، كتب بعض المقالات العنيفة ضد الصهيونية ومن جملتها ترجمة جديدة لمراسلات الشريف حسين والسير هنري مكماهون(١٤٧) . وفي مجلس اللوردات أعلن اللورد غراي ، الذي سبق له أن منح تاييده لتصريح بلفور ، بأنه اذا كان ٩٣ بالمائة من السكان عربا ، فمن الضروري اقامة حكم عربي في فلسطين(١٤٨) . فالهجرة خضعت لقيود أشد صرامة بعد اضطرابات ١٩٢١ ، ولم يمر وقت قصير على ذلك حتى كان وفد عربي فلسطيني يصل الى لندن لعرض قضيته(١٤٩) .

وفي حزيران (يونيو) ١٩٢٢ هزمت حكومة الائتلاف في مجلس اللوردات بواسطة اقتراح يقضي باعلان الانتداب غير مقبول حتى يصار الى تعديله وفقا للتعهدات المعطاة للعرب . بيد أن التصويت جاء معكوسا في تموز (يوليو) من العام نفسه وداخل مجلس العموم عندما سقط اقتراح يدعو الى أعادة النظر في الانتداب والى اجراء تحقيق في امتياز روتنبرغ(١٥٠) . فقد قال ونستون تشرشل في معرض هجومه على زعيمي المعارضة ، السير وليام جوينسون ـــ هيكس واللورد سادينهام ، ما يلي : « لا يحق لكما تأييد التصريحات العلنية والرسمية الصادرة باسم وطنكم ابان ازمة الحرب ورحاها الدائرة، ثم تتراجعون عنها فيما بعد لكي تعيدوا النظر فيها بهدوء وتؤدة »(١٥١) .

كما صرحت لجنة وزارية في تقرير لها بان حكومة صاحب الجلالة لا يسعها التخلي عن الانتداب لاسباب تتعلق بالاستراتيجية والمكانة الرفيعة(١٥٢) .

وبناء عليه ، وحتى لو كان نفر من الرجال يريدون « اعادة النظر بهدوء وتؤدة » فيما استصدره بعض الرجال ابان « أزمة الحرب وسخونتها » ، فان فقدان المركز الاستراتيجي وخسارة ماء الوجه كانت اكثر أهمية بالنسبة للاغلبية . فالكتاب الابيض

الذي أصدره تشرشل في ٦ تموز (يوليو) ١٩٢٢ ساهم في تهدئة بعض أعداء الصهيونية الاكثر اعتدالا ، وبعد الموافقة عليه بوقت قصير جرى القبول بالانتداب على فلسطين وتصديقه .

يتبين لنا من هذا العرض الموجز للمواقف والاراء السياسية ازاء فلسطين بعد الغاء « ادارة مناطق العدو المحتلة » بان بعض رجالات الدولة البريطانية على الاقل ، حين وجدوا انفسهم وجها لوجه أمام المشاكل العملية الناجمة عن الصهيونية ، مثل الاضطرابات العامة والاعباء الاضافية لدافعي الضرائب ونشوء القومية العربية ، كانوا اقرب احتمالا الى تبني مواقف في فلسطين شبيهة بالمواقف التي اتخذتها « ادارة مناطق العدو المحتلة » . فالادارة العسكرية أدركت على الفور المشكلة العملية المتأصلة في اتباع سياسة ممالئة للصهيونية . لكن رجالات الدولة والساسة لم يدركوا بان حلهم المثالي لمختلف المشاكل الطارئة في زمن الحرب كان بحاجة الى اعادة نظر الا عندما واجهتهم المشاكل العملية داخل أطار الوحدة الصغرى ، اي داخل فلسطين بالذات . وعليه ، ففي اصدار حكم على ولاء « ادارة مناطق العدو المحتلة » للحكومة البريطانية، ينبغي التذكر بان مواقف المسؤولين والضباط العسكريين من الوضع السياسي في فلسطين كانت من نواح مختلفة سباقة ورائدة لمواقف الساسة ورجالات الدولة في أوقات وفترات لاحقة .

---

١ — Weizmann, *Trial and Error, 1949,* p. 276.

٢ — Meinertzhagen, *Middle East Diary,* 1959, p. 79.

٣ — Antonius, *The Arab Awakening,* 1965, p. 170.

٤ — Newton, *Fifty Years in Palestine,* 1948, p. 129.

٥ — Sykes, *Two Studies in Virtue,* 1953, p. 161.

٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٧١ .

٧ — Stein, *The Balfour Declaration,* 1961, p. 133.

٨ — انظر صحيفة **المانشستر غارديان** ، عدد ٢٢ نوفمبر ، ١٩١٥ .

٩ — Sidebotham, *British Imperial Interests in Palestine,* p. 2.

١٠ — Sidebotham, *The Future of Palestine,* 1922, p. 4.

١١ — **المصدر نفسه** ، ص ٥ .

١٢ — Marlowe, *Rebellion in Palestine,* 1946, p. 96.

١٣ — انظر سايكس ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٤ .

من ٥٥٠ .

١٤ — انظر Stein ، **المصدر السابق** ،

١٥ — Esco, *Palestine,* 1947, p. 114.

١٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١١٤ .

١٧ — انظر Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٤ .

١٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٦ .

١٩ — راجع Stein **المصدر السابق** ، ص ١٤٣ .

٢٠ — Herbert Samuel, *Great Britain and Palestine,* 1935, p. 9.

٢١ — ماينرتزهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ٦٣.

٢٢ — George, *The Truth about the Peace Treaties,* 1938, p. 1116.

٢٣ — Asquith, *Memories and Reflections,* 1928, p. 78.

٢٤ — راجع شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ١٤٤ .

٢٥ — **المصدر نفسه** ، ص ١٦٠ .

٢٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٥٦ .

٢٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٥٦ .

٢٨ — انظر سايكس ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٨ .

٢٩ — راجع Stein ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٩ .

٣٠ — Hertzberg, *The Zionist Idea,* 1959, p. 46.

٣١ — انظر Stein **المصدر السابق** ، ص ٢٧٢ .

٣٢ — Leslie, *Mark Sykes,* 1923, p. 70.

٣٣ — Kedurie, *England and the Middle East*, 1956, p. 85.

٣٤ — انظر Sykes ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .

٣٥ — راجع Newton **المصدر السابق** ، ص ١٢٦

٣٦ — انظر Kedourie ، **المصدر السابق** ، ص ٨٥ .

٣٧ — S. Hadawi and R. John, *The Palestine Diary*, Vol. I, 1970, p. 28.

٣٨ — انظر انطونيوس : **يقظة العرب** ، ١٩٦٦، (الترجمة العربية) ، ص ٣٧٤ .

٣٩ — Marlow, *The Seat of Pilate*, 1959, p. 29.

٤٠ — انظر ماينرتزهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ١٢ .

٤١ — **المصدر نفسه** ، ص ٦ .

٤٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٧ .

٤٣ — انظر Stein ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٩ .

٤٤ — راجع Kedourie ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٤٥ — Mark Sykes, *Dar Ul Islam*, 1904, p. 178.

٤٦ — Kedourie ، **المصدر السابق** ، ص ٦٨ .

٤٧ — T. E. Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom*, 1965, p. 67.

٤٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٣ .

٤٩ — راجع Kedourie ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٥ .

٥٠ — Suleiman Mousa, *T. E. Laurence: an Arab View*, 1966, p. 260.

٥١ — راجع Kedourie **المصدر السابق** ، ص ١٥١ .

٥٢ — انظر Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ١٨ .

٥٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٥١ .

٥٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٨ .

٥٥ — راجع Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٣١ .

٥٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٣١ .

٥٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٣١ .

٥٨ — انظر George ، **المصدر السابق** ، ص ١١٣٥ — ١١٣٧ .

٥٩ — راجع Leslie ، **المصدر السابق** ، ص ٥٤ .

٦٠ — انظر Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٨ .

٦١ — راجع Marlowe **المصدر السابق** (١٩٥٩) ، ص ٢٩ .

٦٢ — انظر Sykes ، **المصدر السابق** ، (١٩٥٣) ، ص ٢٢٨ .

٦٣ — Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٧٣ .

٦٤ — Storrs, *Orientations*, p. 360.

٦٥ — *Palin Report*, Public Record Office, F. O. 371/5121, K 9379/85.

٦٦ — Ashbee, *A Palestine Notebook*, p. 78.

٦٧ — Bentwich, *England in Palestine*, p. 28.

٦٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٨ .

٦٩ — انظر *Palin Report*, p. 28.

٧٠ — راجع Newton ، **المصدر السابق** ، ص ١٣١ .

وفي ذلك يقول أحد الباحثين العرب الذين درسوا تصريح بلفور ما يلي عن البعثة : « وعلى الرغم من ان الهدف الظاهري لهذه البعثة كان — كما صرح بلفور في البرلمان — هو بحث حالة المستعمرات التي قاست من ويلات الحرب ، فقد كانت للبعثة أهداف اخرى منها دراسة امكانيات فلسطين الاقتصادية وتمهيد السبيل أمام الهجرة اليهودية المنتظرة وانشاء جامعة عبرية والعمل على اقامة علاقات ودية مع العرب ، كما كان في النية زيادة اختصاص أعضاء البعثة تدريجيا حتى تتدخل في النظام الاداري ، وبذلك تصبح البعثة الصهيونية نواة للوجود اليهودي في فلسطين باختصاصات ادارية حكومية » . (انظر الدكتور محمد حسن صالح منسى : **تصريح بلفور** ، مع قسم خاص عن فلسطين في **تقارير** بيل الامريكية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٣٩) .

٧١ — Jeffries, *Palestine : The Reality*, p. 223.

٧٢ — انظر Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٢٥ .

٧٣ — راجع Marlowe ، **المصدر السابق** ، ١٩٥٩ ، ص ٧٦ .

٧٤ ــ انظر Palin Report ، **المصدر السابق**، ص ٥٠ .

٧٥ ــ راجع وايزمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧٣ .

٧٦ ــ Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٧٧ .

٧٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٨٦ .

٧٨ ــ Duff, *Sword for Hire*, 1934, p. 118.

٧٩ ــ انظر Jeffries ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦٩ .

٨٠ ــ انظر Palin Report ، ص ٥٠ .

٨١ ــ راجع Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٨٢ ــ Horace Samuel, *Unholy Memories of the Holy Land*, 1930, p. 27.

٨٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٦ .

٨٤ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥١ .

٨٥ ــ انظر Palin Report ، ص ٨٢ .

٨٦ ــ انظر Horace Samuel **المصدر السابق** ، ص ٥٧ .

٨٧ ــ راجع Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٨٨ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٨٧ .

٨٩ ــ Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٩٠ ــ Sykes, *Crossroads to Israel*, 1965, p. 55.

٩١ ــ وايزمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧٤ .

٩٢ ــ راجع Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ١٢ .

٩٣ ــ انظر Newton ، **المصدر السابق** ، ص ١٣١ .

٩٤ ــ انظر Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٩٥ ــ راجع Palin Report ص ، ٣١ .

٩٦ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢٢ .

٩٧ ــ انظر Storrs ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦ .

٩٨ ــ راجع Hadawi and John ، **المصدر السابق** ، ص ٦٥ .

٩٩ ــ تقرير بالين ، ص ٣٧ .

١٠٠ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٤٠ .

١٠١ ــ انظر Storrs ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦٠ .

١٠٢ ــ راجع Newton ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٦ .

١٠٣ ــ راجع Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٨٦ .

١٠٤ ــ انظر Horace Samuel ، **المصدر السابق** ، ص ٣٥ .

١٠٥ ــ راجع Ashbee ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢ .

١٠٦ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٩٥ .

١٠٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .

١٠٨ ــ انظر Horace Samuel ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣ .

١٠٩ ــ Palin Report ، ص ٥٠ .

١١٠ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٣ .

١١١ ــ راجع ستورز ، **المصدر السابق** ، ص ٣٨٥ .

١١٢ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٠١ .

١١٣ ــ Graves, *The Land of Three Faiths*, 1923, p. 209.

١١٤ ــ Garden, *Allenby*, 1965, p. 216.

١١٥ ــ Public Record Office, D.S. 126.

١١٦ ــ راجع ستورز ، **المصدر السابق** ، ص ٣٧٢ .

١١٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٧١ .

١١٨ ــ تقرير بالين ، ص ٥٦ .

١١٩ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٤ .

١٢٠ ــ انظر Storrs ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٤ .

١٢١ ــ Public Report Office, D.S. 126.

١٢٢ ــ Parliamentary Debates, House of Commons, Vol. 145, 1921, Col. 1540.

١٢٣ ــ Palin Report, p. 17.

١٢٤ ــ راجع Newton **المصدر السابق** ، ص ١٢٥ .

١٢٥ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٢٦ .

١٢٦ ــ انظر George ، **المصدر السابق** ، ص ١١٤٨ .

١٢٧ ــ راجع Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢ .

١٢٨ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٢ .

١٢٩ ــ Palin Report, p. 88.

١٣٠ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٥ .

١٣١ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٨ .

١٣٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٨ .

١٣٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٦١ .

١٣٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٦٢ .

١٣٥ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٤ .

١٣٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٨ .

١٣٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٩ .

١٣٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٤٠ .

١٣٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٢ .

١٤٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٦ .

١٤١ — انظر George ، **المصدر السابق** ، ص ١١١٧ .

١٤٢ — Parliamentary Debates, House of Commons, Vol. 151, 1922, Col. 1947.

١٤٢ — انظر Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٧٢ .

١٤٤ — Commons Debates, Vol. 151, 1922, Col. 1947.

١٤٥ — **المصدر نفسه** ، مجلد ١٥١ ، ١٩٢٢ ، عمود ١٥٣٤ .

١٤٦ — **المصدر نفسه** ، مجلد ١٥٦ ، ١٩٢٢ ، عمود ٢٩٨ .

١٤٧ — راجع Sykes ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣ .

١٤٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٥ .

١٤٩ — انظر Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٨٧ .

١٥٠ — Commons Debates, Vol. 156, 1922, Col. 298.

١٥١ — **المصدر نفسه** ، المجلد ١٥٣ ، ١٩٢٢ ، عامود ٣٣٣ .

١٥٢ — راجع Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣ .

صدر عن مركز الابحاث

كتـــاب

العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨

بقـــلم

حبيب قهوجي

يقدم حبيب قهوجي المناضل الفلسطيني ومؤسس حركة الارض في فلسطين المحتلة ، يقدم في هذا الكتاب سجلا كاملا لحياة العرب تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ مدعوما بالوقائع والشواهد والاسماء التي لا يمكن لاي باحث ان يلم بها ما لم يكن قد عاشها بنفسه . والكتاب عمل ضخم يقع في احد عشر فصلا تتناول الوضع السكاني والجغرافي والطائفي والمهني والاجتماعي والتعليمي والثقافي لعرب الارض المحتلة ، كما تتناول السياسات الاسرائيلية تجاه الاراضي العربية ويقدم بالوقائع شواهد مذهلة عن صمود القرية العربية وعن تمسك العرب بهويتهم الوطنية رغم كل الوسائل الرامية الى تشويه هذه الهوية وطمسها .

٥٩٠ صفحة من الحجم الكبير — **١٠ ل. ل.**

تضاف اجـــور البريد : ١٠٠ ق. ل. في البـــلاد العربيـــة ٢٥٠ ق. ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر دول العالم

مراجعـــات

المقاومة الفلسطينية في اربعة كتب

Hisham Sharabi, **Palestine Guerrillas, Their Credibility and Effectiveness** (The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1970).

ميزة هذا الكتاب من حيث المنهج ، انه يقوم جزئيا على اسلوب علم النفس الاجتماعي (على الطريقة الاميركية) ، وهذا يعني قبـــل كل شيء تجريد الظاهرة المنوي درسها من سياقها الاجتماعـــي والتاريخي الشامل ، وحصرها في جانب ثانوي من جوانبها . والظاهرة المدروسة في الكتاب هـــي ظاهرة « الفدائيين الفلسطينيين » متمثلة ومحصورة في أمرين « الصدق » و« الفعالية » . ومن خلال المطالعة التحليلية لهذا الكتاب يتبين لنا ان الكاتب، الاستاذ شرابي ، قد خرج منذ البداية ، عـــن موضوعه ، اذ ان منهج بحثه غير الواضح والمحدد كفاية ، لم يسمح له بأن يدرك مضمون الفاعلية واشكالها وضوابطهـــا الاقتصاديـــة والاجتماعية والثقافية والعسكرية ، التي تتصل واقعيا بسلوكية الفدائيين واشكال تحركهم ونموهم ووعيهم التغييري عبر صراعهم . فمن قال للكاتب ان الفاعلية مبنية على الصدق ؟ اليس الصدق — بالمعنى الوثوقي الذي ذهب اليه — من اسباب كما هو من نتائج الفاعلية ؟ ان الكاتب لا يمكنه تجاوز علم الاجتماع والتاريخ حتى وان اراد ان يفهم ظاهرة نفسية اجتماعية ، فمثل هذه الظاهرة لا يمكن عزلها ، كما انه لا يمكن تبيان « صدق وفاعلية » الفدائيين الفلسطينيين من خلال تبيان الظاهرة ذاتها عند النقيض — اي عند الاسرائيليين — . ومن هنا بالذات كان افتقار عام في كتابه الى وحدة البحث، ومن ثم عدم توصله الى نتائج محددة بخصوص موضوعه الاصلي .

اما من حيث مضمون الكتاب فيبدو التشتت واضحا، اذ ان الكاتب وقد اختار فرضية بحث « صـــدق وفاعلية ... » ، انطلق فورا من تجريد عام للظاهرة المنوي درسها ، ومثال ذلك قوله : « ان الوثوق ، بمعنى صدق الشيء ، هو أداة مهمة في اي صراع ، وبخاصة في صراع يتنوع مشاهدوه وتكون نتائجه عالمية » . ألم يكن من واجب الكاتب ان يبحث اولا في الصراع ، ثم في القائمين به وليس في « المشاهدين » ، وانطلاقا من ذلك يحدد الفاعلية اولا ثم الصدق الناجم عنها ؟ وهنا لا بد من سؤال عام : ما هي ثقة الكاتب نفسه ؟ فاعليته ؟ وما هو مدى قدرته على الصدق ؟ ويزداد التجريد عند الكاتب باعتماده مقياس « اكثر » للعدو ، و« أقل» للعرب . وهنا نسأله : لماذا لا يحاول تقصي الواقع الفلسطيني الراهن طالمـــا انه يتناول فدائييـــه بالدرس ؟ ولماذا يجمد بحثه عند سطح الظواهر ولا يحاول — لكي يكون علميا على الاقل — كشف العلاقات القائمة بين مجمل ظواهر صراع الفدائيين الفلسطينيين والقوى المعادية لهم ؟ ان ضرورة مثل هذا البحث تعني اول ما تعني : التعمق في فهم دوافع ومعيقات الفاعلية الذاتية والموضوعية عند الفدائيين . الا ان الكاتب اكتفى بتحديد الكابح الاسرائيلي فقط .

ثم ينتقل فجأة الى باب « النقائص » . نقائـــص الاعـــلام الفدائي بصنفهـــا « قابلة للاصـــلاح » و « ذاتية » . ونقائص الاعلام الاسرائيلي يصنفها « كبت كلي للاخبار » ، « انكار كلي » ، « اختيار عفوي » . ومن النقائص ينتقل الى « افتراضات عن العرب » — افتراضات الاسرائيليين طبعا — التي يعتبرها الكاتب « اجتماعية علمية » . هكذا بكل بساطـــة دون ان يلاحظ الركام الميثولوجي والعنصري الذي يستندون اليه ضد العرب .ولكي لا تنكشف هذه اللعبة يقول : « ويبدو ان هـــؤلاء

المحللين ، مدفوعين قبل كل شيء باعتبارات فعالة ، قد تأثروا في استنتاجاتهم بالحاجة الى السيطرة اكثر من الحاجة الى الفهم ...» ويغيب عن بال الاستاذ شرابي العلاقة القائمة بين دوافع الفهم ودوافع السيطرة . اليست السيطرة هي في نهاية المطاف وبمعناها الواسع غاية للفهم ، لكل فهم ؟ ان علماء الاجتماع يدركون ذلك جيدا . الذين درسوا التجربة الهتلرية لم يفتهم مثل هذه الملاحظة الاستنتاجية . واية صفة علمية اجتماعية يضيفها الكاتب على المحللين الاسرائيليين الذين يستنتجون على حد قوله « .. بأنه في اخر الامر لا شيء يمكن ان يغير طبيعة الجندي او الضابط العربي » . فأي علم قال لهم وله : بثبات طبيعة الانسان أصلا ؟

وبعد ، يعرض النظرة الاسرائيلية الى الفدائيين: « ارهابيون » « متسللون » « مخربون » . هذا رأيهم . فما هو رأي الكاتب ؟ في تناوله « تقويم الفدائيين » ، يقول : « ويعتبرونهم ظاهرة عابرة على سطح مسرح الشرق الاوسط » ، « ... اسرائيل تستطيع الصمود في وجه الارهاب العربي الى الابد » . طبعا نحن لا نريد من الكاتب ان يقول لنا « ان العرب سيزيلون اسرائيل غدا » ، مثلا ، ولكننا نفترض فيه مناقشة صحة الافتراضات والتقويمات الاسرائيلية لا اكثر ، خاصة وانه نسي انه يبحث في صدق وفاعلية الفدائيين الفلسطينيين — وليس في صدق وفاعلية الاسرائيليين . ويكتب عن اصابات الاسرائيليين والسياسة المضادة للحركة الفدائية . وعندما يتحدث عن الفدائيين لا يحلل بنيانهم الاجتماعي والنفساني ، وانما يعتمد اسلوب التصنيف الاميركي السائد عندهم في علم النفس الاجتماعي الرسمي ، ويسحب خلفيته السياسية على قضية الفدائيين ، فيقول : « واذا اصبحت سيطرة اسرائيل اكثر احكاما واشد كبحا ، اتجهت اعداد متزايدة من افراد **الطبقة الوسطى والطبقة الوسطى الدنيا** الى اتخاذ موقف اكثر تحديا لقوى الاحتلال والى مساعدة المقاومة». نحن نعرف منهج التراتب الاجتماعي La stratification sociale الذي يهيمن على علم الاجتماع الرسمي الاميركي، ويصنف الناس الى طبقات : طبقة عليا عليا ، طبقة عليا دنيا ، طبقة وسطى عليا ، طبقة وسطى دنيا ، طبقة دنيا عليا ، طبقة دنيا دنيا . فهل ينطبق مثل هذا التراتب — غير الصحيح حتى في المجتمع الاميركي — على الفلسطينيين والعرب وكيف ؟ العمال والفلاحون والطلاب الفلسطينيون من هم طبقيا ؟

اما « فاعلية الحركة الفدائية » فيعالجها في خمس صفحات ونصف لا غير . وليس انتقادنا لكمية الصفحات لو ان الكاتب وفى الموضوع حقه من البحث والتدقيق . فهو يحصر هذه « الفاعلية » في العقاب الجسدي العام والوفيات اثناء التدريب ، وبأن « كثرة الانفار اصلهم من الطبقة الوسطى الدنيا » . هل تأكد تحليليا من صحة اقواله ؟

ثم يخرج كليا عن الموضوع ، بعد ان خرج عنه جزئيا فيما سبق نقده . فيتناول تعدد المنظمات الفدائية — المحصورة وقتها باثنتين — ، ويستطلع « المرحلة القادمة » و « المرحلة القادمة مشكلاتها ومطامحها » . ولا نرى ما هي الحكمة في تصنيف المرحلة القادمة ودرسها في فصلين مستقلين . وبدلا من ختم كتابه باستنتاجات محددة ، يختمه عمليا بملاحق وصور . بقي لنا ملاحظة اخيرة هي ان هذا الكتاب الصغير ، فكرا وكمية ، يعتبر باهظا جدا (٨٨ صفحة ، ٤ ل.ل. ، في حين ان كتبا اخرى افضل نوعا واكبر حجما هي في حدود الليرة او الليرة والنصف) .

ابو همام ، **المقاومة عسكريا** (دار الطليعة ، بيروت ١٩٧١)

« المقاومة عسكريا »، لابي همام ، موضوع من وجهة نظر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وأول ما نود تسجيله هو ان هذا الكتاب ليس مؤلفا مترابط الاجزاء بالمعنى العلمي للتاليف والبحث ، فهو في واقعه نتاج عدة مطالعات ومراجعات بوجه عام ، وفيه فصل يدخل في نطاق الدرس الميداني للمقاومة — وهو افضل فصل في الكتاب ، لجهة تناول موضوع المقاومة الفلسطينية — العربية عسكريا — : « ارفعوا ايديكم عن الميليشيا » الذي سنقف عنده وقفة تدقيق ، ونتمنى على كاتبه الاستناد اليه منهجا ومحتوى اذا عاد مرة اخرى الى الكتابة الميدانية البالغة الاهمية ، بعد ان اجتاحت المنطقة العربية سيول من كتب التعميم والتنظير التجريبي الخارجي .

يقول ابو همام في مقدمة كتابه : « ولقد جمعنا في هذا الكتاب مجموعة من الكتابات التي وضعت خلال فترة نشاط المقاومة [وبعض هذه الكتابات مترجم في راينا] ، وكانت تخدم عند وضعها هدفا دقيقا محددا ، ولكنها تشكل بمجموعها اسهاما في القاء الضوء على بعض زوايا المقاومة وسبل نضالها ... » — حتى الان نلاحظ ان الكتاب جملة ينسجم مع هذا الغرض — « وطرحا لعدد من المسائل الهامة بأسلوب جديد ، يؤمن الانسجام بين النظرية والتطبيق ، ويجد صلة الوصل بين المبادىء النظرية والحقائق النابضة الملموسة على أرض المعركة » — وليسمح الان ابو همام ان نختلف معه حول هذه النقطة الاخيرة ، اذ ان كتابه لم يشبعها بحثا الا في فصل واحد ، ووقف عند حدود الملاحظات العامة والمواقف . وهذا بدء لمستقبل . والكتاب يحتفظ بقيمته رغم ذلك . فقضية التقيد بمنهج البحث واهداف البحث ، هي قضية عامة تنطبق على معظم كتابنا وباحثينا .

فهذا الكتاب ، بين الموضوع والمترجم ، هو كتاب نظري عموما ، فيه نسق تعليمي ، قوامه القراءات الاستعراضية وبعض التأملات الميدانية . ولهذا فاننا ، مع ضرورة التعريب والاقتباس ، نحتاج اكثر الى كتابات عربية ميدانية لا سيما في مجال المقاومة عسكريا — والميدانية هنا تجذبنا الى التغلغل في تفاصيل واقعنا الذي تنطلق منه وتجري فوقه المقاومة . واذا كان لكتاب « ابو همام » من وحدة فكرية معينة فانما نجدها في عمومية البحث العسكري السياسي .

يبدأ كتابه بالسؤال اللينيني : ما العمل ؟ ويعطي الجواب من الخارج الى الداخل (اليس العكس هو الاجدى عمليا — الجواب فلسطينيا ، عربيا وعالميا ؟) ، مستندا الى تصنيف للوضع الدولي: مع ، وسط ، ضد . بكين مع ، موسكو — والحكومات « شبه التقدمية » (كما يقول) وسط، الولايات المتحدة ضد . وسرعان ما ينتقل الى وصف الجماهير العربية بالتقاعس عن تكريس قواها لمعركة المصير الفاصلة — ولكنه لا يبحث تفصيليا في الوضع الراهن لهذه الجماهير ، كما يصفها بالعجز « عن ايجاد صيغة تربطها بدول المعسكر الاشتراكي برباط لا يقل قوة عن رباط اسرائيل مع دول المعسكر الامبريالي » . وكان يجدر بالكاتب : اولا ان يراعي منطقه ذاته ، فحينما صنف المعسكر الاشتراكي بأنه ذو موقف وسط ، عاد فورا وسمح لنفسه بمطالبة الجماهير العربية ان تفرض على هذا المعسكر « موقف مع » ، وثانيا كان لا بد له من تحليل معطيات السياسة الدولية الراهنة لكي يوضح لنا اسباب ونتائج تصنيف المواقف الذي أخذ به . ومن مميزات كتابته استخدام تعابير شائعة من طراز : عملية الخداع (وسائل الاعلام) ، « حلم هذا الشعب » ، « الصدمة » ، « التشاؤم ... » الخ . وليسمح لنا الكاتب ان نوضح اننا لم نفهم ما يعنيه بوصف الجيش الملكي بانه « ابيض » ، والبورجوازية الاردنية بانها « بيضاء » . هل عنى بذلك انهما بعيدان عن بصمات الدم أم ماذا ؟ كما اننا لم نفهم ماذا يعني تحديدا بـ « نرجسية » المقاومة ، و « النرجسية الثورية » ؟ هل يعني الانانية ؟ وهل الانانية شيء غير طبقي ، غير اقتصادي واجتماعي ونفسي ؟ شيء خارج التاريخ ؟

وبعد يقدم الجواب على سؤال ما العمل — بعد تحديد ثلاثة اهداف كبرى للمقاومة : البقاء ، احباط المشاريع التصفوية ، قلب ميزان القوى —: بأن العمل المطلوب هو استنزاف العدو الاسرائيلي عربيا ، وتنمية القوة الذاتية الفلسطينية اولا والعربية ثانيا . ويضيف : « ان الطريق طويل ، والخطوة الاولى هي بناء الحزب ضمن صراعنا

من أجل البقاء » . وكم كنا نتمنى تخصيص بحث خاص بهذه المقولة المهمة والتي تأخذ مكانتها في النقاش السياسي وفي عمل المقاومة . اي حزب؟ حزب فلسطيني أم حزب عربي ؟ وعمليا اية علاقة ستكون لهذا الحزب (المشروع ، او القائم ؟) مع الاحزاب الاخرى ؟ وهل هذا الحزب يقدم نفسه بديلا صراعيا للاحزاب الاخرى ، في الواقع والاهداف ؟

ويعالج ابو همام موضوعة مهمة جدا في علم الثورة والتغيير العنفي ، هي موضوعة « تفتيت جيش القمع واجب ثوري » . ويسأل : « لماذا لم يتفتت الجيش خلال الصراع رغم وجود عدد كبير من الوطنيين الاردنيين والفلسطينيين داخل صفوفه ... » . « ويبقى السؤال بلا جواب مقنع ... حتى .. وحتى ... » . كنا نتمنى على الكاتب الاسهام بأجابة ميدانية بدلا من الاكتفاء بشروط الاجابة . ولكنه ينتقل الى استعراض عام لجيش القمع واراء الكتاب العسكريين والثوريين في كيفيات تفتيته . غيفارا ، دوغلاس برادو ، لينين ، ماوتسي تونغ ، نيوبيرغ ، جياب ، ريجيس دوبريه ، غابرييل بونيه . ومع ذلك ، فأبو همام يلتفت الى بعض المشكلة ، فيصيب ويخطىء : يصيب عندما يصنف زمرة الجيوش الاولى (الامبريالية والرجعية المرتبطة بها في المستعمرات وشبه المستعمرات) بأنها واحدة، ويخطيء عندما يصنف « جيوش التحرير الوطني المناضلة ضد الامبريالية فيسبيل الاستقلال الوطني والثورة الديموقراطية » بأنها « غير ثورية » . ونسأله كيف يمكن لجيش تحرير وطني مقاتل فعلا ان يكون جيشا « غير ثوري » ؟ وما هي الشروط لثوريته ؟ الايديولوجيا ام الممارسة الثورية ؟ وهل ينفصلان عمليا ؟ ام ماذا ؟

وينتقل الى موضوع « المناطق المحررة في حرب العصابات » ، ويبدأ بالقول : « يكشف لنا تحليل احداث سبتمبر (ايلول) كثيرا من الدروس السياسية والعسكرية » . ولكنه لا يذكرها . فما هي هذه الدروس؟ اننا بأشد الحاجة الى معرفتها، أليس كذلك ؟ يقول ايضا : « لسنا هنا بصدد تقييم هذه التجربة ، وتحديد ايجابياتها وسلبياتها، والوصول الى استنتاجات عملية حولها » . اذن نحن بصدد ماذا ؟ ان الكاتب بصدد العرض النظري ... وهذا ضروري ولكنه لا يكفي . وفي خلاصة هذا الفصل يختمه بقوله : « ان على العصابات ان .. وان ... وان .. وان .. وان ... وأن ... » . وهذا من شأن التعليمية الثورية وليس من شأن التحليل الميداني الذي لا تعفينا « أن » من الانتقال اليه .

اما موضوعة « في سبيل فهم الديموقراطية العسكرية بشكل افضل » فتدور حول التجربتين الصينية والفيتنامية ، استنادا الى قرارات ومراجع ، ويرتكب خطأ بسيطا — هو من نوع سوء التعبير او المعنى المعاكس — حين يقول : « وينعكس الدور الذي تلعبه القوات المسلحة انعكاسا على العلاقات القائمة في داخلها ... » والسؤال يطرح نفسه : أية طبقة اجتماعية بنت هذا الجيش ، على اية علاقات ، واي دور معطى لها ؟ الدور نتيجة للطبقة الذي بنته ، وهو نتيجة للعلاقات ، وليس العكس اجمالا .

واما فصل « قتال العصابات ضد الدبابات في المدن » فهو لا يشير الى أية تجربة يستند الكاتب اليها ، وكان يجدر به كما في النص ان يضيف صفة « المحررة » للمدن . ولكننا نحن بحاجة الى معرفة قتال العصابات ضد الدبابات في المدن المحتلة . وهناك فرق كبير بين الوضعين .

ويأتي فصل ممتاز واصيل عنوانه « ارفعوا ايديكم عن الميليشيا » يعرض فيه عملية بناء القواعد في الاردن ومصاعبها ، ويكشف الحيلة التي انخدعت بها بعض فصائل المقاومة : « الجيش الاردني درع المقاومة » ، « واستراح اصحاب العقلية البورجوازية التوفيقية على هدهدة هذا الحلم » ، ويحلل التراجعات ورفض الجبهة الشعبية تسليم سلاح الميليشيا « لانها ترفض المشاركة في دفع المقاومة الى مقبرة الثورات » . ويعدد المبررات التي لجأ اليها البعض ضد الميليشيا ووجودها في المدن . ويختم كتابه بعرض نظري تعليمي لـ « مفهوم القتال التراجعي في حرب العصابات » وهذا الفصل فيه مفاهيم ميدانية مهمة . ونأسف لكون الكاتب لم يختم كتابه ولو بخاتمة استنتاجية تعين القارىء على الخطوط التي تشد او لا تشد فصول كتابه .

نقرأ على غلافه الاخير ما يلي : « ارادت المقاومة ان تكون في واقعها وممارستها نفيا للواقع العربي والممارسة العربية . فكانت ايديولوجيا المقاومة تثبيتا لهذا الواقع وهذه الممارسة . وصارت ايديولوجيا المقاومة هي واقع المقاومة وممارستها » . « حرب التحرير الشعبية ومطاردة « الحل التصفوي » الفاظ بلا مضامين ،ومضامين بلا حدود ، ادراك اجمالي غامض ، وانفصال الاقوال والاعمال — الياس مرقص يفك هذه الآلية ويبين الطريق » . هذا الكتاب يقرأ من الغلاف الاخير ، فهو يكشف ان الاستاذ مرقص يريد ان يلعب دور المرشد — بدون مزدوجين على طريقته — في هذه المرحلة . اما منهجه الخاص به — فهو ليس لينينا وان رغب في ذلك — ، لان قوامه الانطلاق من افكار مسبقة بقصد التبشيرية السياسية الفجة ، بأسلوب التهشيم — دون الالتزام بموقع وممارسة نضالية محددة ، كما كان يفعل لينين الذي يتسلح به مرقص لضرب « اليسار الزائف » والمقاومة جمعاء . وهو يحكم مسبقا باعدام المقاومة — لماذا ؟ لان المقاومة = الايديولوجيا . لكن من قال له ذلك ؟ انه « يأمر بقطع رأس المقاومة » لان كتابات مثقفين ومفكرين من خارج المقاومة عموما ، لم تعجبه ولم تدخل في خرم الابرة اللينينية التي يتسلح بها . ولانه يعتمد على اخبار صحفية واستخبارية ، ولا يهتم بدرس المقاومة كاتجاه ثوري ، وكواقع نضالي له قضيته الواضحة .

الكتاب حملة ضد محمد كشلي و ن.خ. ونايف حواتمه وصادق جلال العظم الخ . ويتميز الكتاب بأسلوب التنبؤ والمراهنات . فعلى صعيد التنبؤ يقول « من الجهة الاولى — الهدف العربي — اقول : ايا كانت التطورات المقبلة ، وحتى فيما لو اختفت المقاومة الفلسطينية او فيما لو حررنا فلسطين وانتهت القضية موضوع الركب ، فان هذا اليسار العربي الزائف سيجد ذريعة اخرى وشكلا اخر » . ويجنح الى القول بأن « ... هذه المنظمة [الديموقراطية] هي التي تقود المقاومة الفلسطينية » . ويقدم فكره ، هو ، بأنه المرشد: « هذا اليسار الزائف لا علاقة له بالماركسية ، بينما الايديولوجيا المقاومة ليست غريبة عنه » . ويتهم المقاومة بالتوحد ضد عبد الناصر ، والحقيقة انها توحدت في نضالها ضد الحل السلمي . وعبد الناصر نفسه ، قال ان موقفه لا يلزم المقاومة ، فلماذا يريد الاستاذ مرقص الزامها بما لم يلزمها به عبد الناصر نفسه ؟ ولماذا يطرح نفسه وصيا او وكيلا عليها ؟ الا ينبغي التعامل معها — فكرا على الاقل — كحركة مستقلة ؟

وينتقل الاستاذ مرقص الى التشكيك بعمليات المقاومة ، وتزوير مفاهيم الحرب الشعبية ، والوقوف ضدها . والحرب الشعبية تعني — خلافا لما يفهمه الاستاذ مرقص — حرب الجميع وفي مقدمتهم القوى الوطنية الاكثر طليعية وثورية . والحرب النظامية ضد الامبريالية واسرائيل هي من صميم حرب الشعب ، وهنا لا يكون تعارض بينها وبين المقاومة ، وانما التعارض كامن بين اطلاق النار ووقفه ، بين الصراع وتجميده . وكثيرا ما يستند الى امثلة افتراضية او تصورية ويقول انه قرأها في مجلات عربية . ولكن ما هي هذه المجلات ؟ ومن كتب فيها ؟ وما صلة المقاومة بذلك؟ لا جواب . ويعتبر ان كل سلاح المقاومة شعارات بشعارات — لا شيء — : « حين نسمي الثورة الفلسطينية شعارا والمقاومة شعارا والكفاح المسلح شعارا ورفض التصفية شعارا الخ فاننا نغرق في الشعارات » . ويتناول موضوعة حرب التحرير الشعبية فيعتبرها اسطورة طرحت بدلا من الواقع . ويعلن — فضلا عن تحفظه ازاء الثورة الفلسطينية — وقوفه ضد حرب التحرير الشعبية. لسبب هو انه يكره بعض المثقفين الذين يعرفهم او يجهلهم . ويحمل كرهه وسخطه للمقاومة نفسه . ويزور المفاهيم : فمن قال له : ان « قتال الجيش المصري او الجيش السوري ليس كفاحا مسلحا » ؟ وحصر هذه الصفة بالعمل الفدائي وحده ؟ وينتهي الى القول : « اننا نقترح على المقاومة الفلسطينية ان تقيم لنظرية حرب التحرير الشعبية الاحتفال المهيب الذي يليق بها : الدفن » (ص ٥٧) . اما الحل السلمي فهو امر غير محتمل بنظر مرقص (١٪ فقط) ، وحق اللاجئين في العودة شبه مستحيل (واحد بالالف) . لماذا ؟ لان « مصر الثورة بلغت سن الرشد » .

وينتهي الكتاب وكأن كل المشكلة هي : سوء كلام

أو تعبير من جانب المقاومة ، وحسن كلام من جانب الياس مرقص . هذا الكتاب تزوير كامل لموضوعه نفسه « المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن » ، واستعلاء على بحثه ميدانيا ، لان الكاتب أبى منذ البدء فهم المقاومة ودورها ، وفهم نقيضها « الحل السلمي » ودوره في تفتيتها ، ولم يؤمن بعد ان نسبة الواحد بالمائة قد ارتفعت كثيرا ، وذلك لاسباب عربية ودولية ، وليس بسبب الايديولوجيا أو شعارات المقاومة . فهو يعرف ان الايديولوجيا الشعائرية لا تصنع التاريخ ، فكان عليه ان يشدد ولو من باب التواضع على دور البشر — خاصة الاحياء منهم .

منير شفيق ، **حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية** (دار الطليعة ، بيروت ١٩٧١) .

هذا كتاب نظري ، فيه اتجاه توجيهي ، موقفي وتعليمي واضح . والجديد فيه انه يعتمد على التجربة الميدانية انطلاقا من قراءات ذكية في موضوعة التناقض . وفضلا عن ذلك ، يتميز « حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » بأنه مؤلف علمي ملتزم بكل معنى الكلمة ، قائم على منهجية بحث واضحة ، مطبقة في مجرى الكتاب بشكل سليم ومتسلسل . ينطلق الكاتب ، الاستاذ منير شفيق ، من منظور علمي لفهم الثورة الفلسطينية على اسس المنهج الجدلي(الديالكتيكي)، ويعتبر درس تناقضاتها على مستوى ممارستها للعمل الثوري ، من اساسيات التخطيط الواعي للنضال التحرري . وهو يستند في دراسته للتناقضات الاساسية والثانوية في الثورة الفلسطينية من تحليل موضوعي يرمي الى دفع الثورة الفلسطينية قدما ، وليس الانتقاص من قيمتها ودورها وفاعليتها .

ويشدد الاستاذ منير شفيق على ان التناقض الاساسي هو بين « اسرائيل » بوصفها كيانا صهيونيا ، متحالفا عضويا مع الاستعمار العالمي وفي مقدمته الاستعمار الاميركي الشمالي ، وبين جماهير الثورة الفلسطينية المتحالفة عضويا مع جماهير امتها العربية . ويصنف هذا التناقض بانه من النوع العدائي ، وبالتالي لا سبيل لحله بغير الكفاح المسلح ، اي ثورة الجماهير المسلحة وحرب الشعب العربي الطويلة المدى . ويعلل رأيه باعتبار هذا التناقض الاساسي وليد عدوان احتلالي توسعي استيطاني قامت به الصهيونية وحلفاؤها . ويؤكد مرارا انه لا سبيل لحله الا بتصفية احد طرفي التناقض بقوة السلاح . كما يعتبر ان الشعب الفلسطيني يعيش بغالبيته خارج حدود وطنه ولا يمكنه الرجوع الى فلسطين بأي أسلوب سلمي او شرعي ، اذ أن سلاح العدو الصهيوني موجود على طول الحدود للحيلولة دون هذا الرجوع الشرعي . ويستنتج : « ان هذا الوضع يحكم حل التناقض بين الشعب الفلسطيني والاحتلال الصهيوني بأسلوب وحيد هو الثورة المسلحة » ولا شيء عداها سوى قبول الشعب العربي الفلسطيني بالفناء » . ويوضح الاستاذ شفيق ان الوضع القانوني في الكيان الصهيوني (اسرائيل) يمنع القيام بأي نشاط سياسي يرمي الى ازالة الكيان المذكور وبناء الدولة الفلسطينية الديموقراطية مكانه . كما ان وجود اسرائيل ارتبط تاريخيا بوجود الاستعمار في كل المنطقة العربية ، فكان وجودها من صنع الاستعمار بالذات ، ليشكل قاعدة عسكرية واقتصادية وسياسية مهمتها الحفاظ على مصالح الامبريالية في المشرق العربي . وعلى هذا ، يعتبر الكاتب انه لا سبيل لتحقيق التحرر العربي اقتصاديا وعسكريا وسياسيا من النفوذ الاستعماري الا بقوة السلاح ، لان التجربة التاريخية اثبتت ان الامبريالية العالمية — وبالاخص الاميركية — لا يمكن ان تتخلى عن مواقعها الا بقوة السلاح .

ان ابراز هذا التناقض العدائي الاساسي هو في منتهى الضرورة بالنسبة الى تحديد عقدة القوة والضعف في طرف النقيض الامبريالي والصهيوني، وتحديد عقدة القوة والضعف في طرف النقيض الاخر الفلسطيني والعربي ، وذلك لتحديد : اين نوجه

الضربة الرئيسية التي تؤدي الى حل التناقض بكل جوانبه واطرافه . وهذه الضرورة العلمية لتحليل التناقضات ، جعلت الكاتب ينتقل مباشرة الى درس طرفي النقيض بشكل تفصيلي . فمن جهة يلاحظ ان المعسكر الاستعماري والامبريالي في الوطن العربي اشمل واوسع من نفوذ الكيان الصهيوني المتمثل في اسرائيل ، وأن واقع التجزئة في الوطن العربي — هذه التجزئة التاريخية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا وثقافيا — قد جعل حل التناقض الرئيسي مع الاستعمار واسرائيل ، امرا في منتهى التعقيد ، وذلك للاسباب الموضوعية التالية : — واقع التجزئة جعل حل التناقض الرئيسي هذا يأخذ شكلا مجزءا ، متفاوتا زمنيا بين هذا البلد العربي وذاك .. — واقع التجزئة حال ويحول دون تحرك جماهيري عربي شامل وموحد لتصفية الاستعمار والصهيونية تصفية كاملة في وطننا .. — واقع التجزئة فرض وضعا حصاريا على اي تحرك مجزأ تقوم به الجماهير العربية ضد الاستعمار واسرائيل والرجعية .. — واقع التجزئة لا يسمح لتحرر اي جزء من اجزاء الوطن العربي بأن يكون حلا للتناقض الرئيسي مع الاستعمار واسرائيل ، اذ ان هذا التحرر الجزئي سرعان ما يتعرض لحصار وهجمة شرسة من جانب قوى التناقض الرئيسي العدائي .

وفي هذا المنظور للتناقضات الرئيسية يلاحظ الكاتب « ان تحرير فلسطين يعني الدخول في معركة رئيسية شاملة مع النفوذ الامبريالي كله في المنطقة، ستقرر نتيجتها ليس بقاء الكيان الصهيوني فحسب وانما ايضا وجود الامبريالية بأسرها في منطقتنا كلها » . وهذا يفسر لنا شدة حساسية المعسكر الامبريالي حينما تطلق رصاصة واحدة على اسرائيل. اذن عقدة الطرف الاستعماري الصهيوني هي اسرائيل بالذات .

ومن جهة ثانية يقول الكاتب ان الجماهير الفلسطينية تشكل جزءا عضويا من الجماهير العربية ، وتشكل فلسطين جزءا عضويا من الوطن العربي . والجماهير الفلسطينية هي ، واقعا ، كالجماهير العربية جزء اصيل في الصراع الرئيسي مع الاستعمار والصهيونية ، ولكنها هي الجزء المباشر من الجماهير العربية الذي وجد نفسه في مقابل الكيان الصهيوني والذي تعرض لاكثر ضربات المسخ من جانب النفوذ الاستعماري ، بسبب قيام الكيان الصهيوني مباشرة على أرض فلسطين . ويستدرك الكاتب انه لا يقلل ابدا من اهمية الضربات التي وجهت للنفوذ الاستعماري في الوطن العربي ، ولهذا فهو يشدد على ضرورة توجيه المزيد منها حيثما امكن ذلك . ولكن الكاتب قصد من كلامه السابق التشديد على ان طريق تحرير فلسطين من خلال حرب الشعب العربي ، هو طريق التصفية الكاملة للاستعمار والكيان الصهيوني معا ، وانجاز الثورة في الوطن العربي، اي انجاز التحرر والوحدة والثورة الاجتماعية . ويلاحظ بشكل واضح نوعية الترابط والوحدة داخل هذين الطرفين المتناقضين جذريا : فضرب الاستعمار في اي جزء يؤثر على وضعه في الاجزاء الاخرى،وعلى كل النفوذ الاستعماري والصهيوني في الوطن العربي . واستنادا الى التحليلات السابقة ، يرصد الكاتب تخبط استراتيجية الثورة العربية وتكتيكها بين انحرافين يميني ويساري . فالانحراف اليميني ناجم ، برأيه ، عن اهمال حل التناقض الاساسي والانصراف الى حل منفرد لتناقضات كل قطر عربي بأسلوب الانقلابات العسكرية البوتية او النضالات السياسية القاصرة ، وتجسد في محاولات لتفتيت الجماهير الفلسطينية وامتصاصها ، بدلا من دعمها بوصفها طليعة ضاربة ضد الكيان الصهيوني : فالثورة الفلسطينية هي شرارة اشعال الثورة العربية وليست بديلا لها . واما الانحراف اليساري فناجم عن الاعتقاد بأمكان بناء « الاشتراكية » في الوطن العربي قبل حل التناقض الرئيسي العدائي اي قبل حل مسألة التحرر الوطني . ويقول الكاتب : ان هذا « الانحراف اليساري » تحول الى « انتهازية يمينية » ، لان القفز عن المراحل التاريخية لم يؤد الا الى سلوك طريق المغامرة والابتعاد عن الجماهير ، خاصة وان شعار الاشتراكية بقي شيئا نظريا الى جانب افراغه من المضمون العملي ، اي عدم فهم الاشتراكية العلمية وعدم تطبيق القوانين العامة والخاصة بالبناء الاشتراكي . ويستنتج الكاتب : وهكذا التقى « الانحرافان اليميني واليساري » عند نقطة مشتركة هي عدم رؤيتهما للكيان الصهيوني كبؤرة تجمع لكل النفوذ الاستعماري والرجعي في المنطقة . فغاب عن نظرهما انه لا يمكن تحقيق التحرر والوحدة والثورة الاشتراكية الا من خلال توجيه الضربة الرئيسية

الى اسرائيل التي يمكن ، مع حلها او اثناء تصفيتها ، حل تناقضات المجتمع العربي الاخرى. ونجم عما تقدم طرح شعارات غير قابلة لحشد اوسع الجماهير العربية حولها . بينما الشعار الاساسي هو الكفاح المسلح لتحرير فلسطين . فسار الانحراف اليميني في طريق الضغوط السياسية او المفاوضات ، وخلط الانحراف اليساري بين مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي وبين مرحلة الثورة الاشتراكية .

ويطرح الكاتب سؤالا فاصلا : ما هي المرحلة التاريخية التي تمر بها الثورة الفلسطينية والعربية الان ؟ انها مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي التي ترمي الى ازالة الكيان الصهيوني والاستعماري بكل مؤسساته الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية ، وارجاع الشعب العربي الفلسطيني الى ارضه وتحريرها كليا من الصهيونية الامبريالية ، وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية والديموقراطية ومحتوى الديموقراطية هو تصفية الكيان الصهيوني والنفوذ الامبريالي . وتحديدا للموقف الصحيح ، يقول الكاتب : « لذلك فأن اي برنامج نتبناه أية منظمة في الساحة الفلسطينية لا يكون برنامج تحرر وطني ديموقراطي يتضمن العنف الثوري المسلح كطريق لتحقيق البرنامج ، يكون برنامجا يعبر اما عن انتهازية يمينية او يسارية . ومن هنا يظهر بوضوح ان المنظمات التي تطرح في الساحة الفلسطينية برنامج ثورة اشتراكية ... ثورة بروليتارية ، انما تقع في حمى المزايدة « فوق اليسارية » و « الانتهازية اليسارية » . ان الخطأ الفادح الذي يمكن ان يقع فيه المثقفون وهم يناقشون البرنامج انما هو المناقشة التجريدية ، بحيث تؤخذ نصوص برنامج ما وتقارن ببرنامج « نموذج » ... وهذا ما يفعله عادة الذين جاءوا الى الساحة الفلسطينية ببرنامج اشتراكي (نموذج) ، والذين وقعوا في التجريد والغيبيات وابتعدوا عن المنهج الجدلي .

ويتساءل الكاتب : اذن ما هو المعيار العلمي للحكم على ثورية برنامج او عدم ثوريته ؟ انه المعيار النابع من المنهج الجدلي في البحث ، اي مقارنة البرنامج بتحليل الواقع الموضوعي ورؤية مدى مطابقته لحاجات وامكانات احداث التغيير الثوري في ذلك الواقع ، واخيرا فحص النتائج التي احدثها ذلك البرنامج على ارض الواقع . صفوة القول: ان البرنامج الثوري هو الذي يحدث التغيير الثوري رغم كل تعقيدات الظروف الداخلية والخارجية ، وهو الذي يستطيع ان يصنع الثورة، وبالتالي من الضرورة بمكان عدم الخلط بين النظرية التي هي دليل للعمل ومنهج للتحليل تصلح لكل الحالات ، وبين برنامج العمل ذاته .

اما القسم الثاني من الكتاب فيتناول الثورة الفلسطينية والتناقضات الثانوية ، وفيه يحدد الكاتب اهمها انطلاقا من تحديد التناقض الاساسي، ويشدد على ان طريقة حل التناقضات الثانوية تمكننا من حل التناقض الثانوي . وتتلخص هذه التناقضات الثانوية بالنسبة الى الثورة الفلسطينية فيما يلي : التناقض بين الرأسمالية الوطنية والعمال ، التناقض بين منظمات المقاومة المختلفة، التناقض داخل صفوف الوحدة الوطنية ، تناقض الثورة الفلسطينية مع الانظمة العربية الرجعية المتحالفة مع الامبريالية، تناقض الثورة الفلسطينية مع الانظمة العربية المعادية للامبريالية ،التناقضات في صفوف الجماهير نفسها ، التناقضات بين المركزية والديموقراطية ، تناقض المبادرة في الحركة الثورية مع مبدأ الانضباط الثوري ، تناقضات العمل السري مع العمل العلني بالنسبة الى كل حركة ثورية .

الدكتور خليل احمد خليل

الايديولوجية العربية المعاصرة ، تأليف عبدالله العروي ، ترجمة محمد عيتاني (دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت ، تشرين الاول ١٩٧٠)

تنبع الاهمية الفريدة لكتاب العروي من كونه يحاول بشكل شمولي ان يقوم بعملية تحليل للتكون الايديولوجي العربي المعاصر . وهو ينطلق في تحليله هذا من منطلقين : ١ ــ تحديده لمدلول كلمة « الايديولوجية » . فهي هنا تستعمل بوصفها « الفكر غير المطابق للواقع » وبتحديد اكثر فهي « بناء نظري مأخوذ من مجتمع آخر ، ليس مندرجا تماما في الواقع لكنه آخذ في ان يغدو كذلك ، او

بعبارة أدق ، انه يستخدم بمثابة نموذج ، وذلك بالضبط كي يحققه العمل » . ٢ ـ انطلاقه من السؤال العربي البالغ الدلالة « من هو الاخر ومن أنا » مركزا في فهمه للتكون الايديولوجي العربي من خلال العلاقة بالغرب . علاقة القهر والاستعباد التي تأخذ على المستوى الايديولوجي شكل التحدي اليومي . هل العرب أمة قابلة للحياة ؟ وكيف تدخل العرب مسار التقدم الحضاري الذي يصنعه الغرب ؟

من هذين المنطلقين يحاول العروي ان يمسك بأربع قضايا رئيسية شكلت مادة الايديولوجية العربية المعاصرة : ١ ـ العرب والاصالة . ٢ ـ العرب والاستمرار التاريخي . ٣ ـ العرب والعقل الكوني . ٤ ـ العرب والتعبير . هذه القضايا الاربع تشكل باستمرار الهاجس الايديولوجي العربي انطلاقا من المقدمة النظرية التي تعتبر احتكاك العرب بالغرب على المستويين الثقافي والسياسي نقطة انقطاع تاريخية . وبالتالي نقطة تحول سياسية وايديولوجية . والواقع ان قراءتنا لهذا الكتاب تسمح لنا بأن نعتبر ان الهاجس الرئيسي الذي يتحكم بالكاتب هو هاجس نهاجي . فالعروي لا يأتي بأجوبة نهائية . انه بالدرجة الاولى يحاول ان يطرح الاسئلة وان يبلور نهاجية انتقادية تاريخية تسمح على المدى البعيد بالاجابة على هذه الاسئلة ، باعتبار التحليل الذي يقدمه هذا الكتاب يقوم بعملية عزل للمستوى الايديولوجي عن الواقع الذي انتجه ، جاعلا هذا الواقع يتحرك ضمن مساحة الاحتكاك والصراع الغربي ـ العربي على مستوى البنى الفوقية ، دون الاهتمام بالتطورات التي حصلت على مستوى البنى التحتية والتي سمحت لهذا الاحتكاك والصراع ان يأخذ المسار الذي اخذه .

ان هذه الملاحظة النهاجية ليست تقويما لعمل العروي . انها فقط محاولة لوضعه في اطاره الصحيح . فالحاجة الى دراسة الايديولوجيسة العربية كبنية مستقلة نسبيا لا توازيها سوى الحاجة الى القيام بعملية ربط بالغة التعقيد بين البنى الفوقية والبنى التحتية تسمح بعملية رصد علمية للاتجاهات الحقيقية التي تعصف بالمجتمع العربي منذ نهايات القرن الماضي .

١ ـ عندما يطرح العروي سؤاله العرب والاصالة ، يقوم ثلاثة رجال بمحاولة الاجابة عليه. الشيخ ورجل السياسة وداعية التقنية : يرى الشيخ في التعارض بين العرب والغرب ، تعارضا بين المسيحية والاسلام . والحل الذي يرنعه لحل ازمة العقل العربي امام التخلف هو العودة الى السلف الصالح . مشكلتنا هي في التخلي عن الاسلام . ولا نهضة سوى بالعودة اليه . وهو يتجاهل متعمدا القيام بعملية تحليل نقدية للتاريخ العربي . ولا يرى فيه سوى ايجابيته . في المقابل فان رجل السياسة الليبرالي ينطلق من الانفتاح على الغرب ، بدمج روسو بمونتسكيو ويقوم بعملية نقد بدائية لأزمة المجتمع العربي ، ليصل الى انشقاق تركي عربي، والى ضرورة الديمقراطية والمؤسسات العصرية . اما داعية التقنية فالمشكلة بالنسبة اليه تصبح اكثر سهولة . يكتشف سر تفوق الغرب : الصناعة . لذلك فهو داعية للتصنيع. يقفز مرة واحدة عن ماضيه . لا ينتقده . انه يتطلع الى المستقبل . والمستقبل بالنسبة اليه هو الصناعة اي القوة . انه ذهنيا رجل ارهابي . هؤلاء الرجال الثلاثة يشكلون ثلاث لحظات في الوعي العربي وهذه اللحظات متداخلة في بعضها. لكن كل واحدة منها تحتفظ باستقلالها التاريخي . فمحمد عبده ولطفي السيد وسلامة موسى يختصرون الوعي العربي في موقفه من قضيته الكبرى ، من الغرب . وهم بأصواتهم الحقيقية وبما يمثلونه من اتجاهات فكرية ، يحاولون ، كل على طريقته ، صياغة اجابة حادة على الواقع العربي. والاجابات الثلاث تمثل على المستوى الواقعي فكرات الدولة المستعمرة (الكولونيالية) ، والدولة الليبرالية ، والدولة القومية .

ان هذه « النمذجة » (Typologie) للايديولوجية العربية المعاصرة تستطيع فعلا ان تختصر الاتجاهات الايديولوجية العربية . لكنها وان امسكت بطرف السلسلة « العلاقة مع الغرب » فانها في الواقع تفتقد الى الطرف الاخر . الى آثار العلاقة مع الغرب على البنى الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي . وبالتالي تطرح سؤالا محددا . على اية قواعد مادية نشأت هذه التيارات الفكرية وتحولت عمليا الى واقع سياسي . فالدولة القومية لم تبق مجرد تصور في رأس سلامة موسى بل خرجت الى حيز التطبيق اعتمادا على شريحة اجتماعية في تموز ١٩٥٢ . هنا نود ان نطرح سؤالا : هل يكفي تعميم من نوع « في قرارة كل ايديولوجية من ايديولوجياتنا يوجد حقا مدلول طبقي ، لكنه لا

يتعلق بالدرجة الاولى ببنية المجتمع العربي ، بل ذلك المدلول هو ، بالعكس الذي يساعد بقوة هذه البنية على التبلور دون ان يكون رغم ذلك ، السبب الاولي لهذا التكون في طبقات » ام نحن بحاجة الى تحديد اكثر ، والى الذهاب عميقا في البحث عن العلاقات داخل بنية العلاقة الكولونيالية. هذه العلاقات التي تقوم بعملية تدمير اقتصادية وايديولوجية للمجتمع المستعمر . وعلينا ان نبحث من خلال الربط بين هذين المستويين عن اجوبة لتساؤلاتنا . اي ان عملية الغزو الاقتصادية الايديولوجية تخلف عبر ارتطامها ببنى المجتمع المستعمر اجوبة هذا المجتمع الايديولوجية والطبقات التي تستطيع ان تحمل هذه الاجابات ؟

اذا كان تساؤلنا صحيحا فان الانفاني يجب ان يوضع بوصفه ابا للمدارس الثلاث في هذا السياق وبالتالي لا يمكن فهمه بمعزل عن تصوره للسقوط التراجيدي للسلطنة العثمانية ، باعتباره اعظم مصلحيها وآخر المدافعين عنها برؤية حضارية . يظهر العروي في تقويمه لعملية البحث العربي عن الاصالة مبلغ التداخل الايديولوجي الذي يفرضه الغرب . فمحمد عبده يصبح لحظة في وعي الغرب نفسه ، باعتباره جزءا من عملية الالتفاف الغربية . والرجالات الثلاثة يصبحون في الواقع نقطة التقاطع التاريخية بين وعي الغرب لذاته ووعي العرب لذاتهم .

٢ ــ الاستمرار التاريخي . يطرح نفسه امام جدلية التحدي هذه وانعكاساتها . فالتاريخ يصبح خادما للاهوت . او بالمقابل تتقطع اوصاله بحثا عن استمرارية تاريخية ترفض كل شكل من اشكال الانقطاع عن التاريخ العربي . هذا الموقف تقابله الثقافة القومية التي تؤقنم التاريخ وتغرف في ثقافة استهلاك وتمتع وفي ثقافة انشطارية تصل بها الى الانا التي تتفحص اللغة . وتصير اللغة وسيلة لالتقاط استمرارية تاريخية تتزايد وهميتها ؟ في المقابل فان التاريخ الوضعي — اي مدارس الاستشراق ــ تفشل هي الاخرى في صياغة هذا الماضي. فمدرسة غولدزيهر تكتفي بالتاريخ السلبي ومدرسة جيب ــ النقد التحليلي ، تحاول ايهامنا باستطاعة الاقتصار على هذا النقد . البحث عن الاستمرار التاريخي في ظل هذا التصور في الوعي، اي في ظل عدم القدرة على صياغة منهج تاريخي انتقادي ، يبقى وكأنه يسير خلف سراب استمرارية تاريخية جاءت الدولة القومية لتقطعه نهائيا .

هنا نود ان نطرح سؤالين : أ ــ ان الانهيار العثماني قد خلق عمليا تقويما جديدا للماضي التاريخي العربي . هذا التقويم حافظ في شكليه الليبرالي والتقني على مظاهر الاستمرارية التاريخية من خلال تركيزه على جوانب محددة من التاريخ العربي . هذا المظهر الاستمراري يحمل في داخله محاولة لاستمرار الماضي بشكل جديد . فالى اي حد نستطيع ان نؤكد على ظاهرة الاستمرار هذه في ظل عدم قدرة الايديولوجية العربية على تأكيد الانقطاع . وهل الدولة القومية تستطيع على المستوى الايديولوجي ان تؤكده في غمرة عزلتها الجماهيرية بحكم فشلها الموضوعي في تحقيق شعارها الرئيسي التبرجز (بمعناه التقدمي) ؟ اذا سلمنا بفرضية فشل الدولة القومية فما هو البديل العملي الذي يستطيع ان يتصدى لهذه المهمة ؟
ب ــ يمر العروي بسرعة على ظاهرة اللغة . رغم تحليله النافذ لاقنمتها وعبادتها يبقى السؤال مطروحا : فالنماذج الثلاثة الشيخ والليبرالي وداعية التقنية ، لم تستطع ان تمس اللغة . ان تطورها باتجاه اكثر تحررية . فلماذا ؟ وهل الطابع الميتافيزيقي الذي للغة العربية يمكن تجاوزه عبر وعي الدولة القومية ، ام انه بحاجة الى وعي من نمط مختلف ؟

٣ ــ في داخل الدولة القومية هنالك منطقان : المنطق الاول هو منطق العمل والنشاط ، المنطق التقني ، والمنطق الثاني هو منطق الفكر : الاصالة . والتعارض بين هذين المنطقين يبدو واضحا . فهل من سبيل الى ازالة هذا التعارض. النزعة الوضعية تكشف عن حدودها بسرعة . فهي تدعو الى محاكمة الماضي ثم تبين استحالة هذه المحاكمة . لان هذه المحاكمة تعني التنكر الكامل للماضي كما عند جيب . الماضي لا يعود موضوعا قابلا للتحليل باعتباره واقعا جامدا ومندرجا في الحاضر . من هنا استحالة الوصول الى المعادلة الصحيحة . الوصفية الغربية تحلل مجتمعا معطى والمجتمع العربي يعيش في غمرة تكونه . من هنا تأخذ الدولة القومية الوضعية بوصفها وصفات للعمل وليس بوصفها طريقة لفهم الذات .

في المقابل تبرز النزعة الماركسية الموضوعية كما يسميها العروي . انها المحصلة المنطقية لهاجس التقدم والعمل في الدولة القومية . الماركسية هنا تصبح وسيلة للتقدم . نتيجة وليست طريقة

للتحليل . وسيلة للبرمجة الاقتصادية وللتقدم الصناعي . الماركسية الموضوعية هي محاولة الحل التي يأتي بها التقني في سبيل وتيرة اسرع للتنمية. ماركس يفصل على قياس العرب . وعلم الاجتماع الماركسي يصبح وسيلة لاذكاء حماسة الحرب التي خاضتها البرجوازية الصغيرة ضد الاقطاع والبرجوازية الليبرالية . ثم انها في الوقت نفسه تستعمل كمنهج للتحليل الادبي والثقافي . رغم تصورها فانها تأتي بسرعة لتشكل البديل الذي يستطيع وحده ان يقف في هذه الساحة بالذات . امام هذا الواقع يطرح العروي تصورا لحل : من جهة فان الاستخدام الايديولوجي للديالكتيك سيكون « كممهد لتسهيل الانتقال من الانا التقليدي الى اللانا » هذا الانتقال في فترة تحقق مشروع الدولة القومية العظيم — التصنيع — يعني ان ضرورات العمل ستستمر في التقدم على ضرورات معرفة الذات . في طرحه لمنطق النزعتين الوصفية والماركسية الموضوعية ، فان الافق المغلق لا يستطيع الديالكتيك ان يفتحه لان المرحلة السابقة — الليبرالية والتقنية — لم تتحقق تاريخيا بعد . غير ان هذا لا يعني ان الديالكتيك لا دور له ، بل قد يستطيع وضع مثل الوضع المغربي انقاذ ممهداته — الديالكتيك على الاقل .

ان محاكمة العروي لوضع الماركسية العربية الوصفية يطرح امامنا ثلاثة أسئلة : ا — ان مقولة الماركسية الموضوعية بحاجة الى توضيح . فهي ، كتيار سياسي وثقافي كما تتمثل في الدولة القومية اليوم ، تستطيع ان تكون مجرد مرحلة انتقالية الى العودة الى الدولة الليبرالية في ظل المأزق التاريخي الذي تواجهه هذه الدولة في مواجهة الامبريالية او قد تكون في المقابل مقدمة لاطلاق حركة الجماهير الواقعية من عقالها . ب — لقد قام العروي وبسرعة شديدة بالقفز على ادبيات الاحزاب الشيوعية العربية . وبرأينا فان تجربة طويلة وبالغة الغنى والتعقيد كتجربة هذه الاحزاب تستحق وقفة اكثر موضوعية . فعلى الرغم من ان خط هذه الاحزاب يندرج اليوم بنسب متفاوتة ضمن خط الدولة القومية ، فانها قد عبرت عن معاناة حقيقية لمشكلة الدخول الفكري وسط الجماهير . وحاولت بنسب متفاوتة ان تقوم بعملية تقييم لهذا الدخول . ج — ان الطابع الايديولوجي الصرف لهذا الكتاب ، يدفعنا الى التساؤل عن جدوى النتائج النظرية في حالة عدم ربطها بحركة الصراع الوطني والطبقي الذي يخوضه العرب اليوم . هنا يبرز السؤال الرئيسي : أين يقع دور الطبقة العاملة ؟ ان اجابة سريعة كاجابة العروي في مقدمة الطبعة العربية (ص — ١٧) : « لا يكفي ان نردد ان الطبقة العاملة هي نقطة الارتكاز ، التي بوعيها ستصوب وعينا المغلوط ، لان الزمن الذي مر بنا بعد ماركس قد علمنا ان تلك الطبقة ، واضعة التاريخ اذا هي قامت بواجبها بعد تربيتها وتوعيتها على يد المثقفين الثوريين ، يمكن ان تتخلى عن هذا الواجب بسبب ضغط الطبقات المتحكمة او التأخر الثقافي او التخاذل الناجم عن ضائقة اقتصادية ، او باختصار بمقتضى تخلف المجتمع ذاته » .

ان هذا السؤال ليس له فقط دلالته السياسية . انه وبشكل أساسي يطرح مفهوم الوعي من خلال تبلور وتبنين الطبقات في المجتمع العربي . من هنا فان التقليل من دور الطبقة العاملة ، يضع المسؤولية على عاتق الانتلجنسيا العربية وحدها . وهذا في رأينا ، يقود التحليل من اطاره الاجتماعي الى أطر أخرى ويزيل المقياس السوسيولوجي الداخلي ، ليفرض منطق العلاقة الكولونيالية وأثرها الايديولوجي كمنطق احادي .

٤ — هذه المقدمات النظرية التي صاغها العروي تسمح له في القسم الاخير من كتابه « العرب والتعبير » ان يقوم بعملية نقد واسعة للتراث الادبي العربي المعاصر . ونقده لا يتوقف عند الظواهر ، بل يحاول عبر تحليله للظواهر الادبية ان يحاكم العقل الادبي العربي بشكل عام . عوضا ان يقوم العروي بعملية استعراض نقدية لاشكال التعبير الادبي العربي ، فانه يقوم بعملية طرح جذرية للاسئلة : ففي المسرح السؤال الرئيسي هو « هل يمكن ان يكون ثمة مسرح مأساوي بدون وعي مأساوي ؟ » والجواب تعطيه دراسة سريعة لانتاج توفيق الحكيم وربط هذا الانتاج بالواقع الذرائعي الوضعي للدولة القومية من جهة وللموقف من التراث من جهة اخرى . وفي الرواية فانه يحدد الرواية على ان « موضوعها المفضل هو الكشف عن بنية اجتماعية عبر تجربة فردية ، وعن نجاحاتها واخفاقاتها المباشرة او غير المباشرة » . من هنا ولان البرجوازية العربية هي غريبة ، حقيقتها تأتيها من الخارج ، فان العمل الروائي هو عمل برجوازي صغير . انه رواية اطرافية .

من هنا خفتها واصطناعيتها . هذه المحاكمة حين تصل الى الاقصوصة التي يعتبرها التعبير عن مرحلة جديدة حين تحل وجهة النظر البرجوازية الصغيرة مكان وجهة النظر البرجوازية ، ولكن الكاتب في غمرة نقده الاقصوصة العربية لا يعطينا التفسير لخلو الاقصوصة العربية من هاجس الخلق .

حين يقوم العروي بعملية نقد اشكال التعبير الادبية ، فانه يقوم بنقده بسرعة فائقة . فمقدماته النظرية ، بحاجة الى اثبات في الواقع ، ولا يكفي العرض السريع لاعمال الحكيم ومحفوظ في اعطائنا صورة شاملة عن الواقع الذي تتم عملية نقده . فالحركة الادبية العربية داخل الدولة القومية ، محكومة بالطابع الايديولوجي لهذه الدولة . من هنا فان اشكال التعبير الادبي تتقولب ضمن قوالب جاهزة لا يسمح لها باعادة خلق نفسها . انها داخل المثقفين صغار البرجوازيين . والخروج من هذه الدائرة لا يقتضيه التأكيد على الطابع البرجوازي للرواية فقط بقدر ما يقتضي تلمس طموحات الطبقات الثورية وخروج هذه الطموحات الى دائرة الضوء التعبيري في الادب . فالتعبير الادبي العربي قاصر ليس بذاته بل بوصفه تعبيرا عن واقع راكد وقاصر . هذه الدائرة كيف يتم الخروج منها . وهل من سبيل الى هذا الخروج ؟ لست أدري بالضبط لماذا أهمل العروي الشعر . ففي رأيي ان الشعر في المشرق العربي على الاقل ، شكل المحور لكل انواع التعبير الادبية ، وحمل عبر تمرده المستمر احلام المثقف البرجوازي الصغير الى حيز التطبيق . فالعنصر الدرامي الذي نفتقده في المسرح والشخصية المتعددة الابعاد التي تفتقدها الرواية والبحث الذي تفتقده الاقصوصة ، هذه العناصر الثلاثة تعود لتتجمع في الشكل التعبيري الشعري . لكن هذا الشكل لا تتكشف ابعاده مجانا ، انه تعبير عن البنية الاجتماعية نفسها وعن الايديولوجية نفسها. لكن الشعر يسمح للاطراف ان تكتشف نفسها عبر لغته بشكل اكثر طواعية واكثر بطولة تمردية .

هكذا نخرج من قراءة هذا الفصل يائسين . فالعروي في بحثه عن الشكل الادبي الملائم لا يطرح حركة الصراع بوصفها مولدا لهذا الشكل ، لكنه ، حين يقوم بتحليل الفولكلور ، فانه يضعه من خلال العلاقة الكولونيالية وانعكاساتها المحلية في موضعه الصحيح ، فالفولكلور عنده يصبح ترفا تائها في ظلال المعاملة البرجوازية المدينية التي يلقاها . انه أفق مغلق . ماض لا نحياه ، بل يحياه السياح من خلالنا كلحظة في ماض لن يعود .

لان العروي محكوم بالمنطق الداخلي للدولة القومية فانه لا يكتشف ابعاد الحركة الجماهيرية . الدولة القومية تتساقط تحت ضربات الامبريالية . والخروج الظافر من هذه الدولة هو دخول ظافر في التاريخ والحضارة . وكون العروي يعتمد منهجا نقديا مثاليا ، فهو لا يستطيع اكتشاف العوامل البنيوية التاريخية ، التي تكون لحظة الفعل التاريخي . هذا العجز عن ايصال التحليل الى ارضه ، يظهر من خلال نقده لاشكال التعبير . فهي تبدو وكأنها باقية الى الابد بأشكالها الحالية . هذا يعود الى كونه لا يرى فيها لحظة انتقال الى مستويات أخرى، يبشر بها الارتداد الثوري — الذي يضرب عميقا في أرض الواقع — المتبلور في تبنين الطبقات داخل المجتمع العربي،ومن الدور المنتظر للطبقة العاملة في قيادة المرحلة الثورية.من هنا يجب أن يعود التحليل ليكتشف قدميه . أن يعود ليكتشف ان الطبقة العاملة تستطيع عبر قيادتها لحركة المجتمع العربي ان تحسم التناقض لمصلحتها . هذه القيادة لا ننظر نحن اليها بشكل دوغماتي . انها قيادة تتولد من الرحم نفسه الذي يحدثنا عنه العروي بجدارة فائقة . تتولد من رحم العلاقة الصراعية مع الغرب . وخروجها من هذا الرحم هو تغليب منطق جديد، منطق انتقادي وتاريخي في آن يستطيع ان يعلن القطيعة ويبدأ من جديد . لقد حاولنا ان نطرح بضعة اسئلة حول هذا الكتاب المهم . والاكيد لدينا ان هذا الكتاب قد حاول ولاول مرة في تاريخ الفكر العربي المعاصر ان يطرح مشاكل هذا الفكر بمثل هذا العمق والشمول . من هنا فشهادة العروي بحاجة الى الكثير من الدرس والتقييم .

الياس خوري

أيهود بن عيزر ، **ليست الحرب للابطال** (أ. لفين افشتين ، تل أبيب ١٩٧٢) .

وجد أيهود بن عيزر ، الذي بحث عن جو سياسي اجتماعي ذي مناخ حماسي لرواية اجتماعية نقدية، الجو مناسبا للاحداث السياسية ايام « قضية لافون »، فاختار بطله من الطلبة الذين توهموا انهم يحاربون الى جانب العدل. وعلى هذا النحو أصدر روايته « ليست الحرب للابطال » التي هي قصة تاريخ حياة فتى اسرائيلي، خلال عامه الاخير، حتى انتحاره خلال فترة الاحداث هذه . وبطل الرواية الفتى رفائيل شومرون المسمى بوليك الذي يترك الكيبوتس، ويعتمد على نفسه في القدس ، ويحصل على قوته بالكاد من توجيه الشباب . والصورة الاولية تظهره وهو في حالة وله مع صورة عارية ليست لها صلة بعفرة صديقته ، ويدرس الفلسفة في الجامعة ، وعلى وشك ان ينتهي من بحث عن افلاطون يمتاز بالاصالة والنبوغ . اما امه وزوج أمه فانهما يعيشان في تل ابيب ويحتقران اهتماماته الدنيئة ويرفضانه . أما والده فقد انتحر في طفولته سواء « لانه من الاحسن الانتحار قبل ان يصل الالمان الى البلاد » (ص ٥٠) ، أم لانه وشى لدى البريطانيين عن رجال العمل السري من اليهود . وهنا نجد ان الغموض الذي يلف موت والده يزيد من حساسية بوليك وآلامه ازاء حالات القهر وموضوعات الجيش والامن . وحينئذ تصبح الحياة في اسرائيل داخل حدودها المحاصرة ، عبئا عنيفا على حياته الشخصية حينما تصطدم واجباته كرجل احتياطي مع الحرية ، تلك الحرية الحيوية بالنسبة له لكي يكمل بحثه الفلسفي . ويزيد من حدة الاحساس بالغربة عنده ابتعاد عفرة الفارقة هي الاخرى في مشاكلها عنه . كذلك فان اثارة قضية لافون تزيد فيه الاحساس بالاضطهاد والضائقة لدرجة انه يشبه مصيره الشخصي بالخطر الذي يتهدد — في رأيه — استمرار وجود الديمقراطية في اسرائيل — ومع تغلب يأسه يترك بوليك دراساته ، ويتحاشى رفاقه ويشتبه فيهم ، ويضاجع عفرة المتدسة لديه ، وبذلك يدنس ذلك الشيء الوحيد الذي كان يحتفظ به داخل نفسه مع هالة من القداسة والاجلال . ويطارده مصيره ويستسلم للتجنيد في وحدة الاحتياطي التابع لها التي تتعرض لكمين بجوار الحدود . وهنا وفي لحظة التنوير التي يدفع فيها بوليك بكل ثقل وآلام حياته ومصيره ، يندفع باحساس انتحاري نحو رصاصات الكمين العربي التي تصيب منه مقتلا .

ان أيهود بن عيزر يصف في هذا الرواية انطباعات فتى منغلق ، وحساس ، وجائع للحب ، وتواق للاعتراف بأعماله وللحرية ، ومنسحق حتى درجة الانتحار في حالات من الضغط ، لا يمكن لروحه أن تصمد في مواجهتها . ونفهم البطل في هذه الرواية نحو الافق الانساني الذي يحتمل وجود حب خالص فيه ، عملية بحث دينية ، أعدت للبطل لكي يهرب اليها كلما ضاقت عليه حلقة ظروف واقع الطوارىء الامنية في اسرائيل . ومجال المناورة الطبيعي بين بؤرات الحياة المختلفة للبطل أعد لكي يجد في النهاية انه لا مفر امامه من الاستسلام لاوامر الاستدعاء المتوالية للاحتياطي ، والتي تفرضها الظروف الامنية لدولة اسرائيل ، بالاضافة الى جو الشك والاضطرابات الخاص بقضية لافون ، وابتعاد محبوبته وفقدانها ، وقضية موت والده او روح النكبة التي تمثلها محاكمة ايخمان . ان دفع بوليك الى كل هذا الجو الذي يخلق منه انسانا منسحقا أعد من اجل اقناع القارىء ، بأن انتحاره متوقع ، وحتى يصبح اصبع الاتهام في هذه الحالة موجها من القارىء الى ذلك الواقع الذي تجمعت عناصره الاجتماعية والسياسية والامنية حول البطل — المثقف الحساس واخرجته عن وعيه وعن حياته . وفي هذه الحالة نجد أنفسنا هنا امام رواية من المفروض تناولها على المستوى الايديولوجي أكثر مما يجب ان تتناول على المستوى الفني . ومن السهل التكهن بأنه كان هناك أمام بن عيزر نموذجان كبيران لدى كتابته لهذه الرواية — دستوفيسكي وعلى الاخص في روايته « الشياطين » ، ويوسف حييم برينر الاديب اليهودي ، في تخبطاته النفسية وانتقالاته المتطرفة من حالة نفسية الى حالة اخرى . ان البطل بوليك يشبه نفسه ببطل « الشياطين » شاطوف وذلك حينما قال لصديقه زفي « انه ايضا يشبه الى حد ما ... وهؤلاء ... تماما مثل حدث في «الشياطين» لن يدعوا احدا يفلت من تحت أيديهم» (ص ٢٤) انه يشعر بأنه مضطهد وبأنه ضحية . هذا هو احساسه الاساسي . ومثل شاطوف بطل دستوفيسكي الذي قتل بصورة مقززة على ايدي الثوريين القوميين ، يقتل بوليك على أيدي اصحاب الحق الشرعي في الارض السليبة ، بسبب

مضطهديه في الواقع الاسرائيلي عام ١٩٦٠/١٩٦١. ولا شك ان ايهود بن عيزر قد استخدم شخصية شاطوف في رواية دستويفسكي لكي يوحي للقارىء مقدما بالنتيجة المتوقعة لبطله بوليك ... الانتحار على مذبح الواقع الاسرائيلي .

ومن الاشياء المحورية في الرواية ذلك الصراع الذي يدور في داخل نفس بوليك حينما يتم استدعاؤه من حين لاخر للاحتياطي : « انني احلم في كل ليلة بأنهم يجندونني باستدعاءات مفاجئة ، ويجعلونني اجري فوق التلال ويعذبونني » (ص ٢٢) ومرة اخرى : « لقد حكى بوليك ان لديه ضائقات مع الاحتياطي . انهم لا يتيحون له الدراسة ولا يدعونه يعمل في بحثه . ويتهيأ له احيانا انهم ينتقمون منه » (١٣٨) . واحيانا يناقش هذه القضية بينه وبين نفسه محاولا الفصل بين مشاكل الاحتياطي وحالته الشخصية : « اليس العرب والاحتياطي ذريعة رخيصة لذلك الخواء الذي في الكائن الحي ؟ » (ص ١٧٤) . وفي ذروة المأساة ، حينما كان يفكر فيما اذا كان يذهب الى المحلل النفسي ام لا يقول لنفسه : « كيف سيكون واثقا مما اذا كان يبحث عن الهدوء لنفسه ام يبحث فقط عن ذريعة لكي يتهرب من واجبه كجندي ؟ » .

وبن عيزر الذي بدأ كتابة روايته في عام ١٩٦٣ ، وانتهى منها في عام ١٩٦٩ يحاول ان يضفي صفة الاصالة على الخلفية التاريخية في الرواية فكدسها بالكثير من تقارير الصحافة الاسرائيلية عن « القضية » وتطوراتها وملأها بالكثير جدا من التفاصيل عن هذه الفترة . ويشبه هذا الامر من يكتب رواية عن الثورة الفرنسية وينقل فيها صفحات كاملة من مناقشات الجمعية الوطنية الفرنسية .. الخ . وهذه المادة الوثائقية تزيد من الارهاق الذي يصاب به القارىء خلال قراءة الرواية ، وتجعل من الوثائقية أمرا محل شك . واذا كان بن عيزر قد اراد بذلك ان يجعل من الرواية وثيقة تاريخية ، فانه قد فشل في هذا وذلك لانه استخدم المواد الخام التاريخية دون ان يجعلها تخضع لعملية تكرير ادبية . و« البرينرية » (نسبة الى حييم برينر) الموجودة عند بوليك شومرون بطل الرواية هي وضع نفسي وعقلاني . وقد جاء « الجنون الداخلي » عند بطل « ليست الحرب للابطال » من أجل التمويه على حقيقة ان بن عيزر يتناول بجدية مطلقة تلك الاقوال التي يضعها على لسان بوليك ، وان بوليك هو بن عيزر ، وهنا يثور الاحساس بأن بن عيزر لم يكتب الرواية من خلال الواقع بل من خلال الادب وبطله يعيش في عالم من القضايا الادبية ، ويقوى هذا الاحساس حينما يتضح ان بوليك شومرون يعيش بالفعل في « وسط » مقالات بن عيزر عن مشاكل الادب العبري الحديث ، وانعكاس الواقع الاسرائيلي في هذا الادب ، وان بوليك يقتبس أقوالا من مقالات بن عيزر ، ومن سلسلة المقابلات التي نشرها في حينه في مجلة « موزنايم » (الميزان) تحت عنوان « ثمن الصهيونية » الخ .. وقد كتب بن عيزر بحثا عن المرحلة التي اصبح العرب في نهايتها في الادب العبري بمثابة « كابوس وجودي » ، وقد تناول وجهة النظر هذه بجدية ، ودون ان يميز بين تطورات الموضوع الادبي من خلال الاحتياجات الفنية ، يفترض بالفعل ان القضية العربية في الادب العبري تعكس الوعي التاريخي في المجتمع الاسرائيلي .

ونظرا لان بطل بن عيزر يعيش في داخل الادب ، وليس في داخل الحياة ، (وذلك لان موضوع الحياة كان بمثابة خلفية لتبرير المصير الذي حدده بن عيزر سلفا لبطله بوليك وهو الموت وأخذ يسعى الى تحقيقه بأي وسيلة) ، فان هذه الشخصية جاءت باهتة ، ولا تحوي الافكار التي يطرحها اي شيء مفاجيء او جديد . والجرأة التي تحويها هذه الافكار ، (استنكار الانسحاق الذي يفرضه وضع اسرائيل الامني على الفرد في اسرائيل ، ونبذ كل ما يترتب على ذلك ومحاولة الهروب منه ، وتعرية الديموقراطية الزائفة .. الخ) ، هي بالفعل ، من الاشياء التي اصبحت معهودة في كل التناول الادبي الاسرائيلي لمثل هذه القضايا ، وخاصة في الادب العبري اعتبارا من الستينات . ويبدو احيانا ، أن بن عيزر قد حاول ان يكون سيموجراف ادبي لاتجاهات موجودة في المجتمع الاسرائيلي . وفي نهاية الامر ، فانه مما لا شك فيه ان ايهود بن عيزر قد نجح في كتابة رواية اجتماعية نفسية يظهر فيها بوضوح الجهد الايديولوجي العقلاني من أجل تعرية الواقع الاسرائيلي بكل عوراته وخباياه خلال الستينات ، وان كان هذا قد طغى على الكيفية الادبية التي كان من المفروض ان يوجهها لهذا العمل الروائي .

رشاد الشامي

تقارير عن اسرائيل

الطلاب الاجانب من اليهود الغربيين فـي اسرائيل

تسعى اسرائيل والصهيونية العالمية ، عن طريق برامج جامعية وحلقات دراسية وتدريبية خاصة ، لاجتذاب اكبر عدد من الطلاب الاجانب من اليهود للدراسة والتدريب في معاهـد التعليم العليـا الاسرائيلية . وترمي الدولة اليهودية والصهيونية من وراء ذلك الى حثهم للاستيطان بفلسطين المحتلة بصورة دائمة . فالطلاب الاجانب من اليهود عامة والطلاب اليهود الاميركيين خاصة هم الطـلاب المدللون في اسرائيـل ، اذ ترى فيهم مهاجري المستقبل المتيدين ورجال غدها . وتركز اسرائيل في حملتها هذه على اقتلاع الطلبة اليهود الجامعيين ، لاسباب عديدة تتعلق بنوعيتهم العلمية والفنيـة ودرجة ثقافتهم العالية ، وكذلك لما يملكون من فيض كبـير من القابليات والامكانات القيـادية القادرة على التأثير على الشعب في اسرائيل نفسها او في البلدان الغربية وشعوبها على حد سواء .

هذا وتعتبر الجامعات في اسرائيل ، بنظر الدكتور جورج وايز ، رئيس جامعـة تل ابيب ، بمثابة « المفتاح للهجرة » . فهو يعتقد بأن الطلاب في تلك السن ، أهم اكثر استعدادا لتقبل التأثيرات واكثر حيوية للسفر والتنقل . كما يعتبر نائب رئيس الجامعة المذكورة بأن الجامعة بمثابة « جسر الى الشتات الدياسبورا » . لذا ، يتلقـى الطلاب الاجانب من اليهود عناية فائقة واهتماما بالغا من قبل المسؤولين الاسرائيليين . فكل طالب يهودي ، مثلا ، يعرب عن رغبته في الدراسة في اسرائيل يستطيع ان يحصل على منحة مالية لهذا الغرض(١).

بالرغم من ان اسرائيل تجتذب عامة الطلاب اليهود من شتى اقطار العالم ، الا انها تسعى ايضـا لاجتذاب الطلاب غير اليهود وخاصة من البلدان النامية ، كما ذكرنا في دراسة سابقة(٢). وذلك لان اسرائيل تعتبر نفسها مركزا للتعليم والتدريب للطلاب وللعلماء من غير اليهود . وتظهر اسرائيل مثلا انها مركـز للدراسات المسيحيـة ، حيث تستقطب العلماء والمفكريـن المسيحيـين للبحث والدراسة في « الاراضي المقدسـة » او « ارض التوراة »(٣). لاسرائيل رغبة خاصة في اجتذاب الطلبة اليهود من شتى اقطار العالم وخاصـة مواطني البلدان الغربية الميسورة والمتقدمة ، الى معاهد التعليم العليا فيها . وذلك لانها تعتبر نفسها محور الحياة اليهودية لجميع اليهود في العالم ، كما تشعر بأن من واجبها ان توفر خدمات تربوية تستهدف من ورائها اغناء الحياة اليهودية واثرائها وتقوية هوية الطالب اليهودي الذي يدرس ضمن حدود الدولة اليهودية في فلسطين المغتصبة . وفوق ذلك فان اسرائيل تعتبر نفسها حلقة وصل بينها وبين الدياسبورا . كما تأمل ايضا مـن بعض هؤلاء الذين يدرسون في اسرائيـل ان يقـرروا الاستيطان فيهـا بشكل دائم نتيجـة لرحلتهـم الاسرائيلية . ومنذ حرب الايام الستة في سنـة ١٩٦٧ يبدو ان الهدف الاخير قـد اخذ في التحقق على نطاق واسع ، على ذمة احد الباحثين(٤). ومما يجب التشديد عليه الان هو ان اسرائيل تنطلق من حملتها هذه من فكرة عدد من المربين اليهود الذين ينادون بأن التدريب للخدمة الفنية ليس بكاف لليهود العلمانيين ، ما لم يكن مقرونا ، على الاقل ، بزيارة الى اسرائيل . وقد انشأت لهذا الغرض عددا من البرامج المنوعة ، التعليمية والثقافية ، لاجتذاب الاف من الطلبة اليهود وخاصة مـن الولايات المتحدة ، كما سنوضح في هذا التقرير . وفي هـذا البحث ، سنحـاول تقديـم صـورة واضحة ، بالحقائق والارقام ، عن نشاط اسرائيل والصهيونية العالمية لاجتـذاب الطلاب اليهـود الاجانب وخاصة الاميركيـين منهـم للدراسـة وللاستيطان في فلسطين المحتلة بصورة دائمـة . وينحصر هذا البحث في الطلاب الجامعيين او خريجي الجامعات فقط ، اي ما بين السنوات ١٨ و٢٥

سنة من العمر وخاصة اولئك الناطقين باللغة الانكليزية .

ويجدر بنا الان ان نلقي نظرة سريعة على الطلاب الاجانب الذين يدرسون في اسرائيل . تفيد احدث الاحصاءات المتوفرة ان عدد الطلاب الاجانب في اسرائيل بلغ ٨،٠٠٠ بالاضافة الى ١٥٠٠ طالب في المدارس اليهودية من بين ٤٥،٠٠٠ طالب وطالبة في معاهد التعليم العليا الاسرائيلية ، اي ان نسبة الطلبة الاجانب بلغت ١٨ في المائة ، وذلك للعام الدراسي ٧٠ — ١٩٧١(٥). واما الطلبة اليهود وحدهم فبلغ عددهم اكثر من ٥،٠٠٠ طالب وطالبة في العام ٦٩ — ١٩٧٠(٦). والطلبة الاجانب اتوا من ٦٣ قطرا في العالم . ومن حيث التقسيم الجغرافي ، نجد ان اقل من نصف الطلبة الاجانب قدموا من اوروبا (الغربية والشرقية) بنسبة ٤٥،٦ في المائة يلي ذلك الولايات المتحدة وكندا (١٢،٩ في المائة) فاميركا اللاتينية (١١،١ في المائة) فالشرق الاوسط وآسيا (١١،١ في المائة) و١٢،٥ في المائة من بلدان مختلفة(٧). واما من حيث نوع تأشيرة الدخول فبؤخذ من الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ان من بين ٢،٢١٣ طالبا وطالبة من الاجانب اليهود في معاهد التعليم العليا ثمة ٦٣٥ (٢٩ في المائة) يحملون تأشيرة «مهاجر» و١،٣٣١ (٦٠ في المائة) « مهاجر محتمل » و١٣٥ (٦ في المائة) « زائر » و٩٧ (٤ في المائة) « سائح » . وعلى صعيد فرع الدراسة ، نجد ان ٤٢ في المائة من هؤلاء هم من الطلاب الملتحقين في برامج نظامية او عادية و٤٥ في المائة في السنة الاولى التحضيرية و١٣ في المائة في برامج خاصة تستغرق سنة واحدة(٨).

معاهد التعليم العالية الرئيسية

والحديث عن الطلاب الجامعيين يقودنا بطبيعة الحال الى الكلام بشيء من الايجاز على الاقل عن الجامعات والكليات العاملة في فلسطين المحتلة . ففي اسرائيل اليوم سبعة معاهد رئيسية للتعليم العالي ، وجميعها تمنح شهادات البكالوريوس ، كما يمنح البعض منها شهادات الماجستير والدكتوراه . وتدعم الحكومة الاسرائيلية هذه الجامعات كما يدعمها ما يسمى « بالاصدقاء » في الخارج . وتبلغ ميزانيات معاهد التعليم العالي نحو ٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية . وفيما يلي عرض سريع جدا عن كل من تلك المعاهد

الاسرائيلية . الجامعة العبرية : اكبر جامعة ، تأسست عام ١٩١٨ في القدس وبدأت قبول الطلبة النظاميين على نطاق واسع في عام ١٩٢٥ . بلغ عدد طلابها نحو ١٥،٥٠٠ منهم نحو ٤،٠٠٠ من الطلبة الاجانب وذلك للعام ٧٠ — ١٩٧١ . معهد التقنيون : اقدم معهد للتعليم العالي في فلسطين المحتلة ، اذ تأسس في عام ١٩١٢ في حيفا الا انه لم يبدأ قبول الطلبة على نطاق واسع الا في سنة ١٩٢٦ . وهو معهد لتدريب العلماء والمهندسين ، بلغ عدد طلابه ٦،٠٠٠ منهم اكثر من ١،٠٠٠ من الطلبة الاجانب . جامعة بار ايلان : اسستها في عام ١٩٥٥ منظمة المزراحي العالمية وتقع في رامات غان بالقرب من تل ابيب . وهي جامعة دينية تهدف الى تنشئة العلماء والمثقفين ورجال العلم المتبحرين في الشؤون الدينية . يبلغ عدد طلابها ٥،٢٠٠ منهم ٦٠٠ طالب اجنبي . جامعة تل أبيب : تأسست في عام ١٩٥٣ وتم تدشينها في عام ١٩٥٦ وهي تنمو بسرعة فائقة وتنافس الجامعة العبرية نفسها ويبلغ عدد طلابها ١٢،٥٠٠ منهم ١،٠٠٠ طالب اجنبي . فيها مدرسة طبية . جامعة حيفا : تدير شؤونها الاكاديمية بمساعدة الجامعة العبرية في القدس ويبلغ عدد طلبتها ٤،٣٠٠ منهم ٦٠٠ طالب اجنبي. جامعة النقب : تأسست في عام ١٩٦٥ وهي احدث جامعة من نوعها في فلسطين المحتلة وهي تحت رعاية الجامعة العبرية والتقنيون ومعهد وايزمان للعلوم واشرافها . كانت تعرف سابقا بمعهد التعليم العالي في بئر سبع ثم تم تحويلها الى جامعة . يبلغ عدد طلابها ٢،٧٠٠ منهم اكثر من ٣٠٠ طالب اجنبي . معهد وايزمان للعلوم : تأسس في سنة ١٩٣٤ ويقع الان في ريفوت وهو معروف كمعهد للبحوث العلمية والتقنية ولكن يشمل ايضا مدرسة للدراسات العليا . واخيرا لا بد لنا من ان نذكر في هذا المجال الكلية الاميركية : التي أنشئت مؤخرا وهي كلية جديدة للاداب لاجتذاب الطلبة الاميركيين . ويجري التدريس فيها باللغة الانكليزية ونظام التعليم تابع للنظام الاميركي، وذلك بقصد تشجيع اولئك الطلبة الاميركيين الذين يعجزون عن التكيف مع النظام الاسرائيلي الجامعي(٩).

ومما يذكر ان هناك عميدا في كل جامعة خاص بالطلبة الاجانب وكذلك مرشدا يرعى امورهم . ومما يجب ذكره ان الجامعات الاسرائيلية ليست مراكز للعلم فقط بل ان عددا كبيرا من طلبة

الجامعات الاسرائيلية قد اشترك في حرب الايام الستة السوداء ضد الدول العربية في ١٩٦٧ . وينبغي القول ان ثمة علاقة وثيقة بين الجامعات في اسرائيل والجامعات في الولايات المتحدة . هذا يعني بكلام اوضح ان الطلبة الاميركيين يأتون الى اسرائيل في جماعات تحت اشراف مباشر من قبل جامعاتهم . ومن بين تلك الجامعات الاميركية ، جامعة براندیس ، التي توفر جميع الوسائل والتسهيلات والترتيبات لطلابها لقضاء خمسة اشهر من الدراسة في القدس المحتلة وهناك ايضا عدد آخر من الجامعات الاميركية التي تتبع البرنامج نفسه ، بحيث يمكن لطلبتها متابعة بعض دراساتهم في اسرائيل . وفي هذا المجال تنشط المنظمات الصهيونية واليهودية في الولايات المتحدة وكندا مركزة على اقتلاع طلبة الجامعات هنالك للدراسة في اسرائيل او لزيارتها على الاقل لفترة وجيزة(١٠).

البرامج الدراسية

والبرامج الدراسية التي تقدمها الجامعات الاسرائيلية او الحلقات الدراسية التي تقام في الصيف لطلاب التخصص جميعها برامج مدروسة وتستهدف اجتذاب اكبر عدد من الطلبة لتعليمهم في اسرائيل ولزيارة فلسطين المحتلة تحت ستار الدراسة الموثقة او الالتحاق بدورات تدريبية قصيرة المدى اثناء العطلة الصيفية . والمعروف ان البرامج الدراسية في اسرائيل يسبقها برامج تحضيرية وتعتبر ضرورية جدا وخاصة الى هؤلاء الذين لا يعرفون اللغة العبرية ، لغة التعليم الرسمية في اسرائيل . ولا يمكن للطالب الاجنبي ان يتلقى التعليم دون معرفة هذه اللغة . وفوق ذلك ان الدراسات الدينية اليهودية (التوراة) تعتبر مهمة جدا في كل برنامج دراسي في اسرائيل . وعليه ، ثمة دروس خاصة للطلاب الاجانب لتهيئتهم لدخول الجامعة ، تهدف لتحضير الطلبة وادماجهم في الحياة الاسرائيلية وفي نظامها التعليمي والتربوي. وتقسم البرامج التحضيرية الى قسمين : القسم الاول يقع تحت اشراف مؤسسات التعليم العالي وهيئة الطلبة ، والقسم الثاني تحت اشراف الكيبوتز ، حيث يشمل البرنامج في الكيبوتز « نصف يوم عمل ونصف يوم دراسة » ، هذا بالاضافة طبعا الى النشاطات الثقافية والاجتماعية(١١).

وبالاضافة الى البرامج النظامية او العادية في الجامعات ، تقدم الجامعات الاسرائيلية وغيرها من المؤسسات التعليمية والثقافية دورات وحلقات خاصة بالطلاب اليهود وخاصة من الاجانب الاميركيين منهم . ويتولى امر الاشراف على توزيع البرامج الاسرائيلية هذه وترويجها مؤسسة الشبيبة الصهيونية في نيويورك وفروعها في المدن الاميركية والكندية الكبرى . وتستغرق الدراسة الصيفية ما بين ٧ و١٢ اسبوعا يتخللها دراسة وتدرب ثم رحلات ومحاضرات وزيارات وعمل ميداني في الكيبوتزات . وتبلغ تكاليف السفر ذهابا وايابا من نيويورك الى فلسطين المحتلة ما بين ٧٩٩ الى ١٤٠٧٥ دولارا، كما يتضح من الجدول على الصفحة التالية. واما جامعة تل أبيب ، فانها تقدم برنامجا صيفيا باللغة الانكليزية والبرنامج الصيفي للعام ١٩٧٢ يتضمن اربعة أسابيع في تموز وآب (يوليو واغسطس) ويحق ان يلتحق بهذا البرنامج طلاب الجامعات المؤهلين (١٨ — ٢٥ سنة) ، اذ يحصلون بنهايته على ستة وحدات (Credits) جامعية . والبرنامج المذكور ، على خلاف غيره ، لا يتطلب من الطالب معرفة اللغة العبرية، لان لغة التدريس هي في اللغة الانكليزية. ويتضمن البرنامج دورتين متساويتين ، كل منهما اربعة اسابيع، ففي الدورة الاولى ، مثلا ، يتلقى الطالب تعليما مقداره ست وحدات جامعية ، يدرس خلالها اللغة العبرية وتاريخ الشرق الاوسط والتركيب السياسي لاسرائيل وسوسيولوجية الاستيعاب في اسرائيل والفلسفة اليهودية . واما الدورة الثانية ، فتشمل رحلات ميدانية تربوية في البلاد وعملا في الكيبوتز ونشاطات اجتماعية وثقافية . وتبلغ تكاليف الدورتين ٩٧٥ دولارا وتشمل تذكرة السفر ذهابا وايابا من نيويورك الى فلسطين المحتلة بالطائرة كما تشمل القسط التعليمي وبدل الرحلات والمحاضرات والحفلات والنشاطات الاجتماعية والثقافية بالاضافة طبعا الى تكاليف السكن والطعام . ويشرف على البرنامج هذا جامعة تل ابيب بالاشتراك مع منظمة الشبيبة الصهيونية الاميركية في نيويورك التي تسعى لاجتذاب الطلبة اليهود وتقوم بمقابلات شخصية لتجنيد الطلبة للبرنامج(١٢).

وبالاضافة الى كل ما تقدم ثمة عدد من معاهد التعليم العالي في اسرائيل تنظم برامج خاصة للطلاب الزائرين من الخارج . وهذه الدروس تمتد اما لسنة واحدة او لنصف سنة او لفترة

برنامج الصيف لطلاب الجامعات في اسرائيل للعـــام ١٩٧٢ (العمـــر ١٨ ــ ٢٥ سنة)

نوع البرنامج او الحلقة	فترة التدريب (بالاسبوع)	التكاليف الكاملة بالدولار	ملاحظـات حـول البرنـامج
١ ــ معهد اسرائيل الصيفي	٧	٩٦٠	رحلات منظمة واسعة النطاق ، واسبوعان عمل في مركز الكيبوتز ، و١٠ ايام في القدس واسبوع في مدرسة الطبيعة ومحاضرات حول مختلف اوجه الحياة في اسرائيل .
٢ ــ حلقة دراسية حـرة للـرقص الفولكلوري	٧	٩٩٩	تشبه معهد اسرائيل الصيفي. تهتم بالرقص الحديث والفولكلوري . يستغرق التعليم ٧ ــ ١٠ ايام من التدريس المنظم يليه حلقة في احدى ميادين الرقص .
٣ ــ حلقة الفنون	٧	٩٦٠	تنطلق من نفس الفكرة في الرقص الفولكلوري السابقة . يركز على الهواة من طلاب الفن الحديث والرسامين ، الخ . يقضي الطلاب نصف اوقاتهم في رحلات سياحية والنصف الاخر في حلقة دراسية .
٤ ــ حلقة دراسية حرة للدراما	٧	١٤٠٧٥	٣ أيام درس عميق على يد اخصائيين من نيويورك . مشاهد كلاسيكية ومعاصرة حـول شكسبير والتكنيك والتدريب . محاضرات من قبل فناني المسرح الاسرائيلي . رحلات لمدة اسبوعين في اسرائيل واسبوعين آخرين في الكيبوتز .
٥ ــ جماعات الدراسة الجامعية	٨	٩٧٥	٤ أسابيع دراسة في جامعة تل ابيب او جامعة حيفا ، ينال في نهايتها ست وحدات جامعية . الدراسة بالانكليزية . و٤ اسابيع اضافية ، يتخللها رحلات ومحاضرات وزيارات للكيبوتزات .
٦ ــ حلقة علم الاثار	٨ ــ ١٠	٧٩٩	يستطيع الطالب ان يحصل على ٦ وحدات في جامعة تل ابيب في اسبوعين من المحاضرات ثم ٣ أسابيع اضافية من الرحلات الكشفية في العمل الميداني (حفر) يتخللها زيارتان الى النقب ومحاضرات اضافية في بئر السبع واسبوع اضافي من الرحلات الكشفية .
٧ ــ برنامج طبي صيفي	٨ ــ ١٠	ــ	موقوف على طلاب الطب الذين كان من المتوقع انهاء مرحلتهم الدراسيـة الاعداديـة الاكلينكية بحلول حزيران (يونيو) ١٩٧٢ . يدرس الطلاب ويعملون في المستشفيات الاسرائيلية ، يلي ذلك برنامج من ١٠ ايام في الحلقات العامة والرحلات .
٨ ــ صيف في الكيبوتز	٩ ــ ١٢	٦٦٠	ستة ايام عمل في الكيبوتز ، مع اسبوعين من الرحلات والحلقات الدراسية .

المصدر : *1972 Israel Summer Programs.* New York: American Zionist Youth Foundation (one page brochure, n. d.).

الصيف فقط . ويمكن الالتحاق بهذه البرامج بالكتابة مباشرة الى الجامعة او الى ممثلي الجامعة في الخارج ، الا ان الطلبة الذين يلتحقون بهذه البرامج لا يحق لهم المساعدات المالية من « هيئة الطلبة »(١٣).

برنامج طوعي لخريجي الجامعات

وبالاضافة الى ذلك هناك برنامج طوعي خاص بخريجي الجامعات يدعى « شيروت لاغام » يستغرق سنة واحدة ويرمي الى اجتذاب الطلبة اليهود من الولايات المتحدة وكندا ولا سيما من ارباب المهن الحرة لقضاء سنة من العمل الطوعي في الكيبوتزات والمناطق الانمائية (اي المدن التي انشئت بعد سنة ١٩٤٨) والتي يستوطنها عامة المهاجرون اليهود من شمال افريقيا الذين يواجهون مشاكل الاستيعاب في«المجتمع العصري» وللوقوف على كافة جوانب الحياة الاسرائيلية . وتقسم السنة الى فترتين : الاشهر الثلاثة الاولى هي تحضيرية ، اي يتعلم المتطوعون اللغة العبرية وتكاليف التعليم هذه على نفقة المتطوع نفسه . والفترة الثانية (٩ اشهر) يقضيها المتطوع في العمل الميداني الطوعي ، في المناطق ، حيث تحتاج الصناعات الحديثة هناك ومؤسسات التعليم والخدمات العامة الموجودة حاليا الى عمال اضافيين لمساعدة العمال المتوفرين حاليا . وجدير بالذكر ان المتطوعين الاخصائيين في المهارات الفنية والتقنية ، كالاطباء والممرضات والمساعدات في المختبرات وغيرهم ، يضمن لهم اعمال في حقول اختصاصاتهم . والمؤهلات التي يتوجب على المتطوع ان يملكها تتلخص في ان يكون حائزا على شهادة جامعية او شهادة من معهد يؤهل رجالا من ذوي الاختصاص الفني والتقني المتوسط على مستوى سنتين جامعة . وان يكون ما بين ٢٠ و٣٠ سنة بيد أن معرفة اللغة العربية ليس شرطا . وعلى المتطوع ان يعمل دون ان يتقاضى راتبا ، وذلك على حد تعبير المسؤولين في اسرائيل ، « لانه يكسب خبرة شخصية نتيجة اطلاعه على شؤون البلاد » ، ولكن يتقاضى علاوة شهرية بدل نفقاته الخاصة . ويعيش المتطوع في غرفة مع اثنين او ثلاثة من المتطوعين الاخرين . وتبلغ تكاليف السنة الكاملة، مع تذكرة السفر ذهابا وايابا من نيويورك الى فلسطين المحتلة مع سكن وطعام مبلغ ٥٩٥ دولارا(١٤).

وفي محاولة لاجتذاب الطلبة المهاجرين الى اسرائيل ، تقام نشاطات اجتماعية وثقافية مختلفة واسعة النطاق وتنظم خصيصا لغرض الاستيعاب. وتشمل البرامج والنشاطات هذه لقاءات مع الاسرائيليين ومحاضرات حول الشؤون المدنية في اسرائيل ومناقشات حول المشاكل الحاضرة والشؤون الاسرائيلية ورحلات الى كل زاوية من فلسطين المحتلة . ويتولى هذه المهمة اتحاد الطلبةوعمداء الطلاب الاجانب ومرشدوهم واتحادات المهاجرين . « واما « هيئة الطلبة » فانها تخطط وتنسق وتمول بعض الاحيان تقوم نفسها بهذه النشاطات(١٥).

« هيئة الطلبة » والمساعدات المالية

ومن ابرز المؤسسات الطالبية التي تقوم بتقديم مساعدات مالية ومعنوية هي « هيئة الطلبة » Student Authority وهي جزء من وزارة الهجرة والاستيعاب . وتأسست الهيئة في عام ١٩٦٧ بغية مساعدة طلبة ما وراء البحار في عملية ادماجهم ، كطلاب في اسرائيل ، وتقوم بالادوار والمهمات التالية : انها تلعب دور الرجل الوسيط بين الطلبة وبين المعهد الذي يرغب الطالب في ان يلتحق به ، وتقدم له كافة المعلومات الضرورية حول المعهد كما تساعده في عملية التسجيل في المعهد . وتقدم ايضا نصائح وارشادات الى الطلبة الاجانب حول الامور والمشاكل التي تواجههم . كما تعمل ايضا كضابط ارتباط بين الطلبة الاجانب من جهة وبين الطلبة الاسرائيليين والشعب الاسرائيلي من جهة اخرى. وعلى صعيد المساعدات المالية والمنح ، فان الهيأة المذكورة تقدم منحا مالية الى الطلاب المؤهلين . وخاصة الى اولئك اليهود الذين يأتون الى فلسطين المحتلة كمهاجرين او قد يصبحون مهاجرين . وتشمل المساعدات المالية الطلبة الاجانب من اليهود النظاميين الذين يدرسون في معاهد التعليم العليا المعترف بها كما تشمل الطلبة الذين بدأوا الدراسة الجامعية في الخارج ولكن يرغبون في متابعة دراستهم في اسرائيل . وتمنح المساعدات المالية حسب الحاجة والدخل واوضاع الطالب العائلية والمدنية والمالية . ويحق للطالب مثلا ان يتقدم للمساعدة المالية من الهيأة المذكورة ، اذا كان الايجار اكثر من ٢٥ ليرة

اسرائيلية بالشهر وتمنح الهيأة مساعدة مالية تدرها ٥٠ ليرة اذا كان الايجار اكثر من ٢٥ ليرة شهريا وذلك لفترة عشرة اشهر بالسنة فقط . ومما يذكر ان معدل الايجار في المنامات الجامعية تقدر بنحو ٧٥ ليرة بالشهر . وتمنح الهيأة مساعدات مالية لفترة ست سنوات فقط ، ابتداء من تاريخ قدوم الطالب الى فلسطين المحتلة ، وذلك بغض النظر عن وضعه الدراسي وتمنح المساعدة على أساس السنة الواحدة ، وقابلة للتجديد . ويتطلب من الطالب أن يلتحق بالجامعة ويتابع دراسته بانتظام ودون انقطاع عن الدراسة . هذا وتقدم الهيأة مساعدات مالية وتربوية خاصة لطلبة الدراسات العليا ، اي الطلبة الحائزين على شهادات الماجستير والدكتوراه ويعدون للحصول على الدكتوراه . وتساعد هؤلاء الطلبة الجامعات التي يلتحقون بها بواسطة وزارة الاستيعاب . وزيادة على ذلك تساعد الهيأة اولئك الطلبة بغية استيعابهم في المجالات التالية : ارشاد وتوجيه في اوقات التسجيل ، تحضير البرنامج الدراسي اثناء فترة الدراسة وذلك بواسطة تحضيره لغويا، مساعدة في السكن ، مساعدة في الاقساط وفي علاوة السكن ، وتقوم ايضا بتنظيم نشاطات اجتماعية وثقافية(١٦).

وبلغة الارقام ، يؤخذ من احدث الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ان من بين ٣،٢١٣ من الطلبة الجامعيين (اليهود) نجد أن الغالبية الساحقة يحصلون على منح مالية ، اي ٧٨ في المائة مقابل ٢٢ في المائة بدون منح وذلك لغاية شهر ايار (مايو) ١٩٧٠ . ومن بين الحاصلين على منح ثمة ٢٩ في المائة حصلوا على منح كبيرة و٤٠ في المائة على منح صغيرة و١٠ في المائة على منح اخرى . ويبدو أن ثمة علاقة بين اعطاء المنح وبين الاستيطان في اسرائيل . تدل الارقام الرسمية على أن ٩،٠٥ في المائة من الذين حصلوا على منح للعام ٧٠ — ١٩٧١ كانوا من الذين اعربوا عن رغبتهم في الاستيطان مقابل ٩،٠٥ في المائة لاولئك الذين بدون منح . كما حصل على ٧٦،٤ في المائة من الطلبة المحتمل استيطانهم في فلسطين المحتلة مقابل ٢٦ في المائة للطلبة الزائرين(١٧). هذا يعني، بالاختصار ، ان الطلبة الذين يرغبون في الهجرة والاستيطان يتلقون مساعدات مالية اكثر بثلاثة اضعاف من الطلبة الزائرين .

الدراسة الصيفية في الكيبوتز

وعلى صعيد الكيبوتز ، ثمة برنامج خاص بذلك ، تستهدف الدراسة فيه توفير اسباب العمل والعيش وذلك بغية التعرف على هذا النمط من الحياة الجماعية ، ويتضمن البرنامج للعام ١٩٧٢ النشاطات التالية : من خمسة الى ستة اسابيع عيش وعمل في الكيبوتز ، حيث تستغرق فترة العمل سبع ساعات يوميا ، ويساهم الطالب بالاضافة الى ذلك في مختلف نشاطات الحياة الاجتماعية ، كما يطلع عن كثب على حياة الكيبوتز، في مختلف اوجهها الاقتصادية والانسانية والايدولوجية ومشاكلها . وزيادة على ذلك يصبح ملما بالارض والثقافة والشعب والمشاكل والتطلعات نحو المستقبل . وبالاضافة الى ذلك هناك اسبوعان من الزيارات والحلقات الدراسية وتشمل المناطق الرئيسية من فلسطين المحتلة ، كايلات والنقب وحيفا والقدس وتل ابيب والخليل وكذلك الضفة الغربية والجولان المحتلتين . ويحق لاي طالب جامعي او خريج جامعة ، ان يلتحق بالبرنامج شريطة الا يزيد عمره على ٢٥ سنة كما يجب ان يتمتع بصحة جيدة والا يكون من ذوي العاهات تمنعه من العيش والعمل . ويبدأ الطالب السفر من نيويورك في غضون حزيران (يونيو) ويعود بعد ثمانية او احد عشر شهرا . ويبلغ مجموع التكاليف ٥٩٩ دولارا وتشمل تذكرة السفر ذهابا وايابا من نيويورك ونفقات السكن والطعام والنشاطات في الكيبوتز والزيارات والحلقات والتأمين الصحي . ويشرف على البرنامج الصيفي مؤسسة الشبيبة الصهيونية الاميركية في نيويورك بالاشتراك مع منظمات صهيونية اخرى وكذلك بالاشتراك مع هيئات ومنظمات اسرائيلية في الارض المحتلة نفسها(١٨).

الحصول على الجنسية

ومن بين الوسائل المغرية التي تستخدمها السلطات الاسرائيلية الاعتراف بمبدأ الجنسية المزدوجة ، اي أن أي مواطن اسرائيلي يستطيع قانونيا ان يحمل جنسية بلد آخر كما يحق لمواطن الولايات المتحدة او كندا ان يحمل جوازي سفر . فجواز السفر الاسرائيلي ، مثلا يستعمل في مغادرة البلاد وفي العودة اليها ، واما جواز السفر الاخر فانه يستعمل في الدخول من الولايات المتحدة او كندا او الخروج من كل منهما . لذا نجد ان اسرائيل

تمنح بسخاء جوازات سفر لمواطني الولايات المتحدة وكندا . وينبغي ان نعيد الى الاذهان ان اسرائيل، حسب قانون العودة في عام ١٩٥٢ ، تمنح الجنسية الاسرائيلية بشكل آلي لاي يهودي مقيم يطلب الجنسية ، شريطة ان يصبح مقيما مؤقتا اولا . والمقيم المؤقت يستطيع ان يحصل على اجازة الاقامة فور وصوله الى الارض المحتلة او فور تغيير وضعه ، مثلا ، من سائح الى مقيم مؤقت(١٩). وعلى هذا ، يحق لاي طالب يهودي أن يهاجر ، حسب قانون العودة ، وان يحصل على الجنسية الاسرائيلية فور وصوله الى فلسطين المحتلة ومن ثم يحق له ان يلتحق بالجيش وبالخدمة العسكرية(٢٠).

نتيجة الحملة الاسرائيلية والصهيونية

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد كل ما تقدم هو: ما هي نتيجة حملة اسرائيل لاجتذاب الطلبة الاجانب من اليهود ، عن طريق الدراسة والعمل، ومحاولة استيطانهم في الارض المغتصبة ؟ يؤخذ من الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية لشهر ايار (مايو) ١٩٧٠ انه من بين ٢،٢٠٨ من الطلبة الجامعيين ثمة ١،٥٩٤ طالبا اعربوا عن رغبتهم في الاستيطان وليس في الدراسة . وهنا لا بد من الاشارة الى أن هؤلاء اعربوا عن رغبتهم في الاستيطان وهذا لا يعني انهم قرروا الاستيطان بشكل نهائي . فالانسان قد يعرب عن رغبته اليوم ولكن قد لا يحقق هذه الرغبة غدا . فهناك دراسة ، مثلا ، شملت ١،٥٠٠ طالب من الذين تدربوا في معهد القيادة باسرائيل ، وقد استغرقت فترة التدريب سنة كاملة ، ومن بين أولئك ، ان نحو الثلث فقط عادوا وقرروا الاستيطان في فلسطين المحتلة . ومن بين الاسباب التي ذكرها البعض ان قرارهم في الاستيطان يعود الى « استيائهم وسخطهم او عدم تكيفهم في مجتمعاتهم غير اليهودية وذلك على اعتبار انهم يجدون ما يصبون اليه من رضى في حياتهم كيهود » وقال احد الذين قرروا الاستيطان : « هنا اشعر في وطني ، اشعر بأني كائن موجود » ، « استطيع ان اعيش عيشة يهودية متكاملة » ، « ابنائي يتربون تربية يهودية »(٢١). ماذا يعني ذلك ؟ ان دل على شيء فانما يعني ان الدافع الرئيسي للهجرة والاستيطان هو الدافع الديني والاستقرار النفسي اي التخلص من العقدة اليهودية في الخارج .

وجاء في دراسة شملت ٧،٢١٥ شابا وشابة من المتطوعين والذين ينتمون الى ٤١ بلدا ان ٤٠ في المائة من نحو ١٧،٠٠٠ من هؤلاء الذين اجريت معهم مقابلات ، يرغبون في العودة الى بلادهم دون ان يكونوا مرتبطين بأي مؤسسة او منظمة اسرائيلية ، بينما اعرب نحو ١١،٥ في المائة عن اهتمامهم بالانضمام الى « حركة التطوع » حين رجوعهم الى بلدانهم الاصلية ، واما عن امكانية هجرتهم الى اسرائيل في وقت ما بالمستقبل، فقد اعرب نحو ٤٠ في المائة من المتطوعين عن رغبتهم في تمديد اقامتهم . ويذكر ان نحو نصف هؤلاء قدموا من البلدان الناطقة باللغة الانكليزية ، كما ان نحو نصفهم لا ينتمون الى منظمات صهيونية او شبه شبيبة يهودية(٢٢).

ويؤخذ من دراسة علمية مسهبة ومفصلة شملت ٨٧ طالبا يهوديا اميركيا ممن قضوا عاما في الجامعة العربية بالقدس (٦٦ — ١٩٦٧) ان بعض الطلبة الذين قضوا وقتا في الكيبوتز اصبحوا أقل رغبة في الاستيطان في هذا النوع من الحياة الجماعية من ذي قبل ، اي قبل الاقامة فيه . وتعتبر الاكثرية من هؤلاء الطلبة ان الاستيطان في اسرائيل بالنسبة لليهود غير منطقي كي يصبح اليهودي « يهوديا صالحا » . وهذا الرأي يتناقض مع فكرة طلاب المدارس الثانوية في اسرائيل الذين يضعون الاستيطان في فلسطين المحتلة على قائمة الصفات الحميدة « لليهودي الصالح » . ويقول الطلبة اليهود الاميركيون ان المستوطنين الاسرائيليين يطرحون اسئلة عليهم تتعلق بما اذا كان لديهم رغبة في الاستيطان ، الا ان الطلبة تذمروا ، لان الاسرائيليين يشعرون بأن كل فرد يجب ان يأتي الى هنا كيهودي . واعترف هؤلاء الطلبة ان الغالبية الساحقة من الاسرائيليين (٨٦ في المائة) ينظرون اليهم كأميركيين اولا وآخرا مقابل ١٣ في المائة فقط ينظرون اليهم كيهود اولا وآخرا ، وثمة ١٢ في المائة ينظرون اليهم كمقيمين في اسرائيل . وعلى صعيد الطلبة الاسرائيليين نجد ان ٩٢ في المائة ينظرون الى الطلبة الاميركيين كأميركيين مقابل واحد في المائة فقط كيهود . ومن جهة اخرى نجد ان الطلبة اليهود انفسهم (الاميركيين) يرون انفسهم كأميركيين اولا وذلك بنسبة ٧٢ في المائة مقابل ٩ في المائة فقط كيهود(٢٣). هذا يعني بكلام أوضح ان طابع القومية الاميركية يغلب على طابع الدين اليهودي . ويبدو ان الاقامة لفترة سنة

في اسرائيل يؤثر على وجهة نظر نسبة كبيرة بشكل سلبي . فقد أعرب قبل المجيء الى فلسطين المحتلة أقل من نصف الطلبة (٤٧ في المائة) ان مصير الفرد منهم يرتبط بمستقبل الشعب اليهودي وتطلعاته مقابل ٣٧ في المائة بعد الاقامة في اسرائيل . ولا شك في ان المرء يتوقع أن يحدث العكس . وكان ١٤ في المائة من الطلبة ينظرون نظرة جيدة الى الاسرائيليين مقابل ٧ في المائة فقط بعد قضاء سنة كاملة في اسرائيل ، كما ارتفعت نظرتهم السلبية من ١٤ في المائة قبل قدومهم الى اسرائيل الى ٢١ في المائة بعد اقامة عام فيها . وصرح احد الطلبة : « اشعر اني جزء لا يتجزأ من المجتمع الاميركي ، بيد اني ما زلت اشعر بأني غريب هنا (في اسرائيل) » . وتذمر الطلبة اليهود الاميركيين من ان الاسرائيليين متعصبون ضد الاجانب . ويمكن القول انه في نهاية الاقامة في اسرائيل فقط ثمة تغييرات محدودة طرأت على وجهات نظر هؤلاء الطلبة(٢٤) .

وهكذا يتضح ان اسرائيل ، بالاشتراك مع الصهيونية العالمية ، تحاول ، عن طريق جامعاتها ومعاهدها ، اجتذاب الطلبة الاجانب من اليهود وخاصة الغربيين منهم للدراسة في اسرائيل وبالتالي للاستيطان فيها بشكل دائم . فالجامعة بالنسبة لاسرائيل ، تعتبر بمثابة « المفتاح للهجرة » لما في الطلبة الجامعيين من استعداد لتقبل التأثيرات وحيوية السفر والتنقل . لذا ، يستطيع كل طالب يهودي يرغب في الدراسة بفلسطين المحتلة ان يحصل على منحة مالية . ويذهب عدد من المربين الصهيونيين الى ان الثقافة والتدريب الفني ليسا كافيين لليهود العلمانيين القاطنين في الخارج ، ما لم يقرنا ، على الاقل ، بزيارة الى اسرائيل . وقد نظمت لهذا الغرض برامج دراسية متنوعة ، تعليمية وتدريبية وثقافية وترفيهية .

الدكتور الياس زين

---

١ — سلمى س. حداد ، **الطلاب في اسرائيل** (بيروت ، مركز الابحاث ، م.ت.ف. ١٩٧١)، ص ٢٨ — ٣٢ .

٢ — الدكتور الياس زين ، « الطلاب الاجانب في اسرائيل » في **شؤون فلسطينية** ، عدد ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ ، ص ٢٨٠ — ٢٨٩ .

٣ — Simon N. Herman, *American Students in Israel* (Ithaca: Cornell University Press, 1970), p. 25.

٤ — **المصدر السابق** ، ص ٢٣ .

٥ — *Student's Guide* (Brochure), Jerusalem: Student Authority Office, November 1971), p. 7.

٦ — هيرمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣ .

٧ — *Higher Education in Israel*, A Guide for Overseas Students. Ministry of Immigrant Absorption, March 1970, p. 31.
Herman, *op. cit.*, p. 23.

٨ — *Statistical Abstract of Israel 1971* (Jerusalem), p. 139.

٩ — *Student's Guide* (Brochure), *op. cit.*, pp. 4-7.
وانظر ايضا ، سلمى حداد ، في **المصدر المذكور** اعلاه ، ص ٩١ — ٩٦ .

١٠ — هيرمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤ .

١١ — Student's Guide, *op. cit.*, p. 14.

١٢ — *Summer Institute in Israel at Tel Aviv* University (an 8-Week Program), July-August 1972. Brochure printed in U. S. A. in cooperation with the American Zionist Youth Fund, New York City.

١٣ — *Student's Guide, op. cit.*, p. 22.

١٤ — *Sherut La'am.* Service to the People. Year Program in Israel. New York, n. d.

١٥ — *Student's Guide, op. cit.*, p. 22.

١٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٨ — ٢٦ .

١٧ — *Statistical Abstract of Israel 1971*, p. 141.

١٨ — *Israel 1972: Summer in Kibutz* (Brochure). New York: American Zionist Youth Foundation.

١٩ — *Guide for the Oleh*, Ministry of Immigrant Absorption (April 1971), pp. 7-8.

٢٠ — *Student's Guide, op. cit.*, p. 28.

٢١ — هيرمان ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٠ — ١٦١ .

٢٢ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧** (بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية) ، ص ٤٧٧ — ٤٧٨ .

٢٣ — هيرمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٠ .

٢٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٠١ — ٢١٦ .

ثروات البحر الميت المعدنية واستغلال اسرائيل لها

السيطرة على ثروات الشعوب المتخلفة واستغلالها ونهبها صفة مميزة للاحتكارات الاستعمارية والامبريالية ، واقامة اسرائيل في فلسطيننا اضافة لخدمتها للمطامع الصهيونية العنصرية تخدم استراتيجيا مخطط الاحتكارات الامبريالية في ايجاد دولة تكون الحامي والسند لعملاء هذه الاحتكارات وحماتها في المنطقة . وحديثنا عن البوتاس المستخرج من البحر الميت يعطي لنا صورة واضحة المعالم للعلاقة بين الاحتكارات الاستعمارية والمطامع الصهيونية وعلاقتهما بالرجعية العربية . وان من يعتقد ان الصهيونية العالمية مجسدة باسرائيل لم تفكر باستغلال ثروات فلسطيننا المعدنية الا بعد الاحتلال الصهيوني يكون واهما او تنقصه الرؤية العلمية على أحسن الاحوال . فبعد ان احتل البوتاس والصناعات البوتاسية وخاصة صناعة الاسمدة الكيمياوية مكانتها العالمية سعت الاحتكارات البريطانية الصهيونية الى استغلال مخزن البوتاس الطبيعي في فلسطين ممثلا بالبحر الميت . فكان وعد بلفور عام ١٩١٧ وكانت اول الخطوات العملية في تنفيذ اغراض الاستعمار والصهيونية هي حصول شركة البوتاس الفلسطينية على حق استثمار ثروات البحر الميت في العشرينات من هذا القرن . باشرت هذه الشركة اعمالها بعد عامين فقط من حصولها على حق الاستثمار وانشأت لهذه الغاية معملين لاستخلاص البوتاس من مياه البحر ، الاول يقع جنوب غرب البحر الميت والثاني شمال غرب البحر ، واستمرت هذه الشركة في استغلال ثروات البحر الميت حتى كان عام النكبة . وفي عام النكبة ومن خلال العمليات الحربية الصورية التي جرت هناك نرى الدليل القاطع على ما جاء اعلاه . فكلنا يعرف أن هناك اتفاقا سريا وقع بين الصهاينة والامبرياليين والرجعية العربية على اقتسام فلسطين وان حدودا جرى الاتفاق عليها قبل اعلان الحرب ومع ذلك وحماية للصناعة البوتاسية الصهيونية — البريطانية دمر كلوب باشا معامل الشركة شمال البحر الميت حيث كان الاتفاق على أن يبقى هذا الجزء عربيا وترك المعمل الثاني دون أن يمسسه احد في ارض كان الاتفاق ان تكون لاسرائيل مع العلم ان موقعي المعملين لم يكونا ضمن منطقة العمليات الحربية ، وهكذا بقي المعمل الاول في الجزء العربي اطلالا حتى وقتنا الحاضر في حين باشر المعمل الثاني في المنطقة الاسرائيلية انتاجه بعد ثلاث سنوات من النكبة .

وتمر الايام ويتداعى المخلصون من البنيين والاقتصاديين العرب الى ضرورة استثمار ثروات البحر الميت بالسرعة الممكنة اولا من أجل خدمة الانسان العربي في الاردن ولخلق اقتصاد وطني سليم فيها لا يعتمد كثيرا على المساعدات الخارجية وثانيا من اجل احلال البوتاس العربي محل البوتاس الاسرائيلي في الاسواق العالمية . بعد ذلك انشئت اسميا شركة سميت بشركة البوتاس العربية لتنفيذ هذه الغاية بأشراف الحكومة الاردنية ورصدت لها الدول العربية الاموال اللازمة . فكلفت الحكومة الاردنية شركة امريكية لاجراء الدراسات الاولية الاستثمارية لهذا المشروع وبين اخذ ورد اكتشفت الدول العربية ان الشركة الاستشارية هذه شركة صهيونية غايتها افشال هذا المشروع وكان ان اعطيت الدراسات الاستشارية مرة اخرى الى شركة اخرى تبين فيما بعد انها ايضا شركة صهيونية لها غايات الشركة الاولى نفسها .

وعندما حاولت بعض الشركات اليابانية اقامة المشروع تقدم البنك الدولي لابداء مساعدة مزعومة واستمرت المفاوضات حتى كان الاحتلال الصهيوني الحزيراني وضاعت الضفة الغربية وتهددت كل المشاريع في منطقة البحر الميت . وهكذا بقي مشروع البوتاس الاسرائيلي المشروع الوحيد لانتاج البوتاس في منطقتنا العربية وعلى رأس قائمة الدول المصدرة للبوتاس في العالم . وبحثنا هذا يتطرق الى تاريخ استثمار ثروات البحر الميت منذ عشرينات هذا القرن وحتى وقتنا الحاضر فلعل فيه ذكرى وعظة لقوم ما زالوا يذكرون فلسطين ومصالح العرب في ثرواتهم وضرورة الحفاظ عليها واستثمارها لمصلحة الانسان العربي .

البوتاس :

البوتاس اسم تجاري يطلق على مركبات البوتاسيوم الملحية بصورة عامة (علميا البوتاس هو اوكسيد البوتاسيوم K_2O وهو ليس معدنا طبيعيا ولا مركبا صناعيا) . كان البوتاس وحتى عام ١٨٩٠ يستعمل في العديد من الصناعات اهمها صناعة الصابون، الزجاج، الكبريت، والمتفجرات

وبعد تطور صناعة الاسمدة الكيمياوية ازداد انتاج العالم واستهلاكه للبوتاس بصورة كبيرة. وللاسمدة البوتاسية سوق دولية رائجة اليوم ومن المتوقع ان تزداد الحاجة الى البوتاس خلال السنوات القادمة نتيجة التضخم السكاني الذي من المتوقع حدوثه في نهاية هذا القرن . ولذلك تولي العديد من الدول عناية خاصة للدراسات المتعلقة بكيفية تطوير وزيادة الاستفادة من مركبات البوتاس . الاحتياطي العالمي للبوتاس كبير ولكن توزعه الجغرافي يجعل من دول محددة فقط مصدرا لهذه المادة مع أن استهلاك الاسمدة البوتاسية يعم ارجاء العالم ولهذا فان الموقع الجغرافي لفلسطين يجعلها تحتل في القريب العاجل اول القائمة الدولية لمصدري البوتاس والاسمدة البوتاسية . ويبلغ الاحتياطي العالمي للبوتاس (ملايين الاطنان من اوكسيد البوتاسيوم) في روسيا ١٧٦٠٠ — ٣٠٣٠٠ ، المانيا الغربية ٢٠٠٠ — ٢٠٠٠٠ ، كندا ١٧٥٠٠ ، المانيا الشرقية ١٤٠٠٠ ، البحر الميت ٢٠٠٠ . اضافة الى وجود كميات من الاحتياطي البوتاسي في كل من فرنسا — الولايات المتحدة الامريكية — واسبانيا ولكن بكميات قليلة نسبيا .

البحر الميت : البحر الميت هو اوطأ بقعة في العالم انخفاضا تحت سطح البحر حيث تتجمع فيه مياه نهر الاردن ويمتاز عن غيره من بحار العالم في ان نسبة الاملاح في مياهه تصل الى ٣٠ ٪ في حين ان معدل احتواء مياه البحار والمحيطات في العالم لا تتعدى الـ ٤ ٪ من الاملاح . وما يحويه البحر الميت من املاح لا تقتصر فقط على الاملاح البوتاسية بل هنالك املاح اخرى عديدة وهي حسب كمياتها في مياه البحر الميت كما يلي :

كلوريد المغنسيوم ٢٤٠٠ مليون طن ، كلوريد البوتاسيوم ٢٠٠٠ مليون طن ، كلوريد الصوديوم ١١٠٠ مليون طن .. اضافة لاحتوائه على كميات كبيرة من املاح بروميدات المغنسيوم .

ولمنطقة البحر الميت مناخ مميز عن غيره فدرجات الحرارة هناك مرتفعة طوال ايام السنة والضغط الجوي عال ، وهناك شحة في الامطار وقلة في رطوبة الجو مما يسمح باستغلال الطاقة الشمسية وبأسلوب علمي لاستخلاص الاملاح من مياه البحر بسهولة وبتكاليف اقتصادية .

شركة البوتاس الفلسطينية (١٩٢٩ — ١٩٤٨) : منذ مطلع هذا القرن وعندما ركزت الصهيونية العالمية على انشاء وطن قومي لها في فلسطين بدأ العديد من الخبراء الصهاينة يتوافدون على فلسطين لتحري مكنونات التراب الفلسطيني من الثروات المعدنية — وكان من اهم هذه الثروات الاملاح البوتاسية في البحر الميت . ومن اجل استغلال هذه الثروات التي تزخر بها مياه البحر تكونت شركة البوتاس الفلسطينية وسجلت في لندن واستحصلت موافقة السلطات البريطانية المنتدبة على فلسطين ذلك الوقت على حق الاستغلال هذا . تشكلت هذه الشركة عام ١٩٢٨ وبدأت انتاجها من البوتاس مع مطلع عام ١٩٣٠ . بدأت شركة البوتاس الفلسطينية عملها بانشاء مركزين رئيسيين لاحواض التبخير ومعمل للتنقية في كل من المركزين . المركز الاول كان جنوب غرب البحر الميت بالقرب من بلدة سدوم والثاني شمال غرب البحر الميت.كانت طريقةالانتاج المتبعة بسيطة للغاية وتتلخص بأن تسحب مياه البحر الميت الى احواض خاصة حيث تتعرض لاشعة الشمس وبعد عملية التبخر هذه ترسل الاملاح البوتاسية مع ما تحويه من شوائب الى مراكز التعويم وسنأتي على ذكر الطريقة تفصيلا في مكان آخر من بحثنا هذا .

كان معدل الانتاج السنوي من البوتاس من قبل الشركة يتعدى (١٢٣) الف طن وكان هذا الانتاج يصدر بكامله الى العديد من الاسواق في العالم واستمرت هذه الشركة باستغلال ثروات البحر الميت حتى عام ١٩٤٨ عندما أقام الاستعمار ركيزته اسرائيل في المنطقة .

الاستغلال الاسرائيلي لاملاح البحر الميت : مع بداية عام ١٩٥٢ واستمرارا لمخططات اسرائيل والاستعمار في استثمار ثروات البحر الميت انشئت شركة اعمال البحر الميت لتقوم بهذه المهمة ، ساهمت فيها الحكومة الاسرائيلية بمقدار ٥١ ٪ من رأس المال واعطيت لشركة البوتاس الفلسطينية المسجلة في لندن لقاء ما تملكه من منشآت ومعدات في منطقة عملها جنوب غرب البحر الميت ولقاء حقها في استثمار املاح البحر الميت ١٦ ٪ من أسهم الشركة أما بقية الاسهم والبالغة ٣٣ ٪ فلقد اعطيت للبنوك الاسرائيلية وللقطاع الخاص الاسرائيلي .

بدأت الشركة اعمالها في المنطقة الجنوبية من البحر موقع شركة البوتاس الفلسطينية السابق نفسه

حيث اجرت اولا توسيعا جزئيا لاحواض التبخير وجلبت مضخات كبيرة لضخ مياه البحر الى أحواض التبخير واتبعت الاسس التكنية السابقة نفسها في عمليات استخلاص البوتاس من بقية الاملاح التي تحويها مياه البحر وتتلخص عمليات الاستخلاص بما يلي : تسحب مياه البحر وتضخ في أحواض مصممة خصيصا لهذه الغاية وهي أحواض قليلة العمق تقع الواحدة منها بجانب الاخرى بحيث تلعب خاصية الجذب القوة الدافعة لانتقال المياه من حوض لاخر ومن ثم الى البحر ثانية — واعتمادا على خاصية الفرق في درجة ذوبان أنواع الاملاح في المياه يتم فرز الواحد منها عن الاخرى ففي احواض التبخير الاولى وكنتيجة لفعل اشعة الشمس وتبخر جزء من المياه تترسب أملاح كلوريد الصوديوم على شكل بلورات بعد ذلك تسحب المياه وما تحويه من املاح اخرى الى احواض خاصة حيث يتخلص من الشوائب غير الملحية ومن ثم تضاف كميات من المياه الحلوة وبمقادير معينة لتذيب املاح المغنسيوم ويبقى بعد ذلك فقط املاح البوتاس وقليل من أملاح الصوديوم وهذه ترسل الى مراكز التعويم لفصلها الواحدة عن الاخرى .

ومع بداية الستينات وزيادة الطلب العالمي على الاسمدة البوتاسية خططت اسرائيل لزيادة انتاجها وتطويره فاقترح بادىء الامر زيادة مساحات أحواض التبخير وذلك بانشاء أحواض جديدة واقامة معامل حديثة بطاقة انتاجية كبيرة وبعد مداولات ودراسات أجرتها شركة اعمال البحر الميت مع المسؤولين اعتمدت خطة اخرى لزيادة الانتاج وتطويره تنفذ على مرحلتين تبدأ الاولى عام ١٩٦٢ وتنتهي عام ١٩٦٦ حيث تبدأ المرحلة الثانية وتنتهي هذه في مطلع عام ١٩٧٠ . وتقضي الخطة انشاء سدود وحواجز ضخمة بين البحر والمساحات التي اعتزم تجفيفها واعدادها لتكون احواض تبخير تبلغ مجمل مساحة هذه الاحواض (١٠٠) كيلو متر مربع اضافة الى الـ ٣٠ كيلومترا مربعا المستعملة سابقا ؛ وحيث تملك اسرائيل عندها ما مساحته (١٣٠) كيلومترا مربعا من احواض التبخير . اضافة الى اقامة هذه السدود والحواجز كانت الخطة تشمل ايضا اقامة معملين حديثين للتنقية واستخلاص الاملاح البوتاسية وكلا المعملين سيقامان في مدينة سدوم ، والطاقة الانتاجية لكل منهما — السنوية — تبلغ(٢٤٠)الف طن من اوكسيد البوتاسيوم ويكلف المعمل الواحد من هذه المعامل نحو (١٥) مليون دولار ... والغاية المرجوة من هذه الخطة هي أن تمتلك اسرائيل مقدرة انتاجية تبلغ مليون طن سنويا من كلوريد البوتاسيوم .

خططت لهذا المشروع ووضعت التصاميم اللازمة له شركة المانية تدعى شركة Voorhern J Hosset en de Koning ولقد قدرت هذه الشركة مبلغا مقداره (٧٥) مليون دولار كلفة اجمالية له جمع هذا المبلغ من البنك الدولي (٢٥ مليون)، ومن مجموعة من البنوك الامريكية (١٠ ملايين) اضافة لمبلغ ٢٧ مليون دولار جمعت من الاثرياء الصهاينة والامريكان داخل اسرائيل وخارجها.وبعد ان طرحت اسرائيل تنفيذ المشروع بمناقصة عالمية فازت بالعطاء مجموعة من الشركات الامريكية هي:

— Construction Aggregates Corporations of Chicago.
— Kaiser Engineering & Contractors Inc. of Oakland - California.
— Macco Corporation of California.

وحسب التصاميم المقدمة من الشركة الالمانية المصممة للمشروع كان لا بد من انشاء ما طوله (٤٧) كيلومترا من السدود الحاجبة منها سد كبير يبلغ طوله (٣٨) كيلو مترا ، تقام هذه السدود حسب المواصفات الموضوعة باستعمال الحصى والرمل وتحمى من تأثير موجات البحر بواسطة غطاء حجري طيني . يبلغ ارتفاع هذه السدود (٨) امتار وعرض قاعدة السد تبلغ (٧٢) مترا. وفي بداية عام ١٩٦٢ وتنفيذا للمشروع اجريت أبحاث طبوغرافية وهيدرولوجية وجيولوجية لمنطقة العمل ولمواقع السدود لتحديد مدى تأثير فعل الامواج والرياح والعوامل الفاعلة الاخرى المؤثرة في انشاء السدود كما اخليت منطقة كبيرة جنوب غرب البحر الميت تمهيدا لاقامة المشروع ولقد تكلف بناء الحاجز المؤقت في منطقة العمل (١٣) مليون دولار . خلال اقامة السد حدث العديد من المشاكل فلقد عدلت الخطة جزئيا من قبل الشركات المنفذة للمشروع وبعد ان باشرت وانهت ما طوله (٢٠) كيلومترا من جسم السد تعذر على الشركات الامريكية المنفذة تكملة الحواجز والسدود اذ ادعت هذه الشركات ان اقامة السدود حسب مواصفات الشركة الالمانية واضعة التصاميم غير ممكنة وهذه السدود غير قادرة على منع تسرب المياه من البحر الى احواض التبخير ولذلك

اقترحت تعديل الخطة بكاملها وارجاء تحويرات عليها ، كلفة التحويرات هذه تقدر بـ (٢٥) مليون دولار . ولقد رفضت اسرائيل ذلك واصرت على اقامة السدود حسب المواصفات الالمانية وشكلت لبحث هذا الموضوع لجنة تضم ممثلا عن الشركات الاميركية والتي كانت ترئسها شركة كايسر للهندسة هوالادميرال بن موريل الخبير السابق في البحرية الامريكية لاعمال الحديد ممثلا عن شركة اعمال البحر الميت صاحبة المشروع وممثلا عن القضاء الاسرائيلي ولم تسفر اعمال هذه اللجنة عن أية امور ايجابية . عندها تقدمت ثلاث شركات (فرنسية ، امريكية ، وبريطانية) لاتمام المشروع وحسب المواصفات الالمانية بكلفة (٧) ملايين دولار اضافة لاستعمالها كافة معدات الشركات الامريكية السابقة ولكن عطاء هذه الشركات لم يلق تجاوبا من الحكومة الاسرائيلية . ونتيجة لما قام به الجانب الاسرائيلي من أبحاث اسفرت هذه عن انشاء شركة اسرائيلية خاصة لاتمام المشروع حسب المواصفات الاصلية وفي الفترة الزمنية نفسها المحددة لاتمام المشروع وسميت هذه الشركة باسم « تاماسيت » . وخلال اقامة السدود كسبت الاراضي المحجوزة المجففة من المياه تستعمل مباشرة وتحول الى احواض تبخير وتجفيف ومساحة ما حصلت عليه اسرائيل من جراء اتمام المشروع برمته يعادل ٤٠ ٪ من مياهها الاقليمية قبل العدوان الحزيراني . فعند اتمام الجزء الاول من السد حصلت اسرائيل على مساحة ٦ كيلومترات مربعة وفي المرحلة الثانية على ١٢ كيلومترا مربعا وفي المرحلة الثالثة كان مجموع ما تملكه اسرائيل من أحواض التبخير يعادل ما مساحته (١٣٠) كيلو مترا مربعا .

وطريقة استخلاص البوتاس وتنقيته في المعامل الجديدة تختلف تكنيا عن الطريقة المتبعة في المعامل القديمة وتتلخص بما يلي : تسحب مياه البحر الميت (وزنها النوعي ١،٢٠) الى احواض التبخير ونتيجة لفعل حرارة الشمس والتبخر الحادث تترسب بلورات ملح كلوريد الصوديوم ولقد وجد ان احتواء المياه في أحواض التبخير على اصباغ خضراء يزيد من سرعة التبخر بمعدل ١٥ ٪ . وعندما يصل الوزن النوعي للمياه في الاحواض الى ١،٣٠ تسحب الى احواض تختلف حجما وشكلا عن الاولى وذلك للحصول على الكارناليت الحاوي عادة ($KCe, Mg Cl_2 6H_2O$) على كميات من املاح الصوديوم ومن ثم يرسل الكارناليت الى معامل التنقية والتكرير التي صممتها شركة Steerns-Rogerss Corp. of Denver. وكلف الواحد منها (١٥) مليون دولار . يحوي كل معمل من معامل البوتاس الجديدة على مولدات كهربائية تستعمل الغاز السائل المستخرج من حقل روش زوهار الذي يبعد (٢٧) كيلومترا عن موقع المعامل في مدينة سدوم ، وحتى شهر آب من عام ١٩٦٥ كان حقل زوهار لا يجهز المعامل البوتاسية الا بجزء من احتياجاتها من الغاز وبعد ذلك التاريخ وتطوير الحقل اصبح المجهز الوحيد لكل احتياجات المعامل من الغاز السائل . طريقة التنقية والتكرير المتبعة في المعامل الجديدة تختلف عن طريقة التعويم السابقة وتعتمد خاصية التبلور للحصول على البوتاس — وتتم هذه العملية بأن يغسل الكارناليت المتجمع نتيجة عملية التبخير حيث يتم فصل السيلفانيت ($KCl+Na Ce$) عن كلوريد المغنسيوم والاول يكون على شكل غروي اما الثاني فيبقى ذائبا في المياه التي تعاد ثانية الى أحواض التبخير . تغسل بعد ذلك السيلفانيت بمياه حارة للتخلص من كلوريد الصوديوم ليبقى بعد ذلك فقط كلوريد البوتاسيوم الذي يتم ادخاله الى معامل التبلور (Vacum Crystallizers) حيث يتعرض الى تبريد شديد يتغاير تبعا لاحجام البلورات البوتاسية المراد انتاجها . ترسل البلورات هذه بعد ذلك للتجفيف ومن ثم الى مجمعات الغربلة ليتم فصل الاحجام المختلفة للبلورات .

كما أسلفنا فان عملية زيادة الانتاج البوتاسي وتطويره في اسرائيل تمت على مرحلتين انتهت المرحلة الاولى باقامة السدود تقريبا ومعمل واحد من المعامل الجديدة مع نهاية عام ١٩٦٦ . ومنذ عام ١٩٦٧ ورغبة من اسرائيل في الاسراع في بلوغ غايتها من انتاج مليون طن من البوتاس سنويا وبعد مداولات بين شركة اعمال البحر الميت ووزارة الاقتصاد الاسرائيلية والقرارات المتخذة من قبلهم وافقت الحكومة على تقديم عون للاسراع في انجاز المشروع وكان مقدار المعونة يزيدعلى (٨،٣) مليون دولار وذلك لاقامة مصنع جديد ينتهي العمل فيه قبل نهاية عام ١٩٧٠ . واضافة الى ما قامت به اسرائيل من مشاريع في الفترة ما بين ١٩٦٢

ـ ١٩٦٤ في مجالات الصناعة البوتاسية نفذت العديد من المشاريع الصناعية الاخرى اعتمادا على النواتج العرضية من عمليات استخلاص البوتاس وانتاجه فانشأت معملا لاستخلاص البرومين في نهاية ١٩٦٢ طاقته الانتاجية السنوية تربو على العشرة الاف طن ، وانشأت كذلك في مدينة بئر السبع مصنعا كيمياويا لانتاج مركبات البرومين بطاقة انتاجية سنوية تقدر بالفي طن . أما فيما يتعلق باملاح كلوريد الصوديوم والناتج العرضي المهم الاخر فلقد اقامت اسرائيل مصنعا اوليا لانتاج ملح الطعام النقي (٩٩ ٪ كلوريد الصوديوم) وبدأ هذا المصنع انتاجه عام ١٩٦٣ بطاقة انتاجية سنوية مقدارها (٢٠) الف طن وهذا سيسد حاجة اسرائيل من هذه المادة مع امكانية تصدير الفائض . ولقد طور هذا المعمل فيما بعد بحيث زادت طاقته الانتاجية وحسن انتاجه .

كذلك اقامت اسرائيل معملا لانتاج المغنزايت حيث تستعمل في صناعة املاح كلوريد المغنسيوم المستخرجة من البحر الميت اضافة للصخور الدولوماتية المستخرجة من المقالع القريبة من سدوم والمنتشرة في المنطقة ومن هذه المواد تصنع اسرائيل حاليا الطابوق الحراري المستعمل في أفران الحديد والصلب .

وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٦ انشأت اسرائيل في مدينة سدوم مصنعا لانتاج حامض الهيدروكلوريك من باقي املاح كلوريد الصوديوم المستعملة في انتاج ملح الطعام ، طاقة هذا المصنع الانتاجية السنوية تقدر بـ (٥٠) الف طن وكانت التقارير قد اشارت الى ان المصنع كلف (١٤٢) مليون دولار هذا اضافة الى ان المصنع نفسه ومن خلال عمليات انتاج الحامض سينتج عرضيا (٨) الاف طن من المنغنيز . ويستعمل حامض الهيدروكلوريك حاليا لاستخلاص البرومين وبذلك حل محل غاز الكلورين الذي كان ينقل الى منطقة العمل من مدينة حيفا . وفي مدينة حيفا انشأت اسرائيل مشروع الكرمل الكيماوي لانتاج مئة الف طن في السنة من نترات البوتاسيوم (١٣ ٪ N + ٤٤ ٪ K_2O) و (٢٣) الف طن من حامض الفوسفوريك العالي التركيز . ولقد ساهم بعض المؤسسات الفرنسية في اقامة هذا المشروع الذي اعدت المخططات له واجرت الدراسات اللازمة لانشائه Kreles and Cie. وتملك مصفاة النفط في حيفا ٧٥ ٪ من رأس مال هذا المشروع اما الـ ٢٥ ٪ الباقية من رأس المال فتملكها مؤسسة الصناعات التعدينية .

وأود الاشارة هنا الى ان انتاج نترات البوتاسيوم بهذه الطاقة الكبيرة سيجعل من اسرائيل اكبر الدول في العالم انتاجا وتصديرا لهذه المادة التي تجد لها اسواقا متزايدة في العديد من الدول وخاصة التي تهتم بزراعة التبوغ . والجدول ادناه يبين الطاقة الانتاجية لاكبر الدول في العالم انتاجا لمادة نترات البوتاسيوم والمواد الاولية المعتمدة في انتاجها وطريقة استحصالها تكنولوجيا والنواتج العرضية لكل منها .

مصدر البوتاس + K	مصدر النترات NO_3	الناتج العرضي	الطريقة التكنولوجية	الطاقة الانتاجية الاف الاطنان
KCl	NH_4NO_8	NH_4Cl	Auby (فرنسا)	١٠
K_2SO_4	$Ca\ (NO_3)_2$	$Ca\ SO_4$	Victor (المانيا الغربية)	٢٠
KCl	HNO_8	Cl_2	Amax (الولايات المتحدة)	٧٠
KCl	HNO_3	HCl	Haifa Che. (اسرائيل)	١٠٠

ومن الجدول اعلاه نرى ان الطاقة الانتاجية الاسرائيلية تعتبر اكبر طاقة انتاجية عالمية لنترات البوتاسيوم وتعادل وحدها (٥٠ ٪) من انتاج الدول المذكورة اعلاه . يستهلك مصنع الكرمل الكيماوي سنويا (٧٥) الف طن من البوتاس و(٦٠) الف طن من الفوسفات وما بين (١٢) الى (٢٠) الف طن سنويا من الامونيا والطريقة التكنولوجية الاسرائيلية لانتاج نترات البوتاسيوم

تتلخص بالتالي: تحول املاح كلوريدات البوتاسيوم الصلبة الى نترات البوتاسيوم الصلبة بخطوة واحدة ضمن درجات حرارة وظروف محددة وبموجب المعادلة الكيمياوية التالية

$$KCl + HNO_3 = KNO_3 + HCl.$$

ثم يفصل السائل المتكون وهو هنا حامض الهيدروكلوريك بدرجة حرارة الجو العادية .واهم ميزة لهذه الطريقة التكنولوجية الاسرائيلية هي ان نترات البوتاسيوم الناتجة تكون خالية من الكلوريدات وهذا يعني انتاج اسمدة كيمياوية بوتاسية محسنة . والمواد التي تحتاجها معامل الكرمل وبموجب الطريقة سالفة الذكر لانتاج طن واحد من نترات البوتاسيوم هي كالتالي :

حامض النتريك (١٠٠ ٪) ٠،٧٤ طن ، امونيا ٠،٦٢ طن ، مواد مذيبة ٥ كيلوغرام ، بخار ٣ كيلوغرام ، طاقة ٧٠ كيلو واط ، ماء للعملية ١ متر مكعب ، ماء للتبريد ٤٠ مترا مكعبا .

أما فيما يتعلق بالامور التسويقية والاقتصادية لمشاريع استخراج وتصنيع البوتاس والثروات الاخرى التي يزخر بها البحر الميت فيمكننا ان نحدد هذه السياسة التسويقية بمرحلتين الاولى كانت تعتمد انتاج البوتاس ثم تصديره كمواد اولية للعديد من الاقطار وعدم التركيز على الاستفادة من النواتج العرضية او باقي المعادن من مياه البحر الميت باستثناء البوتاس . والمرحلة الثانية للسياسة التسويقية الاسرائيلية في هذا المضمار هي المرحلة التي بدأت فيها اسرائيل انتهاج سياسة تصنيع ما يمكن تصنيعه من البوتاس المستخرج وتصدير الباقي واقامة مصانع ومشاريع للاستفادة من كل النواتج العرضية الناتجة عن عملية استخلاص البوتاس من مياه البحر الميت ، وايجاد مراكز تسويقية جديدة واقامة الطرق الحديثة وامتلاك وسائل نقل جيدة وغاية كل هذه التسهيلات تقليل كلفة النقل التي تشكل نسبة كبيرة من مجمل تكاليف الانتاج .

في مطلع الستينات عام ١٩٦١ — ١٩٦٢ انتجت اسرائيل (١٩٢) الف طن من البوتاس صدر منها (١٩٠) الف طن ، منها (١٥٠) الف طن عن طريق ميناء حيفا و(٤٠) الف طن عن طريق ميناء ايلات التي تبعد بمسافة (١٢٠) ميلا عن مدينة سدوم حيث مواقع المعامل البوتاسية ، وانتاجها هذا كان يمثل زيادة مقدارها ٥،٤ ٪ عن انتاجها عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ . ولكن انتاج اسرائيل في العام التالي اي ٦٢ — ١٩٦٣ تناقص الى (١١٥) الف طن صدر منها عن طريق ميناء ايلات (٥٠) الف طن ، عاد انتاج اسرائيل بعد ذلك للارتفاع اذ سجل زيادة في عام ٦٣ — ١٩٦٤ تقدر بـ٢٥ ٪ عن العام الذي سبقه وبلغ انتاجها في حينه (١٨٨) الف طن وكان ذلك العام يمثل نهاية المرحلة الانتاجية التسويقية الاسرائيلية الاولى. بعدها ومع بداية عام ١٩٦٤ دخلت اسرائيل المرحلة الانتاجية الثانية اذ استطاعت في آب من العام نفسه تسويق اول انتاج لها من البوتاس من انتاج معاملها الجديدة . وللمساعدة وبدون طلب من اسرائيل ارسل البنك الدولي خبيرين الى اسرائيل الاول اقتصادي والاخر كيمياوي في منتصف الستينات لدراسة المشاريع الاسرائيلية المتعلقة بتطوير انتاج البوتاس وتحسينه تمهيدا لمساهمة البنك في استثمارات مشاريع التطوير الاسرائيلية . وطورت اسرائيل خلال الفترة نفسها آلات تحميل السفن في ايلات حيث ابتاعت آلات بامكانها تحميل الف طن في الساعة وانشأت مخازن سعتها (٤٥) ألف طن لخزن البوتاس اضافة لمخازن اخرى سعتها (٣٠) الف طن لخزن الفوسفات . وفي ميناء اسدود الذي اقامته اسرائيل من اجل سهولة تسويق البوتاس والفوسفات ولاغراض تسويقية اخرى بدلا من ميناء حيفا البعيد نسبيا عن مراكز انتاج هذه المعادن ، في ميناء اسدود هذا اقامت اسرائيل ايضا مخازن مشابهة لتلك التي أقامتها في ايلات . وتجدر الاشارة الى ان قيمة ما صدرته اسرائيل عام ١٩٦٤ من البوتاس بلغ (١١) مليون دولار . عام ١٩٦٥ وبعد ان باشرت المعامل الجديدة انتاجها وصل انتاج اسرائيل من البوتاس (٣١٩٧٩٦) طن وكان هذا يمثل طفرة في انتاج اسرائيل من البوتاس . عام ١٩٦٦ أفادت تقارير شركة اعمال البحر الميت بخصوص انتاجها من البوتاس ان الطاقة الانتاجية والمبيعات قد ازدادت خلال ذلك العام الا ان الارباح ونتيجة لزيادة الاجور وارتفاع تكاليف الانتاج والتي عانت وتعاني منها اسرائيل ادت هذه الاسباب الى نقص معدل ارباح الشركة اذ بلغ مجمل ارباحها ذلك العام (٣٧٨) الف دولار فقط وهذا الرقم يمثل ثلث ارباحها عن عام ١٩٦٥ . ولايجاد حل لتناقص الارباح وبناء على طلب الشركة شكلت الحكومة الاسرائيلية لجنة حكومية لايجاد الحلول الاقتصادية المناسبة وسبل تعاون

الحكومة في تحمل بعض النفقات العامة التي كانت تتحملها الشركة .

ووصلت الطاقة الانتاجية لمعمل سدوم الاول الجديد في الربع الاول من عام ١٩٦٦ أعلى حد لها اذ انتجت (٣٣٧١٩٤) طن اي ما يعادل (٦٨ ٪) من انتاج اسرائيل ذلك العام اما المعامل القديمة فكان مجمل انتاجها في العام نفسه فقط (١٦١١١٤) طن وبهذا كان مجموع الانتاج من البوتاس عام١٩٦٦ يقارب النصف مليون طن . وكنتيجة حتمية لزيادة الانتاج في تلك المرحلة زادت مبيعات اسرائيل الداخلية والخارجية بمقدار (٣١ ٪) عن عام ١٩٦٥ . (مجموع ما استهلكته اسرائيل ذلك العام كان ٣٥٠٠ طن) ومن جملة ما عانته اسرائيل ذلك العام ايضا من متاعب اقتصادية ان صناعة الاسمدة البوتاسية في اوربا قد تأثرت نتيجة سوء الاحوال الجوية في حينه . ونتيجة لقلة الارباح ايضا والبالغة (١ ٪) فقط دعا ذلك مساهمي شركة البوتاس الفلسطينية والتي تملك اسهما في شركة اعمال البحر الميت تبلغ قيمتها (١٤٠٤١) مليون جنيه استرليني واموالا سائلة بقيمة (٨٩١) الف جنيه استرليني الى التفكير في حل الشركة وبيع حصتهم فيها . ونتيجة لكل ما سبق فكرت اسرائيل في خطة تقضي بانشاء انابيب لنقل البوتاس من سدوم الى اسدود لتقليل كلفة نقل البوتاس الى اوروبا وقدر لهذا المشروع مدة سنة ونصف السنة لانجازه بكلفة تتراوح ما بين (٥٤٦) و(٧) ملايين دولار .

عام ١٩٦٧ زاد الانتاج الاسرائيلي من البوتاس بمقدار (٣٤٢ ٪) عن عام ١٩٦٦ فزاد انتاج اسرائيل ذلك العام على النصف مليون طن ووصل الى (٥١٤٠٤٤) طنا من البوتاس ، اضافة لانتاجها (٦٦٠٧) اطنان من البرومين و (٣٩١٤٢) طنا من املاح الصوديوم اما مبيعات اسرائيل عام ١٩٦٧ من البوتاس فبلغت (٥٠٤٦٩٥) طنا اي بزيادة قدرها (٣٦٤٧ ٪) عن مبيعات عام ١٩٦٦ .

وبوشر في العام نفسه في انشاء المعمل الثالث في منطقة سدوم لاستخلاص البوتاس وانتاجه ، ومن المقدر ان تكون طاقة المعمل الانتاجية السنوية (٤٠٠) الف طن من كلوريد البوتاسيوم لتصل بذلك الطاقة الانتاجية الاجمالية لاسرائيل من البوتاس الى ما يزيد على المليون طن سنويا .
كذلك فكرت الحكومة الاسرائيلية في انشاء خط للسكة الحديد يربط بين سدوم وديمونة واسدود مساهمة في تقليل كلفة نقل البوتاس الى موانىء التصدير. واستمرت عمليات زيادة الانتاج وتحسينه على المنوال نفسه حتى وصل انتاج اسرائيل من البوتاس عام (١٩٧٠) الى (٧٠٧) آلاف طن بلغت قيمتها اضافة لقيمة النواتج العرضية من املاح اخرى مبلغ (٧٧٤٢) مليون دولار .

شركة البوتاس العربية : منذ ان الحقت الضفة الغربية بالمملكة الاردنية الهاشمية وبعد أن دمر كلوب باشا منشآت شركة البوتاس الفلسطينية شمال البحر الميت كانت هناك فكرة لاعادة بناء المنشآت تمهيدا لاستثمار املاح البحر الميت اولا لمحاولة احلال البوتاس العربي محل البوتاس الاسرائيلي في الاسواق العالمية وثانيا لانعاش المنطقة وايجاد صناعات وطنية تعتمد الخامات الوطنية في الاردن بالاضافة للفوسفات المستخرج من الرصيفة والحسا ليصبح الاردن دولة منتجة لانواع الاسمدة الكيمياوية ومصدرة لها لكي تبني اقتصادا وطنيا متينا . عام ١٩٥٨ اقترح اقامة مصنع للبوتاس شمال البحر الميت حيث وجدت مساحة من الارض مناسبة مساحتها تصل الى (١٢) كيلو مترا مربعا لاقامة احواض التبخير للمياه المسحوبة من البحر في الجهة الجنوبية منه ووجد ايضا ان من الممكن تجفيف مساحات اخرى للغاية نفسها مساحتها (٤٠) كيلومترا مربعا وبذلك يمكن للاردن انتاج (٦٠٠) الف طن من البوتاس في السنة . وتداعت الدول العربية لمساعدة الاردن لتنفيذ المشروع وساهمت كل منها بقسط من رأس المال اللازم للبدء بالمشروع الذي انيطت مهمة اخراجه الى حيز الوجود بالاردن . وبعد اجراء مناقصة عالمية اعطى الاردن شركة Western Knapp Engineering Comp. San Francesco. الاميركية عطاء لاعداد الخطط اللازمةلاقامةهذا المشروع وقدرفيحينه أن يبدأ الاردن انتاجه من البوتاس عام ١٩٦٥ ويصل المشروع الى طاقته العظمى مع بداية عام ١٩٧٠ — قدر لهذا المشروع ان يكلف (٢٠) مليون دولار تدفع من الدول العربية اضافة لمبلغ يتراوح ما بين (٥) الى (١٠) ملايين دولار لانشاء طريق يربط ما بين المنطقة وميناء العقبة . وتكنيا فان طريقة استخلاص البوتاس من مياه البحر الميت المقترحة كانت تقضي باستعمال طريقة التبخير والتعويم وذلك بأن تسحب المياه من قاع البحر حيث الوزن

النوعي للمياه اكثر من المياه على سطح البحر وكذلك كمية ما تحويه من املاح — تسحب هذه المياه (وزنها النوعي ١،٢٣٥) الى احواض التبخير حيث ترسب املاح الصوديوم ويصل وزنها النوعي الى (١،٣) تضخ هذه المياه بعد ذلك الى احواض اخرى بما تحويه من املاح بوتاسية وكلوريدات الصوديوم والمغنيزيوم وطريقة التنقية المقترحة كانت كما يلي : ١ — بعد عمليات التبخير وعزل املاح الصوديوم يتم تحليل الاملاح الى كلوريد البوتاسيوم وكلوريد المغنسيوم وذلك باضافة كمية محددة من المياه الحلوة في احواض خاصة . ٢ — يتم فصل الناتج الحاوي على كلوريد البوتاسيوم والذي يحوي عادة كميات من كلوريد الصوديوم . ٣ — ترسل املاح البوتاسيوم بما تحويه من شوائب الى خلايا التعويم للحصول على كلوريد البوتاسيوم نقيا قدر المستطاع . ٤ — ترسل الاملاح البوتاسية بعد التعويم الى مراكز العزل والتجفيف .

والطريقة هذه كانت ستعطي نواتج من الاملاح البوتاسية تحوي ٩٦ ٪ كلوريد البوتاسيوم و٤ ٪ من كلوريد الصوديوم ، اضافة الى ان نسبة استخلاص الاملاح البوتاسية من مياه البحر وبالطريقة المذكورة اعلاه ستكون ٨٥ ٪ وهي نسبة جيدة . وبعد ان اوجدت الشركة والحكومة الاردنية العديد من العقبات امام هذا المشروع وبعد ان تردد في العديد من الاوساط العربية ان الشركة التي اخذت تعهد اعداد الدراسات اللازمة لاقامة المشروع هي شركة صهيونية ولها علاقة مع اسرائيل الغي الاتفاق معها طبعا بعد ان استلمت اجورها .

بعد ذلك اجرى الاردن مفاوضات مع وكالة التطوير الدولية التابعة للولايات المتحدة الامريكية أسفرت هذه المفاوضات عن تكليف شركة امريكية اخرى لاعداد الدراسات اللازمة والشركة هذه هي
Jacoles Engineering Co. Pasdena. Calif. U. S. A.
مع العلم انه تقدمت في الوقت نفسه للحكومة الاردنية مجموعة من الشركات اليابانية هي
Ebara Mfg. Co.
Mitsui Co.
Taisei Construction Co.
بعرض لاقامة مشروع البوتاس واخراجه الى حيز الوجود بطاقة انتاجية مقدارها نصف مليون طن سنويا وقدرت مجموعة الشركات اليابانية هذه ان كلفة المشروع ستكون في حدود (٢٢،٦) مليون دولار .

بعد ذلك وعلى المخطط نفسه دخلت الحكومة الاردنية بمفاوضات مع البنك الدولي لاخذ قرض لتنفيذ المشروع بعد ان تبين ان الشركة الامريكية الثانية المكلفة باعداد الدراسات صهيونية الميول ايضا . وبقي مشروع شركة البوتاس العربية يسير من سيء الى اسوا حتى كان حزيران وكان الاجتياح الصهيوني الجديد . والاردن لا يزال ومنذ عشرة اعوام قبل العدوان يخطط لاقامة المشروع .

وحديثا وجدت الفرق الجيولوجية في الاردن ترسبات للبوتاس في وادي اللسان جنوب غربي الاردن وأيضا كلفت الحكومة الاردنية في هذه المرة شركة المانية غربية لاعداد الدراسات اللازمة لاستثمار هذه الثروة . اخيرا بقيت اسرائيل وحدها المنتج والمصدر الرئيسي للبوتاس ومشتقاته في الشرق الاوسط وبقينا نخطط وننتظر معجزة النظام الاردني لوضع هذه الثروة في خدمة الانسان العربي في الاردن من أجل تقدمه ومن اجل الدفاع عن قضية الحق العربي في فلسطين .

الدكتور فلاح سعيد جبر

الصناعات الالكترونية في اسرائيل

نقدم فيما يلي ترجمة لتقرير عن الصناعات الالكترونية في اسرائيل يعطي صورة مفصلة عن الشركات التي تقوم بهذه الصناعات . ويتضح من التقرير امران هامان جدا : الاول ، ان الصناعات الالكترونية في اسرائيل مسخرة في الاساس للاغراض العسكرية، والثاني ، ان هذه الصناعات تعتمد اعتمادا كبيرا على الشركات الاميركية فهي اما ان تكون فروعا لهذه الشركات او انها تعتمد على المساعدات التي تتلقاها منها ، بالاضافة الى التسهيلات التي تقدمها الولايات المتحدة لتسويق المنتجات الالكترونية الاسرائيلية في السوق الاميركية . هذا وقد كتب التقرير رالف دوبراينر ونشر في مجلة « التصميم الالكتروني » الاميركية في العدد الرابع ، ١٧ شباط ١٩٧٢ وترجم في مركز التخطيط .

« في خلال السنتين او الثلاث سنوات القادمة ، سنصبح تايوان المعدات الالكترونية المعقدة » . صاحب هذه النبوءة « اوديد غريد » ، مدير دائرة المنتجات التقنية التابعة للمعهد الاسرائيلي للتصدير / تل ابيب . وليس لهذه النبوءة علاقة بكون الوكالة الحكومية المذكورة تقف جهودها لتشجيع الصادرات الاسرائيلية الى البلدان الاخرى ، ذلك ان المهندسين ومدراء شركات الهندسة في كافة انحاء اسرائيل تقريبا يرددونها . ان التقدم في معظم قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي في السنوات الاخيرة لا يمكنه منافسة معدل النمو في قطاع صناعة الالكترونيات الذي يتراوح ما بين ٢٠٪ — ٣٠٪ سنويا : ففي سنة ١٩٦١ انتجت شركات الالكترونيات ما تقارب قيمته ٣ ملايين دولار من المعدات . وفي سنة ١٩٧١ اشرف الرقم على ١٣٠ مليون دولار . اما في سنة ١٩٧٥ فان انتاج هذه الصناعة سوف يتراوح بين ٣٠٠ — ٥٠٠ مليون دولار بحسب تقديرات وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي . هذا التعاظم المفاجيء تحقق في غالبيته بعد حظر شحنات السلاح الفرنسي . فقد اظهر قرار ديغول لاسرائيل المخاطر التي يمكن ان تنجم في حال اعتمادها على مصادر اجنبية لتزويدها بالسلاح . ونتيجة لذلك اتخذ صانعو السياسة الاسرائيلية ، في حزيران ١٩٦٧ ، قرارا يقضي بتعزيز الاكتفاء الذاتي مهما كلف من تضحيات فبدأت ملايين الدولارات تنهال على مراكز البحث والتطوير ، كما بدأت المؤسسات الصناعية المحلية تتلقى عروضا كانت في السابق توجه الى الخارج. ان صناعة الالكترونيات في اسرائيل ما زالت صغيرة الحجم وفقا للمعايير العالمية ، الا ان عناصر نجاحها مكفولة وهي : رخص التكلفة النسبي ، وعنصر العمل الذي يمكن الاعتماد عليه ، ومعين وافر من المقدرة الهندسية يندر وجوده لدى اي من دول العالم الصغيرة . وبتوافق هذه العناصر ستتمكن اسرائيل من تطوير احتياجاتها من المعدات الالكترونية عاجلا او آجلا ، هذا مع العلم ان بعضا منها قيد الانجاز بالفعل . ولكي تلائم بين حاجتها لزيادة صادراتها بالسرعة الممكنة وتلبية احتياجاتها العسكرية في آن واحد ، أخذت تعتمد بشكل كبير على عقد الاتفاقيات — التي تمنحها حقوق الصنع والحصول على المعرفة والامكانات التقنية — مع شركات اجنبية وبخاصة الاميركية منها . ومما يسهل الامر ان الشركات الاجنبية التي تنشيء مشاريع لصناعة الالكترونيات في اسرائيل تجد ان تكاليف انتاجها قد انخفضت ، لان المهندس الاسرائيلي يتقاضى ما يعادل (٤٥٠) دولارا في الشهر تقريبا بينما يتقاضى الفني الماهر حوالي (٣٠٠) دولار والفتاة العاملة في خط الانتاج تتقاضى حوالي (١٥٠) دولارا في الشهر .

ويلخص اليزر جرونوالد (مساعد مدير سلطة الاستثمار التابعة لوزارة المالية) ذلك بقوله : « بامكان المصنع الاميركي ان ينتج جهازا الكترونيا في اسرائيل بنفس المواصفات والجودة التي يمكن تحقيقها في الولايات المتحدة ولكن بتكلفة اقل . انني لا ادعي ان بامكاننا منافسة شركات جنرال الكتريك او جنرال موتورز في نطاق الانتاج الواسع، ولكن الانتاج المحدود النطاق امر محقق الفائدة بالنسبة لاسرائيل » .

تنتج مصانع الالكترونيات الاسرائيلية حاليا سلسلة واسعة من المعدات ذات الجودة العالية من ضمنها . اجهزة الاتصال العسكرية ، اجهزة رادارية لمكافحة الحرائق ، الدوائر الالكترونية المتقدمة والالكترونيات المصغرة ، وتشكيلة من

المعدات النووية والصناعية والطبية والبصرية والعلمية . وبالاضافة لذلك يجري تصنيع اجهزة مراقبة لشبكات التلفون ومعدات الانتاج بالجملة وما الى ذلك . كما يجري تصنيع عدد من السلع الاستهلاكية للسوق المحلية من ضمنها اجهزة التلفزيون والسيارات . ومن الجدير بالذكر ان هناك في الوقت الحاضر ما يقارب الثمانين صانع للمعدات الالكترونية في اسرائيل يزداد عددهم بمعدل عشر شركات جديدة تنشأ في كل سنة . ان معظم انتاج هذه الصناعة تستوعبه الحاجات المحلية والعسكرية بشكل خاص . ولكن بما ان اسرائيل تقوم بتوظيف امكاناتها لتصعيد حملة هدفها منها تقليل حجم الواردات وزيادة الصادرات ، من اجل ايجاد حل لمشكلة ميزان المدفوعات الحرجة ايضا، فان حجم الصادرات اخذ يزداد بشكل سريع نتيجة لذلك . ويكفي ان نعلم ان صادرات سنة ١٩٧٠ ادخلت الى اسرائيل مبلغ (١٦٥) مليون دولار اي ما يعادل ستة اضعاف دخل الصادرات في سنة ١٩٦٧ .

تقود صناعة الالكترونيات في اسرائيل عشر شركات رئيسية توظف ٩٣٪ من القوة العاملة في هذه الصناعة وتنتج ٩٥٪ من انتاجها . اكبر هذه الشركات على الاطلاق شركة تادیران لصناعة الالكترونيات الاسرائيلية المحدودة ، وهي بمثابة جنرال الكتريك الشرق الاوسط ، واسهمها موزعة على النحو التالي : ٥٠ ٪ تملكها شركة كسور المحدودة للصناعة (وهي اكبر مؤسسة صناعية في اسرائيل) ، ٣٥٪ تملكها شركة جنرال العالمية للتلفون والالكترونيات ، ١٥ ٪ تملكها وزارة الدفاع الاسرائيلي .

ومن الجدير بالذكر ان شركة تادیران كانت في اوائل الستينات شركة تنتج بطاريات المشاعل الكهربائية. اما الان فهي تتوقع ان تنتج ما تقارب قيمته (٦٠) مليون دولار من المعدات الالكترونية من جملتها اجهزة الاتصال العسكرية والمدنية ، وراديو السيارات ، ومسجلات الاشرطة ، واجهزة التلفزيون ومجموعة متنوعة من الدوائر الالكترونية المندمجة (integrated circuits) والمختلطة (hybrids) . ويقدر عدد العاملين في الشركة بحوالي (٣٥٠٠) — اي ما يزيد عن مجموع العاملين في شركات الالكترونيات الاخرى مجتمعة — من هؤلاء حوالي (١٨٠) مهندسا الكترونيا . تعتبر تادیران نفسها اكبر صانع لاجهزة الاتصال العسكرية خارج الولايات المتحدة . ويقول اسحاق توليدانو ، رئيس ادارة الشركة « اما فيما يتعلق باتساع المجال ، اعتقد اننا الشركة الاولى في العالم » . ومعظم المعدات العسكرية التي تصنعها تادیران تتبع من اجازات صنع بالاتفاق مع شركات اميركية من بينها : ماجنا فوكس وسيلفانيا للمنتجات الكهربائية ، ولنكرت للكهرباء. ومن الجدير بالذكر ان عددا لا بأس به من هذه المنتجات معدل ليلائم الاحتياجات الخاصة بالجيش الاسرائيلي . ويقول توليدانو أن ٥٠٪ من انتاج تادیران العسكري يصدر الى دول عديدة في العالم، الا انه من المستحيل عمليا النفاذ الى سوق الولايات المتحدة . وهو يفسر ذلك بقوله « لكي نحقق هذا الهدف لا بد لنا من تخفيض اسعارنا لتصبح اقل ٥٠ ٪ من اكثر الاسعار المنافسة انخفاضا » ويضيف « في احدى المرات نزلنا الى ٤٠٪ ولكننا لم ننجح » .

ان السلسلة التي تنتجها تادیران من اجهزة الاتصال العسكرية ذات الذبذبات العالية (hf) والعالية جدا (vhf) وما فوق العالية (uhf) تتراوح ما بين اجهزة راديو اف. ام ثنائية الاتجاه تحمل باليد واجهزة ارسال واستقبال بعيدة المدى تعمل في نطاق الذبذبات الاحادية الجانب - Single Sideband وتتميز اجهزة الراديو العسكرية هذه سواء اكانت فردية (manpack) ام محمولة على الآليات او الطائرات ، بانها ذات تركيب قياسي كله من الترانزيستور ، والعديد منها يحوي طبقات كثيفة من الدوائر المختلطة والمندمجة (Thick-film hybrids and IC.). كما ان المولفات التي يمكن التحكم في عملها بواسطة اصابع خاصة (digitally controlled synthesizers) في احد اجهزة الراديو العسكرية توفر مجالا للذبذبات العالية وفوق العالية من (٧٠٠٠) قناة للاتصال بينما توفر في جهاز اخر (١٦٤٠٠٠) قناة للاتصال في نطاق الذبذبات العالية الاحادية الجانب . ومعظم هذه الاجهزة تأتي مرفقة بمعدات احتياطية مساعدة مثل معززات المدى (range boosters) او اجهزة لتنظيم الاتصالات الداخلية المتبادلة (intercom control boxes) .

ان جهاز LSA-100 T الذي صنعته تادیران ما هو الا مثال بسيط ولكنه يتضمن تعديلا مبتكرا

لسلسلة من المنتجات العسكرية الاعتيادية . والجهاز عبارة عن صندوق صغير يزن (٢) باوند ويقارب عرضه عرض علبتين من علب السجائر ، ويحوي في داخله سماعة (loudspeaker) ومضخما (amplifier) ويوصل هذا الصندوق باجهزة اللاسلكي المحمولة على الظهر طراز AN/PRC-24 وطراز AN/PRC-77 (اللسذان يمتازان بان القدرة السماعية التي يولدانها لا تكفي لتشغيل مكبر عادي للصوت) يتمكن القائد من الاستماع الى المحادثات اللاسلكية في الوقت الذي يكون فيه عامل الجهاز منهمكا باجرائها .

وقد انتهت الشركة ، في المدة الاخيرة ، من تطوير لوحة مفاتيح عسكرية صغيرة سوف تحل في نهاية الامر محل لوحة مفاتيح الميدان اليدوية الحالية المؤلفة من ١٢ خطا . وهي تعكف حاليا على انجاز سلسلة من لوحات المفاتيح الالكترونية من اجل التصدير ومن اجل ان يتبناها الجيش الاسرائيلي كاجهزة عسكرية معتمدة .

والى جانب كون تاديران صانعا رئيسيا لاجهزة التلفزيون في اسرائيل (بترخيص من شركة فوكسون في روما) ، فانها تعكف في الوقت الحاضر ايضا على تصميم آلة اقتراع الكترونية . ويعزى الى توليدانو قوله في هذا الخصوص ، ان تجربة الآلة في اول الامر ستتم في اسرائيل على الاغلب ومن ثم يجري عرضها للبيع في الولايات المتحدة . ويقول ايضا « من الواضح اننا لا نملك ان نصنع ٢٠٠٠ ــ ٣٠٠٠ آلة اسوة بالولايات المتحدة . ولكن لكي نخفض تكاليفها ، يعكف مصممونا حاليا على وضع كافة المعلومات التي ستلقم بها الالة في خزائن غاية في الدقة تستخدم دوائر الكترونية ذات ذبذبات منخفضة السرعة ». اما في حقل انتاج قطع التركيب فان الشركة تنتج سلسلة من البلورات المصنوعة من الكوارتز ، للذبذبات من ١ ــ ١٥٠ ميجاهرتز . والمرشحات والمميزات البلورية crystal filters and discriminators لاستعمالها في معدات الاتصال العسكرية والمدنية . كما انها تعتزم انتاج اشكال من المرشحات البلورية المتراصة المتناغمة monolithic crystal filters . وتنتج ايضا طبقات كثيفة ، متعددة الاشكال ، من الدوائر المختلطة التي تستخدم بشكل واسع في صناعة معدات الاتصال العسكرية ، وهي بصدد تصميمها لتلائم الاستعمال في اجهزة راديو السيارات وغيرها من السلع المعدة للمستهلك الاسرائيلي . يقول توليدانو ان اسرائيل تستخدم الدوائر المندمجة في منتجاتها بشكل واسع ، كما ان استخدام الدوائر ذات الذبذبات البطيئة السرعة (L S I) والمتوسطة السرعة (MSI) ينمو بسرعة ، وحيث ان امكانيات صناعتها ليست متوفرة في اسرائيل حاليا ، لذلك يتم شراء معظمها من الولايات المتحدة .

ربما كانت شركة التا المحدود للصناعات الالكترونية التابعة لمؤسسة صناعة الطائرات المحدودة ، تأتي في الدرجة الثانية من حيث الحجم بعد تاديران . وتضم حوالي (١٤٥٠) مستخدما من بينهم حوالي (٥٠٠) مهندس منهم (١٤٥) مهندسا الكترونيا. وهي تنتج انواعا متعددة من المعدات لحساب وزارة الدفاع . ان من اكثر المنجزات التي قامت الشركة بتطويرها والتي تبشر بمستقبل مرموق جهاز فاحص ، مرسل ومستقبل ، وسهل الحمل في آن واحد ، يرمز اليه (TSI-ARC-51) . يزن هذا الجهاز (٢٥) باوندا وينتظر ان يحل محل مجموعة كبيرة من اجهزة الفحص التي يصعب نقلها لضخامتها . ويتميز بانه يعمل على تحديد الاعطال بدقة في نفس الوقت الذي يختبر فيه صلاحية عمل اجهزة لاسلكي الطائرات . ويوضح جاكوب باز ، Jacob Paz مدير المبيعات والتسويق في الشركة ، امكانيات تسويق الجهاز بقوله ان جهاز الاتصال اللاسلكي الذي صنعته شركة كولينز راديو وادميرال مركب على متن ما يقارب (٥٠) الفا من الطائرات التي تجوب مختلف انحاء العالم . ومن ناحية اخرى يقوم سلاح الجو الاسرائيلي باختبار وتقييم وحدة الفحص المذكورة في اسطول طائراته طراز سكايهوك ، وبالتالي يأمل « باز » في ان يباع الجهاز الى القوات المسلحة للولايات المتحدة .

ويقول « باز » ان شركة « التا » واتحاد الموجات الصغرى (microwave associates) في ولاية مين الامريكية تجهزان العدة لانشاء شركة مضاربة تستهدف تطوير معدات معقدة اخرى لصيانة وفحص اجهزة الطائرات ، ذلك ان تأمين هذه الخدمات باقصى ما يمكن من سرعة هو امر بالغ الاهمية بالنسبة لسلاح الجو الاسرائيلي اذا اخذنا بعين

الاعتبار المسافات القصيرة كما هو الحال بالنسبة للشرق الاوسط . ويضيف ناز موضحا « لا يجوز ان تستغرق عملية اعداد الطائرة العسكرية للتحليق مرة اخرى اكثر من ٧ دقائق على الارض اثناء العمليات العسكرية » .

بالاضافة الى ما سبق تمت الشركة بتطوير ما اسمته « رادار ذو نطاق ذبذبة احادي S-band radar » لا مثيل له في خدمة المطارات المدنية والعسكرية . ويتميز بأن آلة حاسبة الكترونية صغيرة قد ادمجت فيه لغرض خاص هو تمكين الجهاز من اكتشاف الطائرات التي تطير على علو منخفض مقابل مستويات ارضية مرتفعة موزعة بشكل غير منتظم ، وهو من ناحية اخرى مصمم بطريقة تجعل من صيانته عملا سهلا ، اذ يحوي اجهزة داخلية لاختبار صلاحيته للعمل موصولة بلوحة الجهاز الامامية وقد وضع الى جوارها لوحة معدنية ترينا رسوما لاشكال الامواج التي يجب ان تظهر على شاشة الرادار . ومن الجدير بالذكر ان اول وحدة من هذا الرادار ستركب في مطار اللد ، تل ابيب ، كما ان الشركة تنافس شركات الرادار الكبرى ، في الوقت الحاضر ، في مناقصة لتركيب الجهاز المذكور في مطارين من المطارات الدولية .

ان « شركة البت المحدودة لصناعة العقول الالكترونية » هي عضو آخر مزدهر الاعمال في عداد الشركات العشرة الاولى التي تقود صناعة الالكترونيات في اسرائيل ، ويقع مركز ادارتها في حيفا . تصنع الشركة العقل الالكتروني المصغر (Elbit-100) والاجهزة المصغرة الخاصة به ، كما تصنع بناء على التوصية اجهزة مراقبة سير الانتاج الصناعي ومعدات عسكرية . وتملك شركة ضبط الحسابات (كونترول داتا كوربوريشن) ٥١٪ من اسهم الشركة بينما تملك شركة (الرون المحدودة لصناعة الالكترونيات) ٤٩ ٪ منها ، وهذه تعد من اكبر الشركات المالكة للاسهم الصناعية في اسرائيل. نتيجة لحدس شركة البت وتصورها لما ستكون عليه التطورات في المستقبل فقد صنعت في سنة ١٩٦٧ ما يمكن اعتباره فاتحة العقول الالكترونية المصغرة التي أنزلت الى الاسواق .

ويشير هوزيا جاليل رئيس ادارة شركة البت المحدودة الى خطط الشركة المستقبلية بقوله انها قررت التركيز على انتاج انظمة كاملة تعتمد اما على خط العقل الالكتروني المصغر الذي صنعته واما على السلسلة الاكثر فاعلية من طراز CDC-1700 . وأحد الامثلة على ذلك جهاز مخصص لتنظيم تسجيل الحسابات على اشرطة ويقوم هذا الجهاز باداء مهمته بمجرد تحريك المفاتيح الخاصة به ، وقد زود بهذا الجهاز عدد من البنوك الاسرائيلية . ومثال آخر ايضا جهاز يحوي نظاما الكترونيا خاصا بالحصول على المعلومات ، وقد تم صنعه في وقت سابق بناء على طلب كلية الزراعية في معهد التخنيون . ويقوم هذا الجهاز الذي يتميز بأنه مقطور Trailor-mounted بمسح للارصاد الجوية كالحرارة والرطوبة وسرعة الريح ، واعداد البيانات اللازمة لاجراء التجارب الزراعية.

من العوامل الرئيسية التي ساهمت في تحقيق الزيادة المثيرة في صادرات اسرائيل من الالكترونيات، وجود شركة موتورولا اسرائيل المحدودة وهي تابعة لشركة موتورولا في الولايات المتحدة الاميركية . وموتورولا اسرائيل تأتي في الدرجة الرابعة من حيث الحجم . فقد اشرفت مبيعاتها على (١٥) مليون دولار في ١٩٧١ ثلثها دخل من الصادرات . تستخدم الشركة ما يزيد عن (١٠٠٠) عامل من ضمنهم (٩١) مهندسا ومن بين هؤلاء (٣٤) مهندس تصميم . تقع الشركة في تل ابيب وتقسم الى قسمين رئيسيين عاملين : **اولهما** قسم الاتصالات ويتولى صنع معدات راديو ثنائية الاتجاه (two-way radio) ، ومحطات ثابتة **للقواعد** (base stations)وأجهزة لاسلكي قابلة للنقل ، (mobile radios) ، واجهزة ووكي توكي (walkie-talkies)وأجهزة راديو اف.ام وتشكيلة اخرى من معدات الاتصالات . وتعكف موتورولا حاليا على تطوير جهاز متنقل للارسال والاستقبال بقوة ١٠٠ ــ وات ، يعمل في نطاق الذبذبات الاحادية الجانب mobile 100-w ssb) (transceiver وذلك من اجل طرحه في الاسواق العالمية . ويقول سكيفا ماير ، مساعد المدير العام للشركة ، ان تطوير هذا الجهاز يجري بالتعاون الوثيق مع مجموعة موتورولا في شيكاغو. كما تقوم الشركة بتطوير جهاز لاستقبال نطاقات الترددات والاطوال الموجية المختلفة band receiver لطرحه في الاسواق المحلية لاستعمال المواطنين . **وثانيهما** ، قسم الاشراف والرقابة وبث المعلومات : ويقوم بتصميم وتطوير

وصناعة اجهزة للتحكم في تغيير الذبذبات (frequency-shift keying system) واجهزة بث المعلومات ذات السرعة العالية (high-speed data transmission modems) واجهزة للاشراف والضبط النائي (supervisory and remote control) جميعها معدة للسوق المحلية. وتصدر الشركة جزءا كبيرا من اجهزة الاتصال التي تنتجها للدول النامية وبخاصة الدول الافريقية منها. هناك اسم مألوف آخر هو مونسانتو ، ويتمثل في اسرائيل بشركة مونسيل المحدودة للالات الالكترونية التابعة لها . وتقوم مونسيل حاليا بصناعة سلسلة من الالات كانت تصنع في السابق في كالدويل الغربية بولاية نيو جيرسي . ويشمل انتاج مونسيل عدادات لقياس الذبذبة ، وعدادات للتوقيت ، واجهزة مولتميتر رقمية. تصدر مونسيل حوالي ٨٠٪ من انتاجها الكلي ، ومن هذه النسبة تتوزع ٧٠ ٪ الى الولايات المتحدة ويذهب الباقي الى الاسواق الاوروبية .

يعتبر الجميع شركة الرون المحدودة للصناعات الالكترونية في حيفا ، رائدة هذه الصناعة في اسرائيل . انشئت في سنة ١٩٦٣ برأس مال ابتدائي من بنك الحسومات الاسرائيلي وعدد قليل من الممولين الاميركيين . وكانت اول شركة تقوم بتطوير وصنع معدات متخصصة معقدة على أسس تجارية ، وقد شملت هذه المعدات مجالا محدودا من الاجهزة النووية والطبية ، والالات المخبرية . ولما اخذت الشركة بالنمو شرعت في انشاء فروع عدة تابعة لها من ناحية ، ومن ناحية اخرى الاتفاق مع مؤسسات اميركية على انشاء شركات مضاربة . وبالتدريج تحولت جميع نشاطاتها الصناعية الى الشركات التابعة لها ، وبالتالي أصبحت شركة الرون تعمل بصفتها مالكة لهذه الشركات فقط . للشركة اتفاقات مضاربة مع مونسانتو (شركة مونسيل المحدودة) ، وشركة ضبط الحسابات (البت لصناعة العقول الالكترونية المحدودة) ، وشركة (Scientific Data Systems Israel Ltd.) Xerox Data Systems وهذه تنتج خزائن للذاكرة تمتاز بسهولة الحصول على المعلومات التي تتضمنها (rapid-access disc memories). . ومن الشركات التي تمتلك الرون كامل اسهمها شركة التك المحدودة التي تنتج لوحات مطبوعة للدوائر الالكترونية وشركة السنت المحدودة (للالات العلمية).

هناك عامل رئيسي في سوق أدوات المختبرات المتخصصة ، وهو شركة السنت المحدودة في حيفا. فقد طورت هذه الشركة سلسلة مكونة من (٥٠) أداة للابحاث النووية من ضمنها مضخمات للزيادة الطائرة على الموجات النبضية (high-gain pulse amplifiers) واجهزة لقياس الطيف (spectrometers) ، وعدادات الايماض Scintillation detectors ، وكاشفات لتحديد شكل الموجات النابضة Pulse-shape detectors وأجهزة لاختبار النشاط الاشعاعي (radiation monitors) ، وأجهزة علمية مقترنة بالعقول الالكترونية . تضع شركة السنت آمالها في تصدير جهاز يقوم بالكشف الحسابي والمرئي الملون عن النظائر المشعة (radio isotope digital video scanner) وقد عرض هذا الجهاز لاول مرة في الولايات المتحدة في فصل الصيف الماضي ، ويشير مناحيم ماتزا (مدير مبيعات الشركة) الملاحظة التالية وهي ان مصانع اخرى في الولايات المتحدة انتجت اجهزة اوتوماتيكية مماثلة ولكن في جميع هذه الاجهزة كانت الحاسبة الالكترونية توضع في مكان منفصل ، ويضيف قائلا « ان الجهاز الذي انتجناه يقترن بحاسبة الكترونية هي(100-Elbit) وتكاليفه تقدر بنصف تكاليف الاجهزة الاميركية » .

وتتوقع الشركة ان تقدم نسخة متقدمة ، ومعدلة لاستخدامها في المستشفيات في ربيع هذا العام . تقوم الشركة ايضا بصناعة سلسلة من المولدات الكهربائية العادية لاستهلاك السوق المحلية ، وذلك بترخيص من شركة لامبدا للالكترونيات في ملفيل بولاية نيويورك .

هناك شركة تعتمد عليها القوات المسلحة بشكل رئيسي لتزويدها بمعدات وقطع تركيب اجهزة الاتصال التي تستخدم الموجات الصغرى والتي تصنع وفقا للمواصفات التي تحددها . وهذه هي شركة ايل الاسرائيلية المحدودة AEL Israel Ltd. ، وهي تابعة تملكها المختبرات الالكترونية الاميركية في كولمار بولاية بنسلفانيا . تتجه شركة ايل اسرائيل حاليا الى تخفيف اعتمادها على العقود العسكرية . ومن الجدير بالذكر ان عمر الشركة اربع سنوات فقط وقد بلغت مبيعاتها في السنة الماضية حوالي (٢٠٨) مليون دولار وتتوقع ان تزيد صادراتها بما يعادل ثلاثة اضعاف هذا المبلغ في العام القادم . ان معظم المعدات

التي تقوم الشركة ببيعها عبارة عن مرتجعات الاجهزة العسكرية التي انتجتها : وتتضمن تشكيلة من قطع تركيب اجهزة الموجات الصغرى ذات الحالة الصلبة (solid state) وهياكل التجميع (functional assemblies) بما فيها شبكات الهوائيات، ومعدات اتصال متينةثابتة،وقابلةللنقل، وشبكات مجهزة بمضخمات للقوة ذات مجال تردد واسع systems with wide-band power amplifiers ، ومرشحات ، ومجزئيات splitters ومخفضات attenuators وتقوم الشركة الى جانب كل ذلك بتشغيل مختبر لصناعة طبقات رقيقة وكثيفةمن الدوائر المختلطة (thin and thick-film bybrids) ، ودوائر (stripline) .

بالاضافة الى شركات الالكترونيات الرئيسية التي يقارب عددها العشرة ، هناك جهرة من المؤسسات التي يتراوح ما تنتجه بين قطع التركيب الدقيقة ، ومعدات لصناعة اشباه الموصلات ، وللعديد منها نشاط ملحوظ منذ سنوات وبالتالي فان وضعها الاقتصادي قابل للنمو . ولكننا نجد ان الاوضاع الاقتصادية لمؤسسات أخرى أكثر دقة وحرجا ، اذ ان وجودها يعتمد على ايجاد سوق تصدر اليه انتاجها من الالات والاجهزة التي تستعمل في مجالات اختصاص محددة . ومن اكثر المؤسسات التي تنتج قطع التركيب نجاحا وازدهارا شركة فيشي اسرائيل المحدودة التابعة لمؤسسة فيشي انترتكنولوجي في مالفيرن بولاية بنسلفانيا . وتصنع فيشي اسرائيل مقاومات كهربائية بالغة الدقة موضوعة في اغلفة مفرغة من الهواء flat-pack (ذات قدرة احتمال مقدارها ٠،١ ٪ ، ومعامل حراري مقداره + ١ ppm / درجة مئوية) . وتتوقع الشركة ان تحقق ما قيمته (٢) مليون دولار من المبيعات في هذا العام ، في حين انها لم تحقق المليون دولار في سنة ١٩٧١ . والشركة تصدر ٩٥ ٪ من انتاجها الى الولايات المتحدة واوروبا .

وهناك وافد جديد الى الساحة ، هو شركة ميدا المحدودة لصناعة الاجهزة والادوات العلمية ، وقد أنشئت في رامات جان سنة ١٩٧٠ ، وكان اول ما باشرت بانتاجه رادار لقياس الارتفاع بواسطة الموجات النبضية (Pulsed radar altimeter) يرتفع في الجو بواسطة بالون ، ويستخدم في حقل الارصاد الجوية ، والجهاز المذكور يعمل على تردد مقداره (٤٠٣) ميجا هرتز ، ومصمم بحيث يقيس الارتفاعات ما بين ١/٢ — ٣٥ كيلومتر بدقة تعادل (+ — ١٠) امتار . ومن الجدير بالذكر ان مؤسسة ناسا الامريكية NASA ابتاعت (١٥) وحدة من هذا الجهاز من اجل تجربتها . وتأمل الشركة في تسويق نسخة معدلة منه في الولايات المتحدة لاستخدامه كرادار لقياس الارتفاع في الطائرات الخفيفة وذلك لرخص ثمنه .

هناك ايضا شركة جديدة نسبيا تقوم بصناعة لوحات مطبوعة متعددة الطبقات للدوائر الالكترونية ولوحات قابلة للانثناء Multi-layer and flexible printed circuits. وهذه الشركة هي شركة كور المحدودة للاجهزة والابحاث والتطوير والهندسة في بتاح تكفا . ولعدة شهور خلت ، كان انتاج الشركة جميعه يورد للاستعمال العسكري ، ولكنها تحاول الان النفاذ الى سوق الولايات المتحدة بعرض تشكيلة من لوحات الدوائر الالكترونية المتعددة الطبقات (multi-layer PCs) التي يمكن بيعها بنصف ثمن مثيلاتها هناك .

وفي عداد المشاريع الاخرى الناجحة مختبرات تاماش للعلوم التطبيقية في رامات ابيب ، وتصنع اجهزة وأدوات سماعية والكتروماغنيطية متخصصة وتابور للالكترونيات في حيفا وهي مرتدة من مونسيل وتعمل في صناعة سلسلة خاصة بها من العدادات المؤقتة الاوتوماتيكية ومولدات الاشارة والجيم Eljim وهي تابعة لشركة KMS للصناعة في الولايات المتحدة ، وتقوم بأبحاث تستهدف تطوير الرادار واجهزة الاتصالات لحساب الجيش . والشركة المحدودة لصناعة الالكترونيات المصغرة في حولون وتقوم بصناعة المكثفات الدقيقة (precision capasitors) وشركة الهندسة الالكترونية المحدودة في تل ابيب وتقوم بتزويد سلاح الجو الاسرائيلي بمعدات الفحص التي يحتاجها ، وتعد ايضا من أكبر المستوردين لمنتجات الولايات المتحدة في حقل الالكترونيات .

رالف دوبراينر

ثلاث رسائل

الرسالة الاولى

اليسار الانكليزي والقضية الفلسطينية

ان المتتبع للقضية الفلسطينية وتحرك القوى المؤيدة والمعارضة والدعاية العربية في انكلترا يرى ان القضية الفلسطينية قد مرت بثلاث مراحل : فترة ما قبل حرب حزيران ، فترة ما بعد حزيران وحتى ايلول ١٩٧٠ ، فترة ما بعد ايلول وحتى الان . ولقد كان هناك تغير ملحوظ في الجهاز الدعائي العربي ما قبل حرب حزيران وما بعدها . فقبل حزيران كانت سيطرة الاجهزة الدعائية التابعة للسفارات وللجامعة العربية مهيمنة على الدعاية للقضية الفلسطينية . ولا حاجة لان اناقش موقف هذه الاجهزة من القضية الفلسطينية . ان هذه الاجهزة كانت تتوجه بالدرجة الرئيسية الى مناشدة حزب العمال والمحافظين وشخصيات منفردة الى تأييد القضية الفلسطينية وتركت بصورة تامة الدعاية بين الاحزاب والهيئات الشعبية مما منع تطور وجهة نظر هذه الاحزاب والهيئات نحو القضية الفلسطينية . اما بعد الحرب فقد استلمت اجهزة دعائية ناشطة الدعاية بين الاوساط المختلفة مسنودة بالنشاط المتنامي للمقاومة الفلسطينية في الشرق الاوسط ، ولاول مرة تتحرك تظاهرات ضخمة عبر شوارع لندن والمدن الاخرى . لقد كان تحرك الطلاب العرب داخل انكلترا ظاهرة اثرت كثيرا في الحركات اليسارية وطورت نظرتها الى حد بعيد تجاه القضية العربية بصورة عامة والفلسطينية بصورة خاصة . اما بعد ايلول الاسود فنلاحظ انحسار المد الطلابي نتيجة لعوامل كثيرة اهمها : قبول الجمهورية العربية المتحدة لمشروع روجرز ، وموقف المقاومة من الوضع في الاردن قبل ايلول وعكس هذا الانحسار نفسه على الدعاية في بريطانيا . فمرة اخرى تصبح الدعاية وقفا على اجهزة اثبتت فشلها لاسباب مختلفة ، وسبب هذا الانحسار ليس متأتيا فقط عن انحسار المد الطلابي العربي داخل بريطانيا بل ايضا مرتبط بطبيعة الحركات اليسارية في بريطانيا وهي موضوع هذا التقرير .

ينقسم الرأي العام الانكليزي المؤيد للقضية الفلسطينية الى قسمين :

أ ــ الشخصيات المنفردة والتي تتراوح في عقائدها بين اليمين واليسار . نجد هذا المزيج واضحا في مجلس الصداقة الانكليزية ــ العربية والنشرات التي تصدر عن هذا المركز . بينما نجد احدى نشرات المجلس حول النزاع العربي ــ الاسرائيلي (وعنوانها الصراع العربي الاسرائيلي) صادرة عن المجلس المذكور) تمتاز بوجهة نظر ليبرالية تجاه هذا الموضوع (وكما ترى ايضا في كتابات انتوني نتنج) نجد كتيبا اخر يقيم النزاع العربي الاسرائيلي (تأليف بيل هيلر ، بعنوان اسرائيل وفلسطين) تقييما صحيحا من حيث انه استيطان استعماري على ارض فلسطين بكل ما يمثله هذا الاستيطان من استغلال وتوسع .

ب ــ الاحزاب السياسية وخاصة اليسارية منها وهذه تنقسم الى عدة حركات واحزاب سياسية نستطيع ان نصنفها تحت : ١ ــ الحزب الشيوعي الانكليزي ــ خط موسكو . ٢ ــ التروتسكيون وهؤلاء ينقسمون الى عدة اقسام منها مثلا جماعة الماركسيين الاميين (جماعة طارق علي) . ويوجد حزب نشط بين هذه الكتلة وهو الحزب الشيوعي ــ تروتسكي ــ والذي لا يعترف بالحزب الشيوعي الموالي لموسكو وايضا جماعة الاشتراكيين الاميين . ٣ ــ الماويون ، وهؤلاء ينقسمون الى عدة كتل متصارعة فيما بينها وليس لها خط واضح ــ عدا الحزب الماركسي اللينيني ــ ولكنها تتفق في نظرتها تجاه الوضع الدولي بموقف الصين منها .

٤ ــ يسار حزب العمال (الشباب الاشتراكي) وهذا هو جناح صغير جدا داخل حزب العمال ولكنه نمال ، كذلك يسار حزب الاحرار ــ الشباب الحر وهؤلاء اقلية ايضا . ٥ ــ الفوضويون ، وهؤلاء ايضا عدة اقسام وليس لهم اي خط سياسي واضح حتى انهم لا يمثلون الخط التاريخي للحركة الفوضوية . ٦ ــ القوة السوداء ، وهذه انقسمت الى عدة اقسام وهي ناشطة بصورة خاصة بين الطلاب والعمال الملونين وتوجد حركة نامية هي حركة الفهود السود ، وهؤلاء الى الان في دور التكوين في بريطانيا بعكس امريكا حيث انهم يشكلون القوة الرئيسية وسط الملونين .

ان الصفة المميزة لليسار الانكليزي هي انه منقسم الى اقسام كثيرة جدا ذات ولاءات مختلفة . وكثير من هذه المجموعات يفتقر الى المنهج السياسي الواضح والمتكامل لذلك تأتي افعالها بعيدة عن التناسق المطلوب من هذه الحركات. ان السبب في ذلك هو ان النظام الرأسمالي خلال قرون عديدة قد شوه المفاهيم الاشتراكية واحل بدلها مفاهيم عنصرية شوفينية لذلك فان انبثاق حركات سياسية يسارية (ذات اتجاه ماركسي ــ لينيني) في مجتمع كهذا لا بد ان يعاني من امراض كثيرة . ان كثيرين من الشبان الذين ينضوون الى هذه الحركات انما يبحثون عن مهرب من الحياة الرتيبة التي يعيشونها . ومن هذا فان نفس هذا الشباب قصير فلا يلبث بعد مدة ان يمل العمل السياسي . علاوة على ان الانقسامات في المعسكر الاشتراكي تركت اثرها على هذه الحركات بصورة واضحة ونكاد ان نقول ان الاتجاه الاشتراكي المعارض للاتحاد السوفياتي يكاد ان يطغى على الاتجاه اليساري المؤيد له . ان هذه هي بعض الصعوبات التي تؤثر على الحركات السياسية اليسارية ، وهي تعكس نفسها على مواقف هذه الحركات من حركات التحرر العالمي . وسأناقش فيما يلي نظرة هذه الاحزاب والمنظمات الى القضية الفلسطينية باختصار .

١ ــ الحزب الشيوعي الانكليزي ــ خط موسكو : ان هذا الحزب يؤيد موقف الاتحاد السوفيتي من مشكلة الشرق الاوسط ولذلك فهو يعترف بقرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . وهنا سأناقش باختصار الكتيب الذي نشره هذا الحزب بعد العدوان الاسرائيلي (بعنوان الازمة تدعو الى الحل بقلم برت راملسون) والذي يلتزم الحزب بما جاء فيه ، يبدأ المؤلف بان يقول : « ان الحزب الشيوعي التزم بسياسة تأييد دولة فلسطينية تضمن فيها حقوق الاقليات حتى سنة ١٩٤٧ ، وفي ١٤ ايار ١٩٤٧ صرح غروميكو بان الاتحاد السوفيتي يؤيد ايجاد دولة عربية يهودية بحقوق متساوية للطرفين ولما كان هذا شيئا غير مستطاع فان الاتحاد السوفياتي يوافق على التقسيم ، وبناء على هذه النظرة وافق الحزب الشيوعي الانكليزي على التقسيم » . ويتبعها بان يقول « ان دولة اسرائيل الان حقيقة بكل ما للدولة من حدود ، واقتصاد ولغة » . والمؤلف يقول « ان اعطاء وعد بلفور لاسرائيل كان نتيجة نظرة بعيدة للسياسة الانكليزية لانه سيمكن بريطانيا من المضي في استغلال الشرق الاوسط بالصورة التي تراها. **ان الاستعمار اوجد اسرائيل** لان اسباب الانقسام كما نجدها بين الهند والباكستان كانت معدومة بين العرب » . ثم يقول المؤلف « ان هناك فرقا بين الصهيونية واسرائيل وبان الصهيونية فلسفة رجعية بائدة اما اسرائيل فحقيقة ماثلة » . ثم يتكلم على تدخل العرب سنة ١٩٤٨ بقوله : « ان بريطانيا وقفت ضد اسرائيل وحاولت ان تقف ضد قرار الامم المتحدة وقامت بحرب ضد اسرائيل بتحريك الدول العربية الموالية » . ثم يستنتج بان حرب سنة ١٩٤٨ بالنسبة لاسرائيل « **كانت حرب تحرير للشعب اليهودي من الاستعمار البريطاني . ولهذا السبب أيد الاتحاد السوفيتي والاحزاب الشيوعية هذه الحرب** » . ثم يقول المؤلف « ان الماركسيين يناقشون القضايا كما هي لا كما ممكن ان تكون وعلى هذا الاساس نحن نؤمن بوجود اسرائيل ونعمل من اجل بقائها وتطورها لتعمل بسلام مع العرب » .

ثم يقول ان اسرائيل اضاعت فرصة السلام للاسباب التالية : أ ــ لانها كانت تتوسع باستمرار ولو انها وافقت على بقائها ضمن الحدود التي اوصت بها الامم المتحدة لكسبت العرب . ب ــ ان اسرائيل حينما ربحت الاستقلال بمساعدة المعسكر الاشتراكي كان يمكنها ان تقف مع العرب والعالم الثالث لهذا السبب . ج ــ ان مساعدة العرب في اسرائيل كان يمكن ان تكون الاساس لسياسة سلمية .

ونلاحظ بان التقرير يحوي الكثير من التناقضات فهو اولا يعترف بان سياسة انكلترا كانت تهدف الى

اقامة اسرائيل كـراس جسر ضد حركة التحـرر العربية ثم يخرج باستنتاج الا وهو بان حرب ١٩٤٨ كانت حرب تحرر الشعب اليهودي ويعتمد في ذلك على استنتاجات منها تحرك الدول العربية المسنودة من انكلترا ضد اسرائيل ذلك الوقت والحقيقة ان هذا الخطأ ينتـج من : ١ ـ ان حركة التحـرر الفلسطينية كانت قد اجهضت سنة ١٩٣٦ . ٢ ـ ان الدول العربية التي تحركت ضد اسرائيل كانت دولا مسنودة من قبل انكلترا وانما تحركت لتمييع الرفض القوي للشعب العربي ذلك الوقت . ان انكلترا كانت تعلم مسبقا نتيجة التدخل العربي . ٣ ـ تأييد الاتحاد السوفيتي لهذه الحرب لانهـا كانت ضد انكلترا ولان اسرائيل كانت تعتمد على مهاجـرين مـن السدول الشرقيـة ذوي الاراء الاشتراكية .

اما النقطة التي يأتي بها هذا التقرير فهو انه ايد ايجاد دولة فلسطينية في سنة ١٩٤٧ وبعد ذلك ونتيجة لتغير سياسة الاتحاد السوفيتي فلقد ايد الحزب الشيوعي الانكليزي قرار التقسيم . ان هذا يدل على ان الحزب الشيوعي الانكليزي يفتقر الى نظرة وتحليل ذاتيين يستندان على النظريـة الماركسية اللينينية علما بأن هذا الحزب نفسـه عارض الاتحاد السوفيتي عندما احتلت القوات السـوفيتية براغ ١٩٦٨ . ان هـذا يعـزى أيضا الى قـوة النفـوذ الموالي لاسـرائيـل داخـل الحزب الشـيوعي الانكليزي نفسـه نتيجة لوجود عدد كبير من اليهود فيه . ولقد فصل الحزب الشيوعي الانكليزي عددا كبيرا من اعضائه بعد الحرب ١٩٦٧ نتيجة لموقفهم الرجعي الى جانب العدوان الاسرائيلي .

ان التقرير يقول بان مهمة الماركسي ان ينظر الى الواقع كما هو لا كما ممكن ان يكون ولذلك فـان اسرائيل حقيقة وستبقى حقيقة وهذا شيء مناف لكل المبادىء الماركسية فالماركسي بالعكس يستند عـلى دراسة الواقـع ثم تطويـره علـى ضوء الماركسية .

ان كل هذه الاسباب جعلت موقف الحزب الشيوعي الانكليزي ازاء هذه القضية موقفا اصلاحيا ، ولكن الذي ينبغي قوله بان التأييد الفعلي والعملي الذي يعطيه الحزب الشيوعي للقضية الفلسطينية هـو كبير جدا بحيث انه يتناقض في كثير من الاحيان مع الموقف النظري للحزب .

ان الحزب الشيوعي له عدة مراكز قوة اهمهـا في نقابة عمال الميناء في لندن وبعض النقابات العمالية كنقابات عمال الفحـم والصلب . ولكن الحـزب الشيوعي ضعيف في اوساط الطلبة لعدة اسباب لن نناقشها هنا .

٢ ـ اما التيار الثاني في الحركة اليسارية فهـو التيار التروتسكي وهو ينقسم الى :

أ ـ الحزب الشيوعي (التروتسكي) ويصدر هذا الحزب مجلة « التزم اليسار » وجريدة يوميـة هي « صحيفة العامل » . ان لهذا الحزب امتدادات في الحركة العمالية وخاصة في الشمال كما ان لـه امتدادات (ضعيفة نسبيا) في اوساط الطلبة ولقد صدرت لهذا الحزب دراسات نظرية كثيرة قبل الحرب وبعدها (انظر امداد « نشرة الاخبار » من ١٩٦٧ الى ١٩٧١) . ويكاد هذا الحزب ان يكـون اول الاحزاب والمجموعات اليسارية التي ايدت القضية الفلسطينية ما قبل حـزيران ١٩٦٧ . وان هذا الحزب يمتاز بمواقف نظرية تكاد ان تكون صحيحة الى درجة كبيرة حيال القضية الفلسطينية . فهو الذي تنبأ بكثير من التحركات التي حدثت في السـنتين الماضيتين كمذابح الاردن وحوادث لبنان وفقـدان المقاومة لمواقعها الواحدة بعد الاخرى لفقدانهـا النظرية السياسية القائدة . الا ان هذا الحزب كان يفتقر الى المواقـف العملية . فقد رفض ان يساهم في المشاركة في بناء جبهة مساندة فلسطين وفي الاشتراك في أي من التظاهرات التي قامت بتأييد المقاومة الفلسطينية .

ب ـ جماعـة طارق عـلي « البريد الاحمر » : وهؤلاء كتلة صغيرة وذات فاعلية بصورة خـاصة في المحيط الطلابي في لندن وهؤلاء يؤيدون القضية الفلسطينية بصورة كاملـة وهم يلتقون مع كـل الجماعات والاحزاب اليسارية التروتسكية في نقد المقاومة لافتقارها الى الخط السياسي والى النظرية الثورية . ولقد قامت هذه المجموعة بنشر الوعي عن قضية الخليج العربي بصورة مستمرة خـلال السنتين الماضيتين .

ج ـ جماعة (التزم الاسود) وهؤلاء انشقوا عن مجموعة طارق علي الا انهم يلتقون مع جماعة طارق علي في تحليل القضية الفلسطينية وقضايا الخليج العربي .

د ـ جماعـة الاميـين الاشتراكيين : وهـذه

المجموعة قوية بصورة جزئية في اوساط الطلاب وبصورة قليلة جدا بين عمال الموانىء في الجنوب وهم يحررون مجلة دورية شهرية هي الاشتراكية الدولية وصحيفة اسبوعية هي العامل الاشتراكي. ولقد ظهرت لهم عدة تحليلات حول القضية الفلسطينية اولها مقال « اسرائيل والاستعمار » (في الاشتراكية الدولية رقم ٣٢ سنة ١٩٦٨) . وفي هذا المقال يناقش الكاتب مراحل تكون دولة اسرائيل ودورها منذ البداية كحليف متقدم لكل من تركيا والمانيا ثم انكلترا وامريكا . ويقول عن ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ « قاد الفلسطينيون انتفاضة ضد الجيش البريطاني بحيث ان نصف الجيش البريطاني كان مشتركا في هذه الحرب التي قمعها الجيش البريطاني والتي تركت المجال مفتوحا امام الانكليز والصهيونية». ويقول المؤلف في الصفحة نفسها عن الحرب اليهودية الانكليزية ١٩٤٥ — ١٩٤٧ « ان سبب هذه الحرب الرئيسي هو ان الانكليز منعوا الهجرة الى فلسطين والسبب الاخر هو ان الصناعة المحلية كانت اثناء الحرب بيد اليهود وكانت المونة للجيش البريطاني ولكن عندما انتهت الحرب بدأت الصناعة البريطانية تنافس الصناعة اليهودية وكان الاصطدام بين الرأسمالية اليهودية النامية وبين المنافسة الانكليزية حتميا » .

ان المؤلف هنا يثبت نقطة مهمة وهي بالضبط نقيض لموقف الحزب الشيوعي منها ، فالمؤلف — وهو يهودي لا صهيوني — يقول عن الحرب بين الفلسطينيين والانكليز انها حرب تحرير بينما الحرب التي قادها الصهيونيون ضد الانكليز لم تكن اسبابها الا لتغليب الرأسمال اليهودي وقوى امريكا النامية داخل الحركة الصهيونية وهو بهذا يعتبر هذه الحرب حربا بين راسماليتين .

اما توني كلف (في كتيب « الصراع في الشرق الاوسط » الصادر عن الاشتراكية الدولية) فهو يرى بان حل القضية الفلسطينية لن يكون بمعزل عن التطورات في العالم العربي وهو يقول بان الحل الوحيد للقضية الفلسطينية هو في انهاء الصهيونية وقيام دولة اشتراكية في الشرق الاوسط .

ان هذه الحركة تولي القضية الفلسطينية اهتماما كبيرا . ولقد حدث تغير كبير في اتجاه هذه الحركة فبعد ان كانت تؤيد حق المصير بالنسبة للفلسطينيين وترفض القضاء على الكيان الصهيوني قبل ١٩٦٧، تحولت هذه الحركة بين ١٩٦٧ و١٩٧٠ الى تبني الموقف القائل بان الحل الوحيد هو القضاء على اسرائيل وقيام فلسطين ديمقراطية .

٣ — الحركات الماوية : وهنا يجب التفريق بين ما تعنيه الماوية كحركة ثورية متكاملة وما تعنيه الحركات الماوية في داخل انكلترا . ففي داخل انكلترا يمتاز الماويون بفوضى فكرية . والحركات الماوية تعاني من انشقاقات متواصلة . اما موقفها من القضية الفلسطينية فهو قائم على موقف الصين من القضية الفلسطينية . وتمتاز اقسام هذه الحركة (واهمها الحزب الماركسي اللينيني — جماعة الصين) بمشاركتها في كل التظاهرات التي قامت تأييدا للقضية الفلسطينية واسنادها لجبهة مساندة فلسطين اسنادا كاملا حين تكوينها . ولكن هذه الحركات رغم موقفها العملي الواضح فانها تفتقر الى تحليل ذاتي للقضية الفلسطينية وفي هذا اضرار كبير بالحركة الفلسطينية ، لان التأييد الذي لا يقوم على موقف نظري هو تأييد وقتي . ولكن بعض هذه الحركات الماوية كالحزب الماركسي — اللينيني يحاول بين فترة واخرى تقديم تحليل نظري للقضية الفلسطينية . ولكن هذه الحركات لا تزال بعيدة عن التحليل النظري الصحيح للقضية الفلسطينية.

٤ — جناح الشباب العمالي (يصدر صحيفة اسبوعية militant) : وهؤلاء يشكلون كتلة الشباب الاشتراكي داخل حزب العمال ويقومون بالقاء محاضرات دورية عن القضية الفلسطينية وغيرها من قضايا التحرر . واتجاه هذه المجموعة هو اتجاه تروتسكي ، وهؤلاء يؤيدون القضية الفلسطينية على الصعيدين النظري والعملي . الا ان عددهم قليل جدا رغم انه آخذ بالتنامي البطيء جدا . والسبب في ذلك هو ان المنشقين من حزب العمال لا ينضمون الى هذه الكتلة بل ينضمون الى الحركات اليسارية الاخرى .

اما جناح الشباب الحر فهو الجناح اليساري داخل حزب الاحرار وله مواقف واضحة ومؤيدة للقضية الفلسطينية وله ممثلون في جبهة مساندة فلسطين. وقد قرر الحزب فيما بعد سحب ممثلي هذا الجناح من جبهة مساندة فلسطين . الا ان الشباب الحر بقي يساند القضية الفلسطينية على الصعيد العملي خارج جبهة مساندة فلسطين . وهو ايضا يفتقر الى تحليل نظري للقضية .

٥ — الفوضويون : وهؤلاء عدة اقسام وليس لهم

اي تحليل نظري للقضية الفلسطينية لذلك تتراوح نظرة المنتمين الى هذا الاتجاه بين التأييد الكامل للقضية الفلسطينية والمقاومة وبين معارضتها . وتلعب الاتصالات الفردية للطلبة العرب باعضاء هذه المنظمات دورا رئيسيا في تبنيهم للاتجاه العربي .

٦ ــ حركة القوة السوداء : وهذه تنقسم الى عدة اقسام الا ان هذه الحركة تتبنى القضية الفلسطينية وتؤيد المقاومة بصورة عامة وفتح بصورة خاصة ، بعكس المنظمات اليسارية التي تؤيد الجبهة الشعبية الديمقراطية وتقف موقف المعارض من فتح . ان هذه الحركة تستند بصورة عامة الى تحليل ستوكلي كارمايكل قائد الحركة السوداء في امريكا القائلة بان القوة السوداء هي جزء من حركة التحرر في العالم الثالث وبان من واجب القوة السوداء تأييد جميع حركات التحرر في العالم الثالث واستنادا الى ذلك فان القوة السوداء في انكلترا تعتبر اسرائيل استيطانا اوربيا في الشرق الاوسط ومن الواجب ازالته وطريق ازالته هو عن طريق المقاومة الفلسطينية . ومن هذا المنطق نفسه يتحرك حزب الفهود السود في انكلترا الذي يكون مجموعة صغيرة جدا وسط القوة السوداء . وطبعا لا تزال هذه الحركة في بدايتها الا انها ذات تأثير كبير جدا على العمال والطلاب والملونين في انكلترا وخاصة في لندن وفي وسط انكلترا وشمالها .

هذه هي الحركات الرئيسية اليسارية في بريطانيا ولقد تكتل بعضها مع الطلبة العرب وكونوا فيما يعرف بجبهة مساندة فلسطين . وكانت اهم العناصر المساهمة في هذه الجبهة هي : الماركسيون الاميون (الماويون) ، الشباب الحر ، قليل من الشباب التروتسكي، اعضاء من الحزب الشيوعي الانكليزي (انصار موسكو) ، الطلبة العرب . وقد بدأت جبهة مساندة فلسطين خليطا غير متجانس . ورغم ذلك فقد استطاعت ان تحرك تظاهرات كثيرة في مناسبات مختلفة تأييدا للمقاومة الفلسطينية . الا ان هذه الجبهة بدأت تعاني في نهاية ١٩٧٠ من ضعف كبير . وهذا ليس جديدا . فقد حدث الشيء نفسه بالنسبة لجبهة مساندة فيتنام . وسبب فشل الجبهة كما تراه احدى المجلات اليسارية هو : ١ ــ ان الكفاح الذي يجري في فلسطين هو اعقد كثيرا من ذلك الكفاح الذي يجري في فيتنام ، ٢ ــ سيطرة الماويين على جبهة مساندة فلسطين بدون افساح المجال للمجموعات الاخرى . ٣ ــ سيطرة عناصر ليبرالية على قيادة الجبهة . ٤ ــ ان الطلبة العرب القياديين في الجبهة هم عناصر قومية بحتة وذوو ارتباطات رجعية .

هذه هي الملامح الرئيسية للمجموعات اليسارية في بريطانيا وهي تتراوح بين التأييد المطلق غير المدعوم باي تحليل نظري الى التأييد القائم على النقد البناء بموجب نظرية وتحليل للقضية الفلسطينية . ان هناك تأييدا لهذه العناصر اليسارية في تطاعات الطلبة وتسيطر هذه المجموعات على اتحادات طلابية كثيرة في بريطانيا. الا ان الطلبة العرب يفتقرون الى شن الدعاية اللازمة بين هذه القطاعات والقطاعات الموالية لها والسبب يعود الى ان كون الطلبة العرب يعزلون انفسهم بصورة عامة عن الواقع السياسي الذي يعيشون فيه ، عكس المبعوثين الاسرائيليين الذين يحاولون المستحيل للنفوذ الى هذا القطاع المهم في الحركة السياسية البريطانية .

ان من واجب انصار المقاومة من الطلبة العرب في الخارج تركيز جهد اكثر لكسب هذه الحركات وتطوير نظرتها الى القضية الفلسطينية . وهذا لا يتم بدون ان يتعاون الطلبة العرب مع اليسار الانكليزي في جميع المهام والقضايا ، وليس في القضية الفلسطينية وحدها . ان على الطلبة العرب ان يتفاعلوا بصورة اكثر مع هذه المنظمات وهذا لا يتم بدون الايمان بان النضال العربي ونضال المقاومة هو جزء من حركة النضال العالمي.

الدكتور سلمان رشيد سلمان

الرسالة الثانية

اذاعة لندن في عيد ميلادها الخمسين .. والعرب

في شهر تشرين الثاني الماضي احتفلت هيئة الاذاعة البريطانية بمرور خمسين عاما على تأسيسها ، فخصصت الصحف الاعمدة الطويلة في تعليقاتها وافتتاحياتها لهذه المناسبة . ومع ان ليس كل ما كتب كان مديحا خالصا للبي بي سي ، اذ وجدت أكثر من جهة بريطانية ثغرة في الاذاعة وجهت اليها نقدها ، الا أن الرأي اجمالا كان بأن البي بي سي، باذاعتها الانكليزية لما وراء البحار ، وبرامجها الاجنبية المذاعة في خمس وثلاثين لغة ، تؤدي خدمات اعلامية جيدة تجلب الدعاية الطيبة لبريطانيا . ولم يخطر ببال صحيفة من الصحف البريطانية أن تفحص سجل البي بي سي في ما يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي ، لتبين ما اذا كان موقف الاذاعة الشهيرة موضوعيا ام منحازا ، ولا سيما في ضوء الحملة المصرية الاخيرة التي اتهمت اذاعة لندن باختلاق الانباء واتخاذ المواقف المعادية للعرب . وعلى أية حال ، لم تكن الحملة المصرية اول مرة تشار فيها ضجة عربية حول موقف الاذاعة المذكورة من العرب ، اذ كانت « شؤون فلسطينية » في عددها الثالث الصادر في تموز ١٩٧١ قد تضمنت بحثا عنوانه : رسالة بريطانية : الاذاعة البريطانية والصراع العربي الاسرائيلي ، وفيه وضعت البي بي سي بالميزان انطلاقا من حديثين لاذاعيين بريطانيين نشرا بعد اذاعتهما في مجلة « ذي ليسنر » التي تصدر عن اذاعة لندن . وكان الاذاعيان براين ماغي وف. ر. مكنزي قد تحدثا عن التحيز ضد العرب في الاوساط الاعلامية البريطانية ، وعن الملاحقة التي تعرض لها بعض الاذاعيين البريطانيين من قبل الصهيونيين لانهم التزموا الموضوعية في عملهم . وقد نشر هذان المقالان في عدد « ذي ليسنر » الصادر في ١٩٧٠/٣/١٩ وبدا منهما ومن رسائل القراء التي نشرت في ستة اعداد متتالية ان المشرفين على البي بي سي سيعيدون النظر في سياستهم الاذاعية تجاه العرب . الا ان الاشهر التي تلت ظهور المقالين شهدت المزيد من التحيز في برامج الاذاعة . فقد بقي الصهيوني مايكل الكنز الذي عرف بارتباطه بالشين بيت (الاستخبارات الاسرائيلية) مراسلا للبي بي سي في اسرائيل ، مع ان مراسليها في بقية انحاء العالم هم من البريطانيين . كما ان معلقي الاذاعة أمثال ستانلي ميز وجورج غريتن ووليم فوريست واصلوا التهجم على العرب . وبدا تحيز الاذاعة واضحا ايضا في الطريقة التي يتم فيها ترتيب فقرات الانباء في نشراتها الاخبارية ، وفي انتقائها لتعليقات الاذاعات العربية والاسرائيلية ضمن البرنامج الاسبوعي « ما تقوله الاذاعات الاخرى » وفي اختيارها للمساسة والمعلقين للاشتراك في ندواتها الاذاعية التي تبحث شؤون الشرق الاوسط . هذا كله ورد بتفصيل في البحث المنشور في « شؤون فلسطينية » الذي أعادت نشره ملخصا مجلة اسبوعية بيروتية. كما وصلت نسخة من العدد الى مدير البرامج في اذاعة لندن . وبدا لفترة بعد ذلك وكأن البيبيسي تحاول التخفيف من تحيزها ضد العرب . فان دونالد وات ، المحاضر في معهد الدراسات الدولية بلندن ، الذي كانت الاذاعة تطلب منه بين الحين والاخر التعليق على التطورات في الشرق الاوسط ، والذي عرف بحقده الشديد على العرب ، لم يعد يعلق على الشؤون العربية . وكذلك خفت وطأة التهجم في أحاديث المعلقين الاخرين ، ولكن موقف الاذاعة الاساسي المناوىء للعرب لم يتغير .

ثم جاءت حادثة المناضلين اليابانيين الثلاثة في مطار اللد ، فانقلبت الموازين مرة اخرى ، وحلت نبرة تكاد تكون هستيرية في احاديث المعلقين لاول مرة منذ حوادث خطف الطائرات في أيلول ١٩٧٠ . والغريب ان المعلق الذي كان الاكثر تهجما وعدائية في هذه الفترة هو جيمس تومسن ، المدير السابق للبرنامج العربي في الاذاعة . فقد بز حتى دونالد وات في تحامله ونقمته على العرب . ومما يجدر ذكره ان تومسن هذا كان قد كتب مقالا في العدد الرابع من مجلة ميدل ايست انترناشنل (تموز١٩٧١) التي يصدرها مجلس التفاهم العربي البريطاني (كابو) عنوانه : الصدق وحده يفيد — هذا هو استنتاج البي بي سي . في هذا المقال استعرض تومسن تاريخ البرنامج العربي في اذاعة لندن ، ذاكرا ان الاذاعة قاومت جميع الضغوط الحكومية عليها اثناء حملة السويس عام ١٩٥٦ من اجل ان تبقى مستقلة ومحايدة « وقد كونت على تفضيلها

الصدق على الدعاية العارية ، فكسبت ثقة مستمعيها وضاعفت ساعات بثها » ونوه تومسن بالمصالح البريطانية ذات المدى البعيد في العالم العربي ، مختتما مقاله بالعبارة التالية : « ان هدف الاذاعة الاول هو تقديم المعلومات ، والمعلومات كاية سلعة اخرى لن تجد سوقا لها اذا لم يكن صدق الاذاعة فوق الشبهات » . تعليقا على هذا الادعاء ينبغي القول ان البرنامج العربي في البي بي سي لا يحتوي على عشر التحامل على العرب الذي يحتويه البرنامج الانكليزي العام . اذ لو كانت التعليقات نفسها التي تذاع في البرنامج العام تكرر في البرنامج العربي ، لفقدت الاذاعة الاغلبية الساحقة من مستمعيها العرب خلال اسابيع معدودة ، وكان المفروض على جيمس تومسن ان يسجل هذه الحقيقة الواضحة لكل من يستمع الى البرنامجين ويعقد المقارنة بينهما . فالبرنامج العربي ، مثلا ، لا يدعو الدعائي الصهيوني المحترف جون كمشه ليعلق على التطورات السياسية في البلاد العربية ، مثلما يحدث في البرنامج الانكليزي العام . كما ان تعليقات دونالد وات لا تترجم الى العربية ، اذ ليس من مصلحة البرنامج العربي ان يعلم المستمع كم هي درجة الحقد ضد قومه لدى بعض المعلقين البريطانيين . ولكن الاغرب من ذلك كله أن يتولى الحديث عن الصدق والموضوعية رجل مثل تومسن ظل يشهر بالعرب في تعليقاته . وليس تومسن هو المعلق الوحيد الذي يفتقر الى النزاهة . فهناك ايضا بيتر جونسن الذي يحمل في تعليقاته على الاتحاد السوفياتي لرفضه السماح لليهود بالهجرة الى « أرض اجدادهم » . كما انه في تعليق آخر موضوعه : الزواج المدني في اسرائيل والازمة الوزارية ، سارع الى تبديد أي شك قد يدور حول ديمقراطية اسرائيل ، حينما قال بأن « هذه الازمة قد تبدو لغير المطلع وكأن اسرائيل دولة ثيوقراطية ، بينما هي في الواقع دولة نظامها ديمقراطي حي » . (٢٢ — ٦ — ١٩٧٢) .

وفي تعليق ألقاه ستانلي ميز في ٣ — ٧ — ١٩٧٢ ودار موضوعه حول انشاء مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في لندن ، والاشاعة الدائرة حول احتمال زيارة ابو عمار لبريطانيا ، كانت العبارة النهائية في التعليق هي : « اذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية تبغي ان يسمع صوتها في الغرب ، فعليها ان تتنصل من خطف الطائرات والقتل المستهتر » . ولم يجد هذا المعلق داعيا لان يتساءل لم لم يسمع الغرب صوت الفلسطينيين عندما لم يكن هناك لا قتل ولا خطف طائرات .

وقد بلغ الحقد على العرب أوجه اثر حادثة الالعاب الاولمبية في ميونيخ عندما لعب تومسن دورا رئيسيا في تعبئة مستمعي البي بي سي ضد العرب. ولم تهدأ عاصفة النقمة هذه حتى بعد مرور اشهر على الحادثة . وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٧٢ اذاعت البي بي سي في نطاق برنامجها المدعو « العالم اليوم » احاديث مسجلة لكل من الملك حسين والجنرال ديان ورئيس بلدية غزة المقال رشاد الشوا ورئيس الوزراء صائب سلام والناطق الرسمي باسم المنظمة كمال ناصر والعميل الاسرائيلي محمد ابو شلباية . ولقد وجه الاسئلة وعلق عليها الاذاعي آلان هارت . وكان هارت قد سجل برنامجا مماثلا بعد مجازر ايلول ، تضمن حديثا مع ابو عمار . الا ان صوت ابو عمار لم يسمع في ذلك البرنامج ، كما سمع صوت هارت وهو يصرخ مكررا : « لقد هزمتم ، فلماذا لا تعترفون بالهزيمة ؟! » وقد توجه هارت بعد ذلك الى اسرائيل حيث سجل احاديث مع بعض الساسة الاسرائيليين . وفي هذه الاحاديث اعلن هؤلاء بدون مواربة عن تصميمهم على البقاء في اجزاء كبيرة من الاراضي التي احتلت بعد حرب حزيران حتى لو تم التوصل الى تسوية نهائية مع العرب . وقد تركهم هارت يتحدثون دون مقاطعة او تعليق هذه المرة .

اما في برنامجه الاخير (١ — ١١ — ١٩٧٢) فقد ضرب هارت رقما قياسيا في التعصب الاعمى ضد الفلسطينيين . تساءل هارت في بداية برنامجه ، وبعد ان تحدث عن منظمة أيلول الاسود واستشهد بمعلومات الاستخبارات الاردنية عنها ، عما اذا كان « الارهاب » هو الخيار الوحيد بيد الفلسطينيين ، ثم اجاب على سؤاله هو بالاشارة الى مشروع الملك حسين للتسوية ، ذاكرا ان هذا المشروع يستهدف التفاهم مع اسرائيل فيما لو أعادت الى الاردن الجزء الاكبر (كذا) من الضفة الغربية . وبعد ذلك تحدث الملك حسين فابدى حرصه على وجوب احتفاظ الفلسطينيين بهويتهم المميزة في الكيان الفدرالي العتيد . وتبعه المذيع روبرت ديهافلند ، زميل هارت ، الذي تحدث عن الخدمات البلدية التي تعتزم اسرائيل ايصالها الى مخيمات اللاجئين في غزة ، وعن اقالة الاسرائيليين

لرشاد الشوا، واصفا هذه الاقالة بأنها تناقض ادعاء المقاومة الفلسطينية بأن الشوا هو عميل اسرائيلي. واخيرا يأتي دور الشوا ، فنسمع صوته يقول ان الناس قد سئموا المشكلة كلها ، ويتمنون التوصل الى اتفاق ، وان التسوية المرتجاة هي التي تتضمن الاحتفاظ بغزة عربية والحاقها بالضفة الغربية ، وربط المنطقتين بالاردن في اتحاد فدرالي . ويعقب ديهافيلند على ذلك بقوله ان غزة كانت منذ ١٩٤٨ ارضا خصبة لاكثر الفلسطينيين تطرفا ، ومستطردا من ذلك الى القول بأن مستوى المعيشة قد ارتفع ثلاثة اضعاف في غزة بسبب العمل الذي وجده ابناؤها داخل اسرائيل . ويتبعه محمد ابو شلبايه الذي يقدمه المذيع الى المستمعين على انه كاتب ومحاضر فلسطيني بارز ، فيؤكد استعداد السكان للقبول بتواجد القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية حتى في حالة اجراء الانتخابات العامة لتقرير مصير المنطقة المحتلة باشراف الامم المتحدة . ويتدخل هارت ليعلن بأنه كلما ازداد «الارهاب الفلسطيني» تبع ذلك ازدياد في التصلب الاسرائيلي . ويوافقه ابو شلبايه على رأيه هذا معتبرا ان « الاعمال الماثلة لما حدث في ميونيخ ستزيد من تباعد المعتدلين الاسرائيليين عن الاهتمام بحل القضية حلا منصفا » . ويدلي الجنرال ديان ايضا بدلوه في النقاش فيؤكد لهارت بأن اهالي الضفة الغربية وغزة راضون تماما عن الوضع الحالي ولا يوجد اي مانع يحول دون استمرار هذا الوضع مدة طويلة . واخيرا يصل البرنامج الى ذروته عندما نسمع تسجيلا لاطفال يهتفون ، وتعليقا لهارت يقول فيه : « هذا المشهد يتكرر كل صباح قبل الدخول الى الصفوف ، والشعارات هي نفسها : الى فلسطين ، التحرير ، الجهاد ، القتال ، اقتلوا . وكثير من الاطفال الذين تغسل ادمغتهم بهذه الطريقة هم في الثالثة او الرابعة او الخامسة من العمر . وعندما يبلغون التاسعة او العاشرة ، يقضون بعض الوقت في معسكرات التدريب ليتعلموا استخدام السلاح ورمي القنابل اليدوية » .

ان هارت لم يكن ليتخذ هذا الموقف المتطرف في تحيزه ضد العرب ، فيتهجم عليهم ويشوه دوافعهم لو لم يكن يعلم انه بذلك يسير على خط الاذاعة المرسوم . وللتخفيف بعض الشيء من تحيزه ، يتظاهر هارت بالوقوف موقف المحايد العاطف على العرب . فهو يروج لمشروع الملك حسين الرامي الى التفاهم مع اسرائيل في حالة اعادتها **الجزء الاكبر** من الضفة الغربية اليه ، ويدفع عن الشوا تهمة العمالة مستندا الى اقالة الاسرائيليين له . اما ديهافلند الذي يفترض فيه ان يكون قد زار غزة وشهد الظروف القاسية التي يعيش فيها اهاليها فالشيء الذي وجده ايجابيا ويستحق الذكر هو الخدمات البلدية التي تبغي اسرائيل ايصالها الى مخيمات اللاجئين . وهنا مرة اخرى تبرز الصورة التي ترسمها الدعاية الغربية للفلسطيني : انه هو الذي يفضل البقاء في بؤرة بؤسه وشقائه، رافضا كل يد تمتد اليه بالمساعدة. ولا ينسى ديهافلند ان يذكر المستمع بمستوى المعيشة الذي ارتفع ثلاثة اضعاف بفضل الاسرائيليين . وبعد ذلك يقدم للمستمع محمد ابو شلبايه، مقتبسا الاسلوب نفسه الذي كان يستخدمه الدعائي الصهيوني جون كمشه في مجلة نيو مدل ايست . فكمشه هو الذي خلق الفكرة ابو شلبايه من لا شيء عام ١٩٦٨ وجعله ناطقا باسم الفلسطينيين « لاعتداله ورجاحة عقله واخلاصه لقومه » . اما نقطة الذروة في البرنامج ، فتقع في الصورة الصوتية لهتاف الاطفال وتعليق هارت عليها . ان الهتاف الصادر عن اطفال المدرسة ليس واضحا ليعلم المستمع ما هي الكلمات الواردة فيه ، ولكن هارت يتولى اخباره : ان الاطفال يدعون الى القتل وسفك الدماء ، ورجال المقاومة يقومون بعملية اجرامية عندما يغسلون عقول الاولاد الابرياء ويحرضونهم على القتل . اي ان المقاومة الفلسطينية كلها هي عصابة من القتلة ذوي العقول المنحرفة الشاذة التي تلتذ برؤية الدماء .

ولا يقتصر تحيز اذاعة لندن على التعليقات والندوات الاخبارية ، بل يتجاوزه الى النشرات الاخبارية . فالاذاعة تجاهلت الغارة الاسرائيلية على القرى السورية في بداية تشرين الثاني ، وهي الغارة التي نتج عنها مقتل وجرح العشرات من المدنيين بينهم الاطفال والنساء . وتجاهلت ايضا اغتيال الشهيد وائل زعيتر في روما مع ان هذا الخبر احتل الصدارة في الصحف الاوروبية . ولكنها كانت السباقة في الكشف عن محاولة انقلابية مزعومة في مصر . ويجب مقارنة ذلك مع تجاهلها لمحاولة الانقلاب في الاردن ، فمراسل البي بي سي لم « يكتشفها » الا بعد ان اعترف الملك حسين بها . والغريب انه في الوقت الذي يقف فيه البرنامج الانكليزي الخارجي هذا الموقف المعادي

للعرب ، نجد البرنامج العربي يضاعف جهوده من اجل كسب المزيد من المستمعين العرب . ففي تشرين الاول الماضي دب القلق في نفوس المشرفين على هذا البرنامج من جراء مناقشة اذاعة مونت كارلو العربية لاذاعتهم ، وبعثوا بأحد المسؤولين الانكليز في البرنامج ليقوم بجولة في بعض الاقطار العربية ، يستطلع الاراء فيها ، ويدرس ردود الفعل العربية (على صعيد المستمعين) لمناهج البي بي سي العربية . ومن الواضح ان هيأة الاذاعة البريطانية حريصة جدا على الاحتفاظ بمستمعيها العرب ، بل وحتى في زيادة عددهم . ونحن نعلم من مقال الاذاعي كيث كايل في « ذي ليسنر » ان البي بي سي تعرضت لضغط صهيوني قوي بعد حرب حزيران . فقد قام وفد من النواب اليهود في مجلس العموم البريطاني بزيارة اللورد هيل ، رئيس مجلس ادارة الاذاعة . ونتج عن الضجة الصهيونية التي افتعلت في بريطانيا ان اضطر المستر كوران مدير عام البي بي سي الى دعوة السفير الاسرائيلي وملحقه الصحفي الى الغداء والاجتماع بمديري الاذاعة. وكانت ثمرة ذلك كله استخذاء بريطانيا قريبا امام هذا الابتزاز ، علما بأن هيأة الاذاعة البريطانية ليست مثل التايمز ، صحيفة تعيش على الاعلانات . انها مؤسسة مستقلة ضمن الحكومة البريطانية ، وميزانيتها تأتي من دافع الضرائب البريطاني وليس من اعلانات شركة مارك اند سبنسر وغيرها من الشركات اليهودية ، كما هي الحال مع الصحف . ومن الجدير بالذكر ان كيث كايل قال في خاتمة مقاله ان الاقطار العربية تمتلك وسائل ضغط قوية لمواجهة النفوذ الصهيوني في بريطانيا ، الا انها لا تستخدمها . ولذا فانه في غياب أي محاولة للضغط على البي بي سي ، يمكننا ان نتوقع المزيد من التحيز من هذه الاذاعة الكبرى ذات النفوذ الواسع بين اذاعات العالم . فانها أساسا تتحدث بلسان المؤسسة البريطانية القائمة التي هي بحكم طبيعتها الامبريالية ضد أماني العرب وتطلعاتهم ، فكيف اذن اذا وقعت تحت الضغط الصهيوني الشديد ؟ ان الفرق بين اليوم وقبل خمسين عاما هو التالي : يومذاك كانت اذاعة لندن تخدم مصالح الامبراطورية البريطانية ، اما اليوم وقد غربت الشمس عن هذه الامبراطورية ، فالاسد العجوز المتقاعد اصبح يضع خدماته الصحفية والاذاعية والسياسية تحت تصرف القوة التي خلفته في منطقة الشرق الاوسط : اسرائيل .

ف. المنصور

صدر حديثا عن مركز الابحاث باللغة الانجليزية كتاب

مجلة نيو ستيتسمان والشرق الاوسط

بقلم

خالد قشطيني

يعرض المؤلف في الكتاب لمواقف المجلة من قضايا الشرق الاوسط ، وخاصة قضية فلسطين ، وذلك منذ اول صدورها ، كمجلة تقدمية يقرأها معظم مثقفي العالم الثالث ، وحتى الوقت الحاضر حيث توسعت المجلة بدعمها للصهيونية واسرائيل مما يدحض ادعاءها بالاشتراكية والتقدمية .

١٤٤ صفحة ، بليرتين لبنانيتين فقط

تضاف اليها أجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في أوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

الرسالة الثالثة

الانتخابات الامريكية في عام ١٩٧٢ واليهود الاميركيون

في ٧ تشرين الثاني ١٩٧٢ نال الرئيس نيكسون من أصوات اليهود ثلاثة اضعاف ما ناله من هذه الاصوات تقريبا عام ١٩٦٨ . وحسب دراسة لعينة من الدوائر الانتخابية ، قامت بها وسائل الاعلام ، فاز نيكسون بـ ٤٣ ٪ من الاصوات اليهودية على المستوى القومي(١). وقد أظهرت الردود التي توفرت ان اكبر حجم للاصوات اليهودية المساندة لنيكسون قد سجلت في المناطق التي يجتاحها التوتر العنصري . ففي ميتشيغان حاز نيكسون ٢٥ ٪ من الاصوات اليهودية بالمقارنة مع ١٠ — ١٢ حصل عليها قبل ٤ سنوات . وكذلك أعطت مقاطعة كانارسي في بروكلين ، حيث تشتد الكثافة اليهودية، والتي يشتد فيها الجدل حول مشكلة الباصات ، أعطت نيكسون ٥٤ ٪ من اصواتها مقابل ٢٣ ٪ عام ١٩٦٨(٢).

ان انماط التصويت اليهودية في انتخابات ١٩٧٢ قد أثارت اهتماما خاصا ، بالنظر الى الجهود المكثفة التي بذلها كل من ماكغفرن ونيكسون لارضاء الناخب اليهودي . اذ بينما يشكل اليهود ٣ ٪ من السكان فان الاصوات اليهودية حاسمة في ١١ ولاية أساسية — نيويورك ، كاليفورنيا ، اوهايو ، بنسلفانيا ، الينوي ، فلوريدا ، نيو جرسي ، ماساتشوستس ، كونكتيكت ، رود ايلاند وميتشيغان . ولهذا ، ركز المرشحان على القضايا التي تهم اليهود بشكل خاص ، والتي تخرج عن دائرة القضايا الداخلية البحتة . وهذه القضايا كانت بشكل أساسي ، دعم التوسع الاسرائيلي والقلق بشأن اليهود السوفيات . ان تحسن موقف نيكسون بين اليهود يعزى ، الى حد كبير ، الى شعور ، ساد دوائر يهودية كثيرة ، بأنه قد «وفى» بعهده لدعم اسرائيل بينما كان ماكغفرن كمية مجهولة رغم تصريحاته الكثيرة المؤيدة لاسرائيل . كان هناك ميل لدى اليهود لربط ماكغفرن باليسار الجديد الصاخب والمعادي لاسرائيل، وبالراديكاليين الاخرين الذين تبنوا موقفا مؤيدا للعرب(٣). ويعتقد ان مواقف كهذه قد لعبت دورا في تخلي يهود عن ولائهم التقليدي للحزب الديموقراطي . ففي سنة ١٩٥٢ ، مثلا ، صوت ٧٣،٩ ٪ من يهود الولايات المتحدة لصالح ادلاي ستيفنسون ، وفي سنة ١٩٥٦ بلغت النسبة ٧٧ ٪(٤).

ان التغييرات العملية التي يمكن توقعها هي قليلة ، هذا اذا وجدت ، كنتيجة لهذه الانتخابات ، عند النظر في علاقات الولايات المتحدة واسرائيل ، ومسألة اليهود السوفيات ، من قبل لجنتي العلاقات الخارجية والتخصيصات في مجلسي النواب والشيوخ . لقد لقيت كل من تضيتي اليهود السوفيات واسرائيل اهتماما وديا خلال فترة الكونغرس الثاني والتسعين الذي خصص اكثر من ٧٥٠ مليون دولار لاسرائيل . وسيستمر السناتور ويليام فولبرايت (ديموقراطي من اركنساس) كرئيس للجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ . لكن السناتور ويليام سبونج وهو ديموقراطي من فرجينيا كان يدعم اسرائيل ، لن يعود . وهناك أربعة أعضاء في لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ ، مناصرين لاسرائيل ، رشحوا وأعيد انتخابهم . وهم ، من الحزب الجمهوري شارلز بيرسي من الينوي وج. ب. بيرسون من كانساس ، ومن الديموقراطيين كليبورن بل من رود آيلاند وجون سباركمان من الاباما ، وجميعهم اصدقاء لاسرائيل .

بعض من أصدقاء اسرائيل الذين هزموا : خسر السناتور ج. كيلب بوغز (جمهوري من ديلاوير) الذي كان صديقا لاسرائيل الحملة لاعادة انتخابه ولن يعود الى اللجنة . وكذلك الامر مع السناتور غوردون الوت (جمهوري من كولورادو) الذي كان أيضا صديقا لاسرائيل ولليهود الاتحاد السوفياتي . وهو رئيس اللجنة السياسية للحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ . وقد خسر بوغز لصالح ر. بايدن ، وهو محام عمره ٢٩ عاما .

---

١ — **جويش ويك** ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، ص ٤ .

٢ — **جويش تلغرافيك آجنسي** ، ٩ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، ص ١ .

٣ — **المرجع نفسه** .

٤ — **المرجع نفسه** .

وكان يوصف بانه « ايجابي جدا » تجاه « المسائل اليهودية » . وستظل لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس النواب والمؤلفة من ٣٩ عضوا ، يقودها ، كما في الماضي ، الدكتور توماس مورغان (ديموقراطي من بنسلفانيا) ، الذي يملك سجلا مؤيدا لاسرائيل بقوة . وهناك عضوان لن يعودا هما جون مورغان (ديموقراطي من كونكتيكت) وج. ايرلنغ والي (جمهوري من بنسلفانيا) وقد كانا يدعمان اسرائيل بقوة . وقد ربح النائب جيمس ابو رزق (ديموقراطي من داكوتا الجنوبية) مقعدا في مجلس الشيوخ بعد ان امضى فترة نيابية واحدة في مجلس النواب . وهو اول شخص من أصل عربي يخدم في مجلس الشيوخ .

١٢ يهوديا في مجلس النواب : سيكون هناك على الاقل ١٢ يهوديا في مجلس النواب عندما يجتمع الكونغرس الثالث والتسعون . وهذا هو عددهم نفسه في الكونغرس الثاني والتسعين ، وأقل بعضوين من الرقم القياسي في الكونغرس التسعين عام ١٩٦٧ . وقد أعيد انتخاب ثمانية يهود لمجلس النواب : بيلا س. ابزوغ ، ادوارد كوخ ، برترام بودل ، بنجامين روزنتال وليستر وولف عن مدينة نيويورك ، وسيدني بيتس عن شيكاغو ، وجوشوا آيلبرغ عن فيلادلفيا ، وسام ستايغر عن اريزونا . وجميعهم ، باستثناء ستايغر الجمهوري ، ديموقراطيون . وقد انتخب أربعة يهود جدد هم : اليزابيث هولتسمان عن بروكلين ، نيويورك ووليام لهمان عن ميامي بيتش وادوارد مزفنسكي عن مدينة أيوا ، وكلهم ديموقراطيون ، وبنجامين غيلمان ، جمهوري عن ميدل تاون ، نيويورك . ومزفنسكي هو أخو نورتون مزفنسكي اليهودي المعادي للصهيونية . وورد في التقارير أنه يعارض سياسة أخيه المعادية لاسرائيل . أما الانسة هولتسمان البالغة من العمر ٣١ عاما وخريجة كلية القانون في هارفارد فتحل محل ايمانويل سيلار البالغ ٨٤ عاما وهو رئيس ذو نفوذ للجنة القضائية التابعة لمجلس النواب . وهناك خسارة كبيرة لليهود تمثلت في سقوط النائب آبنر ميكفا ، ديموقراطي من شيكاغو ، لصالح الجمهوري صموئيل يونغ وهو محامي شركة .

والان وقد انتهت الانتخابات هل تتقدم الولايات المتحدة بمبادرة جديدة لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي ؟ حسب ما جاء في صحيفة « ايفننج ستار آند ديلي نيوز » الصادرة في واشنطن العاصمة والمقربة من ادارة نيكسون « ليس من المحتمل ابدا ان يحدث تقدم مثير نحو السلام في الشرق الاوسط ، وعلى الاقل ليس قبل انتخابات السنة القادمة (١٩٧٣) في اسرائيل ، وحتى آنذاك من المستبعد ان تلعب الولايات المتحدة دورا قياديا »(٥).

عوده ابو ردينه

---

٥ — **ايفننغ ستار آند ديلي نيوز** ، ٤ كانون الاول ١٩٧٢ ، ص A 18.

القرارات الامريكية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين

بقلم

مايكل جانسن

(باللغة الانجليزية)

اطلبه من قسم التوزيع في مركز الابحاث ، ص. ب ١٦٩١ — بيروت

سعر النسخة ليرة لبنانية واحدة تضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي، ١٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

فلسطين في ثلاثة مؤتمرات

المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثـورة الفلسطينية

لا شك ان انعقاد المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية كان بحد ذاته ، بغض النظر عن كل المناقشات والمساجلات التي تخللته — والتي كانت على أي حال ايجابية ومثمرة — حدثا عربيا بالغ الاهمية خاصة في ظل الظروف الراهنة التي تتميز قبل كل شيء بحالة من الترقب القلق والتردد القاتل والانحسار الواضح لحركة التحرر العربية بشكل عام . ولا شك أيضا ان وصـول حركة التحرر العربية الى هذا المأزق هو النتيجة الحتمية والثمن الذي لا بد من دفعه لهزيمـة حزيران . ومن الطبيعي ان لا يكون أي لقاء عربي في وضع كهذا متقدما كثيرا على مجمل الوضع العربي العام مهما كانت نوعية القوة المشاركة فيه ومهما كانت مواقعها متقدمة ، ان كل ما يمكن أن يقدمه لقاء من هذا النوع بالتحليـل الاخـير مساهمة اكيدة وثمينة في بلورة وتوضيح المهـام الراهنة الملقاة على عاتق حركة الثورة العربيـة ومن ضمنهـا الثورة الفلسطينيـة . وقبـل ان نحاول تقييم نتائج هذا المؤتمر الشعبي يبدو لنا من الضروري القاء بعض الاضواء على اعماله والهدف الاساسي منه والمواضيع التي عالجها والقوى التي مهدت لانعقاده بالاضافة الى تلك التي شاركت فيـه .

فكرة المؤتمر : بعد مجازر ايلول ومحاولات تصفية المقاومة الفلسطينية في الاردن وازاء ردود الفعل الشعبية الغاضبةفي مختلف أرجاء الوطن العربي على كل ما حدث للمقاومة التي كانت تذبح على مرأى من الجماهير العربية دون ان تستطيع هـذه الاخيرة ان تتجاوز مرحلة ردود الفعل الى مرحلة العمل الحقيقي المنظم ، بدأت بعـض الاسئلـة تطرح بالحاح في محاولة لتحديد نقطة الخلـل في كل هذا : لماذا لم تستطـع الجماهير العربية الخروج من غضبتها العفوية لتسانـد الثـورة الفلسطينية عمليا وفعليا ؟ هل أن « فلسطينية » العمل الفدائي كانت هي السبب وهل ان انعدام الالتحام العضوي والتنظيمي بين مختلف فصائـل الثورة العربية وبين طلائعها المسلحة كان له دور أساسي في نجاح النظام الاردني باستفراد المقاومة؟ **أم ان الخلل كامن في الثورة الفلسطينية نفسها** سواء من حيث ممارساتها ام تنظيمها وفكرها ؟ من الصعب جدا الاجابة بشكل قاطع على هـذه التساؤلات الا ان ما لا نستطيع نكرانه وتجاهله هو أن المقاومة بدأت تكتشف بوضوح ان معركتهـا لا يمكن ان تكون منتصرة ما لم تكن في الـوقت نفسه معركة كل القوى الوطنية والتقدمية علـى امتداد الوطن العربي . من هنا كان هذا المؤتمر سواء من حيث القوى المشاركة والمراقبة التـي دعيت اليه أم من حيث المناقشات الحادة التـي تخللته ، بداية مهمة وجدية للاجابة على التساؤلات الكثيرة والملحة التي افرزتها الاوضاع الراهنة .

طبعا لم يكن هذا المؤتمر اول تجمع وطني وتقدمي يشهده الوطن العربي كما أن فكرته لم تكن وليدة ساعتها . لقد كان هناك **ملتقى الخرطوم الفكري وندوة الاشتراكيين العرب** في الجزائـر وكذلـك **المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني** السـذي حشد وفودا تقدمية من مختلف انحاء الوطن العربي الا أنه لميتجاوز حدود التظاهرة الاعلامية علىالرغم من مبادرة الوفود العربية التي دعيت لحضوره الى الدعوة لمؤتمر عربي واسع لكل القـوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي . ثم اخيرا كان هناك **المؤتمر الشعبي الفلسطيني** الذي انعقد في القاهرة في شهر نيسان الماضي وصدرت فيه عـن الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية المدعوة مبادرة بالدعوة الى مؤتمر شعبي عربـي لنصرة الثورة الفلسطينية . وقد بدأت هذه المبادرة تتجسد عندما تشكلت اثر ذلك لجنة تحضيرية أخذت على

عاتقها تحضير هذا المؤتمر وتنظيمه . وقد ضمت هذه اللجنة الاحزاب والمنظمات التقدمية العربية التالية : ١ ــ الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر. ٢ ــ حزب البعث العربي الإشتراكي في العراق . ٣ ــ الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا . ٤ ــ الجبهة القوميةفي اليمن الشعبية الديمقراطية. ٥ ــ حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية . ٦ ــ الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان . ٧ ــ حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية . ٨ ــ منظمة التحرير الفلسطينية . ٩ ــ حزب العمل الاشتراكي العربي . ١٠ ــ الحركة الوطنية في المغرب . وقد عقدت هذه اللجنة التحضيرية اجتماعين في بيروت في أيار الماضي بحثت خلالهما في الوثائق الاساسية التي عرضت على المؤتمر وفي مشروع البرنامج السياسي العام وأوكلت مهامها الى مكتب الامانة الدائم في بيروت الذي وجه الدعوات ونظم المؤتمر وتمكن من التغلب بمرونته على الصعوبات والعراقيل الكثيرة التي اعترضت سبيله سواء من ناحية الدعوات أم التنظيم أم حتى الخط السياسي العام ، وقد كسب المؤتمر بذلك ، حتى قبل ان يبدأ اعماله ، مناعة ضد الفشل التام الذي كان يتوقعه له الكثيرون من المشككين بجدية مثل هذا المؤتمر نظرا لطبيعة القوى المشاركة فيه ومواقعها الفكرية والاجتماعية والاستراتيجية .

المؤتمر من الداخل : مهد للمؤتمر ببيان صحفي صادر عن اللجنة التحضيرية جاء فيه أن الهدف من هذا المؤتمر هو « اقامة جبهة من الاحزاب والقوى والشخصيات الوطنية والتقدمية العربية على اختلاف منطلقاتها الفكرية والاجتماعية للمشاركة في كفاح الشعب العربي الفلسطيني انطلاقا من ضرورة تغليب التناقض الرئيسي ، أي التناقض مع القوى المعادية ، على التناقضات الثانوية القائمة بينها ... »

عقدت الجلسة الافتتاحية صباح الاثنين ٢٧ تشرين الثاني في فندق بوريفاج وكانت مخصصة لالقاء الكلمات وخاصة كلمات الوفود الاجنبية الصديقة التي دعيت الى حضور المؤتمر بصفة مراقب . وكانت هذه الوفود تمثل البلدان الاشتراكية وحركات التحرر في العالم وبعض الاتحادات والمنظمات التقدمية . ثم فتحت المناقشات بعد ذلك وانقسم المؤتمر في اليوم التالي الى لجنتين : لجنة لمناقشة البرنامج السياسي العام والوثائق السياسية التي أعدتها اللجنة التحضيرية ولجنة تنظيمية لوضع الاسس العامة للجبهة المرتقبة . وبقدر ما كان عمل اللجنة الاولى شاقا وصعبا فان اللجنة التنظيمية تمكنت من التغلب على عقباتها بسهولة اكثر .

لقد شهدت اللجنة السياسية مناقشات حادة حول عدة قضايا أساسية منها : ١) الموقف من قرار مجلس الامن . ٢) الحريات الديمقراطية وقضية التحرير .

● **الموقف من قرار مجلس الامن** : لعلنا لا نغالي اذا قلنا أنه كان هناك شبه اجماع على الرفض الضمني لهذا القرار الا ان الخلاف نشب واحتدم عندما ارادت بعض القوى عدم الاشارة اليه بشكل واضح اي بتسميته بأسمه . وحول هذه القضية كانت هناك ثلاثة مواقف : **الموقف الاول** : القوى القابلة بالقرار دون أن تطلب من الاخرين بتأييده ولا برفضه بالاسم . **الموقف الثاني** : القوى الرافضة لقرار مجلس الامن ولكن غير المتمسكة برفضه شكليا **وبالاسم حفاظا على وحدة المؤتمر** . وقد عبرت عن هذا الموقف احدى الشخصيات الوطنية ، مشاركة في المؤتمر عندما اعلنت : « ان البرنامج السياسي للمؤتمر نص على الشيء الاساسي وهو دعم الثورة في تحرير كامل التراب الفلسطيني . اما قرار مجلس الامن ، فبرغم ان قبوله هو في نظري موقف استسلامي ، فلا يجوز ان يتحول النقاش حوله الى مشكلة زائفة تعرقل قيام جبهة تضم قوى حركة التحرر العربية . » **الموقف الثالث** : رفض قرار مجلس الامن والدعوة الى تبني رفضه من المؤتمر . وكانت حجة القائلين باتخاذ مثل هذا الموقف هو أن التطورات والتراجعات التي شهدتها حركة التحرر العربية عامة والمقاومة الفلسطينية خاصة انما تعود الى قبول قرار مجلس الامن من خلال الموافقة على مشروع روجرز التصفوي . كما ان الموقف من هذا القرار يجب ان يكون استراتيجيا بمعنى أن كل قبول تكتيكي به هو من نوع الاعتراف بميزان القوى الراهن الذي هو لصالح اسرائيل والامبريالية والرجعية . وبعد نقاش سياسي حاد استطاع المؤتمر التوصل الى نص برفض قرار مجلس الامن بشكل واضح ولكن دون الاشارة اليه بالاسم فجاء القرار كما يلي :

« مقاومة كل المشاريع التصفوية التي تقوم على

تكريس الكيان الصهيوني والاعتراف بدولة اسرائيل ضمن ما يسمى بالحدود الامنة وتحول القضية الفلسطينية من قضية تحرير قومية الى مشكلة لاجئين وتجعل من تجريد الشعب الفلسطيني من السلاح وتصفية حركته الوطنية ثمنا لمختلف التسويات والحلول الكلية والجزئية المطروحة لقضية الاراضي العربية المحتلة خلال عدوان حزيران ١٩٦٧ . وتؤكد القوى الوطنية والتقدمية العربية تأييدها ومشاركتها للمقاومة الفلسطينية في تنفيذ استراتيجيتها في هذا المجال » .

● **الموقف من الديمقراطية وقضية التحرير** : وهنا ايضا انقسم المؤتمرون الى تيارين متمايزين : **التيار الاول** يدعو الى الاكتفاء بما اتفقت عليه اللجنة التحضيرية من صيغ عامة أي التأكيد على الترابط العضوي بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ولكن دون تحديد نقاط الصدام بين الحركة الثورية العربية وبين الرجعية العربية . **التيار الثاني** حاول دفع المؤتمر الى التخلي عن عموماته وتحديد هذه المواقع بالاسم . وكان أشد المدافعين عن هذا الموقف الوفود القادمة من الخليج بالاضافة الى الوفد السوداني . وهنا ايضا تم التوصل الى صيغة معدلة أوضح من تلك التي كانت في مشروع البرنامج السياسي فجاء التعديل كما يلي : « التصدي بحزم للقوى الامبريالية والرجعية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي التي تشكل كتلة معادية للثورة العربية عن طريق القواعد العسكرية الاجنبية ونهب الثروة النفطية وفتح الباب واسعا أمام التغلغل الصهيوني المباشر وغير المباشر والتفريط بالسيادة العربية على جزر وأراضي المنطقة ومحاصرة حركة الجماهير الوطنية والديمقراطية والانظمة التقدمية بقوة السلاح ... دعم وتأييد الحركة الوطنية الجماهيرية والديمقراطية والمسلحة في تلك المنطقة ونضالاتها والتصدي بحزم لسياسة القوى الصهيونية والرجعية في منطقة البحر الاحمر ، هذه السياسة التي فتحت الطريق للقواعد والنفوذ الصهيوني من أجل السيطرة على مداخل هذا البحر ضمانا لمصالح العدو الصهيوني وللمصالح الامبريالية البترولية ... » كما انه اضيف هدف اخر الى أهداف الجبهة هو التأكيد على الحريات الديمقراطية كضمانة للثورة . وقد تمت صياغة هذا الهدف على الشكل الاتي : « مقاومة كل اشكال القمع الموجهة الى الحركة الشعبية في الوطن العربي والتأكيد على الحريات الديمقراطية للجماهير العربية في التعبير عن ارادتها الوطنية المستقلة في التحرير الشامل وعلى الحقوق الديمقراطية للتنظيمات السياسية والنقابية الشعبية . » وقد تحفظ مندوب واحد فقط على اضافة هذه الفقرة هو مندوب اتحاد قوى الشعب العامل في لبنان .

هذه كانت اهم نقاط الخلاف التي أمكن في النهاية التغلب عليها . أما النقاط التي كان الاتفاق عليها اجماعيا فكانت : — ضمان حرية المقاومة العسكرية والتنظيمية والسياسية — ضرورة النضال من أجل اسقاط النظام الهاشمي العميل في الاردن — الاتفاق على صيغة الجبهة التنظيمية الى حد ان تبادل الترشيح من قبل أطراف مختلفة ايديولوجيا كان ظاهرة ايجابية ملفتة للانظار . فحزب البعث العربي الاشتراكي رشح مثلا مندوب الحزب الشيوعي العراقي لمقعد الامانة العامة كما ان الحزب الشيوعي اللبناني قام بالخطوة نفسها تجاه مندوب حزب البعث في لبنان .

وبالنسبة الى اللجنة التنظيمية فقد أقرت لائحة داخلية تحدد قيام مؤسسات الجبهة الوطنية وطريقة عملها وانعقادها وتعميمها في كل قطر عربي .

نظرة تقييمية : ان ولادة الجبهة الشعبية العربية كان الى حد بعيد حدثا سياسيا بالغ الاهمية يمكن ان يكون له دور فعال في تطوير العمل الثوري العربي اذ أنها المرة الاولى التي يعرف فيها الوطن العربي تنظيما جبهويا على مثل هذا الاتساع وقائما على هذا الحد الادنى الواضح من الاتفاق . وهي بهذا المعنى تشكل قفزة نوعية لا يمكن التقليل من اهميتها ولعل كل تشبيه بجامعة الدول العربية او بالمؤتمرات التي تعقد بين الحين والحين ولا تؤدي الى شيء هو من قبيل سوء النية او التشاؤم المرضي في احسن الحالات . الا ان هذا لا يعني بأي حال من الاحوال ان خطر الوقوع ضحية الشلل التنظيمي او الذيلية ليس واردا خاصة اذا علمنا ان الاحزاب التقدمية الحاكمة ممثلة كلها في الامانة العامة . والنتيجة الايجابية الاخرى التي خرج بها هذا المؤتمر هو تأكيده على الابعاد العربية للثورة الفلسطينية . ان كون المؤتمر قد ركز على ان حركة التحرر العربية ليست مجرد حليفة او سند للثورة الفلسطينية وليس الاثنان مجرد شريكين تلتقي مصالحهما هنا وهناك ضمن افق زمني ما بل

انهما ذات واحدة ، هو بالتحليل الاخير انتصار حتيقي للثورة الفلسطينية ، خاصة عندما يصدر مثل هذا الكلام عن مؤتمر شعبي، لا عن مؤسسات حاكمة . ان المؤتمر عندما يقول بأن « القوى الوطنية والتقدمية ليست مدعوة فقط لدعم الثورة بل لها ايضا الحق وعليها نفس الواجب للمشاركة فيها جنبا الى جنب مع الشعب الفلسطيني » فانما يكون قد آمن بمركزية الصراع المصيري ضد الصهيونية وبضرورة اضفاء طابع الالحاح والاستعجال على قضية تحرير الارض العربية الفلسطينية لا بل ان المؤتمر يذهب الى أبعد من ذلك فيجعل من قضية فلسطين قضية داخلية في كل بلد عربي . « ان الوجود الصهيوني الغاصب لا يهدد وجود الشعب الفلسطيني وحقوقه القومية وحسب وانما يستهدف نضال الامة العربية من أجل الوحدة والتحرر والتقدم ، ويلعب دور المخفر الامامي للامبريالية من أجل الحفاظ على وجودها ومصالحها في المنطقة » . ان هذا الحد الادنى من الوضوح الفكري والسياسي الذي تميز به خط الجبهة العام كان اكثر شمولا مما توقع له الكثيرون خاصة اولئك الذين كانوا يترقبون ان يكون هذا المؤتمر تظاهرة خطابية لاعلان التاييد اللفظي للثورة الفلسطينية . ان البعد القومي العربي الذي تجلى في خط الجبهة والمؤسسات التنظيمية المنبثقة عنها اثبتا ان هذا المؤتمر كان « حدثا » شعبيا عربيا خاصة وانها المرة الاولى في تاريخ الحركة الثورية العربية التي تجمع فيها القوى الوطنية والتقدمية شملها في عمل جبهوي يتوفر فيه الحد الادنى المطلوب لنجاح استمراريته وفعاليته . طبعا كانت هناك محاولتان سابقتان في هذا المجال في كل من سورية والعراق الا انهما لم تتجاوزا الاطار المحلي لتشملا الوطن العربي ككل كما هي الحال مع المؤتمر . ولعل وعي ضرورة العمل ضمن الاطر الجبهوية يشكل تقدما واضحا ومحسوسا لا بد وأن ينعكس ايجابيا على مسار الحركة الثورية العربية في المستقبل .

ان الاطار التنظيمي والسياسي العام للثورة العربية قد توضح مع ولادة الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية . الا أن الاهم من كل هذا هو ترجمة هذا الخط العام الى ممارسات ثورية حقيقية واعطاء المضمون الموضوعي . وهذا في رأينا لا يمكن ان يتأكد وينمو ويتطور ويتبلور الا من خلال الدفع بالوضع العربي الراهن الى الصدام الفعلي مع معسكر الاعداء من خلال حمل السلاح ضد العدو الصهيوني وتفجير الثورة الاجتماعية على صعيد الوطن العربي وتوجيه الضربات القاضية للوجود الاستعماري في المنطقة وتكريس الديمقراطية الحقيقية . عندئذ ، وعندئذ فقط يكون هذا المؤتمر لا حدثا عربيا بل بداية « الحدث العربي بعد الخامس من حزيران » .

ماجد نعمه

تشويه التعليم العربي في فلسطين المحتلة

دراسة تحليلية لمناهج التاريخ والتربية المدنية

بقلم

نجلاء نصير بشور

اطلبه من قسم التوزيع في مركز الابحاث
ص. ب ١٦٩١ — بيروت

١٥١ صفحة
سعر النسخة ليرتين لبنانيتين ، تضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق. ل.
في العالم العربي ، ١٠٠ ق. ل. في أوروبة ، ٢٥٠ ق. ل. في سائر الدول

الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين

في الفترة ما بين ١١ الى ١٦ ايلول ١٩٧٢ ، انعقد في مدينة كنتربري (انكلترا) المؤتمر الثاني للندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين — وقد ضم المؤتمر اكثر من ١٢٠ موفدا يمثلون عشرين قطرا وينتمون الى مختلف الكنائس الكاثوليكية والبروتستنتية والارثوذكسية . وقد شارك في أعمال المؤتمر سبعة مطارنة وعدد من كبار اللاهوتيين والمسؤولين عن معاهد وحركات وصحف مسيحية من مختلف انحاء العالم . وننشر فيما يلي عرضا لاعمال المؤتمر بقلم احد المشتركين وهو الكاهن الجزائري الفرنسي الاصل هنري تيسييه مدير مركز الدراسات واللغة العربية في ابرشية الجزائر والذي يعد حاليا اطروحة دكتوراه عن تاريخ الجزائر .

انكلترة تعيش احداث ميونيخ

صباح الثلاثاء ٥ أيلول ، وفي الوقت الذي كنت أتجه فيه الى مطار الجزائر لانضم الى اللجنة اللاهوتية التي حضرت للندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين ، كانت كل اذاعات العالم تبث أخبارا عن ميونيخ حيث كان فدائيو أيلول الاسود واقعين بين تصلب غولدا مائير اللاانساني من جهة وبين تباطؤ ومماطلة الشرطة البافارية من جهة اخرى . عند نزولنا من الطائرة، استقبلتنا عناوين الصحف البريطانية المسائية التي كانت تفرض علينا من خلال كلماتها القاسية رد الفعل البريطاني ازاء ما كان يجري في القرية الاولمبية . ادركنا عندئذ حالا الوضع الذي على الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين ان تعمل ضمن اطاره والذي يختلف تماما عن الوضع الذي أحاط بولادة الندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين في بيروت منذ حوالي سنتين .

كانت العاصمة اللبنانية حينذاك قد امتلأت بأعلام الندوة مرحبة أحر ترحيب بالمؤتمرين . كما ان قاعة الاونيسكو الكبيرة وضعت تحت تصرفنا وافتتح رئيس الجمهورية اللبنانية نفسه اعمال المؤتمر بجلسة احتفالية . اما في لندن فقد كانت جوازات سفرنا الجزائرية تجعلنا نخشى من عدم التمكن من دخول بريطانيا خاصة في جو التشنج المعادي للعرب الذي فجرته أزمة ميونيخ . على كل حال فقد استدعي احد أعضاء وفدنا من قبل الشرطة ، بعد أن اجتاز مرحلة التدقيق الروتينية الصعبة ، حيث اضطر لتقديم التوضيحات الوافية قبل ان يتمكن من الالتحاق بنا . ولم تتغلب السلطات الدينية نفسها على ما يبدو على هذا السخط الوحيد الاتجاه فكان أول اتصال لي مع اخبار اذاعة لندن (البي. بي. سي) هو سماعي عظة يهاجم فيها كبار رجال الكنيسة الانكليزية الارهاب بدون ان يدينوا في الوقت ذاته المظالم المرتكبة بحق شعب فلسطين منذ عشرات السنين. ما ان وصلنا الى ضاحية كنتربري التي انعقدت فيها الندوة وبدأنا نشعر بشيء من الراحة بسبب جمال الطبيعة الانكليزية وجو العمل الذي يوفره لنا هذا المكان حتى وردنا خبر بأن عددا معينا من أصدقائنا لن يتمكنوا من الاشتراك في الندوة لان وزارة الخارجية البريطانية ترفض ان تعطيهم تأشيرة الدخول . وهكذا فقد منع بعض اللبنانيين من الانضمام الينا كما أن المندوبين الفلسطينيين الذين جاءوا ليشتركوا في هذه الندوة لم يستطيعوا الدخول هم أيضا . ولم يستطع الا ثلاثة منهم فقط ان يحضروا جلسة الافتتاح بعد ان نجحوا بوسائل مختلفة في الانضمام الينا ، في حين ان ثلاثة اخرين لم يتمكنوا من الحضور الا عشية الجلسة الختامية. وهكذا فقد نهمنا بشكل أفضل معنى وجودنا ذاته في كنتربري . فعندما يطالب الفلسطينيون بحقوقهم وهم يحملون السلاح فان الرأي العام العالمي يدينهم . وعندما يحاولون ان يشرحوا قضيتهم في مؤتمر سلمي اقيم بموافقة السلطات المسؤولة ، يرفضون منحهم تأشيرات الدخول أو يؤخرون ذلك لكي يقللوا جزئيا من فعالية حضورهم .

التقيد بالبرنامج أم تتبع الاحداث ؟

لقد ارغمتنا خيبات الامل هذه التي اصبنا بها حتى قبل أن تبدأ الندوة على اعطاء عمل هذه الندوة كل ما تستحقه من الجدية . على كل ، فان المناخ الذي خيم على ندوة بيروت كان من الممكن ان ينسينا بأن المعركة طويلة الامد . وفي التحليل الاخير فقد كان من السهل جدا سنة ١٩٧٠ الكلام

من حقوق شعب فلسطين اذ أن كل الدول العربية كانت تؤيد نجم المقاومة الفلسطينية الصاعد وحتى الملك حسين نفسه اضطر آنذاك الى اخفاء نواياه الحقيقية .

قررنا اذن أن نخطو خطوة جديدة معا فالتقى كل المشتركين مساء الاثنين ١١ أيلول . واستلم جورج مونتارون رئيس تحرير مجلة « الشهادة المسيحية » الفرنسية وسكرتير عام الندوة الكلام ورسم لنا باختصار المراحل التي قطعتها الندوة منذ اجتماع بيروت . كان انشاء اللجان القومية في عدة بلدان بالاضافة الى المنشورات التي أصدرتها أمانة باريس او أمانة بيروت قد بدأ يعطي ثماره بالنسبة الى الرأي العام داخل الكنائس . ولكن ما السبيل الى اكمال هذا العمل ؟

الا ان رئيس الجلسة وجد نفسه في صباح اليوم التالي أمام مهمة صعبة . لقد كان من المفروض ان يخصص هذا النهار لكي نبحث ونطور معا أفضل السبل الاعلامية حول الوضع الراهن للنضال الفلسطيني وذلك بعد أن تقدم كلوفيس مقصود تحليلا مطولا للوضع ، غير أن عددا معينا من المشتركين أرادوا أن تقوم الندوة ، في الحال ، بعمل سريع وصاعق موجه الى رئيس كنيسة انكلترة ومسؤولي الكنائس الانكليزية الذين كانوا مجتمعين في مجلس مسكوني في بيرمنغهام . عند افتتاح الندوة قرأ أمامنا المسؤول عن العلاقات الخارجية في الكنيسة الانكليكانية رسالة لم يكن من الممكن ان تمر بدون جواب . هل كان بامكاننا ان نؤجل الى وقت آخر المناقشة حول هذا الجواب ؟ ماذا علينا ان نقول لمجمع بيرمنغهام ؟

وعلاوة على ذلك فقد اصيب اللاجئون الفلسطينيون وسكان سوريا ولبنان في التاسع من أيلول بتنكيل فظيع من جراء عمليات القصف الاسرائيلية . ألم يكن من واجب الندوة أن تعبر لحكومتي هذين البلدين ولمنظمة التحرير الفلسطينية عن تعاطفها أمام هذا القدر الكبير من الموت والدمار ؟ واخيرا فان الرأي العام العالمي كان قد عبر عن ردة فعله ازاء عملية ميونيخ من خلال وجهة معينة ومعروفة. فهل كان من الممكن ان نتجنب التعبير عن موقف الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين ازاء هذه النقطة ؟ كان على مسؤولي الندوة ان يحسموا هذا الامر . لم يكن بامكاننا ان نكرس الوقت القليل المتوفر امامنا لبحث مسألة معروضة علينا من قبل الاحداث الانية وحدها. فتقرر اذن ابقاء البرنامج كما هو وتكليف لجنة الاعلام ولجنة التحرير بمهمة تحضير الوثائق التي ستوجه الى السلطات الدينية البريطانية .

اللجان تبحث عن وحدتها

بعد ظهر الثلاثاء انقسم المؤتمرون الى أربع مجموعات حسب ما أعلن في البرنامج الرسمي . لجنة حقوق الانسان ، اللجنة اللاهوتية ، لجنة « القدس » ، لجنة « الاعلام » . الا ان ضرورة تنظيم الجهود بشكل دائم أدت الى انشاء لجنة خامسة هي لجنة التنظيم وكانت مهمتها ان تقترح على الجمعية العامة نظام تنسيق بين اللجان القومية وامانتي بيروت وباريس الدائمتين .

على كل حال يمكن قراءة محاضر اعمال كل لجنة من هذه اللجان في مكان آخر . ثم ان مختلف « الامزجة الكنائسية » أو الحساسيات « الشرقية » او الغربية لم تكن أحيانا تتفق الا بصعوبة . فبعض الغربيين مثلا اعتبروا انه من غير الضروري احاطة القدس بتفكير خاص ، أليست هي عاصمة فلسطين ؟ ألا ينبغي تجنب كل ما يمكن ان يميزها عن باقي المدن الفلسطينية وبالتالي تشجيع كل اولئك الذين يريدون أن يجدوا لها وضعا آخر غير الوضع الفلسطيني ؟ الا ان الشرقيين كانوا يجيبون بأنه توجد حاليا في اسرائيل سياسة منظمة تهدف الى تصفية العرب تدريجيا من القدس القديمة لذلك يجب لفت انتباه الرأي العام المسيحي بشكل خاص الى قضية تهويد القدس . وهنا يجيب الغربيون : نعم ! ولكن ينبغي عدم استعمال الحجج الدينية (القدس مدينة مقدسة الخ ..) والا فاننا نكون نزود الصهيونية بالاسلحة لانها هي أيضا تزعم انها **تقيم حقوقا سياسية على أساس ذكريات دينية ..** وقد قادت هذه الاختلافات في الامزجة الجمعيات العمومية عدة مرات الى حافة القطيعة . وقد ظهر ذلك بشكل خاص عندما بات على الندوة ان تصل الى اتفاق حول نص أعدته اللجنة اللاهوتية . فقد أصر الغربيون على أن يشار في النص الى العداء للسامية الذي طبع في الماضي طوائفهم . الا ان الشرقيين رفضوا ادراج تأكيدات لا تتصل مباشرة الا بتاريخ المسيحية الغربية ضمن اعلان صادر عن ندوة عالمية للمسيحيين .

غير أن مجموع المشتركين كانوا موحدين جدا

بالهدف الاساسي من اجتماعهم وهو « التضامن مع الفلسطينيين » مما لم يفسح المجال امام هذه الخلافات الثانوية لتمنعهم من الوصول الى نهاية مثمرة لعملهم . لذلك باتت المفاوضات الشاقة ضرورية للوصول ، احيانا في ساعات متأخرة من الليل ، الى صيغ توفيقية . وهكذا فقد صارت ادانة المعاداة للسامية مثلا الى ادانة لكل عنصرية ، سواء أكانت ضد العرب ام ضد اليهود . ان صعوبة الوصول الى لغة مشتركة بين مسيحيي الشرق ومسيحيي الغرب قد أظهرت الى اي حد هي ضرورية مثل هذه اللقاءات بين الكنائس الشرقية والغربية .

في الواقع يجب ان نخاطب الرأي العام الغربي بكلمات يفهمها . الا انه يجب ، في الوقت نفسه ، الكلام عن فلسطين بتعابير يقبلها مسيحيو الشرق، والذين هم المعنيون المباشرون ، ويجعلون مواطنيهم المسلمين يتفهمونها ويقبلونها .

الجمعية العمومية وخطباؤها

الا ان هذا لم يكن يعني ان عمل اللجان كان يستأثر بكل انتباه المؤتمرين . ففي الجمعيات العمومية كانت هناك دراسات قيمة ساهمت هي الاخرى بالاعلام عن وضع الفلسطينيين ونشاط الصهاينة في العالم بالاضافة الى نشاطات بعض اللجان القومية . وبالرغم من أننا لا نستطيع ان نلخص هنا كل هذه الدراسات الا اننا لا نستطيع كذلك الا ان نستعرض بسرعة بعض المداخلات الاساسية .

كان اليوم اللاهوتي الاول مطبوعا بمداخلات جورج خضر ، مطران الروم الارثوذكس من جبل لبنان ، العميقة : « ان التقليد الصوفي اليهودي في القرون الاخيرة قد ادان الصهيونية الدينية — السياسية. كان هذا التقليد يرى ان شتات اليهود سوف ينتهي بعودة سلمية . انها تمثل خطوة الى الوراء بالنسبة الى المسيانية المسيحية التي ترفض الخلط بين ملكوت الله وقوة قيصر ، انها تنادي بالتعصب الديني في الوقت الذي بدأ فيه العالم العربي يتحول الى مفهوم علماني للسلطة . وحتى المجتمع الاسلامي التقليدي ينادي بوضع يحمي تعدد الطوائف الممثلة فيه . اننا امام خلط بين السياسة واللاهوت يجعل من دولة اسرائيل نفسها المسيح ويجعل « المسيانية الدولية » عقيدة لا يمكن المساس بها .

أما مداخلة الاب سكريما ، اللاهوتي الروماني المعروف ، فقد ساعدت كل مشترك في الندوة على رؤية نتائج الاستغلال اللاهوتي المنظم الذي تقوم به الصهيونية الدينية على كافة انظمتنا اللاهوتية. ان اللاهوت يمكن أن ينحدر الى درك الايديولوجية عندما يستعمل بدهاء لتبرير اختيارات سياسية اقيمت في السابق على أساس احكامنا المسبقة . ولكن اللاهوت يستطيع ايضا ان يكون باستمرار حكما نافذا لنواعثنا الحقيقية واختياراتنا بأسم نور يهبط من أعلى . وهذه الطريقة الثانية في النظر الى اللاهوت هي التي ينبغي ان تقود خطانا . انها تحررنا من مفاهيمنا الخاطئة وستساعدنا في أن نرى في المسألة الفلسطينية قضية انسانية يجب ان يظل فيها احترام العدالة المعيار الوحيد المقبول .

وعلى صعيد عملي اكثر عرض الاب ريان Ryan وهو يسوعي أميركي ، على الجمعية بحثا فكريا عن القدس الهدف منه تعبئة الرأي العام المسيحي. وقد أثبتت له تجربته ، من خلال عمله كمدير حلقات المناقشة عن الشرق الاوسط في الولايات المتحدة الاميركية ، ان الرأي العام في بلاده لا يمكن أن يهتز او يتأثر بالقضية الفلسطينية الا عن طريق القدس . ذلك أن القدس تخص ايضا مسيحيي العالم قاطبة وعلى هؤلاء المسيحيين ان يقولوا كلمتهم حتى تحقق العدالة لسكان المدينة العرب . ومن بين المداخلات التي لم تكن مدرجة في جدول اعمال الندوة ينبغي التنويه بشكل خاص بالتصريح الذي قاله السيد آرون رينه ريندورف ، وهو من مجموعة اصدقائنا البلجيكيين ، لقد رفع صوته عاليا ، بصفته مناضلا من أصل يهودي ، حتى يفهم جيدا كل المشتركين في الندوة بأن نضالهم الى جانب الشعب الفلسطيني هو في الوقت نفسه نضال من أجل انقاذ يهود العالم المهددين بالايديولوجية الصهيونية . واثباتا لاقواله فقد قدم للمؤتمر وقائع محسوسة مستمدة من حياة الطائفة اليهودية في بلجيكا ، هذه الطائفة التي يظن سفير اسرائيل ان من حقه ان يتدخل في شؤونها كما لو أن اليهود البلجيكيين هم مواطنون اسرائيليون ! وتكفي بعض الامثال من هذا النوع لنظهر كيف أن الصهيونية تعمل على تحضير موجة جديدة من العداء للسامية . وانطلاقا من هنا فان معركة الفلسطينيين تبدو كأداة تحرير لا للعرب انفسهم وحسب بل أيضا لليهود .

كان يوم الخميس مخصصا للرأي العام ومسؤوليته ازاء الفلسطينيين . وقد كان هذا اليوم مناسبة لاطلاع الجمعية العمومية على ابحاث مفيدة بهذا الصدد : فقد استمعت الجمعية اولا الى عرض عن النفوذ الاسرائيلي في افريقيا الشرقية قدمته الى الندوة الانسة آنار كاسام Anar Kassam التي قدمت من تنزانيا لهذا الغرض . ثم استمعت الندوة الى تقرير من الرأي العام في الولايات المتحدة قدمه السيد جيم فين ، أحد المسؤولين في المجلس الوطني للكنائس الامريكية ، حيث تبين ان هناك تغيرا لا يكاد يذكر في طريقة تأويل الاخبار الواردة من الشرق الاوسط بشكل أقل تحيزا . كما أن السيد مايكل أدامز ، الصحافي البريطاني الشهير حاول هو الاخر ان يرينا من خلال مراجعة صحافة الايام القليلة الماضية ان هناك تطورا بطيئا في التفكير وان المستقبل يدعو الى تفاؤل أكبر . الا ان أدق اختبار قدم للندوة كان هذا الاختبار الذي قدمته مجموعة عمل عمدت الى تجميع عدد معين من الصحف بصورة منتظمة ثم عرضت علينا ان نقوم « بتمرين » على قراءتها . وقد أثبت التحليل اللغوي والسيكولوجي للطرق التي « تعالج » بها الصحافة الغربية احداث ميونيخ ان هناك طريقة منهجية يمكن بواسطتها ان تميز الافكار والايديولوجيات المتسترة وراء ما سمي « بالاعلام الحر » . وقد قدم هذا العمل الجماعي ، السيد غي باجوا استاذ علم الاجتماع في جامعة بروكسيل البلجيكية .

من « مسيرة » كنتربري الى « اعلان » كنتربري

لقد جاءت الدراسات الدقيقة لمضمون الصحافة فيما يتعلق بالشرق الاوسط لتعيد الندوة الى أرض الواقع المباشر ... كنا قد اجتمعنا في كنتربري بهدف اقامة حوار مع الرأي العام البريطاني والانكلوسكسوني من خلال هذا المركز الذي يعني الشيء الكثير بالنسبة الى الطائفة الانكليكانية . الا ان صحيفة التايمز اكتفت بالاشارة الينا بزاوية صغيرة جدا تحت عنوان مهذب هو : « محادثات كنتربري » وذلك في يوم افتتاح الندوة بالذات . ومنذ ذلك الحين لم تنشر كلمة واحدة ... هل كان بامكاننا ان نغادر بريطانيا دون أن نقيم مثل هذا الاتصال مع الرأي العام ؟ كيف نحطم جدار الصمت ؟

عندئذ اقترح أن ننظم مسيرة في شوارع كنتربري قبل ان تنهي الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين اعمالها .. الا ان الندوة كانت منقسمة أمام هذا الاقتراح ذلك ان المؤتمر كان اجتماعا للعمل وبهذه الصفة لم يكن يضم عددا كبيرا من الاشخاص . وهل ستكون مسيرة مجموعتنا الصغيرة في شوارع كنتربري ذات مغزى كاف للاعلان عن شهادتنا لصالح القضية الفلسطينية ؟ طرح الرئيس الاقتراح على التصويت فنال أغلبية كبيرة . وعندها بدأنا حالا بكتابة اليافطات وعرضها في القاعة . ثم تم الاتصال بالصحافة والمصورين ... وكذلك بالشرطة (وقد قيل لي ان الاتصال تم أيضا بالاسعاف ...) وهكذا أصبح كل شيء جاهزا لمساء اليوم التالي .

ولكن قبل ذلك كان الشيء الاهم ما يزال بدون انجاز كان ينبغي آنذاك رفع مقررات كل لجنة الى الجمعية العمومية . ارسل الى كل الكنائس وشرح لها فكر الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين . لقد كان هذا الاعلان من عمل مجموعة عمل صغيرة كانت قد قامت بعمل مماثل اثبت فعاليته في ندوة بيروت . ولكن طبعا كنتربري ليست بيروت! ومنذ القراءة الاولى لهذا الاعلان بدا واضحا ان الجمعية العمومية غير متفقة على ما ورد فيه خاصة فيما يتعلق بتطور المقاومة الفلسطينية ، بعد أيلول ١٩٧٠ وبالاساليب التي لا يفهمها الجمهور العريض في الغرب وبمشكلة العنف الدقيقة والحساسة . وخلال بضع ساعات من النقاش الطويل داخل الجمعية العمومية تم الوصول الى وضع نص جديد ، مناقشته فقرة فقرة . وقد سهل حضور ثلاثة اصدقاء فلسطينيين الندوة في آخر ساعة عملية الوصول الى التوفيق بين مختلف الاتجاهات وأعطى للمناقشين امكانية التعبير عن موافقتهم التامة مع وجهات نظر المقاومة الفلسطينية . وفجر السبت كان كل شيء قد انتهى وبدأت الوفود تستعد للتوجه الى بلادها .

وقد اكتشفت الامانة العامة ان الوقت لم يعد كافيا مهما كان استعداد المؤتمرين للاستمرار في العمل كبيرا .

بدأت أول جلسة نهار الجمعة برئاسة الاب كارلتون . الا اننا اضطررنا ، لكي ننهي مهمتنا ، الاستعانة في المساء برئيسة للجلسة وهي السيدة مانويلا سيكس ، العضو السابقة في مجلس

العموم البريطاني . لقد كانت هيبتها وخبرتهـــا البرلمانية ضرورية للانتهاء من التصويت على كـــل النصوص قبل منتصف الليل .

لقد كان العمل الاهم للندوة هو الاعلان النهائي الصادر عن المؤتمر جاء فيه :

« منذ ان انعقد في بيروت ــ ايار (مايو) ١٩٧٠ ــ المؤتمر العالمي الاول للمسيحيين من أجـــل فلسطين ، ووضع الشعب الفلسطيني يثقل الوجدان العالمي.ففي الارض التي احتلتها اسرائيل ازدادت سياسة الاضطهاد تصلبا، تأخذ شكل تهجير السكان وطردهم ، شكل التعذيب والاعتقال . ومن جهة اخرى طعنت المقاومة الفلسطينية بقسوة، خصوصا في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وتموز (يوليو) ١٩٧١ . ورغم الصعوبات الحقيقية التي تعـــاني هذه المقاومة منها ، فانها بوصفها تعبيرا نضاليا عن الشعب الفلسطيني ، تواصل معركتها من أجل التحرير .

ان المؤتمر الثاني العالمي للمسيحيين من أجـــل فلسطين المنعقد في كانتربري من ١١ الى ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ، والوضع على ما هو عليه ، ليذكر مسيحيي العالم اجمع بالنداء الذي أطلقـــه من بيروت ، ويضيف :

١) ان حق الشعب الفلسطيني في وجوده القومي، وفي تقرير مصيره الذاتي على أرضه ، ذلك الحق الذي جرد منه منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما، بالرغم من اجراءات دولية ودبلوماسية مستمرة ، هذا الحق ليطلبه اليوم الشعب بنضال ذاتي يتخذ أشكالا متنوعة .

لقد أدى الظلم المدبر عمدا منذ عام ١٩٤٧ ضد الشعب الفلسطيني ، والعنف الذي أصبح مـــن مقومات الدولة الصهيونية ، الى الوضع الراهن، حيث العنف الثوري الشعبي هو الجواب على عنف دولة من نموذج استعماري .

ان الاحداث الدامية التي واكبت هذا النضال لتثير القلق لدى الرأي العام الدولي . فمما يجب الا ينساه المسيحيون في البلدان الغربية ، هو أن السلم الحقيقي ، في العالم كله ، لا يمكن ان يشاد الا على العدالة ، وعلى احترام حقوق الانسان ، وحقوق الشعوب المظلومة والمستغلة ، وبصورة خاصة حق الشعب الفلسطيني .

٢) ان تضامننا مع الشعب الفلسطيني، ومناهضتنا الكلية للصهيونية ، ليندرجان في افق انساني اوسع ، الا وهو رفض كل تمييز عنصري ، او ديني ، او ثقافي ، وخاصة رفض كل الاشكال الصريحة او الخفية للاساميـــة ، وللعنصريـــة المناهضة للعرب .

ويطيب لنا ، علاوة على ذلك ، ان نحيي بشكل خاص اليهود الذين يدينون، بشجاعة، الصهيونية، على أنها خطر مأساوي على اليهودية . فعملهم هذا ينضم الى الهدف الاساسي للمقاومة الفلسطينية، الا وهو انشاء دولة ديمقراطية وعلمانية ، فـــي فلسطين ، يعيش فيها معا على قدم المساواة ، مواطنون من كل المعتقدات .

٣) على كنائسنا ان تعمل جاهدة ، ايا كـــانت المناسبة ، من أجل العدالة والسلم في الشرق الاوسط . فانجيل السلام ، اذ يعلن ان الـــه ابراهيم هو سيد البشر اجمع ، يحرر المرء من كل تفرقة ، كما يحطم الحواجز كلها بين البشر . ونحن ، اذ نعي متطلبات الانجيل ، نستمد منها قناعتنا ، لصممون على دعم عملنا وتوسيعه ، داعين كافة المسيحيين الى الاسهام فيه . »

لا شك ان اختلاف وتنوع المجموعات التي كنـــا نمثلها كاد أن يودي مرارا عديدة بنقاشاتنا . ولكن، وكما أشار الى ذلك غابي حبيب السكرتير العام للندوة في النهاية ، فان علينا ان نتجاوز أنفسنا للالتقاء بالاخرين ضمن اطار الاعتراف بالاختلاف والتمايز . ان القدس لا يمكـــن ان تصبح مدينة سلام الا عندما تنفجر احياء الزمان الماضي المغلقة. وما كتربري الا مرحلة على هذه الطريق . ان الفلسطينيين سيخرجون شيئا فشيئا من عزلتهم ويفرضون على الرأي العام العالمي ان يفهمهم من خلال الحوار بين الشرق العربي والغرب التقدمي وحركات العالم الثالث .

هنري تيسييه

حلقة تيسير تداول الكتاب العربي

عقدت في الدوحة عاصمة قطر في الفترة من ٤ — ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ حلقة لدراسة الوسائل الكفيلة بتيسير تداول الكتاب العربي باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد اشترك في هذه الحلقة مندوبون عن معظم الدول العربية . وفي الوقت ذاته افتتح في الدوحة معرض للكتاب العربي اشتركت فيه معظم دور النشر في الدول العربية . اشترك مركز الابحاث في اعمال الحلقة ضمن وفد فلسطين الذي ترأسه الاخ ياسين الشريف مدير مكتب منظمة التحرير في قطر . كان الدافع الاساسي وراء عقد الحلقة احساس المنظمة العربية بان هناك عقبات كثيرة تعترض تسويق الكتاب العربي في البلاد العربية كافة وان لا بد بالتالي من تدارس هذه العقبات واقتراح الحلول التي يمكن بواسطتها التغلب على هذه العقبات . هذا وقد تقدم مركز الابحاث بمذكرة الى الحلقة حول الصعوبات التي تعترض تسويق الكتاب الفلسطيني . وفيما يلي نص المذكرة :

تأسس مركز الابحاث الفلسطينية في شباط (فبراير) ١٩٦٥ . والمركز مؤسسة علمية غايتها البحث العلمي في مختلف جوانب وابعاد القضيةالفلسطينية والصراع العربي — الصهيوني استنادا الى المصادر الاولية واعتمادا على المنهج العلمي في البحث والتاليف . وهكذا فالمركز ليس دار نشر بالمعنى المتداول اذ انه بمثابة معهد علمي فيه باحثون متخصصون متفرغون يعملون وفق خطة بحث عامة متكاملة تمتد لعدة سنوات وتغطي موضوع اهتمام المركز (القضية الفلسطينية) . وتمر البحوث والدراسات التي يعدها هؤلاء الباحثون في مراحل متعددة من الاشراف الدقيق والمراجعة والتمحيص على يد مشرفين اختصاصيين قبل ان تسلم الى المطبعة تمهيدا للنشر . هنا يبدأ دور مركز الابحاث كمؤسسة نشر وتبدأ الصعوبات التي تواجه المركز على صعيد النشر والتوزيع .

ومنذ تأسيس مركز الابحاث صدر عنه ما يزيد عن المئتي وخمسين كتابا موزعة على عدة سلاسل تختلف كل سلسلة عن الاخرى من حيث الحجم والموضوع فهناك السلاسل التالية :

— سلسلة حقائق وارقام وهي كتيبات صغيرة تحتوي على معلومات وارقام حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية وقد صدر منها حتى الان ٤٠ كراسا .

— سلسلة ابحاث فلسطينية وهي كتيبات تحمل وجهات نظر وتحليلات علمية في موضوعات متخصصة . وقد صدر منها حتى الان ٣٠ بحثا .

— سلسلة دراسات فلسطينية وهي كتب صغيرة بحجم الجيب تختص بالدرجة الاولى في دراسة كل جوانب الكيان الاسرائيلي العدو السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية والفكرية . وقد صدر منها حتى الان ٩١ دراسة .

— سلسلة كتب فلسطينية وهي كتب من الحجم الكبير تتناول معالجات مطولة لموضوعات رئيسية صدر منها حتى الان ٣٩ كتابا .

— سلسلة كتب مصورة وهي كتب تحتوي معالجات لجوانب معينة من القضية معتمدة بالدرجة الاولى على الصور والرسومات .

— سلسلة خرائط فلسطينية وهي خرائط فلسطين والمدن الفلسطينية وخرائط طرق المواصلات في فلسطين .

— سلسلة شؤون فلسطينية وهي مجلة شهرية علمية متخصصة صدر منها حتى الان ١٦ عددا .

— الى جانب هذه السلاسل يصدر المركز نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية تتضمن الاخبار والبرامج السياسية والمقابلات واقوال الصحف ، وهذه النشرة لا تعرض في الاسواق .

وينشر مركز الابحاث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية كما ترجمت بعض منشوراته الى الدانمركية والسويدية والارمنية واليابانية . وبالتالي فان المركز يحاول الوصول الى جميع الاسواق العالمية دون استثناء بالنظر الى المهمة الاساسية التي يعمل من اجلها وهي التعريف بالقضية الفلسطينية وبالحق العربي في فلسطين ومحاربة العدو الاسرائيلي الصهيوني وكشف دعايته ودحضها . ويعتمد المركز في توزيعه منشوراته على اسلوبين : **الاول** الاشتراك المباشر والطلبات المباشرة لمنشورات المركز . **والثاني** شركات التوزيع او متعهدي التوزيع او الجمعيات

الصديقة او اتحادات الطلبة العرب في الخارج، ورغم الصعوبات التي يواجهها مركز الابحاث فيما يتعلق بتوزيع منشوراته والتي سنتعرض لها بعد قليل ، فقد لاقت منشورات المركز رواجا كبيرا . ان نحو نصف انتاج المركز يعتبر في عداد النافد رغم اعادة طباعة بعض الكتب مثنى وثلاث ورباع وفي ثلاث حالات اعيدت الطباعة ست مرات .وعلى سبيل المثال فان عدد النسخ التي طبعت من مجلة شؤون فلسطينية قد ارتفع بنسبة الثلث منذ العدد الثالث ثم تضاعف منذ العدد السابع وارتفع الى ثلاثة اضعاف منذ العدد الحالي السادس عشر وبعد مرور اقل من سنتين على صدور المجلة . هذا وان سياسة المركز تقوم على اساس من عدم الربح وبالتالي فان اسعار الكتب والمنشورات والمجلة تحدد على اساس التكلفة وبالتالي فان اسعارها تعتبر عادة اسعارا شعبية رغم ما يولده ذلك لنا من مشاكل على صعيد التمويل .

صعوبات التسويق : لا يواجه مركز الابحاث مشكلة تسويقية رغم تخصصه في موضوع واحد هو القضية الفلسطينية بل بالعكس فان هناك شعورا دائما لدينا بان هناك طلبات متزايدة على انتاجنا، وبان هناك اسواقا جديدة لم نطرقها بينما هي تطلب انتاجنا . ان الصعوبات التي يواجهها المركز في مجال التسويق هي :

١ ــ بينما تتخذ معظم الحكومات العربية موقفا ايجابيا من المركز على الصعيد المعنوي ، قلما يقترن هذا الموقف بدعم فعلي على صعيد شراء مجموعات من منشورات المركز علما بان هذه المنشورات ذات فائدة اساسية وحقيقية سواء على صعيد التثقيف الشعبي (المكتبات العامة) او على صعيد العمل الاعلامي وذلك بتزويد اجهزة الاعلام والسفارات بمنشورات المركز . **اننا نسعى بالفعل للوصول الى كل الاجهزة السياسية المسؤولة والاجهزة الاعلامية في البلاد العربية لاننا نؤمن ان رسالتنا لا تكتمل دون ذلك** . وفي حالة عدم تسلمنا طلبات شراء من هذه الاوساط ، فاننا نبادر الى تزويدها بما تحتاج دون مقابل . ٢ ــ ان وجود انظمة رقابة على المطبوعات في بعض الدول العربية يؤثر على تسويق كتب المركز سواء من حيث تأخر وصولها الى الاسواق المختلفة في الوقت المناسب ، ام من حيث حجمها في احيان اخرى . ٣ ــ ويتسبب البريد في عدد كبير من الدول العربية بتأخير وصول الطرود التي نرسلها وفي كثير من الاحيان بضياع هذه الطرود مما يخلق مشكلة مزدوجة : فمن ناحية هناك خسارة مادية ، ومن ناحية اخرى هناك ازمة ثقة لدى الذي يطلب منا منشورات معينة ولا تصله في الوقت المناسب او لا تصله ابدا . اننا نتسلم يوميا على الاقل رسالة او رسالتين في هذا الشأن . ان الكتب التي نرسلها الى الدول الاوروبية تصل قبل الكتب التي نرسلها الى الدول العربية . ٤ ــ ان انظمة تحويل العملة الى الخارج في بعض الدول العربية، تؤثر تأثيرا سلبيا على تسويق منشوراتنا . هناك اقطار مقفلة كليا في وجهنا لهذا السبب حيث ان الموزعين الذين نتفق معهم لا يستطيعون تحويل اي مبلغ لنا ، وهناك اسواق نبيع فيها ولكننا لا نستطيع استلام اي من المبالغ المستحقة لنا من مبيعاتنا فيها . ٥ ــ ومن المشاكل التي تواجهنا عدم تعود بعض مؤسسات التوزيع العربية على الترويج للكتب ذات الطبيعة المتخصصة وتسويقها، اذ نرى هذه المؤسسات تتجه نحو الربح السريع ونحو الوصول الى القارىء العادي وتيأس امام اول صعوبة تواجهها في مجال تسويق المنشورات المتخصصة . ومن ناحية اخرى فان مؤسسات التوزيع العربية غالبا ما تقتصر في نشاطاتها على العواصم دون المدن والقرى الاخرى ، كما انه لا توجد هناك مؤسسة توزيع عربية تصل بنشاطاتها الى جميع الاسواق العربية لذا ترانا مضطرين للتعامل مع اكثر من موزع او متعهد . ٦ ــ ناتي الان الى تسويق الكتاب الفلسطيني خارج الوطن العربي . ان المشكلة الرئيسية التي نواجهها هي عدم توفر موزعين فعالين في العواصم الغربية راغبين في توزيع منشورات معادية للصهيونية بالنظر الى وقوع معظم دور النشر والتوزيع هناك تحت التأثير الصهيوني سلبا او ايجابا . ان الصهيونية العالمية تحارب بشدة وصول منشورات مركز الابحاث الى الاسواق العالمية لادراكها ما تحتويه هذه المنشورات من دحض علمي موضوعي لحججها ودعاياتها . وقد وصل بها الامر الى حد ان امين مكتبة جامعة اكسفورد العريقة اعاد لنا مجموعة من كتب المركز بالانكليزية مشيرا الى « ان مكتبة الجامعة لا تهتم بمثل هذه المواد » علما بان هذه المكتبة تغص بالكتب الصهيونية والمؤيدة للصهيونية . كما وصل الامر بالصهيونية الى نسف مكتبة فلسطين في باريس وهي المكتبة التي انشأها

بعض الشباب العربي في محاولة لتسويق أنتاجنا بأنفسهم . والجدير بالذكر اننا قد قمنا بسلسلة من الترتيبات المماثلة في عدد من العواصم العالمية . الى جانب ذلك ، هناك اجور الشحن المرتفعة جدا الى الخارج . اننا ، مثلا ، ندفع ضعف ثمن مجلة شؤون فلسطينية التي نرسلها الى الولايات المتحدة طوابع بريد .

اقتراحات : ١ ــ اننا نعتقد ان وجود اتحاد عام للناشرين العرب امر هام وحيوي لمواجهة هذه الصعاب وسواها وللنهوض بمستوى الكتاب العربي وتعزيز مكانته . ٢ ــ اننا نرى ان انشاء شركة عربية للتوزيع ضرورة ملحة لتلافي العديد من الثغرات التي تطرقنا اليها على ان يكون من مهمة هذه الشركة الترويج للكتاب العربي بالاعلان والوسائل الاخرى الى جانب الاهتمام العملي بتوزيعه . ٣ ــ ان من الضروري برأينا ، وبالنظر الى المهمة القومية الموكلين بها والتي لا تقوم على الربح ، ان يعفى مركز الابحاث من دفع الرسوم البريدية على المطبوعات التي يرسلها الى الخارج. ٤ ــ اننا نتمنى لو امكن احداث تعديلات معينة على انظمة تحويل العملة بحيث يمكن استحداث استثناءات معينة تتعلق بالكتاب العربي عامة والفلسطيني خاصة . ان تداول الكتب وانتقالها من قطر عربي لاخر عامل اساسي هام في توليد ثقافة عربية مشتركة وخلق تفاعل ثقافي حي في اوساط القراء العرب . ٥ ــ نقترح تشجيع دور النشر العربية على اعتماد مبدأ النشر المشترك اذ ان ذلك يعود بالفائدة على الاطراف المشتركة جميعها ويعمم الفائدة من الكتب المنشورة . ٦ ــ ان اقامة معارض عامة ومعارض متخصصة للكتاب العربي اسلوب فعال في الترويج للكتاب العربي وتيسير سبل تداوله على ان توضع خطة شاملة لمثل هذه المعارض تكفل تواترها وتوزعها . ٧ ــ نقترح اعتماد اسلوب الاشتراكات بالقسائم .

٨ ــ من الوسائل التي تساعد في ترويج الكتاب نشر مقتطفات من الكتب التي ستصدر ونشر مراجعات نقدية للكتب التي تصدر في الصحف والدوريات العربية . ان من الضروري دفع الصحافة العربية الى الاهتمام بصورة اوسع بتتبع الانتاج العربي الفكري على صعيد الكتب وعرضه ونقده للقراء . ٩ ــ اننا نرى ان من المفيد اصدار مجلة عربية تهتم بتتبع اخبار الكتاب العربي في جميع الاقطار على ان تصدر هذه المجلة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ١٠ ــ وختاما فان هناك اقتراحا بان تقوم كل دولة عربية بشراء مجموعات من كتب مركز الابحاث وتوزيعها على مكتبات الجامعات والمعاهد والمدارس والمكتبات العامة فيها . لو حصل مثل هذا الامر فان نسبة لا بأس بها من انتاج المركز ستسوق ، وبالتالي فان نسبة رئيسية من تكاليف الانتاج ستغطى .

وقد انقسمت الحلقة الى ثلاث لجان رئيسية هي : لجنة دراسة وسائل تيسير تداول الكتاب العربي، لجنة دعم اتحاد الناشرين العرب ، لجنة ايجاد شبكة مترابطة بين المكتبات المدرسية والعامة في البلاد العربية . هذا وقد اتخذت اللجنة الاولى توصيات تتفق في روحها مع الاقتراحات الواردة في مذكرة المركز بالاضافة الى عدد من التوصيات الجديدة . اما اللجنة الثالثة فقد اقرت توصية خاصة بالنسبة لمركز الابحاث دعت الى **ضرورة تزويد جميع المكتبات المدرسية والمكتبات العامة في البلاد العربية بجميع منشورات المركز باعتبارها تقدم تعريفا موضوعيا وعلميا بالقضية الفلسطينية.** وختاما ، فاننا نعتقد ان الحلقة كانت مفيدة من حيث تبادل الاراء والتعارف بين المهتمين بالكتب وبنشرها في البلاد العربية . ويبقى تنفيذ هذه التوصيات او بعضها هو المحك الحقيقي لجدوى الحلقة .

ابراهيم العابد

شـــهريات

(١) المقـــاومة الفلســـطينية

واجهت حركة المقاومة صراعا مثلث الاطراف ، مثل امتدادا لصراعات سابقة على جبهات مختلفة ، بحيث يقارب عام ١٩٧٢ على الانتهاء وجو الازمة والتحدي يحيط بحركة المقاومة من كافة الجهات . خاضت المقاومة صراعها الاول في لبنان ، من جملة الصراعات التي يبدو انها (وكما قلنا في باب سابق) اصبحت قانون علاقات العمل الفدائي المتواجد فوق الارض اللبنانية. ثم خاضت المقاومة صراعها الثاني مع الاردن ، عبر عمليات المتفجرات في لبنان ، وأنباء الانقلاب العسكري الاردني . وأخيرا خاضت المقاومة صراعها الثالث مع اسرائيل ، مـــن خلال الاعتداءات المتواصلة على سوريا ولبنان ، وكذلك من خلال الرسائل المتفجرة المرسلة الى ممثليها ومندوبيها في أكثر من بلد .

وتنتمي انباء هذا الصراع المثلث الاطراف يوضح الصورة السياسية التي عاشتها حركة المقاومة خلال الفترة الماضية الممتدة من ١١ ت٢ ـــ ١٠ ك١ ١٩٧٢ .

الازمة في لبنان :

على اثر الازمة الماضية ، تم الاتفاق بين المقاومة والسلطة اللبنانية على بنود عملية اساسية شكلت المدخل لعدم تفجر الوضع . أبرز هذه النقاط : ١ ـــ الاستمرار في تجميد العمل الفدائي العسكري المنطلق من لبنان . ٢ ـــ عدم التواجد الفدائي المسلح في القرى . ٣ ـــ الاتفاق على حجم القوات المتواجدة في القطاع الاوسط .

ومنذ ذلك الوقت بدا واضحـــا ان الصراع لن يتوقف ، ولكنه لن يتخذ بالضرورة شكل صراع مكشوف وسريع ، بل سيتخذ شكل تكتيكات لبنانية صغيرة ومتلاحقة ، تضمن للسلطة فرض هيمنتها على مناطق الجنوب ، بحيث يبقى العمل الفدائي موجودا ، انما في ظل هذه الهيمنة ، وتحت سيطرة نتائجها المعروفة . وقد برز من هذه التكتيكات حتى الان ، تنظيم التظاهرات المعادية للعمـــل الفدائي ، والاكثار من حواجز التفتيش والتدقيق على تنقلات الفدائيين اثناء المهمات ، ومطالبـــة بعض القواعد الفدائية بتغيير أماكنها والانتقال الى أمكنة أخرى بحجة ضرورات الامن .

وقد انفجرت الازمة الاخيرة حين طلب من قاعدة فدائية أن تترك مواقعها وتنتقل الى مكان آخر ، مع ان المكان الذي كانت تقيم فيه لا يتعارض مع ما هو متفق عليه مع السلطة اللبنانية ، وحين رفض آمر القاعدة تنفيذ هذا الطلب حصل اشتباك بين الجيش والفدائيين أدى الى استشهـــاد اربعة فدائيين وجنديين لبنانيين ، واصابة ٥ جنود لبنانيين و٥ فدائيين بجراح . وقال بيان لحركة المقاومة (٨ ك١) : قامت قوات مـــن الجيش اللبناني بمهاجمة قواعدنا . ان الثورة الفلسطينية ... ما زالت ترى انه من مصلحة الجميع حل المشاكل بروح التفاهم والتفهم ومنع الامور مـــن التدهور والانزلاق نحو المذابح الدموية . وعليه فاننا نناشد المسؤولين هنا وقف هذا الهجوم . وعلى اثر هذا البيان عقد اجتماع بين وفد من المقاومة ورئيس الوزراء صائب سلام ، صرح سلام على اثره انه: رغم فداحة الحادث الاليم فالواجب يقتضي منا ان نتعاون على حصره . وصرحت مصادر المقاومة ان وفدنا أعرب عن أمله في ان لا تتكرر مثل هـــذه الحوادث .

وفي اليوم التالي (٩ ك١) طـــرأ تطور جديد . أعلنت المقاومة استشهاد فدائي آخـــر برصاص الجيش ، واستشهد شرطي لبناني في كمين في احد شوارع بيروت لم يعرف من أقدم عليه . وبالمقابل تغيرت لهجة الرئيس سلام في أحاديثه ، من الدعوة الى شعار « التفهم والتفاهم » الى التهديد ، وذلك حين قال في حديث صحفي : صارحتهم في الاجتماعات

انه لا يجوز بعد اليوم ان يتناسوا ما قد تجره هذه الاحداث من مآس عليهم وعلينا . وتعليقا على حادث مقتل الشرطي (الذي لا يزال حادثا غامضا) ربط الحادث فورا بالمقاومة ، وقال بلهجة أشد تهديدا : كيف يمكن أن نقبل هذه الاعمال ؟ **يجب أن يفهموا وبشكل نهائي اننا لن نتساهل ولن نسمح بذلك أبدا ... حتى الان تمكنا من معالجة المشاكل وحصرها ... بات من الضروري ان يقف ذلك كله عند حد ولا يتخطاه** . فهل يكون هذا التهديد مقدمة لازمات أخرى أعنف وأشد ؟

ردا على مثل هذا الاحتمال كان هناك نشاط مضاد على صعيد آخر ، ولتطويق أي تطور محتمل . ففي ذروة الازمة صادف ان مر في بيروت عبد العزيز بوتفليقه ، وزير خارجية الجزائر ، وفي اجتماعاته مع الرئيس فرنجيه ومع صائب سلام بحث في موضوع الازمة مع المقاومة وضرورة الاتفاق على حل ايجابي (٨ ك١) . وفي اليوم نفسه أصدرت الاحزاب والقوى الوطنية في لبنان بيانا نبهت فيه الى وجود مؤامرة لتصفية المقاومة ، تقوم بها الرجعية اللبنانية بالاتفاق مع امريكا والرجعية العربية . وأرسلت حركة المقاومة خالد الحسن عضو اللجنة التنفيذية ورئيس الدائرة السياسية فيها الى القاهرة ، حيث قابل الرئيس السادات وسيد مرعي الامين العام للاتحاد الاشتراكي وبحث معهما الوضع في لبنان على ضوء التطورات العامة المحيطة بأزمة الشرق الاوسط (١٠ ك١) . ويبدو ان جملة هذه المواقف والاتصالات قد ساعدت على عقلنة الموقف اللبناني ، حيث كان اثناء ذلك يتطور باتجاه التأزيم . فقد امتدت الاشتباكات الى القطاع الشرقي ، واصدرت قيادة الجيش اللبناني بيانا قالت فيه ان مسلحين اطلقوا الرصاص على مراكز الجيش والاماكن الآهلة ، فقتلوا جنديين وجرحوا سبعة مدنيين . وقد أثار هذا البيان استنكار المقاومة فأصدرت بيانا توضيحيا (١٠ ك١) قالت فيه ان بيان الجيش تجن على الحقيقة ، يصدر في الوقت الذي يسود فيه الهدوء مناطق الاشتباكات ، ولذلك لا يسعنا الا أن نوضح الحقائق التالية : — تعرضت مواقعنا الى قصف مدفعي شديد ادى الى وقوع عدد من القتلى والجرحى . — قصف الجيش هو الذي أصاب المدنيين وأوقع بهم الخسائر .

وقالت نشرة « وفا » تعليقا على ذلك ان : القوى المعادية للثورة تعمل ليل نهار لكي يتحول لبنان الى متصلة اخرى يحاولون نصبها لثوار شعبنا . وقد أدى هذا التوتر ، مع تأثير الاتصالات العربية، الى عقد اجتماع في منزل الرئيس سلام بين السيد ياسر عرفات وبعض قادة الجيش اللبناني ، بحث فيه الموقف في الجنوب ، وخاصة في القطاع الاوسط . وعاد رئيس الحكومة على اثره الى لهجته القديمة فصرح بأن الاتفاق كان تاما .

الاردن والمتفجرات والانقلاب :

كانت الساحة الاردنية خلال الشهر الماضي ميدانا لاحداث هامة ومتلاحقة ، يمكن ادراجها ضمن العناوين التالية :

١ — متفجرات بيروت : القي القبض مساء يوم ١٩ ت ٢ ، وبالجرم المشهود ، على هشام لطفي يوسف ، واسمه الحقيقي هشام عصفور ، مساعد شفيق جميعان ، الملحق العسكري في السفارة الاردنية ببيروت ، وهو يقوم بتسليم احد عملائه أمام فندق ريفيرا حقيبة متفجرات بلاستيك . القي القبض على مساعد الملحق بواسطة رجال الامن اللبنانيين ، بناء على معلومات قدمها لهم أبو يوسف رئيس اللجنة السياسية العليا في لبنان . وفي التحقيق الاولي مع المعتقل تبين انه كان مكلفا بالقاء المتفجرات على مكتب اعلام فتح ، وتدبير اغتيال ابو يوسف والعقيد سعد صايل قائد قوات اليرموك . ونقلت معلومات التحقيق انه اعترف بـ : ١ — علاقته ببعض المتفجرات التي القيت ببيروت مؤخرا . ٢ — نفي علاقته بمتفجرات كنيستي مار جرجس ومار يوسف . ٣ — لم تعلن مصادر التحقيق معه اسماء ٦ اشخاص كانت لهم علاقة بمتفجرات سابقة .

وقد اتجه رد فعل مسؤولي السفارة الاردنية في البداية الى ابداء الاستغراب واعلان النفي . فقد قال السفير الاردني اكرم زعيتر : استغرب الامر كل الاستغراب ... وأنا لا أعرف موظفا بالسفارة بهذا الاسم ولا أتعرف عليه . وقال شفيق جميعان انه فوجيء بهذه المعلومات . وقال ناطق رسمي باسم السفارة « ان السفارة ودائرة الملحق العسكري فيها تنفيان نفيا قاطعا أي علاقة او معرفة حول ما تردد من وجود متفجرات في حوزة أحد موظفيها ... علما بأن هشام لطفي يوسف وظيفته ادارية وليس مساعدا للملحق العسكري». ولكن الكذب كان يفوح من كل هذه التصريحات ،

وكان أبسط وابلغ رد عليها ، نشر صورة لرسالة تحمل توقيع المعتقل ولقبه كمساعد للملحق العسكري الاردني ، وكسكرتير لرابطة الملحقين العسكريين ببيروت . وكذلك نشر صورة للمعتقل مع مجموعة من الملحقين العسكريين في احد لقاءاتهم ببيروت . وعلى ضوء ذلك صرح ابو يوسف اننا ننتظر نتائج التحقيق ... ليعرف الشعب اللبناني من هو المجرم الحقيقي الذي يقف وراء الكثير من العمليات التخريبية في بيروت » (٢٠ ت٢) . المفاجأة الكبرى كانت حين أعلن الرئيس سلام صباح ٢١ ت٢ ابعاد هشام يوسف الى الاردن ، وقال ان التسليم تم لان المتهم يحمل صفة ديبلوماسية . مع انه من المعروف ان الحصانة الديبلوماسية تسقط عن صاحبها عندما يلقى عليه القبض بالجرم المشهود . وقد كان هذا التسليم السريع ، وقبل ان يأخذ التحقيق مداه ، متعدد النتائج : فهو أولا خدمة بالغة للنظام الاردني تحفظ له ماء وجهه ، وهو ثانيا طعنة لحركة المقاومة التي وضعت ثقتها بأجهزة الامن اللبنانية ، ورفضت أن تتولى القضية بنفسها ، مع أنها هي التي كشفتها . وهو ثالثا تقصير في حق الشعب اللبناني وامنه ، لأن التسليم السريع قطع امكانية تقصي حوادث المتفجرات السابقة ومعرفة كافة تفاصيلها واسماء المشاركين بها .

وقد ردت عمان على هذه البادرة الايجابية من الرئيس سلام بأن قامت باستدعاء ملحقها العسكري الى عمان ، واستدعي مع الملحق جميع الموظفين التابعين لها (٢٣ ت٢) . وكان هذا الاستدعاء بحد ذاته اعترافا اردنيا بمسؤولية الملحق العسكري ودائرته في بيروت عن الحادث . وبالرغم من ذلك فان هذا الاعتراف لم يمنع حكومة الاردن من اعلان كذبة مضحكة حين قالت يوم ٢٧ ت ٢ ان التحقيق مع هشام يوسف اثبت انه كانت له علاقة بحركة فتح ، وانه كان يعمل لحسابها ، وان ابو يوسف قام بترتيب العملية معه . ورد ابو يوسف على هذا الادعاء ببيان جاء فيه ان التحقيق مع العميل الاردني اثبت انه تلقى اوامره من مدير الاستخبارات العسكرية الاردنية الزعيم عبود سالم ، وبموافقة شفيق جميعان . وطالب الامن العام اللبناني باصدار توضيح رسمي بناء على ما لديه من اعترافات . ولكن الامن العام اللبناني لم يتجاوب مع هذا الطلب ، ولم يقدم توضيحا لذلك . وكان من آخر ذيول هذه القضية ، المعلومات التي قالت بأن سفير الاردن في بيروت راغب في الاستقالة ، او ربما يطلب من حكومته منحه اجازة طويلة او نقله الى مكان اخر .

٢ — الانقلاب العسكري :

لم تعلن انباء الانقلاب العسكري في الاردن بشكل مباشر . بداية الانباء كانت تكهنات عن احداث غامضة تجري في عمان . ففي ١٨ ت ٢ اعلن أن الملك حسين قد ادخل الى المستشفى بحالة من التعب الشديد ، ثم اعلن ان صحته جيدة وسيغادر المستشفى خلال يومين ، ونشرت الصحف الاردنية صورا له وهو يتفقد القوات العسكرية . واوحت هذه الانباء بأن شيئا ما يحدث في الاردن . ولم تنشر معلومات مفصلة عن انقلاب عسكري كان يجري الاعداد له الا يوم ٢٥ ت ٢ ، وقالت هذه المعلومات الصحفية انه بعد اعلان الملك حسين عن مشروعه الداعي لانشاء المملكة العربيةالمتحدة، بدأ تكوين تنظيم سري هدفه الاطاحة بالنظام الملكي واعلان الجمهورية وتكوين حكومة وحدة وطنية . وأن هذا التنظيم كان على صلة بجهتين عربيتين تقدميتين أبدتا استعدادا للدعم حين يتحرك للتنفيذ في نهاية شهر ت ٢ . وقد كشف امر الانقلاب في بيروت من خلال اتصال الدكتور سعيد الدجاني، وهو مدير البنك الاردني ووزير سابق مع جهات عربية في بيروت ، وجرت على أثر ذلك اعتقالات واسعة شملت ٣٠٠ عسكري ومدني ، معظمهم من اللواء ٤٠ التابع للفرقة المدرعة ، وعلى رأسهم الرائد رافع الهنداوي . كما جرى وضع بعض السياسيين في الاقامة الجبرية .

وقالت المعلومات أيضا أن هذا التنظيم قام بسلسلة من عمليات التفجير داخل الاردن . وبالفعل فان السلطات الاردنية كانت قد اعلنت يوم ٢٠ ت١ أن انفجارا وقع في مكتب الجوازات بالزرقاء ، أدى الى مقتل احد رجال الشرطة واصابة المبنى بأضرار . وفي ٢٦ ت ٢ اعلن أن عبوة ناسفة انفجرت في منطقة الرصيفة ، بين عمان والزرقاء أدت الى مقتل ثلاثة اشخاص . ولكن السلطات الاردنية لم تعلن ، حتى بعد انكشاف التنظيم انه كان وراء عمليات التفجير .

أما المعلومات الرسمية عن الانقلاب فقد وردت في حديث صحفي للملك حسين (٢٦ ت ٢) هون فيه من شأن التنظيم السري قائلا انه كان مقتصرا

على عدد قليل من الاشخاص ، واتهم المقاومة الفلسطينية بالتخطيط للانقلاب بمساعدة ليبيا ، وان الرائد رافع الهنداوي كان الضابط الوحيد بالعملية ، وكان على صلة مع صلاح خلف احد قادة فتح .

والمهم في انباء هذا الانقلاب انه يأتي ردا على قضيتين حاول النظام الاردني بعد مجازر ايلول ١٩٧٠ ترسيخهما من خلال اجهزته الاعلامية . القضية الاولى هدوء الوضع الداخلي واستتباب حالة الامن . والقضية الثانية ولاء الجيش الاردني الكامل للملك والنظام . فانباء الانقلاب وانباء الاعتقالات الواسعة ، المدنية والعسكرية التي رافقته تنقض عمليا هذا الادعاء الاردني . وتهدم جهدا اعلاميا واسعا بذل طوال المدة السابقة .

٣ ــ فتح الحدود :

في ١٩ ت ٢ اعلنت السلطات الاردنية انها عادت عن قرارها القاضي بمنع الشاحنات السورية من المرور عبر الاراضي الاردنية في طريق عودتها من السعودية والخليج الى سوريا . وكانت السلطات الاردنية قد منعت هذه الشاحنات قبل نحو شهر من العودة الى سوريا عبر طريق الاردن ، قائلة ان على تلك السيارات ان تستخدم في طريق عودتها ، الطريق ذاتها التي تسلكها في ذهابها .

وفي ٢٣ ت ٢ أعلن ان الاردن قد وافق على مشروع الطريق البحري المصري الذي يربط بين الاسكندرية والسويس برا ثم بين السويس والعقبه بحرا . بحيث يتم نقل البضائع للاردن عن هذا الطريق بمدة ١٥ يوما ، بينما يتقضي نقلها عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وبسبب اغلاق الحدود السورية ــ الاردنية ٣ أشهر .

وفي ٣٠ ت ٢ اعلنت سوريا فتح حدودها مع الاردن والتي أغلقت منذ تموز ١٩٧١ بعد معارك جرش . وقالت سوريا توضيحا لموقفها انه « رغبة من سوريا في تخفيف الاعباء والمصاعب التي يعاني منها الشعب العربي في الاردن الشقيق نتيجة اغلاق الحدود ، وحرصا على خلق المناخ الملائم ليأخذ الجيش العربي الاردني الشقيق مكانه في مواجهة العدو » .

ولم يصدر عن حركة المقاومة اي تعليق على هذا القرار ، والتساؤلات حوله في اوساط المقاومة، انصبت على النقاط التالية :

ــ هل كان القرار السوري ردا على الموقف المصري ــ هل تعتقد سوريا أن الاعباء المعيشية التي يعاني منها المواطن الاردني نابعة من اغلاق الحدود ، أم من السياسة الاقتصادية التي يتبعها النظام الاردني ، ويترك فيها لكبار التجار حرية التصرف بالاسعار ؟ ــ هل تعتقد سوريا ان الجيش الاردني يستطيع ان يلعب دورا في مواجهة العدو الاسرائيلي بعد أن قطع الاردن شوطا طويلا على طريق التسوية المنفردة وبالعلاقات الخاصة مع اسرائيل ؟

ويعتقد ان الاتصالات التي جرت بين المقاومة والمسؤولين السوريين قد حاولت استطلاع اجاباتهم حول هذه الاسئلة . وقد لوحظ ان جورج صدقني رئيس القسم الثقافي في القيادة القومية تعمد أن ينفي اي دافع اقتصادي وراء القرار السوري ، وان ينفي بشكل خاص علاقته بالقرار المصري .

اسرائيل والاعتداءات والارهاب :

واصلت اسرائيل تنفيذ سياستها الرامية لضرب العمل الفدائي وذلك باتباع اكثر من اسلوب . اولا اسلوب ضرب القواعد الفدائية بشكل مباشر . وثانيا اسلوب ضرب القوات العسكرية العربية ، وبشكل خاص المناطق الآهلة بالسكان ، لتشكيل ضغط على الحكومات العربية يدفعها للتضييق على العمل الفدائي. وثالثا متابعة عمليات الارهاب ضد قادة الفدائيين وممثليهم في الخارج . فكيف جرى وضع هذه الاساليب موضع التطبيق ؟

في ١١ ت ٢ أعلن الجنرال اسحق هوفي قائد الجبهة الاسرائيلية المواجهة لسوريا ولبنان : ان الجيش الاسرائيلي تبنى سياسة جديدة تقضي بمهاجمة قواعد الجيش السوري ، وليس مخابىء الفدائيين العرب فقط ... ان السياسة الجديدة انبثقت من معرفة واضحة بأن النشاط الفدائي ينفذ بدعم وتشجيع من الحكومة السورية .

وعلى أثر ذلك اعلنت قيادة الجيش اللبناني انتهاك الطائرات الاسرائيلية لاجوائها اكثر من مرة ، وقيام هذه الطائرات بعمليات الاستكشاف وخرق جدار الصوت فوق مدن وقرى الجنوب . وبعد هذه التصريحات ، وبعد سلسلة عمليات الاستكشاف دارت على الجبهة السورية يوم ٢١ ت ٢ حرب حقيقية استمرت اكثر من ١٠ ساعات ، وكان تحرك الجيش السوري أثناءها حيويا وفعالا ، وأدى نشاطه الى اسقاط ٣ طائرات لاسرائيل ،

وتدمير ١٤ دبابة ، بينما ادعت اسرائيل انها أسقطت ٦ طائرات سورية ودمرت رادارا و١٥ دبابة . أما على الجبهة اللبنانية فقد هاجمت اسرائيل يوم ٢٤ ت ٢ قاعدة فدائية قرب حاصبيا تابعة للجبهة الشعبية (القيادة العامة) قتل فيها فدائي وجرح ٤ ، ولم تعترف اسرائيل الا بجريح واحد . وقد عادت هذه الاشتباكات وتجددت مرة اخرى على الجبهة السورية يوم ٢٥ ت ٢ . وبينما كان موشي دايان يعلن في لندن (٣ ك ١) : ان سوريا هي اكثر جيراننا تطرفا ، كانت مصادر فلسطينية تتوقع هجوما واسعا على سوريا (٤ ك ١) ، وتقول ان الجيش السوري يقف في اقصى درجات التأهب ، وكانت مصادر لبنانية تعلن ان تحركات اسرائيلية مريبة ، مع طلعات متعددة للطيران ، تجري عند حدود لبنان (٧ ك ١) . وفي هذا الجو من التوقع للاعتداءات الاسرائيلية كانت الصحف السورية تشن حملة شديدة ضد وقف اطلاق النار على الجبهات العربية وتطالب دول المواجهة بفتح النار من جديد (١١ ت ٢) . واستمرت هذه الحملة لفترة من الوقت ، بحيث اثارت تساؤلات جدية حول العلاقات الداخلية بين دول اتحاد الجمهوريات العربية .

اما على صعيد عمليات الارهاب فقد قامت اسرائيل بارسال عدد من الرسائل المتفجرة الى مندوبي وممثلي المنظمات الفدائية في اكثر من بلد . ففي يوم واحد (٢٩ ت ٢) انفجرت في المانيا رسالة ملغومة بالسيد عدنان حماد داخل منزله . وانفجرت رسالة ثانية في ستوكهولم بالسيد عمر صوفان في شقته ، وانفجر في تونس طرد ملغوم في مكتب البريد اصيب به ٣ موظفين بجراح . وفي اليوم التالي (٣٠ ت ٢) انفجرت في كوبنهاجن رسالة ملغومة أصابت بجراح ، بالغا دانمركيا متجولا ، وشابا فلسطينيا يدعى احمد عوض‌الله. وتبع ذلك انفجار يوم ٨ ك ١ في منزل محمود الهمشري ممثل منظمة التحرير في باريس ، حيث اصيب بجراح بالغة . وبذلك تكون اسرائيل قد أوصلت حرب الارهاب المحمي من قبلها رسميا الى حدود عالمية ، بينما هي تطالب في الامم المتحدة ، باتخاذ اجراءات دولية ضد الارهاب .

بلال الحسن

عدد محدود جدا من كتاب

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة أيلول

اطلبه من مركز الابحاث ـــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ـــ بيروت

سعر النسخة ٥ ليرات لبنانية

تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق. ل. في العالم العربي ،

٢٥٠ ق. ل. في أوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر الدول

توضيح من الاتحاد العام لعمال فلسطين ــ فرع لبنان

في العدد رقم ١٦ وفي باب « شهريات » وتحت عنوان « المقاومة الفلسطينية » كتب الاخ ب. ح. عن اوضاع المقاومة الفلسطينية الداخلية وعن عملياتها ، وقد اثار استغرابنا ان ينتهي الاخ كاتب المقال عن حادث الصدام بين عمال مصانع الغندور وقوى الامن وذلك لما في انتقاله الى هذا الموضوع من دلالة على انه يعتبر قضية « عمال الغندور » جزءا من نشاط المقاومة الفلسطينية . ويهم الاتحاد العام لعمال فلسطين ــ فرع لبنان ان يوضح انه لا يناقش احدا رأيه او افكاره حول صيغة العلاقات بين العمل النقابي المحض والكفاح المسلح ولكنه يأخذ عليه الزامه الاخير التدخل في شؤون نقابية لبنانية فلسطينية بحت ، كما يهم الاتحاد ان يصحح بعض المغالطات الواردة في سياق تعليق كاتب المقال فيعلن :

اولا ــ لم تتدخل « بعض القوى من المقاومة » لا لمعرفة اوضاع ومصير العمال والعاملات الفلسطينيين ولا لاي غرض اخر وذلك لوعي من هذه القوى بأن هذا الشأن هو من اختصاص الاتحاد العام لعمال فلسطين والذي لم يتقاعس عن القيام بواجبه وخاصة عند اعتقالهم .

ثانيا ــ لم يكتف بيان الاتحاد العام لعمال فلسطين ــ فرع لبنان بتحذير العاملات الفلسطينيات من الاتصال بفصائل المقاومة كما اوحت الفقرة المجتزأة التي اوردها الاخ كاتب المقال بل تعدى البيان ذلك الى القول بضرورة « ابقاء الاتصالات محصورة ضمن نطاق الاتحاد العام لعمال فلسطين والاتحادات العمالية اللبنانية » وهذا التحذير ابلغت به العاملات ولجنة الاضراب قبل وقوع المجزرة بايام .

ثالثا ــ لم يكن تحذير الاتحاد المذكور يهدف الى اي غرض سوى قطع الطريق على بعض الاوساط الرجعية العربية التي تنيد من التناقضات الكيانية الفلسطينية اللبنانية للتحريض ضد الفلسطينيين وضد المقاومة الفلسطينية في اطار اجهاض وتصفية القضية الفلسطينية كلها وهذا ما اوضحه البيان .

رابعا ــ اما قول الاخ كاتب المقال انه كان حريا بالاتحاد ان يعتبر نفسه شريكا في المسألة ، ان لم يكن من اجل التساند النقابي فمن اجل العمال والعاملات الفلسطينيين الذين يحتاجون للدعم والمساندة من قبل القوى السياسية والنقابية الفلسطينية لا يمكن تفسيره الا بتضمين هذا التفسير معنى محاولة ضرب وحدة الحركة النقابية اللبنانية الفلسطينية وابعاد العمال الفلسطينيين عن اتحادهم . كما هو يحمل افتراضا يفيد بان الاتحاد غائب عن مثيلات الحادثة المذكورة متجاهلا اعلان البيان وقوف الاتحاد بشدة الى جانب الاتحادات العمالية اللبنانية وتأييده الكامل للمطالب العمالية الشرعية ومتجاهلا ايضا رفض الاتحاد ان تسوى قضية العاملات الفلسطينيات بمعزل عن قضية العاملات والعمال اللبنانيين .

خامسا ــ ان الاتحاد العام لعمال فلسطين ــ فرع لبنان كان منذ بدء الاضراب وبعد المجزرة على اتصال دائم مع الاتحادات النقابية اللبنانية ولجنة الاضراب والعمال بهدف انجاح الاضراب وتحقيق مطالب العمال وهو يستغرب مرة اخرى استناد الاخ كاتب المقال الى موقف من سماها بـ « الاوساط العمالية اللبنانية » ويطالبه بتوضيح هوية هذه الاوساط وكيفية الحصول على موقف منها على اتساع قطاعها .

هذا ويريد الاتحاد العام لعمال فلسطين ــ فرع لبنان الا يخوض في تفسير باقي ما ورد في تعليق الاخ كاتب المقال حتى لا يشعره بثقل الخطأ الذي ارتكبه دون قصد كما نريد ان نعتقد .

أمين سر الفرع
موسى جريس

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية :

حضرت المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة ما بين ٦ و٧٢/٤/١٠ وفود تمثل الحركات العربية الوطنية والتقدمية . وعلى الرغم من غياب بعض القوى الوطنية العربية ، وخاصة القوى الوطنية والتقدمية في الخليج العربي ، فان عدد الوفود التي شاركت في المؤتمر الشعبي الفلسطيني يفوق عدد الوفود التي شاركت في اي مؤتمر عربي آخر . وكان مشروع البرنامج السياسي الذي قدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني قد تضمن بابا خاصا حول : « العلاقة مع الجماهير والقوى الثورية العربية » . وجاء في هذا الباب : « ان النضال الوطني الفلسطيني ، والنضال الوطني الفلسطيني ــ الاردني ، بحكم الحتمية التاريخية والمصيرية ، وبحكم الضرورة الموضوعية لا يمكن الا ان يكون جزءا لا يتجزأ من الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ، بل ومحورا استراتيجيا من محاورها الرئيسية . لذلك فان مهمة الثورة الفلسطينية وقيادتها (منظمة التحرير الفلسطينية) والجبهة الوطنية الفلسطينية ــ الاردنية ان تسعى للالتحام بكافة فصائل النضال الوطني الديمقراطي العربي اينما كانت ، وان تهيىء بنضالها المناخ القتالي المساعد على بروز هذه القوى حيث تعترض الصعوبات بروزها ، وأن تفتح صفوفها للمناضلين العرب لان النضال على الساحة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني الامبريالي هو نضال استراتيجي رئيسي للثورة العربية في مجموعها » .

وقد تبنى المؤتمر الشعبي الفلسطيني النص المذكور أعلاه ، كما ان ممثلي القوى الوطنية والتقدمية العربية المشاركة في المؤتمر قد اجتمعوا في ما سمي لجنة الجبهة العربية المشاركة ، واقروا مشروع البرنامج المقدم ، مع بعض التعديلات . وقد قدمت لجنة الجبهة العربية المشاركة الى المؤتمر مجموعة من التوصيات منها : ١ ــ الموافقة على الدعوة الى قيام جبهة عربية مشاركة واعتبار حركة المقاومة طرفا اساسيا فيها . ٢ ــ « تشكيل لجنة اتصال من المقاومة الفلسطينية تتولى البحث مع ممثلي كل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية في تنفيذ تلك الدعوة على اساس تأليف لجنة تحضيرية تهيىء لعقد مؤتمر شعبي عربي يشكل أساسا لبناء الجبهة الوطنية التقدمية على الصعيد العربي ، وعلى أساس وضع جدول زمني تلتزم به اللجنة التحضيرية لتنفيذ مهمتها هذه . ولقد مارست بعض الوفود العربية المشاركة في المؤتمر ضغوطا من اجل تغيير بعض فقرات البرنامج ، ولكن المؤتمر لم يوافق على ذلك بل أوكل الى رئيس منظمة التحرير « تعديل صياغة بعض الفقرات » .

وبدأت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير اتصالاتها لتنفيذ هذا القرار . وكان ان وجهت دعوة لعقد اجتماع بهذا الشأن ، يبدأ يوم ٧٢/٥/٧ ، ويمتد الى ٥/١٠ . وجاء في الدعوة أن اللجنة التحضيرية تضم ممثلين بصورة مؤقتة عن : ١ ــ حزب جبهة التحرير الجزائرية ، ٢ ــ جبهة الكتلة الوطنية المغربية ، ٣ ــ الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا ، ٤ ــ الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر ، ٥ ــ حزب البعث العربي الاشتراكي (سوريه)، ٦ ــ حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق)، ٧ ــ القوى الوطنية والتقدمية في لبنان ، ٨ ــ الجبهة القومية لليمن الديمقراطية ، ٩ ــ الجبهة الوطنية الاردنية ، ١٠ ــ منظمة التحرير الفلسطينية .

كما ان الدعوة تنص على ان هدف الاجتماع وضع « ... قرارات اللجنة العربية المنبثقة عن المؤتمر الشعبي الفلسطيني موضع التنفيذ . ومن أجل التحضير لعقد مؤتمر الجبهة الذي يشمل كل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في البلاد العربية لوضع نظام ولائحة وأهداف هذه الجبهة». وقد تم الاجتماع ، واقتصر البحث في جلسة الافتتاح على « بلورة طبيعة المؤتمر واهدافه وتحديد جدول الاعمال » . اما الاجتماع الثاني فقد شكلت فيه الامانة العامة التحضيرية من ممثلين عن : الاتحاد الاشتراكي العربي ــ مصر ، الاتحاد الاشتراكي العربي ــ ليبيا، حزب جبهة التحرير ــ الجزائر ، حزب البعث ــ العراق ، حزب البعث ــ سورية ، حزب الجبهة القومية ــ اليمن الديمقراطية . يضاف الى هؤلاء ستة ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية على ان يراعى في ذلك ان يكونوا ممثلين للمنظمات الاساسية ، كما يضاف اليهم ممثلون عن الاحزاب والمنظمات اللبنانية

التالية : الحزب التقدمي الاشتراكي ، الحزب الشيوعي اللبناني ، حزب البعث ، منظمة حزب البعث ، منظمة العمل الشيوعي ، الحركة اللبنانية المساندة ، الحزب الديمقراطي .

وقد انتخب لطفي الخولي رئيسا للدورة ، وجرى اختيار امانة السر من الدكتور نبيل شعث وتوفيق صفدي ، على ان يساعدهما في مهمتهما مركز التخطيط . وناقش المجتمعون القضايا التالية :

أ ـ طبيعة المؤتمر : وتوصل المجتمعون الى ضرورة « الانطلاق من الواقع العربي الراهن بالرغم من تناقضاته ، وذلك حرصا على انجاح المؤتمر والجبهة ، وبالتالي مباشرة العمل بالحد الادنى وتجنب كل ما من شأنه أن يسهم بشكل او آخر في عرقلة قيام الجبهة » . ب ـ اهداف المؤتمر ، وقد جرت بعض التعديلات على النصوص المقترحة.

ج ـ تحديد القوى التي ستشارك في المؤتمر : اقرت اللائحة المقترحة ، بعدما اضيفت بعض القوى الجديدة : وهي حزب البعث العربي الاشتراكي في اليمن ، وحزب الاستقلال في المغرب، والجمعية المغربية لمساندة الثورة الفلسطينية واتحاد الخلايا الماركسية اللينينية وحزب العمال العربي الثوري في لبنان . كما جرى تعديل صيغة الدعوة الموجهة الى الكويت ، فباتت الدعوة موجهة الى القوى الوطنية في الكويت ، بعد ان كانت موجهة الى حركة القوميين العرب .

كما اضيف عدد من المدعوين الجدد الى اسماء المدعوين : الجبهة الوطنية في لاوس وكمبوديا ، الجيش الشعبي التركي، القوى الثورية الايرانية، منظمة التوباماروس ، الفهود السود في اميركا ، منظمة القارات الثلاث ، اتحاد الوسط في قبرص ، الحزب الاشتراكي الموحد في فرنسا .

وتقرر ان تكلف الامانة العامة التحضيرية باختيار ما بين ١٥ و٢٠ شخصية وطنية تمثل جميع الاقطار العربية . كما اتفق على ان يمثل كل تنظيم بعدد يتراوح بين شخص وثلاثة . د ـ موعد المؤتمر ومكانه : حدد النصف الاول من أيلول على انه زمان المؤتمر ، كما قرر ان تكون بيروت مقرا لانعقاده . وعقد اجتماع ثان للجنة التحضيرية ، تم فيه البت بكل القضايا التي بحثت في الاجتماع الاول . ولكن الامور اخذت تزداد تعقيدا فيما بعد. فلقد انسحبت ليبيا أولا ، ثم بدت مصر غير متحمسة للمشاركة . وأبدت سوريه موقفا مماثلا .

وكان على المهتمين بعقد المؤتمر ان يزوروا القاهرة ودمشق لضمان مشاركتهما . وقد تم الاتفاق ، بعد الاتصالات ، على ان يعقد المؤتمر في نوفمبر (تشرين الثاني) وعقد المؤتمر في ٧٢/١١/٢٧ ، ودام يومين فقط .

الحضور : حضرت معظم القوى الاساسية في الوطن العربي : ما عدا حزب البعث العربي الاشتراكي (سوريه) ، الاتحاد الاشتراكي العربي (ليبيا) ، القوى الوطنية في تونس (الحزب الشيوعي ، حزب البعث) اذ حضر ممثل عن الحزب الدستوري الحاكم ، كما لم يدع حزب التحرر والاشتراكية في الجزائر ، ولقد حضر ممثل الاتحاد الاشتراكي السوداني ولكنه اضطر للانسحاب ، بسبب وجود الحزب الشيوعي السوداني .

ولقد شاركت مصر ، ولكن وفدها كان لا يمثل ثقلا سياسيا ، مع انه يضم شخصيات مهمة في الحياة الفكرية والادبية والصحفية . ولم تشارك الصاعقة ، من بين المنظمات الفلسطينية ، في أعمال المؤتمر بوفد على مستوى القيادة ، كما فعلت المنظمات الاخرى .

الوفود الاجنبية : حضر عدد كبير من الوفود الاجنبية ، ولكن لوحظ غياب الصين والبانيا ، وممثلي الماويين والمنظمات المساندة للثورة في اوروبة . ومع ان الصين والبانيا قد دعيتا الا ان دعوتهما جاءت متأخرة . اما الحركات الماوية والمنظمات المساندة للثورة في اوروبه فانها لم تدع.

أعمال المؤتمر : قدمت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوثائق التالية : ١ ـ مشروع برنامج العمل السياسي للجبهة ، ٢ ـ مشروع اللائحة الداخلية للجبهة ، ٣ ـ مشروع برنامج سير اعمال المؤتمر، ٤ ـ مشروع نظام المؤتمر .

وقد بدأت المناقشة بمناقشة مشروع برنامج سير اعمال المؤتمر ومشروع نظام المؤتمر. وبعد الموافقة عليهما انتخبت رئاسة المؤتمر . وجرى الاتفاق على جدول الاعمال على أساس ان تجري مناقشة عامة حول البرنامج السياسي واللائحة الداخلية ، ثم ينقسم المجتمعون الى لجنتين احداهما تناقش مشروع البرنامج السياسي والثانية تناقش اللائحة الداخلية . وجرى النقاش في جلسة المناقشة العامة ، وكان أبرز ما فيه تركيز عدد من المتحدثين

على ضرورة ادانة قرار مجلس الامن . وكان ابرز الذين تحدثوا في هذا المجال : ابو اياد ، نايف حواتمه ، محمد اليازغي ، ممثل القوات الشعبية في المغرب .

اما في اللجنة السياسية فكان هنالك اتجاهان : اولهما : يريد ان يدين قرار مجلس الامن صراحة، ويستهدف ادانة تحركات الرجعية العربية المتآمرة مع الامبريالية والصهيونية ، والثاني يريد عدم ذكر قرار مجلس الامن وعدم الاشارة الى النشاطات الرجعية العربية المتآمرة مع الامبريالية ، والموافقة على البرنامج السياسي كما قدمته اللجنة التحضيرية .

وكان اهم ما دار من نقاش في اللجنة التنظيمية هو النقاش الذي دار حول قضية اساسية واحدة: وهي توسيع التمثيل في اطار المؤسسات القيادية للجبهة . ولقد كان مشروع اللائحة الداخلية المقدم من اللجنة التحضيرية يحدد عدد اعضاء اللجنة التنفيذية بخمسة عشر عضوا ، وعدد اعضاء الامانة العامة بخمسة . وقد استبدلت اللائحة الداخلية التي اقرها المؤتمر اللجنة التنفيذية بمجلس عام يضم ممثلا واحدا عن كل حركة مشاركة . كما استبدلت الامانة العامة المؤلفة من خمسة اعضاء بأمانة عامة تبلغ نحو واحد وعشرين عضوا .

ولقد كان النقاش السياسي في اللجنة السياسية يتركز على النقاط التالية : (أ) قرار مجلس الامن وخطورته وضرورة ادانته في البرنامج . (ب) دور الرجعية في محاربة الحركة الوطنية العربية عموما ، والحركة الوطنية في الجزيرة والخليج خصوصا . (ج) ادانة اساليب القمع الدموية التي لجأ اليها نظام الحكم في السودان . (د) الاشارة الى الدور التآمري والعدواني الذي تلعبه ايران في الخليج العربي . (هـ) اعتبار قضية العرب في فلسطين القضية الاساسية او ساحة اساسية ومتقدمة . وانتصرت وجهة النظر هذه، بعد نقاشات طويلة . وادخلت تعديلات على نصوص مشروع البرنامج تشمل هذه النقاط روحا لا نصا . ففيما يتعلق بقرار مجلس الامن تجاهل مشروع البرنامج هذه القضية نصا ، وان كانت روح مشروع البرنامج ضد التصفية عموما ، ولكن البرنامج السياسي الذي اقره المؤتمر نص على ما يلي في باب اهداف الجبهة :

« ١ ــ مقاومة كل المشاريع التصفوية التي تقوم على تكريس الكيان الصهيوني والاعتراف بدولة اسرائيل ضمن ما يسمى الحدود الآمنة وتحول القضية الفلسطينية من قضية تحرير قومية الى قضية لاجئين ، وتجعل من تجريد الشعب الفلسطيني من السلاح وتصفية حركته الوطنية ثمنا لمختلف التسويات والحلول الكلية والجزئية المطروحة لقضية الاراضي العربية المحتلة خلال عدوان حزيران ١٩٦٧ ... » . وهذا النص لا يرفض قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فقط ، بل يرفض اية تسوية تحت اي اسم كانت . ومع ذلك فان مشروع البرنامج لا يشير الى القرار بالاسم .

وفيما يتعلق بدور الرجعية تضمن البرنامج المقر الاضافة التالية : « ١٢ ــ التصدي بحزم للقوى الامبريالية والرجعية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي التي تشكل كتلة اخرى معادية للثورة العربية عن طريق القواعد العسكرية الاجنبية ونهب الثورة النفطية وفتح الباب واسعا امام التغلغل الصهيوني المباشر وغير المباشر والتفريط بالسيادة العربية على جزر واراضي المنطقة ومحاصرة حركة الجماهير الوطنية والديمقراطية والانظمة التقدمية بقوة السلاح » (ص ٤) . وواضح في هذه الفقرة من المقصود ، ولكن دون التعرض بالاسم .

اما موضوع التصفية الدموية في السودان فقد وردت في الفقرة ١٣ من الاهداف في البرنامج المقر وتقول هذه الفقرة : « مقاومة كل اشكال القمع الموجهة الى الحركة الشعبية في الوطن العربي والتأكيد على الحريات الديمقراطية للجماهير العربية في التعبير عن ارادتها الوطنية المستقلة في التحرير الشامل ، وعلى الحقوق الديمقراطية للتنظيمات السياسية والنقابية » .

وفيما يتعلق باعتبار القضية الفلسطينية ساحة اساسية او الساحة الاساسية اكتفى البرنامج المقر بالقالي : « كما تشكل قضية الشعب الفلسطيني بكفاحه المسلح ، ساحة اساسية ومتقدمة من ساحات الصدام بين حركة التحرر العربي وقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية ». وهذه الصيغة التي جرى التوصل اليها بعد نقاش كانت نتيجة الصراع بين مفهومين : الاول يرى ان التناقض العدائي بين الامة العربية من جهة ودولة الاحتلال الصهيوني بكل ما تمثله من احتلال استيطاني وارتباط عضوي بالامبريالية هو التناقض

الاساسي ، وبالتالي فان ساحة القتال في فلسطين هي الساحة الاساسية . أما الثاني فكان يرى ان هذا الصراع يكوّن ساحة اساسية ومتقدمة فقط . وكان بعض المدافعين عن وجهة النظر الثانية يخشى ان تقود وجهات نظر الطرف الاول الى تجاهل اهمية الصراعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة التي تدور رحاها في طول الوطن العربي وعرضه . ولقد كان انصار المفهوم الاول يرون ان كون القضية الفلسطينية القضية الاساسية للامة العربية لا يعني انها فوق الصراعات الدائرة الان ، او انها تلغيها . فالقضية الفلسطينية هي القضية الاساسية للثورة الوطنية الديمقراطية العربية . والثورة الوطنية الديمقراطية العربية تشمل قضية الوحدة العربية وقضية تحرير البلاد العربية من السيطرة الامبريالية المباشرة وغير المباشرة وانهاء مخلفات القرون الوسطى ، والقضاء على مواقع الاقطاع والكمبرودور . ولكن الساحة الاساسية في هذا كله هي معركة فلسطين . ولم تستطع وجهة النظر هذه ان تدخل الى البرنامج ، مع ان عدم دخولها يعتبر مؤشرا على مدى استيعاب القوى الوطنية والتقدمية العربية لطبيعة المعركة الدائرة الان بين الامة العربية ودولة الاحتلال الصهيوني بكل ما تمثله .

ملاحظات على المؤتمر : ١ ــ لقد جاء هذا المؤتمر متأخرا عن تاريخ عقده سنوات ، اذ كان يجب ان يعقد سنة ١٩٦٨ . ولكن الثورة الفلسطينية لم تكن سنة ١٩٦٨ مهتمة بعقده لاسباب عديدة . ومع ذلك فان لعقده في هذه المرحلة اهمية . انه اولا يجمع القوى الوطنية والتقدمية العربية لاول مرة من اجل نصرة الثورة الفلسطينية . وهو ثانيا يأتي في وقت تحتاج فيه الثورة الفلسطينية ، وتحتاج فيه كل القوى الوطنية العربية الى التعاضد والتكاتف من اجل مجابهة مؤامرة التصفية والاستسلام .

٢ ــ لقد التقت القوى الوطنية والتقدمية العربية، ودار بينها نقاش ، حاد حينا ، هادىء حينا ، واضح حينا ، مناور حينا ، ولكنه نقاش ضروري من اجل بلورة نقاط الاتفاق وتحديد نقاط الاختلاف، ومن اجل المزيد من التعارف والتعرف . وما دامت فصائل الحركة الوطنية العربية متباعدة ، لا يجمعها جامع ولا تربطها رابطة ، فان اي لقاء مفيد ، فكيف اذا توّج ببرنامج ؟!

٣ ــ ولقد نص البرنامج المقر على الالتزام بقضايا مهمة منها : أ ــ تحرير كامل التراب الفلسطيني . ب ــ مقاومة كل المشاريع التصفوية . جـ ــ «... ان الثورة الفلسطينية هي جزء من حركة التحرر العربي ، وان للقوى الوطنية العربية نفس الحق وعليها نفس الواجب للمشاركة فيها جنبا الى جنب مع الشعب الفلسطيني » . د ــ اقامة جبهة وطنية عربية مشاركة .

وهذه قضايا هامة يشكل الاتفاق عليها منطلقا نحو مزيد من التفاعل والتفاهم والعمل المشترك .

٤ ــ ولقد كان تقدما فعلا ان توافق الاحزاب الشيوعية العربية على برنامج يكرس القضايا المذكورة اعلاه ، وخاصة قضية تحرير كامل التراب الفلسطيني ، ولكن الخلاف على الموقف من قرار مجلس الامن يكشف الى اي مدى تختلف فصائل الحركة الوطنية العربية على قضايا بديهية واساسية .

٥ ــ ولقد جاء البرنامج المقر برنامجا لجبهة وطنية ديمقراطية تقدمية ، ولكن هذا البرنامج يجب ان يكون مطمحا للنضال ، لان وضع القوى الوطنية العربية وعلاقاتها لا يجعل قضية العمل على تنفيذه مسألة .

خاتمة : ان انعقاد المؤتمر الشعبي والاتفاق على البرنامج السياسي والتنظيمي للجبهة يمثل حدثا هاما في تاريخ الحركة الوطنية العربية . وعلى كل القوى المشاركة ان تناضل حتى تصبح الجبهة جبهة في الممارسة ، وحتى لا يبقى شعار المشاركة مع الثورة الفلسطينية شعارا معلقا في الهواء .

ن٠ ع٠

تقرير : أعمال ونتـائج
« لجنة وزراء الخارجية والدفاع العـرب » في الكويت

في الفترة الواقعة بين ١٥ ــ ١٨ ت٢ ١٩٧٢ عقدت في الكويت اجتماعات « لجنة وزراء الخارجيـة والدفاع العرب » تنفيذا لقرار مجلس الجامعـة العربية المنعقد في ١٩٧٢/٩/١٣ « بشأن العدوان الاسرائيلي ، ووضع الاسس لمواجهته وفق خطة عمل عربي مشترك، محددة الوسائل والالتزامات». وهدفنا من هذا التقرير ان نقدم صورة عن نقاشات المؤتمر ، وعن النتائج التي انتهى اليها بشكل عام ، مع تركيز خاص على ما يمس القضيـة الفلسطينية منها ، وعلى دور الوفد الفلسطيني في هذا المؤتمر .

١ ــ نشاط سبق المؤتمر: قامت الكويت، باعتبارها مضيفة للمؤتمر ، بنشاط سياسي واضح قبـل انعقاده ، من اجل تأمين حد ادنى من النجاح له. واجرت في سبيل ذلك اتصالات سياسية استهدفت ما يلي : أ ــ ازالة التوتر في العلاقات العربية الثنائية ، وبشكل خاص العلاقات بين الاردن وكل من سوريا ومصر والجزائر ، التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الاردن بعد مجازر ايلول ١٩٧٠ ضد المقاومة الفلسطينية . وكذلك العلاقات بين الاردن وكل من الكويت وليبيا ، حيث قامت الكويت **بتجميد** دفع المعونة الاقتصادية للاردن ، كما أقرت في مؤتمر القمة بالخرطوم عام ١٩٦٧ . وحيث قامت ليبيا **بقطع** هذه المعونة . ب ــ البحث في امكانية عودة التفاهم بين النظـام الاردني والمقاومـة الفلسطينية بحيث تستطيع المقاومة ان تعود الى الاردن ، وان تمارس دورهـا النضالي ضـد اسرائيل من اراضي الضفة الشرقية . جـ ــ البحث في مدى استعـداد الاردن ، والدول العربيـة الاخرى ، لاحياء الجبهة الشرقية ، باعتبار ان هذا الموضوع ، بشكل ركنا اساسيا في اي خطة عربية مشتركة لمواجهة اسرائيل .

والذي جـرى ان كافة الدول العـربية المعنيـة وضعت شرطا واحدا لكي تعود علاقاتها مع الاردن الى صورتها الطبيعية ، ويتلخص هذا الشرط في الوصول الى اتفاق بين المقاومة والنظام الاردني، على اساس ان هذه الدول اعتبرت ان لا وجود لاي مشكل بينها وبين الاردن سوى موضوع الموقف من المقاومة . وانطلاقا من هذا البحث في ازالة توتر العلاقات العربية ، وجدت الكويت نفسها محصورة في نطاق العلاقات الاردنية ــ الفلسطينية، فنشأ ما تناقلته الصحافة العربية على انه وساطة كويتية جديدة بين المقاومة والنظام الاردني . لقد كانت هناك وساطة بالفعل ، انما من هذا المدخل، وتؤكد مصادر منظمة التحرير ان هذه الوساطة لم تأخذ مداها ، اذ اكتفت الكويت ببحث الموضوع مع النظام الاردني ، ولم تبادر لمعرفة راي منظمة التحرير الفلسطينية . وفي هذه اللقاءات الكويتية ــ الاردنية اعلن الاردن استعداده لبحث موضوع الجبهة الشرقية ، وعودة حركة المقاومة ، انما من ضمن خطة عربية متكاملة، ومن ضمن تصور شامل للتحرير ، تأخذ حركة المقاومة في الاردن دورها من خلاله . وكان هذا الموقف تكتيكا ذا مظهـر ايجابي ، ظهرت دوافعه الحقيقية السلبية عبر مناقشات المؤتمر ، كما سنرى فيما بعد .

٢ ــ جدول اعمال المؤتمر : كان من المقرر ان يبحث المؤتمر النقطة الوحيدة المدرجة على جدول أعماله والتي تنص على ما يلي : « ... تقييم الواقع العربي ، ووضـع أسس خطة عربيـة مشتركة ، محددة الوسائل والالتزامات ، لمواجهة العدوان الاسرائيلي » . ولكن الذي جرى عمليا أن المؤتمر أحدث تغييرا على جدول اعماله ، وبدلا من ان يبحث في خطة عربية مشتركة ، اكتفى ببحث نقطتين : ١ ــ بحث الخلافات العربية القائمة ، والسعي لتصفيتها . وهنا كان التركيز على علاقات الاردن بالمقاومة ، وعلاقات الاردن بالدول العربية الاخرى . ٢ ــ قام رؤساء الوفود والعائد معظمهم من اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة ، بتبادل المعلومات المتوفرة لديهـم حول الوضـع الدولي والمواقف المنتظرة بصـدد أزمة الشرق الاوسط .

وبهذا التغيير في جدول الاعمال تحول المؤتمر ، من مؤتمر تخطيطي لوضع أسس خطة مشتركة ، الى مؤتمر للنقاش والحوار ومعرفة وجهات النظـر المختلفة . وعلى اساس ذلك يمكن القول انه فشل منذ البداية . وهنا يجب ان نلاحظ ان هذا التغيير في جدول اعمال المؤتمر ، قد ترافق مع الاعلان عن مبادرة امريكية جديدة ، ينتظر الكشف عنها في

فترة لاحقة ، ولذلك ركزت كثير من تعليقات الصحف والاوساط السياسية ، على الارتباط القائم بين المبادرة الامريكية وتغيير جدول الاعمال ، كما كان لهذه القضية ايضا امتداداتها الى داخل المؤتمر .

٣ — أوراق الوفد الفلسطيني : ترأس الوفد الفلسطيني الى المؤتمر السيد خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ، وضم الوفد في عضويته ممثلين عن فتح والصاعقة والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية . وذهب الوفد بعد ان انجزت الدائرة السياسية اعداد مجموعة من المذكرات طرح مضمونها على اللجنة التنفيذية ، فكان بذلك الوفد الوحيد ، بالاضافة الى الوفد السوري ، الذي استعد سلفا لبحث الموضوع الاساسي الذي كان مدرجا على جدول اعمال المؤتمر ، ولكن التغير الذي طرأ على جدول الاعمال أدى الى عدم البحث في مذكرة الوفد الفلسطيني ، فاكتفى الوفد بتوزيعها على اعضاء الوفود العربية الاخرى . اما المذكرات التي أعدت فهي : ١ — مذكرة تتضمن عرضا عاما لاسس خطة استراتيجية عربية لمواجهة العدوان الصهيوني . ٢ — مذكرة تتضمن عرضا عاما للواقع العربي ، ونقاط القوة والضعف فيه . ٣ — مذكرة تتضمن عرضا عاما للموقف الفلسطيني. ٤ — دراسة عن دور النفط في الاقتصاد الاسرائيلي . ٥ — دراسة بعنوان « سبل استخدام النفط العربي لصالح القضية الفلسطينية» أعدها الدكتور يوسف صايغ (نشرت في شؤون فلسطينية — العدد ١٦) . وابرز ما جاء في هذه المذكرات :

— ... والواقعية العربية الان ، والتي جوهرها اليأس من مجابهة العدو وقهره ، تعبير مادي عن الاستسلام مغطى بفلسفة تبررها اوهام وخيالات لنظريات المصالح والتوازن العالمي والعامل الاوربي . ولم يستطع العرب حتى الان ان يقرروا بأن الحل الصحيح لمسألة الصراع بينهم وبين العدو الصهيوني ، بيدهم ، وعلى الارض المحتلة بالذات ... وباتوا يعتقدون ان سلما سيفرض في المنطقة بتأثير القوى الكبرى ، وبهذا يضمنون براءة الذمة من النضال ضد العدو .

... ان واجبنا ان نوضح ان العدو يستهدف القضاء على كل الامة العربية ... فلا مداراته ولا الاستسلام له، ولا الحلول السياسية والسلمية معه بقادرة على تغيير الحقيقة — حقيقة العدو وغزوته ، وحقيقة الصراع معه ، حيث انه صراع حياة او موت ، لا صراع حدود او قرارات دولية. وعليه كان لزاما علينا أن نقرر موقفنا بجرأة وحزم . نختار بين المواجهة او الفناء الحضاري والمدني .

— وفي مسيرة الصراع بيننا وبين العدو الصهيوني ظهرت عدة آراء تجعل تحرير الارض المحتلة أمرا معلقا في الفراغ . وفي اعتقادنا ان استراتيجية المواجهة يجب ان تنبثق من الواقع القائم بكل سلبياته ، بمعنى ان يكون الواقع هذا ، موضع تفكيرنا لتغييره ، لا مصدر تفكيرنا للعمل من خلال معطياته السلبية ... بحيث يتم تغيير الواقع من خلال النضال ، وليس من خلال حالة اللاسلم واللاحرب .

— ان بقاء الواقع العربي على وضعه الراهن ، سيكرس السلبيات ويجمد عناصر القوة ، ويؤدي الى بقاء منطلق السياسات العربية مستندا الى حالة الشعور بالضعف، ومن ثم الشعور باستحالة المجابهة الناجحة . وبالتالي فان المنتصر الحقيقي في أي حل غير التحرير ، سيكون العدو نفسه . وحين انتقلت المذكرات الى تحديد الاهداف المرحلية والبعيدة المدى ، شددت على مرحلة العمل النضالي الذي يتطور من الدفاع السلبي الى مرحلة التصدي ، الى مرحلة الردع ، ثم الى مرحلة الهجوم ، مقابل النظرية المضادة القائلة بأن التسويات السياسية تشكل مرحلة أولية للتحرير .

٤ — موضوعات المؤتمر : طرحت في المؤتمر ، وفي نطاق تبادل المعلومات فقط ، قضية المبادرة الامريكية الجديدة . وذلك حين أشار رئيس الوفد الفلسطيني السيد خالد الحسن الى ان المبادرات الامريكية تظهر قبل كل اجتماع عربي من هذا النوع . واكد قناعة منظمة التحرير بأن « هدف هذه المبادرات الامريكية تمييع الاجتماعات العربية، واستغلال عامل الزمن لصالح اسرائيل » .

ثم تحدث في الموضوع السيد عبدالعزيز بوتفليقه رئيس الوفد الجزائري فروى ان التصور الامريكي للتسوية السياسية ، حسب ما ابلغه به وليم روجرز وزير الخارجية ، يقوم على الاسس التالية: ١ — ان ينطلق الحل المصري الاسرائيلي من فتح قناة السويس كتمهيد للمفاوضات حول بقية

القضايا التي يتناولها الحل الشامل . ٢ ــ ينطلق الحل الاردني الاسرائيلي من مشروع الملك حسين الداعي لانشاء المملكة العربية المتحدة . ٣ ــ يكون الحل الفلسطيني الاسرائيلي من ضمن مشروع المملكة العربية المتحدة . وعلى ضوء هذه المعلومات طلب من الدكتور محمد حسن الزيات رئيس الوفد المصري أن يعرض ما لديه من معلومات . فنفى باصرار ان تكون هناك اية مبادرة امريكية جديدة ، ولكنه لم يحدد موقف بلاده اذا ما عرضت مثل هذه المبادرة . وهنا لفت الانظار بشكل خاص حديث الوفد السوري الذي دعا أكثر من مرة الى ضرورة تأكيد لاءات مؤتمر الخرطوم الثلاث (لا صلح ، لا تفاوض ، لا اعتراف) .

وبعد تبادل المعلومات حول موضوع المبادرة الامريكية جرى البحث في موضوع العلاقات بين الاردن والمقاومة الفلسطينية . فتكلم صلاح ابو زيد رئيس الوفد الاردني الذي لخص موقف حكومته على الشكل التالي : ١ ــ يعلن الاردن استعداده للعمل الجماعي العربي ويتمسك به . ٢ ــ يعلن استعداده لقيام الجبهة الشرقية والاسهام فيها . ٣ ــ يشترط ان يكون وجود حركة المقاومة الفلسطينية ودورها العسكري المنطلق من الاردن جزءا من وجود الجبهة الشرقية وخطة عملها . ٤ ــ يشترط أن يتم كل ذلك من ضمن خطة عربية شاملة ، وليس من ضمن اتفاقات ثنائية .

وقد كان هذا الموقف الاردني ، مدار جدل ونقاش واسع ، لانه ربط موضوع الجبهة الشرقية ، وموضوع حركة المقاومة ، بوجود خطة عربية شاملة ، وهو يعرف سلفا ان هذه الخطة لن توضع في هذا المؤتمر ، أولا بسبب الخلافات العربية الواضحة ، وثانيا بسبب التغير الجذري الذي أدخل على جدول الاعمال . وبذلك يكون التركيز على الخطة العربية الشاملة مجرد حجة للتهرب من الالتزام بأي قرار مهما كانت درجته . وفي كواليس المؤتمر ، حاولت بعض الوفود اقناع الوفد الاردني بتغيير موقفه ، ولكن كل هذه المحاولات لم تثمر .

بعد الوفد الاردني تكلم السيد عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري ، الذي تقدم باقتراح يدعو لتشكيل لجنة عربية تضم مصر وسوريا وليبيا والكويت والسعودية ، تقوم بدراسة موضوع العلاقات بين المقاومة والاردن ، وتضع تصورها للحل ، ثم تقوم باجراء اتصالات ثنائية مع الطرفين لمعرفة رأيهما . فاذا كان هناك مجال للاتفاق ، يدعو وزير الدفاع السوري الى اجتماع مشترك في دمشق لبحث الوسائل العملية للتنفيذ .

أخيرا تكلم السيد خالد الحسن رئيس الوفد الفلسطيني فانتقد مواقف الحكومات العربية التي تعتبر نفسها طرفا محايدا وتقول « لا شيء بيننا وبين الاردن ، اذا اتفق على حل مشكلاته مع المقاومة » فأعلن رفضه لمعالجة القضية من زاوية العلاقات الثنائية بين الاردن والمقاومة ، وطالب بأن تحدد الدول العربية أولا موقفها من القضية الفلسطينية، وأسلوب التصدي لها ، قبل أن تحدد موقفها من العلاقات الثنائية ، لان عودة العلاقات ليست غاية بحد ذاتها ، بل وسيلة لغاية أساسية هي العمل من أجل التحرير . ثم حدد رئيس الوفد الفلسطيني الاسس التي ترى منظمة التحرير الفلسطينية أنها المنطلقات الضرورية لاية وساطة وهي : ١ ــ ان يكون البحث في احياء الجبهة الشعبية ، وفي عودة حركة المقاومة الى الاردن ، وفي ازالة الخلافات العربية ، وسيلة لوضع خطة عربية شاملة من اجل التحرير ، وليس غاية بحد ذاتها . ٢ ــ الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني . ٣ ــ مستقبل الشعب الفلسطيني يقرره هو بنفسه ، ولا يقرره مشروع المملكة العربية المتحدة ، او اي مشروع آخر . ٤ ــ عدم الارتباط الفلسطيني بأية تسوية سياسية تعقدها الدول العربية . ٥ ــ عدم الارتباط الفلسطيني بأي قرار لوقف اطلاق النار تم في الماضي ، او يتم في المستقبل . ٦ ــ ان يمتلك العمل الفدائي المنطلق من الاردن ، حرية الحركة العسكرية ، وحرية الاتصال بالجماهير والعمل على تعبئتها .

وبعد تحديد الموقف الفلسطيني على هذه الصورة، سئل الوفد الاردني في الجلسة الرسمية عن موقفه النهائي ، على ضوء الاقتراح السوري ، ثم على ضوء النقاط التي حددها الوفد الفلسطيني، فأعلن تمسكه بموقفه المعلن ، مبينا انه لا يمتلك صلاحيات بالبحث في أي موضوع خارج اطار الموقف الذي عرضه .

وعلى ضوء هذا الاستعراض للقضايا الاساسية التي بحثت في المؤتمر ، يمكن القول انه قد فشل، وان هذا الفشل يعود الى اسباب عدة ابرزها :

أولا : انه عجز عن بحث الموضوع الاساسي الذي اجتمع من أجله . ثانيا : عجز عن ايجاد حل لازمة العلاقات بين الدول العربية . ثالثا : الموقف الاردني الذي أدى عمليا الى تعطيل اي بحث في انشاء الجبهة الشرقية ، وفي عودة المقاومة للاسهام بدورها في العمل ضد اسرائيل . رابعا : رفض المؤتمر البحث في موضوع النفط، وكيفية استخدامه كسلاح في المعركة ، بالرغم من المذكرة الفلسطينية المقدمة .

ونتيجة لهذا الفشل جاءت توصيات المؤتمر في النهاية ، توصيات عامة ولفظية لم تخرج عن اطار : « ان مسؤولية المواجهة للعدوان الصهيوني هي مسؤولية عربية ، يتحتم على الدول العربية كلها تحملها والمشاركة فيها » . « ... الاستمرار في رفض الدول العربية للحلول الجزئية الضارة بالقضية الفلسطينية ». « التنسيق بين الدول العربية في مختلف المواقف ، وتبادل المعلومات مباشرة او بواسطة الامانة العامة للجامعة » ... الخ . واتفق في المجال العسكري على عقد اجتماع لرؤساء الاركان العرب لتحديد الاحتياجات التي تستلزمها الخطة العسكرية للتحرير ، على ان يرفع رؤساء الاركان تقريرا الى مجلس الدفاع المشترك الذي سيعقد في شهر كانون الثاني لعام ١٩٧٣ .

ب. ح.

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

عندما تم انتخاب نيكسون الى منصب الرئاسة الامريكية منذ اربع سنوات حاول ان يخلق في بداية عهده جوا من الارتياح والتفاؤل بالنسبة للسياسات العالمية التي قال انه سيتبعها وخاصة في مناطق الاضطراب الاساسية مثل الفيتنام والشرق الاوسط . على هذا الاساس وعد بانهاء الحرب في فيتنام وادلى بتصريحات حول الشرق الاوسط تفيد بأنه يريد اتباع سياسة اكثر « توازنا » من سلفه بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي . وتبع ذلك بارسال مبعوثه الخاص — وليم سكرانتون — الى منطقتنا من اجل تقصي الحقائق . ولكن لم تمض الا فترة قصيرة حتى تبين ان نيكسون يعمل على دفع السياسة الامريكية الخارجية باتجاه المزيد من العدوانية والشراسة والتصلب الامبريالي، خاصة في منطقتي جنوب شرقي اسيا والشرق الاوسط . بعد تجديد الولاية للرئيس نيكسون في الشهر الماضي لم يحاول ان يخلق اية اجواء مرتاحة ومتفائلة كما فعل في المرة الاولى ، بل على العكس من ذلك ادلى بمجموعة تصريحات حول السياسات التي ينوي اتباعها في السنوات الاربع المقبلة تشير الى ان البرنامج الذي سيطبقه في الحقل الداخلي سيكون بالتأكيد اكثر يمينية بكثير من برنامج الرئيس جونسون ، وانه لن يخفف في دفعه للسياسة الامريكية الخارجية باتجاه المزيد من التصلب الامبريالي ، خاصة في الشرق الاوسط . وهذا يعني انه لا يمكن ، في هذه المرحلة ، انتزاع اي مكسب وطني ضد المصالح الامبريالية بدون مواجهات حامية معها ومع قواها المسيطرة والمهيمنة بقوة السلاح في منطقتنا . وقد بدأ هذا الاتجاه في سياسة نيكسون يتضح بعمليات التلكؤ والمماطلة بالنسبة لقضية توقيع اتفاقية النقاط التسع التي تم التوصل اليها بين كيسنجر وممثلي الثورة الفيتنامية في باريس عشية الانتخابات الامريكية الاخيرة . هذا مع تكثيف القصف الجوي والبحري لفيتنام الى مستوى لم تعرفه الحرب من قبل . اما بالنسبة للشرق الاوسط فان كل الدلائل تشير الى ان حكومة نيكسون ما زالت غير مهتمة ولا ترى انه في مصلحتها الضغط على اسرائيل من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ او من اجل الموافقة على مذكرة يارينغ المشهورة ، مثلا . كما انه لا يوجد اية دلائل تشير الى ان تغيرا سيطرأ على الموقف الامريكي فيما يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي وبالنسبة لاصرار امريكا على استمرار الوضع القائم في الشرق الاوسط الى اطول مدة

ممكنة عن طريق الامتناع عن فرض اية تسوية للنزاع من الخارج (هيئة الامم ، الدول الاربع الكبرى ، الخ) ، والدعوة لايجاد حل من قبل الاطراف المعنية بالنزاع مباشرة بواسطة مفاوضات من نوع ما . يضاف الى ذلك العودة المتكررة لطرح فكرة محادثات الجوار بين مصر واسرائيل من اجل تحقيق مشروع التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس . ويكتسب هذا الموقف الامريكي اهميته عندما نقارنه بالمطالب التي ما زالت الدبلوماسية المصرية توجهها الى امريكا من اجل الضغط على اسرائيل لتنفيذ التسوية السياسية في المنطقة.على سبيل المثال ، يقول وزير خارجية مصر في مقابلة مع النهار (٥ كانون الاول) أجريت اثناء وجوده في هيئة الامم « ان الطريق الذي يمكن ان تتدخل فيه الولايات المتحدة في الشرق الاوسط هو ان تمنع اسرائيل من الاستمرار في موقفها وذلك بايقاف الشحنات العسكرية والمادية اليها والاشتراك بعمل دولي ، كفرض العقوبات او تهديد اسرائيل بالطرد من الامم المتحدة لدفعها الى تغيير موقفها . وفي خطابي (في الجمعية العامة لهيئة الامم) طلبت من امريكا كل هذه الطلبات ومنها الكف عن تقديم المساعدة لان ذلك يعني اشتراكها في احتلال الاراضي العربية ، كما طلبت منها ومن كل الدول البحث في موضوع الطرد وموضوع فرض العقوبات ويكفينا من امريكا ان تكف عن تقديم المساعدات العسكرية والمادية . » وواضح ان توقعات الدبلوماسية المصرية وطلباتها من امريكا تتعارض تعارضا تاما مع الموقف الثابت والدائم لهذا البلد من النزاع في الشرق الاوسط . وجدير بالذكر هنا ان نيكسون اعطى لهذا الاتجاه المتصلب في سياسته الخارجية تغطية مستمدة من الدبلوماسية الشخصية الهادئة التي تمثلت بصورة دراماتيكية في الزيارات التي قام بها لعدد من العواصم العالمية واهمها بكين وموسكو . وبالنسبة للشرق الاوسط بدأت تغطية الخط السياسي النيكسوني المتشدد تظهر على شكل : (أ) اخبار صحافية حول نية الرئيس الامريكي القيام « بمبادرة جديدة » لاحلال السلام في الشرق الاوسط مما خلق جوا من الترقب والانتظار سيستمر لفترة في المستقبل القريب . (ب) اخبار صحافية ترددت في مصر حول عزم هنري كيسنجر ــ مستشار نيكسون الرئيسي ــ زيارة عواصم الشرق الاوسط على امل ان يتمكن من تحقيق نجاح في احلال السلام يشبه النجاح الذي يقال انه حققه في التوصل الى اتفاقية النقاط التسع للسلام في فيتنام . (ج) الخبر الذي اطلقته صحيفة « الفيغارو » الفرنسية والقائل بأن مصر والولايات المتحدة قد اتفقتا تقريبا على مشروع وضعه كيسنجر للسلام في الشرق الاوسط يدعو لانسحاب اسرائيل من منطقة قناة السويس بعد اعادة فتح القناة ، والى اجراء مفاوضات مع اسرائيل واقامة كيان فلسطيني مستقل في الضفة الغربية وقطاع غزة . ونشر الصحافي الامريكي جاك اندرسون ــ الذي يدعي انه على اطلاع على بعض الوثائق السرية لوكالة الاستخبارات المركزية ــ في احدى مقالاته انباء تقول ان كيسنجر يعد مشروعا سريا لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي وان الرئيس نيكسون سيبحث في هذا المشروع مع الزعيم السوفياتي بريجنيف عندما يلتقيان في واشنطن في العام المقبل (د) الانباء الصحفية التي ترددت في بيروت (منسوبة الى مصادر مطلعة في واشنطن) بأن الرئيس نيكسون ينوي زيارة القاهرة وتل ابيب في الربيع المقبل من اجل حل النزاع العربي الاسرائيلي . وذكرت هذه الانباء ان الرئيس الامريكي سيلجأ لهذا الاسلوب لان زيارته لكل من بكين وموسكو حققت نتائج ايجابية على صعيد الانفراج في العلاقات الدولية وباتجاه تسوية النزاعات المزمنة عن طريق المفاوضات وبالاساليب السلمية . (هـ) الدعوة التي اطلقها احد كبار المعلقين الصحفيين في صحيفة « النيويورك تايمز » حول ضرورة اعادة العلاقات الدبلوماسية بين امريكا ومصر . (و) أخبار ترددت حول وساطة تجريها تونس حاليا بين مصر والولايات المتحدة بعد الزيارة الاخيرة لرئيس الحكومة التونسية ــ الهادي نويرة ــ للقاهرة حيث تمت مناقشة موضوع الوساطة مع الرئيس السادات بصورة مطولة . ويبدو ان موضوع الوساطة يدور حول موضوع قديم هو ما اذا كانت الولايات المتحدة مستعدة للضغط على اسرائيل من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بتفسيره السوفياتي ــ المصري ام لا . وقد اشار المصمودي بايجاز الى هذه الوساطة في مقابلة اجرتها معه صحيفة النهار (٢٢ تشرين الثاني) حيث قال ان بلاده « تسعى الى اطلاع امريكا على الوضع الذي وصلت اليه مصر نتيجة سلوك الدول الكبرى » . وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى ان مصادر البيت الابيض نفت وجود خطط عند الرئيس نيكسون في الوقت الحاضر

لزيارة الشرق الاوسط ، كما نفت السفارة الامريكية في بيروت ان يكون لديها اي علم بمشروع اعده كيسنجر من اجل السلام في المنطقة . الا ان وزير خارجية مصر — محمد حسن الزيات — صرح في نيويورك ان بلاده مستعدة لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة اذا كانت لدى الاخيرة الرغبة في ذلك على ان تكف عن مساعدة اسرائيل في الحفاظ على الاراضي العربية المحتلة. وبالرغم من التشويش الذي تخلقه هذه الدفعة من الانباء المتشابكة والمتضاربة احيانا يمكننا ان نقول ان تحركا امريكيا جديدا في الشرق الاوسط ليس مستبعدا بعد فترة غير طويلة نسبيا . الا انه سيكون بالتأكيد من نوع التحركات القديمة بأهدافها الامبريالية المعروفة ، وبهذا المعنى لن يكون في التحرك اي شيء جديد . ويبدو ان نتائج زيارة دايان الاخيرة لواشنطن تشير بهذا الاتجاه وتعطينا لمحة عن حقيقة الاتجاه الذي ستسير فيه السياسة الامريكية في منطقتنا . قابل دايان وليم روجرز ، وهنري كيسنجر وجوزيف سيسكو وكبار المسؤولين في وزارة الدفاع بالاضافة الى مدير وكالة الاستخبارات الامريكية ريتشارد هيلمز . وقد صرحت مصادر وزارة الخارجية الامريكية حول الزيارة انه بعد مناقشة الوضع في الشرق الاوسط من كافة وجوهه مع دايان تبين ان هناك اتفاقا حول الحاجة « لعملية دبلوماسية من نوع ما » في المنطقة . وقد اوضحت هذه المصادر ان دايان اطمأن على استمرار وصول طائرات الفانتوم وفاذفات أ — ٤ الى اسرائيل كما طلب الحصول على اسلحة اضافية اهمها : صاروخ ارض — ارض « لانس » مداه ٥٠ ميلا ، الطائرة العمودية « كوبرا » المشهورة بتحصينها المدفعي ، الصاروخ الموجه بالتلفزيون « مافريك » وقنابل موجهة بأشعة لايزر تستعملها امريكا في فيتنام. واكد دايان لمضيفيه ان الوضع في الشرق الاوسط افضل بكثير مما كان عليه قبل عام لان الخبراء السوفيات خرجوا من مصر ، ولان لبنان اصبح على استعداد اكبر لمنع الفدائيين من العمل من اراضيه ، ولان نظام الحكم في الاردن في وضع مستقر اكثر من اي وقت مضى . بالنسبة للعلاقات العربية السوفياتية يمكننا ان نقول ان هناك رغبة واضحة من قبل الطرفين لترميمها بعد التدهور الذي اصابها على اثر اخراج الرئيس السادات الخبراء السوفيات من مصر . وقد قطعت عمليات الترميم هذه شوطا بعودة كل من السفير السوفياتي والمصري الى منصبه الرسمي ، وقيام الرئيس صدقي بزيارة موسكو في النصف الثاني من شهر تشرين الاول ١٩٧٢ . وكان اخر تحرك بهذا الاتجاه قيام وفد عسكري مصري يرئسه قائد سلاح الجو — الفريق حسني مبارك — بزيارة موسكو في النصف الثاني من شهر نوفمبر . واجرى الوفد محادثات مع كبار القادة العسكريين السوفيات بهدف متابعة الحوار بين البلدين ووضع الترتيبات اللازمة لاستمرار ارسال انواع معينة من الاسلحة وقطع التبديل الى مصر. وقد ترددت انباء صحفية حول امكانية عودة عدد محدود من الخبراء السوفيات الى العمل في مصر، وحول موافقة الاتحاد السوفياتي على شحن بعض اسلحة دفاعية جديدة الى مصر . وبمناسبة احتفالات الذكرى الخامسة والخمسين لثورة اوكتوبر القى الماريشال غريشكو خطابا تعهد فيه باستمرار تقديم المساعدات السوفياتية لفيتنام والدول العربية التقدمية . كما القى النائب الاول للحكومة السوفياتية خطابا في الكرملين بهذه المناسبة شدد فيه على موقف الاتحاد السوفياتي كصديق وحليف للشعوب العربية في نضالها ضد السياسة التوسعية الاسرائيلية المدعومة من قبل القوى الامبريالية . كما اكد ان بلاده تعمل على تحقيق سحب كامل للقوات الاسرائيلية من كافة الاراضي العربية المحتلة مع مراعاة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني باعتبار ان ذلك شرطا ضروريا من شروط احلال سلام عادل وراسخ في المنطقة . واشار الى ان الاتحاد السوفياتي يعمل بثبات على تطوير صلات الود والتعاون مع الدول العربية التقدمية .

أما بالنسبة للموقف الاوروبي الغربي من النزاع في الشرق الاوسط فلم تحدث اية تطورات مهمة اثناء هذا الشهر باستثناء المفاوضات الجارية بين مصر وبريطانيا لشراء اسلحة دفاعية انكليزية . وقد اكد بيان صادر عن وزارة الخارجية البريطانية في النصف الثاني من شهر نوفمبر وجود هذه المفاوضات . وترددت انباء صحفية تقول انه تم التوصل الى اتفاق بين الدولتين اثناء زيارة وزير خارجية مصر للعاصمة البريطانية ، وان الصفقة تقدر بنحو ١٠٠ مليون جنيه استرليني وتشمل دبابات خفيفة وزوارق دورية وصواريخ متوسطة المدى وسيارات مدرعة ، وكلها اسلحة ذات طابع

دفاعي . الا انه من المرجح الا توافق بريطانيا على تزويد مصر بطائرة لايتنينغ الاعتراضية .

استعدادا لفتح مناقشة قضية الشرق الاوسط في هيئة الامم بعث الرئيس السادات برسائل الى ٣٥ دولة لاطلاعهم على اخر التطورات التي طرأت على النزاع العربي الاسرائيلي وللتحذير من مغبة المخاطر التي ينطوي عليها الجمود المخيم على الازمة في الوقت الحاضر . وفي هيئة الامم نفسها تمت مناقشة موضوع الارهاب الدولي في الجمعية العامة ، وهو موضوع ادرجه الامين العام على جدول اعمال الجمعية بعد الهجوم الذي شنه فدائيو ايلول الاسود على الجناح الاسرائيلي الاولومبي في مدينة ميونيخ . ومعروف ان دولا كثيرة تحفظت ازاء مناقشة هذا الموضوع في هيئة الامم تخوفا من استخدام المناسبة كسلاح ضد حركات التحرر الوطنية في كافة انحاء العالم من قبل الدول الاستعمارية والامبريالية عامة . وكانت نتيجة المناقشة قيام معظم دول المنظمة بتسجيل موقف ضد الارهاب الدولي من حيث المبدأ ومن ثم تحويل القضية الى اللجنة القانونية من اجل دراستها واعداد مسودة اتفاق حول مواجهة الارهاب الدولي . وقد عبر موقف الاتحاد السوفياتي عن شعور الدول المتخوفة من ادخال هذا الموضوع الى المنظمة الدولية ومضاعفاته بالنسبة لحركات التحرر . وتلخص هذا الموقف بتأييد احالة الموضوع الى اللجنة القانونية ، والاعلان عن معارضة كل محاولة لاستخدام مناقشة موضوع الارهاب للنيل من الكفاح « المشروع والعادل الذي يخوضه المناضلون في سبيل حريتهم الوطنية والاجتماعية » علما بأنه كفاح اعترفت المنظمة الدولية بشرعيته .

في اواخر تشرين الثاني بدأت الجمعية العامة مناقشتها السنوية الشاملة لقضية الشرق الاوسط، بعد تأجيل موعد افتتاح المناقشة عدة مرات لاسباب مختلفة . حضر المناقشة الوسيط الدولي غونار يارينغ ، ووزير خارجية مصر — محمد حسن الزيات — كرئيس لوفد بلاده ، ولم يحضر ابا ايبان (خلافا لما كان يجري في السنوات السابقة) في محاولة واضحة من قبل اسرائيل للتقليل من شأن المناقشة واهميتها . اما اهم وجهات النظر التي تم ذكرها في المناقشة فكانت : (أ) عودة الولايات المتحدة الى الاعلان من جديد عن استعدادها لمساعدة مصر واسرائيل على عقد تسوية مؤقتة تسمح باعادة فتح قناة السويس ، وعن تمسكها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي تعلق عليه اهمية كبيرة باعتباره يحدد الاطار الاساسي لتسوية ازمة الشرق الاوسط . وشدد المندوب الامريكي — بوش — في خطابه على اهمية المفاوضات ودورها في تسوية النزاع مستشهدا بالانفراج الدولي الحاصل (عقب زيارة الرئيس نيكسون للصين والاتحاد السوفياتي) وبالمفاوضات الجارية بين بعض بلدان المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي لتسوية النزاعات المزمنة او العالقة منذ فترة طويلة . كما اكد ان لبلاده مصلحة كبيرة في بدء مثل هذه المفاوضات بين الاطراف المعنية بمشكلة الشرق الاوسط . (ب) اعراب المندوب البريطاني عن قلق بلاده بسبب الاجراءات التي تتخذها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة التي من شأنها تبديل طبيعة هذه المناطق وذكر تحديدا اقامة المستوطنات الاسرائيلية فيها . كذلك حذر اسرائيل من مغبة هذه الاعمال لانها تشكل عقبة امام امكانات تحقيق السلام في المنطقة ان لم تقض عليها كليا . وأكد على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن تنفيذا كاملا كأساس لاحلال السلام في الشرق الاوسط . من الواضح ان وجهة النظر البريطانية في هيئة الامم لا تتعدى الموقف المعروف لدول اوروبا الغربية حول النزاع العربي الاسرائيلي وكيفية تسويته . واهم ما في هذا الموقف رفضه الكامل لاية محاولة دولية هدفها فرض عقوبات على اسرائيل لحملها على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وتنفيذ بنود قرار مجلس الامن . (ج) احدث خطاب مندوب السنغال ضجة في المنظمة الدولية بسبب هجومه على اسرائيل وعلى موقفها من البعثة الافريقية للسلام التي زارت الشرق الاوسط السنة الماضية برئاسة الرئيس السنغالي سنغور (بعثة حكماء افريقيا) . وقد ترددت انباء حول امكانية قيام دولتين افريقيتين اضافيتين — السنغال والنيجر — بقطع علاقاتهما مع اسرائيل بعد ان فعلت ذلك كل من غينيا والتشاد واوغندة . (د) في الخطاب الذي القاه ممثل مصر في المنظمة الدولية ركز على عدة نقاط كان اهمها : دعوة دول العالم الى عدم دعم اسرائيل وتأييدها ماديا ومعنويا ، والى عدم تزويدها بالسلاح طالما هي مستمرة في احتلالها للاراضي العربية . وفي معرض مطالبته هيئة الامم باتخاذ الاجراءات اللازمة لانهاء الاحتلال الاسرائيلي

اكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، ودعا الى معاقبة اسرائيل . كذلك شدد ممثل مصر على تمسك بلاده بالمادة ٥١ من ميثاق المنظمة الدولية التي تنص على حق كل دولة بالدفاع عن اراضيها ، وهذا يعني التلويح باللجوء الى الحرب لاستعادة ما فقدته مصر من اراض على اثر هزيمة ١٩٦٧ ؛ الا ان الزيات اكد ايضا ان ثقة بلاده بعدالة الامم المتحدة ما زالت موجودة وستستمر مصر في الوقت الحاضر بالاعتماد على هذه الثقة من اجل تحقيق حل سلمي للنزاع . ووجه الزيات النقد بصورة خاصة الى الولايات المتحدة متهما اياها بالتحالف غير المعلن مع اسرائيل وبمدها بالاسلحة « مما يشجعها على الاستمرار في الاحتلال والتمادي في متابعة اعتداءاتها » .

على صعيد اخر ذكر الزيات في مقابلة تلفزيونية في نيويورك ان بلاده لا تريد من هيئة الامم المتحدة فرض عقوبات على اسرائيل ، بل تريد منها اصدار تحذير للدولة المحتلة . واكد ان مصر تريد السلام وهي مستعدة لدفع الثمن . ولكن بالمقابل على اسرائيل التعهد باعادة سيادة مصر ضمن حدودها الدولية المعترف بها تاريخيا .

وفي تصريح اخر له اكد من جديد التزام مصر بعقد اتفاق سلام مع اسرائيل ، وان اي اتفاق مؤقت حول تسوية النزاع يجب ان يكون حلقة اولى في سلسلة متواصلة من المراحل نحو تسوية نهائية للصراع في المنطقة . اما بالنسبة للمشروع الامريكي الداعي الى « محادثات الجوار » بين مصر واسرائيل فقد قال الزيات ان حكومة بلاده لا تعارض اجراء مثل هذه المحادثات شرط ان يكون الفريق الثالث فيها محايدا . ورفض فكرة القبول باجراء محادثات مباشرة مع اسرائيل . بالاضافة الى ذلك شدد — بصفته وزيرا لخارجية بلاده — على استمرار مصر في الموافقة على مذكرة يارينغ المشهورة (٨ شباط ١٩٧١) التي رفضت اسرائيل الالتزام بمحتوياتها . وقال « لقد قبلنا في الماضي ونقبل الان وسنقبل كل جهد ممكن من شأنه ان يفعل شيئا لانهاء هذه الحرب . واية طريقة لانهائها ستلقى ترحيبنا » .

(هـ) اما مندوب اسرائيل — جوزيف تكواع — فقد تجاهل في خطابه امام الجمعية العامة موضوع الاحتلال ومهمة يارينغ وقرارات هيئة الامم السابقة بما فيها قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وركز على مسألة «الارهاب» قاصدا به نشاط المقاومة الفلسطينية . وكرر اعلان الموقف الاسرائيلي — الامريكي المعروف بدعوته مصر للجلوس الى طاولة المفاوضات عن طريق قوله « ان الطريق الوحيد للوصول الى السلام هو الحوار بين الاطراف المعنية . وكل ما عدا ذلك قد تمت تجربته وفشل » . كما كرر القول ان اسرائيل مستعدة للدخول في محادثات ثنائية من اجل الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس . بعد انتهاء المناقشة العامة تبنت الجمعية العامة مشروع القرار الذي اعدته دول كتلة عدم الانحياز في المنظمة الدولية بعد ادخال تعديلات على بنوده اقترحتها فرنسا وغيرها من الدول الاوروبية الغربية من اجل تخفيف لهجة القرار ضد اسرائيل حتى تتمكن الدول الاوروبية المذكورة من التصويت الى جانبه . وقد نص القرار بصورة رئيسية على : (أ) التعبير عن الشعور بالانزعاج العميق بسبب عدم تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وعدم تحقق السلام في الشرق الاوسط حتى الان ، والتعبير عن القلق الشديد بسبب استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . (ب) التأكيد على انه يجب الا تكون اراضي اية دولة هدف احتلال او استيلاء من قبل دولة اخرى بواسطة استخدام القوة او التهديد باستخدامها ، والتأكيد على ان اجراء اية تغييرات في الطبيعة المادية او السكانية للاراضي المحتلة مخالف لمبادىء ميثاق الامم المتحدة واهدافه . وعلى هذا الاساس دعا القرار اسرائيل الى الاعلان عن تمسكها بمبادىء عدم ضم الاراضي عن طريق استخدام القوة والى الانسحاب الفوري وبدون شروط من الاراضي العربية المحتلة وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، كما اعلن ان التغييرات التي اجرتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة فيها انتهاك لاتفاقات جنيف عام ١٩٤٩ وهي بذلك باطلة وعلى اسرائيل ابطال مفعولها من الان فصاعدا والامتناع عن كل السياسات والممارسات التي تؤثر على الطابع المادي والتركيب السكاني لتلك الاراضي . كذلك دعا القرار كل الدول الى عدم الاعتراف باي من التغييرات والاجراءات التي قامت بها اسرائيل في المناطق العربية المحتلة . (ج) التأكيد على ان الوضع القائم في الشرق الاوسط يشكل تهديدا خطيرا للسلام الدولي ، وعلى مسؤولية الامم المتحدة في احلال السلام والامن في المنطقة في المستقبل القريب . (د) التنديد بعدم

تقيد اسرائيل بقرارات هيئة الامم السابقة بما فيها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وقرار الجمعية العامة الذي دعا اسرائيل الى الرد ايجابيا على بادرة السلام التي قدمها الوسيط الدولي يارينغ في مذكرته المعروفة (٨ شباط ١٩٧١) . يضاف الى ذلك الاعراب عن دعم الجمعية العامة الكامل لجهود الامين العام لهيئة الامم وممثله الشخصي يارينغ . (هـ) دعوة الدول الاعضاء في المنظمة الدولية الى الامتناع عن تزويد اسرائيل بمساعدات تهدف الى تمكينها من المحافظة على احتلالها للاراضي العربية . وكانت هذه الدعوة أهم ما تم تعديله من قبل فرنسا وغيرها من الدول الاوروبية الغربية في مشروع القرار . كان المشروع الاصلي، كما اقرته كتلة دول عدم الانحياز ، يدعو كل الدول الى الامتناع عن تزويد اسرائيل بالمساعدة الاقتصادية والمالية التي تتيح لها استغلال الثروات الطبيعية في الاراضي المحتلة . والى عدم تزويدها باية معونة تجعلها قادرة على مواصلة احتلالها للاراضي العربية (المعونات العسكرية) . وقد تم تخفيف هذا البند على النحو الوارد اعلاه وللاسباب المذكورة سابقا . (و) الاعتراف بأن احترام حقوق الفلسطينيين (وليس الشعب الفلسطيني) عنصر لا يمكن الاستغناء عنه في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط . (ز) دعوة مجلس الامن بالتشاور مع الامين العام وممثله الشخصي الى اتخاذ كل الخطوات الملائمة لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ في شكل تام وسريع مع الاخذ في الاعتبار كل القرارات والوثائق التابعة للامم المتحدة التي لها علاقة بهذا الامر . (ح) الطلب الى الامين العام ان يقدم تقريرا الى مجلس الامن والجمعية العامة في شأن التقدم الذي احرزه هو وممثله الشخصي في ما يتعلق بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والقرار الحالي . (ط) ارسال القرار الحالي الى مجلس الامن لاتخاذ الاجراء المناسب والطلب الى مجلس الامن ابقاء الجمعية العامة على اطلاع بما يجري .

وتم تبني هذا القرار بأكثرية ٨٦ صوتا وعارضته ٧ دول من امريكا اللاتينية بالاضافة الى اسرائيل. وكان بين الدول التي امتنعت عن التصويت كل من الولايات المتحدة، والدول السكندنافية بحجة الرغبة في عدم احراج مهمة يارينغ ، والصين والبانيا بسبب اعتبارهما القرار ضعيفا . وتغيبت عن جلسة التصويت الدول العربية التالية : الجزائر، جمهورية اليمن الديمقراطية ، العراق ، ليبيا وسوريا وذلك لاسباب شبيهة بالتي جعلت الصين والبانيا تمتنعان عن التصويت . في مقابلة مع صحيفة النهار البيروتية (١٠ كانون الاول ١٩٧٢) اعتبر وزير خارجية مصر نتيجة التصويت نصرا معنويا كبيرا للجانب العربي وتعبيرا عن ضيق الراي العام العالمي بتصرف اسرائيل . كما بين ان العنصر الجديد في القرار هو كونه يدعو الدول الى الامتناع عن تقديم المساعدات الى اسرائيل ويحيل نفسه الى مجلس الامن من اجل اتخاذ كل الخطوات اللازمة بالاشتراك مع الامين العام والوسيط الدولي لتطبيق قرار المجلس رقم ٢٤٢ . وفي مجال اخر علق الزيات في تصريح له في نيويورك على تبني الجمعية العامة للقرار بقوله ان الجمعية قد اكدت بتبنيها القرار عزمها الجماعي على العمل لصالح العدل والسلام في المنطقة العربية . كما ذكر ان مصر تقدر موقف الدول التي امتنعت عن التصويت او تغيبت كليا عنه لان في ذلك تعبيرا عن نفاد صبرها من استمرار الوضع الحالي في الشرق الاوسط .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

برزت خلال الفترة الاخيرة في المناطق المحتلة عدة موضوعات ، ناجمة بالاصل عن الاحتلال ونابعة من الرغبة في تثبيته واستدامته ، وتتمثل هذه الموضوعات في النقاشات التي احتدمت مؤخرا بين التيارات الفاعلة في السياسة الاسرائيلية ، حول مصير المناطق المحتلة ، وفي الاجراءات التي تمت في المناطق المحتلة تحت ظلال تلك النقاشات ، وفي حركة الاستيطان التي اشتدت وتيرتها ، وفي قضية الحرم الابراهيمي الذي امتدت اليه حمى التوسع الاسرائيلي . اتسمت هذه الفترة بكثرة التصريحات التي وصلت الى درجة الاسفاف ، للزعماء الاسرائيليين حول مستقبل ومصير المناطق المحتلة ، وقد دارت المنافسة في الادلاء بالتصريحات — كالعادة — بين ثلاثة تيارات (١) التيار اليميني — الديني عناصره من كتلة « جاحال » حيروت الاحرار وحزب « المفدال » الحزب الوطني المتدين ويدعو هذا التيار الى ابقاء جميع المناطق المحتلة تحت الهيمنة الاسرائيلية مع امكانية الانسحاب من جزء من سيناء (٢) التيار اليميني العمالي (فئة الصقور) من عناصر حزب العمل الحاكم ويدعو الى ابقاء الهيمنة الاسرائيلية على هضبة الجولان وقسم من الضفة الغربية وعلى منطقة شرم الشيخ وشمال سيناء وقطاع غزة (٣) التيار اليميني العمالي (فئة الحمائم) من عناصر حزب العمل و« التجمع العمالي » ويدعو الى ابقاء السيطرة الاسرائيلية على هضبة الجولان وقسم من الضفة الغربية ومنطقة شرم الشيخ في سيناء . ويختلف هذا التيار عن التيار الثاني باضفاء مسحة من « التساهل » على مطلبه . ومن ابرز العناصر التي خاضت النقاش عناصر التيار الثاني وهي التي تملك يدا طولى في بلورة السياسة الاسرائيلية ، فقد اعربت غولدا مئير رئيسة الحكومة عن استعدادها لاعادة قسم من الضفة الغربية مع تأكيدها « بأن حكومة اسرائيل لم تتخذ بعد قرارا بهذا الشأن » أما بالنسبة لقطاع غزة فانه «سيبقى جزءا من اسرائيل » ، وفيما يتعلق بهضبة الجولان اشارت الى انها على استعداد للتفاوض مع سوريا شريطة ان تضمن الحدود الجديدة التواجد الاسرائيلي في الهضبة ، ويبدو ان الحدود الجديدة التي تسعى اليها رئيسة الحكومة هي خطوط وقف اطلاق النار نفسها ذلك انها تعتقد « ان السوريين يرابطون اليوم بالضبط في المكان الذي ينبغي فيه تعيين الحدود » أما وزير الدفاع موشيه ديان فقد أعرب هو الاخر عن اعتقاده بضرورة بقاء السيطرة الاسرائيلية في منطقة شرم الشيخ وان حدود السلام بين مصر واسرائيل ينبغي ان تمر في « مكان ما » من صحراءسيناء من شرم الشيخ حتى البحر المتوسط ، وفيما يتعلق بالضفة الغربية فيرى ضرورة بقاء القوات الاسرائيلية مرابطة على امتداد نهر الاردن ومنع اي « قوات عسكرية اجنبية » من اجتياز النهر غربا ، اما هضبة الجولان وقطاع غزة فينبغي ابقاؤها الى الابد تحت السيطرة الاسرائيلية (هآرتس ٧٢/١١/٢٤) كل ذلك شريطة موافقة الجانب العربي على اجراء مفاوضات مباشرة والتوقيع على اتفاقية سلام مع اسرائيل . وحول هذا التصور لمصير المناطق المحتلة دارت نقاشات حادة تتسم بالغطرسة والغموض من جانب الاطراف الاخرى ، نقاشات حول ضرورة ضم جميع .. او الاكتفاء بجزء .. دون تحديد هذا الجزء تحديدا واضحا . ومع ذلك فان التيارات المختلفة تجمع على تأييد الاجراءات الاسرائيلية التي تتخذ في المناطق المحتلة ، اذ أن هذه الاجراءات هي اخطر بكثير من تصريح لذلك التيار او تلك الفئة او كما تقول صحيفة هآرتس « ان الوقائع اليومية التي تخلق في المناطق تقرر مصير هذه المناطق بشكل أنجع من أي قرار يتخذه حزب العمل » . ما هي الاجراءات الاسرائيلية التي ترمي الى حسم مصير المناطق لصالح الاحتلال ؟

الاجراءات الاسرائيلية : اتخذت سلطات الاحتلال خلال الفترة الأخيرة عددا من الاجراءات امتدادا لاجراءاتها السابقة بقصد تكريس احتلالها وحسم مصير المناطق المحتلة لصالحها هي ، وتتمثل هذه الاجراءات في الامور التالية :

١ — زيادة رواتب موظفي الحكومة ، اذ اقدمت سلطات الحكم العسكري على زيادة رواتب موظفي الحكومة ، وتصل نسبة الزيادة الى ٢٨٪ من الرواتب الاساسية للموظفين ، وستشمل هذه الزيادة ايضا معلمي المدارس الحكومية وموظفي البلديات والدوائر الحكومية ، اذ ستشمل ٩٣٠٠ مستخدم ، منهم نحو ٦٠٠٠ معلم . وتحاول سلطات الاحتلال بذلك خلق شريحة تشعر بالافادة

من الاحتلال ، وفي الوقت نفسه جعل موظفي وكالة الغوث يشعرون بالغبن اللاحق بهم من خلال مقارنة معاشاتهم بمعاشات زملائهم الموظفين الحكوميين تمهيدا لانهاء اعمال وكالة الغوث بغرض طمس قضية اللاجئين . ومن الجدير بالذكر ان عدد العمال والمستخدمين في الضفة يبلغ ١٢٠ الفا ويحتل الموظفون نسبة ٨ ٪ من هذا العدد ، واذا أخذنا بعين الحسبان عدد العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل بالاضافة الى عدد المستخدمين الحكوميين يتضح لنا مدى ما وصلت اليه سياسة ديان المعروفة بسياسة الدمج الاقتصادي منخطورة ومدى تبعية اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي .

٢ ــ موافقة لجنة المالية التابعة للكنيست على مضاعفة القروض التي تضمنها الدولة في المناطق المحتلة من ٢١ مليون الى ٥٠ مليون ليرة تمشيا مع توجيه وزارة الدفاع وبنك اسرائيل حيال التوسع في النشاط الاقتصادي في « المناطق المدارة » . ومن الجدير بالذكر هنا أن اقتصاد المناطق المحتلة اصبح مرتبطا ارتباطا وثيقا بالاقتصاد الاسرائيلي فهناك أكثر من ٤٥ الف عامل عربي من الضفة الغربية يعملون في اسرائيل كما وان ٩٩ ٪ من المنتوجات المباعة في الضفة الغربية هي من صنع اسرائيلي (كما جاء في صحيفة هآرتس ١٩٧٢/١١/٢٦) .

٣ ــ المضي في ربط مدن وقرى الضفة الغربية بشبكة الكهرباء الاسرائيلية فقد تم مؤخرا ربط شركة الكهرباء التابعة للقدس القديمة بشركة الكهرباء الاسرائيلية ، وبذلك أصبحت الشركة الاسرائيلية تغطي مدن رام الله البيرة بيت لحم بيت ساحور بيت جالا اريحا وعشرات القرى الواقعة في تلك المنطقة ، وتعتزم سلطات الاحتلال توسيع خطوط الشركة لتشمل مدينة الخليل ، وذلك في أعقاب مؤتمر عقده وجهاء المدينة والمنطقة للتباحث حول قضية الحرم الابراهيمي ، وقد استغل رئيس بلدية الخليل « مؤتمر » الوجهاء وحثر موضوع كهربة المدينة في الاجتماع في محاولة لاشراك الوجهاء في دراسة الموضوع والخروج بموافقة عليه من قبل المجتمعين ، لكي تبدو موافقة مجلس البلدية وكأنها استجابة لمطالب وتوصيات شعبية ! ومن الجدير بالذكر ان عملية ربط المدن والقرى العربية بشبكة الكهرباء الاسرائيلية تواجه معارضة من قبل العناصر والهيئات الوطنية ، حتى ان جريدة « الشعب » التي تصدر في القدس القديمة تجرأت وهاجمت سلطات الاحتلال بقولها: « ان المصلحة الوطنية ومصلحة الشعب اهم بكثير من اشعال المصابيح واستخدام البرادات . لقد عشنا نحن واباؤنا على ضوء القنديل ، وبالرغم من ذلك كان اباؤنا أوفر سعادة واكثر صحة منا .. ليست كهرباء المحتلين تحترق قبل أن تضيء . ان السجين لا يمكنه الا ان يتحدث فقط عن الحرية . وليس بالكهرباء وحدها يحيا الانسان » .

٤ ــ ومما زاد الطين بلة وعزز موضوعيا من عملية « الضم الزاحف » اتخاذ السلطة الاردنية قرارا بفرض رسم على البضائع المنقولة من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية مع أن الاردن يعتبر الضفتين بلدا واحدا ، وتبلغ نسبة الرسوم المفروضة ١٢ ٪ من قيمة البضائع المستوردة . وقد أثارت هذه الخطوة استياء في الضفة وخاصة بين اوساط الشريحة البرجوازية هناك التي بلغ بها الاستياء أشده نتيجة الاجراء لدرجة ادى بها الى اتهام الملك بأنه يعمل للتخلي عن الضفة الغربية . فقد عقدت بلديات الضفة بتاريخ ٢٧ /١١/٧٢ اجتماعا تدارست فيه الموضوع وقررت القيام بعمل منسق فيما بينها وارسال مذكرة الى الملك حسين موقعة من قبل رؤساء البلديات والغرف التجارية والمنظمات المختلفة في الضفة احتجاجا على « الخطوة التي تجيء لزرع الفرقة بين الضفتين ، انكم بعملكم هذا تخلقون دولتين منفصلتين ، وهذا يعني بأنكم تتخلون عنا ، وتعترفون بذلك بأن الضفة الغربية لم تعد تخصكم». اما رئيس بلدية نابلس معزوز المصري فقد كان رده يتسم بالغضب معتبرا ان الاجراء الاردني هو بمثابة الخطوة الاولى نحو الانفصال التام بين الضفتين. واضاف متهما النظام الاردني « ان جميع الاحاديث حول وحدة الامة هي مجرد حماقات وهراء » (معاريف ٧٢/١١/٢٨) .

حركة الاستيطان : من ابرز معالم السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة سياسة الاستيطان اليهودي ، سياسة اقامة معالم جديدة محل معالم قديمة ، فقد حرصت اسرائيل منذ الاحتلال ولا زالت تحرص على اقامة مستوطنات في جميع المناطق العربية المحتلة ، فأصبح في هضبة الجولان ١٧ مستوطنة و١٦ مستوطنة في الضفة الغربية و١١ مستوطنة في سيناء وقطاع غزة ، هذا باستثناء

الضواحي ذات الصبغة المدينية مثل الضواحي اليهودية في القدس العربية و« كريات اربع » في الخليل وضاحية « اوفيرا » في شرم الشيخ . لا يقف هوس الاستيطان الاسرائيلي عند حدود الـ٤٤ مستوطنة القائمة، بل ستعمل السلطات الاسرائيلية خلال عام ١٩٧٣ على رفع العدد ليصبح خمسين مستوطنة كما صرح بذلك مدير قسم الاستيطان التابع للهستدروت الصهيونية ، وقد خصصت السلطات المسؤولة مبلغ ٣٥ مليون ليرة للمستوطنات الست الجديدة التي ستبنى خلال العام ١٩٧٣: مستوطنتان في غور الاردن ، مستوطنتان في غوش عتسيون (منطقة الخليل) ، مستوطنة في رفح ، وأخرى في الجولان .

وفي غضون ذلك انهمكت سلطات الاحتلال في الاونة الاخيرة بتعزيز المستوطنات القائمة وباقامة مستوطنات جديدة ، ففي هضبة الجولان تم الاحتفال بتدشين مصنع في جنوب الهضبة في مستوطنة « بني يهودا » يحمل اسم « صناعات الجولان ، معدن والكترونيكا » واشترك في الاحتفال كل من وزير المالية بنحاس سبير ووزير التجارة والصناعة حاييم بارليف وقائد المنطقة الشمالية يتسحاق حوفي وعدد من المسؤولين الاسرائيليين ، وسيقوم المصنع بانتاج الادوات المعدنية وبتركيب وانتاج الاجهزة الالكترونية، وسيعمل فيه مستوطنو « بني يهودا ». وقد بلغت تكاليف اجهزة المصنع ٣،٥ مليون ليرة اما تكاليف المبنى فقد وصلت الى ٤ ملايين ليرة . وذكرت الاوساط المسؤولة عن الاستيطان ان مصنعا مماثلا سيقام عند مشارف رفح في المنطقة الشمالية من سيناء . الى جانب ذلك احتفلت سلطات الاحتلال خلال شهر نوفمبر الماضي بتدشين مستوطنتين في قطاع غزة ، فقد تم الاحتفال في ٧٢/١١/٦ بتدشين مستوطنة « ناحال نيتسريم » على بعد ٥ كم جنوبي مدينة غزة ، وحضر الاحتفال قائد المنطقة الوسطى رحبعام زئيفي وقائد منطقة قطاع غزة يتسحاق فونداك وقائد سلاح الناحال اشر بن دان ، وقال قائد المنطقة الوسطى في هذه المناسبة كلمة تحمل بين ثناياها تلخيصا للاسلوب الذي انتهجته الحركة الصهيونية لكبت الانسان الفلسطيني وسلب ارضه : « ان تعقل جيران مستوطني الناحال هو الذي سيقرر بأي مدى سيشحذ الناحال المنجل او السيف ، ففي اثناء تصاعد أعمال الارهاب (كما يقول) سيكون من واجب مستوطني الناحال شحذ السيف ، وفي اوقات السلم سينهمكون في شحذ المناجل فقط ابسان الحصاد » (معاريف ٧٢/١١/٧) . ويبدو ان الارض العربية في القطاع اخذت تستهوي بشكل قوي « مناجل الناحال » فبعد مرور ثلاثة أيام فقط على الاحتفال بتدشين هذه المستوطنة احتفل سلاح الناحال ببروز مستوطنة جديدة تحمل اسم « ناحال موراج » جنوبي خان يونس .

تعويضات القدس : من بين الامور التي شغلت بال سلطات الاحتلال الاسرائيلي لفترة طويلة قضية تعويضات سكان القدس العربية عن ممتلكاتهم في فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨ وذلك بغرض تكريس الاحتلال وطمس الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني . فقد انهمكت وزارة العدل الاسرائيلية منذ اواخر شهر تموز من العام ١٩٧١ باعداد مسودة مشروع قانون بخصوص التعويضات ، وقد احدثت تعديلات كثيرة على مشروع القانون الى ان تمت صيغته النهائية في ٧٢/١١/٨ بواسطة اللجنة الوزارية لشؤون التشريع برئاسة وزير العدل يعقوب شمشون شبيرا . ومن المفترض ان تطرح الصيغة النهائية امام الحكومة واذا لم يقدم عليها اي اعتراض من قبل احد اعضاء الحكومة، فسيقدم مشروع القانون الى الكنيست للمصادقة عليه . . .

من بين اهم التعديلات التي احدثت في مشروع القانون ، تعديل حول منح تعويضات لعرب المنطقة المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، فقد ورد في مشروع القانون المعدل « ان القانون يشمل ايضا عرب اسرائيل قبل ١٩٦٧ الذين لم يتلقوا بعد تعويضات عن ممتلكاتهم » . ومن المعروف ان هنالك قوانين سنتها سلطات الاحتلال بخصوص دفع تعويضات لعرب المنطقة المحتلة سابقا ، ويجيء التعديل الجديد بغرض خلق اطار موحد يشمل «المواطنين» العرب في اسرائيل من اجل خلق انطباع في نفوس عرب القدس بأن مصيرهم اصبح مثل مصير عرب المنطقة المحتلة منذ ١٩٤٨ .

ومن اجل الاسراع في عملية سلب الممتلكات بواسطة طعم التعويضات نصت التعديلات الجديدة على امكانية تقديم طلبات تعويضات للغائبين بواسطة الاهل او الاقارب ، وعلى سبيل المثال يمكن للاخ ان يطالب بتعويضات عن ممتلكات اخيه او اخته او عمه .. الموجودين في اميركا او استراليا او الدول العربية وذلك بتفويض منه ، ولم يكن هذا الامر متبعا بالنسبة لعرب المنطقة المحتلة سابقا .

وقد تحسب واضعو القانون للمعارضة الشعبية لهذه التعويضات ، فسنوا تعديلا غريبا يتسم بالخبث والدهاء لامتصاص معارضة قسم كبير من السكان العرب اذ نص التعديل الجديد على دفع تعويضات لمستأجري الممتلكات ، يدفع بموجبه لكل مستأجر تعويضا بنسبة ١٥ ٪ من قيمة التعويضات، اي ان الشخص الذي كان مستأجرا بيقا فانه يحصل على ١٥ ٪ من قيمة التعويضات دون ان يؤثر ذلك على المالك بشيء ، كل ذلك من اجل اغراء قطاع من الشعب والحيلولة دون قيام معارضة قوية . وربما يتبادر الى الذهن صعوبة اثبات الاستئجار من قبل المستأجر لعدم وجود أوراق ثبوتية لديه ، الا ان القانون كريم ولا يحتاج الى أوراق ثبوتية بل يكتفي بشهادة بعض الاشخاص ويكتفي أيضا بشهادة المستأجر نفسه !

ومن المنتظر ان تبدأ اسرائيل بتطبيق القانون في عام ١٩٧٥ ، وحتى ذلك التاريخ ستطرأ تعديلات اخرى عليه ، وليس من المستبعد ادخال تعديل عليه تلبية لدعوة بعض الوزراء الاسرائيليين بضرورة توسيع سريان مفعول القانون ليشمل ايضا اللاجئين في المناطق المحتلة (للاستزادة انظر شهريات المناطق المحتلة ، شؤون فلسطينية ، عدد ١٢ و٤) .

قضية الحرم الابراهيمي : امتدادا لاعمال السلب والنهب التي تقوم بها سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة ، والمتمثلة في الاجراءات التوسعية ، مثل الاستيلاء على مشارف رفح وطرد سكانها منها ، وتتويج عملية السلب بهدم البيوت والابار وطرد سكانها منها ، وملاحقة الفلاحين الذين « تسللوا » لقطف ما تبقى من ثمار بساتينهم بواسطة طائرة هليكوبتر تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي ومثل السيطرة على اراضي قرية عقربة في الضفة الغربية وتتويج عملية النهب بقيام طائرة تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي بالاغارة على سنابل القمح الممتدة على مسافة ٥٠٠٠ دونم وتحويل هذه البقعة الخضراء من جراء شريط السموم الذي خلفته الاغارة وراءها الى بقعة صفراء ، وتثبيت عمليتي السلب والنهب باقامة مستوطنات اسرائيلية في مشارف رفح وفي اراضي قرية عقربة ، هذه الاجراءات التي كشفت القناع عن وجه اسرائيل الحقيقي في نظر بعض الكتاب الاسرائيليين مثل الكاتب عاموس كينان الذي وصفها بأنها دخلت عصرا جديدا من عصر الكولونيالية وانها بمثابة « خليط برجوازي ديني عسكري » . امتدادا لاعمال السلب والنهب هذه واعمال غيرها سبقتها، امتدت حمى التوسع وهوس الاستيطان الى الحرم الابراهيمي في الخليل ، ومن خلال هذا المنظور فقط يمكن لنا الوقوف على « قضية » الحرم الابراهيمي .

كنا قد تطرقنا في شهريات (العدد ١٥) الى الصراع الذي نشب بين المستوطنين وجهاز الحكم العسكري في الخليل حول الترتيبات التي اتفق عليها بين جهاز الحكم العسكري من جهة وبين رجال الدين الاسلامي في الخليل من جهة اخرى بشأن اداء الشعائر الدينية في الحرم ، والى استياء مستوطني الخليل من هذه الترتيبات واتهام جهاز الحكم العسكري بأنه يقف حجر عثرة امام حق اليهود في « مغارة المكبيلاه » ، والى طرح الموضوع أمام مجلس الوزراء . وقد رافقه تذمر المستوطنين أعمال مشينة ، شبيهة « بالاعمال الهمجية » كما جاء على لسان ديان التي اتخذت في قرية عقربة . وتتلخص هذه الاعمال في الامور التالية (١) السرقة: سرقة البسط من المسجد وسرقة احذية المصلين المسلمين اثناء تأديتهم الصلاة (٢) الازعاج : اعمانا في الفطرسة اعتاد المستوطنون رفع اصواتهم اثناء الصلاة في المسجد دون مراعاة شعور المسلمين (٣) الاعتداء على الاحياء : قام المستوطنون اكثر من مرة بشتم واهانة رئيس مدنة الحرم الابراهيمي (٤) الاعتداء على حرمة الموتى: حاول المستوطنون اكثر من مرة قلب جنازة موتى المسلمين اثناء تأدية فريضة صلاة الجنازة في الحرم (٥) انتهاك حرمة القرآن : انتهك المستوطنون حرمة القرآن حين اقدموا على سرقة خمس نسخ منه موجودة في الحرم ، وقاموا بتمزيقها ، واعمانا في الفطرسة وضعوا النسخ الممزقة داخل مراحيض الحرم !

ازاء هذه الاعمال ، وجد جهاز الحكم العسكري نفسه مضطرا للكشف عنها ، خشية ان تسيء الى « سمعة » اسرائيل والى صورة « الاحتلال الليبرالي » ، والى الاعلان عن التمسك بالاتفاق الجنتلماني بين ديان ووجهاء الخليل بشأن الترتيبات في الحرم ، بيد ان ذلك لم يرق في نظر المستوطنين فقاموا بحملة دعائية بين الاوساط الحكومية والجماهيرية ، ونجحوا في ذلك بفضل وقوف الحزب الوطني المتدين الى جانبهم وبفضل الرغبة الجامحة والدفينة بين الاوساط الحاكمة في السيطرة اليهودية

على « مغـارة المكبيلاه » بالرغم من ان الحرم الابراهيمي يعتبر مسجدا وملكا للاوقاف الاسلامية. ومن خلال الحملة الدعائية للمستوطنين ووقوف تيارات يمينية دينية الى جانبهم ، وهيجان الرغبة الدفينـة بين الاوساط الحاكمـة فـي تحويل الحرم الابراهيمي الى مكان لليهود ، وتمشيا مع سياسة « الضم الزاحف » في المناطق المحتلة ، انتهكت سلطات الاحتلال الاتفـاق الجنتلماني ، باتخاذها قرارا من جانب واحد يلغي الترتيبات السابقة ويحل محلها ترتيبات جديدة تتمثـل في التالي :

١ ـ « الاستيلاء على قاعة يعقوب وتحويلها الى مكان للمصلين اليهـود ، بالاضافة الى قاعـة ابراهيم التي كانت قد خصصت في السابق لهم .

٢ ـ بناء سقف للباحة الواقعة بين قاعة يعقوب وقاعة ابراهيم واعداد المكان للمصلين اليهود .

٣ ـ حظر دخـول الزوار اثناء تادية اليهـود لشعائرهم الدينية .

٤ ـ بسبب وجود صيغ مختلفة للصلاة اليهودية ستقام حواجز مؤقتة للفصل بين الطوائف اليهودية.

٥ ـ إبان فترة الاعياد وعندما لا تكون هنالك امكنة كافية يستخدم المصلون اليهود **اماكن اخرى** في مغارة المكبيلاه .

٦ ـ اذا لم يهتم الوقف الاسلامي ببنـاء سقف للباحة ، فان جهاز الحكم العسكري هو الذي سيقوم بذلك » (هآرتس ٧٢/١١/٦) .

من الواضح ان هذه الترتيبات الجديدة قد اشبعت رغبات دعاة الضم الجزئي بواسطة الاستيلاء على ثلاثة اماكن من الحرم وفي نفس الوقت اشبعت مطامح دعاة الضم الكلي بواسطة الحق الذي منح لليهود « في استخدام اماكن اخرى في مغارة المكبيلاه » تمهيدا للسيطرة على الحرم وتحويله في المستقبل الى كنيس خاص باليهود ، تماما كما هو الحال بالنسبة الى اطماع اسرائيل في مناطق معينة من المناطق المحتلة . ومن الجدير بالذكر هنا ان سلطات الاحتلال لم تبلغ هذه التعليمات الى الهيئة الاسلامية في القدس وهي المسؤولة عن الاوقاف الاسلامية ، بل اكتفت بابلاغها الى المسؤولين عن الحرم في الخليل ، وقام هؤلاء بدورهم بنقل التعليمات الى الهيئة الاسلامية في القدس . عند ذلك عقدت الهيئة جلسة طارئة لدراسة الموضوع وأرسلت بعثة الى الخليل للوقوف عن كثب حول ما يدور هناك ، وقررت اجراء مقابلة مع وزيـر الدفاع موشيه ديـان بغرض الغاء الترتيبـات الجديدة ، بيد ان ديان رفض مقابلة اعضاء الهيئة واعرب عن استعداده لمقابلة وفد عن مدينة الخليل فقط في محاولة منه للتهرب من مقابلة اشخاص يملكون الجراة في ابداء معارضتهم للخطوات التي تتخذ لتهويد الحرم الابراهيمي ولا يقبلون الحلول الوسط ، ومما يذكر ان الحكومة الاسرائيلية لا تعترف بشكل رسمي بالهيئة الاسلامية التي يترأسها الشيخ حلمي المحتسب وتضم بين اعضائها انور نسيبه وانـور الخطيب والمؤرخ عارف العـارف وشخصيات اخرى . وفي اعقاب رفض ديان مقابلة وفد عن الهيئة اصدرت الهيئة بيانا شجبت فيـه الخطوات الاسرائيلية جاء فيه :

« (١) ان المبررات التي اعتمدت عليها الادارة العسكرية لاتخاذ قراراتها الاخيرة وهي زيادة عدد المستوطنين في كريات اربع مرفوضة ، وان الهيئة تعترض على اقامة كريات اربع اصلا فاننا بالتالي نجد في الربط بين الحرم الابراهيمي وبين كريات اربع واتساعها وزيادة عدد سكانها عملا خطيرا يتهدد مستقبل مدينة الخليل والحرم الابراهيمي الذي يشكل جزءا منها .

(٢) ان موضوع الحرم الابراهيمي وهو مسجد اسلامي منذ ١٤٠٠ سنة لا يمكن ان يعالج بالحلول الوسط ولا يستطيع احد ولا يملك احد ان يفاوض او يوافق على اقامة كنيس في اي جزء منه .

(٣) ان الهيئة تناشد الراي العام في الداخل والخارج بأن يتفهم موقفنا ، ونحـن نعلن عدم موافقتنا واستنكـارنا واحتجاجنا على جميـع الاجراءات التي قامت بها السلطات الاسرائيلية في الحرم الابراهيمي .

(٤) نطالب بأن يترك الحرم الابراهيمي للمسلمين وحدهم تحقيقا للعدالة وتاكيدا للتصريحات التي اعلنها المسؤولون في الحكومة الاسرائيلية بأن الحرم الابراهيمي هو مسجد اسلامي ، وتطبيقا لجميع القوانين والاعراف الدولية والشرائع السماوية .

(٥) لا تقر شريعة من الشرائع ولا قانون مـن القوانين ان يقام كنيس تمارس فيه شعائر وطقوس وصلوات غير اسلامية في مسجد اسلامي » .

تبع هذا البيان مؤتمر عقد في الخليل حضره وجهاء

المنطقة واتخذ قرارات بنفس روح بيان الهيئة الاسلامية ، الا ان الجعبري استغل المؤتمر وحشر فيه موضوع ربط مدينة الخليل بشركة الكهرباء الاسرائيلية . الا ان الهيئة الاسلامية استمرت في نشاطها ضد الاجراء الاسرائيلي ، وطلبت من ائمة المساجد شجب الاجراء في خطبة الجمعة وناشدت المسلمين باداء « صلاة النازلة » (وهي صلاة يؤديها المسلمون في حال وقوع كارثة) واستجابت مساجد الضفة الغربية للنداء ، وفي بعض الاماكن تم توزيع منشورات ضد « الاستيلاء الاسرائيلي التدريجي على الحرم الابراهيمي » .

وازاء الاستياء الشعبي في الضفة الغربية ، وخوفا من وصول الاحتجاج الى الاوساط الدولية والراي العام العالمي ، اخذ ديان يدلي بتصريحات بأن الغرض من هذا الاجراء ليس تحويل « مغارة المكبيلاه » الى كنيس بل لتمكين اليهود من زيارة « رفاة الاجداد » والصلاة هناك . والحقيقة ان الخطر لا يتمثل في تحويل المسجد الى كنيس بقدر ما يتمثل في انتقاء الحق العربي على الحرم ، ولا يعود ذلك الى تزهد حكام اسرائيل من جعله كنيسا بل الى الاختلاف في وجهات النظر بين الحاخامين اليهود حول مسألة اقامة كنيس يهودي في الحرم الابراهيمي ذلك « ان الكهنة لا يستطيعون تأدية الشعائر الدينية في مقبرة » بيد ان مستوطني الخليل وهم مجموعة من المتدينين قد تخطوا المحظور وطالبوا « بضرورة اقامة كنيس في المكان » كما وطالبوا « بأن تعاد الى الشعب اليهودي قطعة الارض اليهودية الاولى في ارض اسرائيل » (هآرتس ٧٢/١١/١٠) .

ويبدو ان تلاعب ديان بالالفاظ لم يحل دون تصاعد الاستياء ، الامر الذي تطلب وقوع حادثة مثيرة للتغطية على ما يجري في الخليل ، وتسليط سيف الارهاب ضد المناوئين للاجراءات الاسرائيلية ونعتهم بصفات التعصب ، وجاء الحادث سريعا في صبيحة ٧٢/١١/٢٣ : لقد مزقت نسخ من التوراة في الحرم الابراهيمي ، واحرقت نسخ اخرى على يد مجهولين ! واخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث باسهاب وبشكل درامي حول الكتب المقدسة الممزقة ، واعطت صحيفة معاريف وصفا كئيبا لمنظر ما حدث « هيكل مدمر ، كتاب توراة ممزق ، وكتب مقدسة محروقة ممزقة ومبعثرة .. » وفي مكان اخر وبالقرب من مطعم المستوطنين وصفت معاريف الكتب المقدسة الممزقة هناك بقولها « خلال توجهه نحو باب المطعم شاهد (احد المستوطنين) على البلاط سفر نشيد الانشاد وبالقرب منه ورقة محترقة ، وعندما انحنى لرفعه شاهد عشرات من قطع الاوراق مبعثرة في الساحة .. صفحات من الكتاب المقدس قسم منها تم تمزيقه بواسطة اليد ، واخر بقصه بواسطة المقص وثالث امتدت اليه السنة النيران .. » (معاريف ٧٢/١١/٢٤) وتحدثت بقية الصحف ووسائل الاعلام بنفس الروح مع توجيه اصبع الاتهام ضد العرب ، ووصف الفاعلين بأقذع الاوصاف ، وحرصت صحيفة هآرتس على نشر صورة لمنظر كتب التوراة الممزقة والمحروقة .

كان من نتيجة ذلك ان خفت شدة الاحتجاجات في الضفة الغربية ضد الاجراءات الاسرائيلية ، واخذ الوجهاء يشجبون هذا العمل تحاشيا لاصابع الاتهام الموجهة ضد العرب ، واخذ الوزراء الاسرائيليون ينشطون في المجيء الى الخليل « لتهدئة النفوس » والمحافظة على « التعايش بين اليهود والعرب » ، وفي نفس الوقت انهمك مستوطنو الخليل باستغلال الحادث ابشع استغلال بمساعدة من الفئات الاسرائيلية المتطرفة ، فقد ارسل هؤلاء مذكرات الى رئيسة الحكومة ونائبها والى الوزير جليلي يطالبون فيها بضرورة توسيع ضاحية كريات اربع والبدء باقامة ٥٠٠٠ وحدة سكنية اخرى ، لان هذا الامر « يحول دون الاعمال الهمجية التي تمت البارحة » وحرصت لجنة المستوطنين على توجيه نداء الى الجمهور الاسرائيلي تقول فيه « لقد وطىء الغرباء ارضك ، ودنسوا هيكل قدسك . ان قلب كل يهودي يتفطر اسى وحزنا على تدنيس كتاب التوراة في مغارة المكبيلاه وعلى تمزيق أسفار نشيد الانشاد واحراقها وبعثرة صفحاتها في الشارع المؤدي الى مغارة المكبيلاه . ان هذا العمل المفجع يذكرنا بأحداث عام ١٩٢٩ التي وقعت هي ايضا نتيجة التحريض من القدس والخليل . اننا نطالب الحكومة باتخاذ اجراءات سريعة للحيلولة دون تكرار اعمال كهذه » (هآرتس ٧٢/١١/٢٤) .

من الملاحظ ان ردود الفعل الإسرائيلية سارت في اتجاهين (١) اتجاه يرمي الى خلق حالة ذعر بين صفوف العرب من خلال التذكير باحداث عام ١٩٢٩ (٢) واخر يدعو الى توسيع رقعة الاستيطان في الخليل كحل نهائي للمشكلة . وقد حرصت ردود

الفعل على عدم التطرق الى المطالبة بالكشف عن الفاعلين والحاق العقاب الصارم بحقهم . ومع ذلك فقد قدمت قوات الامن للتحقيق في الحادث ، وخرج المحققون الاسرائيليون بنتيجة غـريبة ! اذ اثبت التحقيق ، كما ذكرت الصحف الاسرائيلية « بـان الخزانة التي تحتوي على الكتب المقدسة لم تدمر وان الكتاب المقدس لم تمتد اليه يد بسوء » ولـم يعثر المحققون على شيء يدل على محاولة لتدنيس الكتب المقدسة . اما الشيء الوحيد الذي اثـار انتباه المحققين فيتمثل في وجود خيطين مهترئين من بين الخيوط التي تلصق عادة بالكتب للتأشير على الصفحة التي ينتهي القارىء عندهـا ، الا انـه اتضح بعد ذلك « ان الخيطين مهترئان منذ مدة » ! هذه هي النتيجة التي توصل اليها المحققون لحادثة مثيرة اريد منها تشويه صورة العرب للتغطية على اجراءات تهويد الحرم الابراهيمي . بعد ذلك اخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تصف الحادث بانه مبالغ فيه واخذت تحرص على عدم الخوض في الموضوع في محاولة منها للتستر عليه وكأنها لم تسهب بشكل درامي في وصف تلـك الكتب المقدسة « الممزقـة والمبعثرة » . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ماذا حدث صبيحة ٧٢/١١/٢٣ ، هل انتهكت حرمة الكتب اليهودية المقدسة في ذلك الصباح ؟ ومن هو الفاعل ؟ لقد اسهبت الصحف الاسرائيلية في وصف الحادث ونشرت صورا للكتب المقدسة الممزقة ، الى ان جاء المحققون الاسرائيليون بنتيجة غريبة ، ضاربين بعرض الحائط الصور التي تثبت وقوع الحادث في محاولة للتغلغ الموضوع .

اذن وقع الحادث ، فمن هو الفاعل ؟ طبعا يمكن معرفة الفاعل ضمنيا من خلال عملية اللفلفة ، الا ان الاستنتاجات الضمنية تكون عادة قابلة للطعن ، وتحتاج الى برهان اصبع ، ولعل الجلسة التـي شهدتها الكنيست بتاريـخ ٧٢/١١/٣٠ لتـداول موضوع انتهاك حرمة الكتب المقدسة في الحـرم الابراهيمي خير شاهد على الفاعل : انهم مجموعة من المتطرفـين اليهـود « ومن خلفهم عدد مـن السياسيين في حزب معين » . ففي اثناء النقاش الذي احتدم اشار عضو الكنيست بن مئير الـى الاشخاص الذين وقفوا وراء الحادث بقوله : « ان محتقري التوراة ومنتهكي قدسية المقدسات وعلـى رأسهم رؤساء المـدارس الدينية المتطرفين ومـن خلفهم عدد من السياسيين في حزب معين ، هؤلاء ... » وقبـل ان يكمل قاطعـه عضو الكنيست كاربين صائحا « ... لا تتهم ، هذه تهمة دم . هذه وقاحة . ان الذي مزق كتب التوراة فعل هذا لانه عدو لاسرائيل ، اليهود لم يفعلوا هذا » . (انظر رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٠٢ مركز الابحاث) . من هنا يمكن القول ان قضية تدنيس الكتب المقدسة اليهودية هي قضية مفتعلة حيكت من قبل عنـاصر يهودية متطرفـة لصرف الانظـار عن الاجراءات الاسرائيلية الرامية الى تهويد الحرم الابراهيمي ، وعند اكتشاف هذا الامر للمحققـين الاسرائيليـين وجدوا انفسهم مضطرين لاخفاء الحقيقة والتستر عليهـا .

عبد الحفيظ محارب

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١١/١٣ — ١٩٧٢/١٢/١٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١ —	ج.ش.ت.ف.(١)	٥ /١٠	١٧٣٥	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	عدة اصابات	اعطاب سيارة	—	—	—	هـ. ١٧٨ ص٥	١١/١٨
٢ —	ج.ش.ت.ف.	١٠/١٤	١٨٣٠	جباليا/غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	اصابة سيارة	—	—	—	هـ. ١٧٨ ص٦	١١/١٨
٣ —	ج.ش.ت.ف.	١٠/١٥	١٠٣٠	غـــزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	غير محدد	—	—	—	هـ. ١٧٨ ص٦	١١/١٨
٤ —	ج.ش.ت.ف.	١٠/١٧	٦٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير جزء من محطة الكهرباء	—	—	—	هـ. ١٧٨ ص٦	١١/١٨
٥ —	ج.ش.ت.ف.	١٠/١٩	٦٤٥	كريات اونو/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٦ اصابات	تدمير سيارة	—	—	—	هـ. ١٧٨ ص٦	١١/١٨
٦ —	ج.ش.ت.ف.	١٠/١٩	٧٠٠	كريات اونو/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير جزء من بنك لئومي	—	—	—	هـ. ١٧٨ ص٦	١١/١٨
٧ —	ج.ش.ت.ف.	١١/ ٧	١٥٣٠	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	حرق سيارة	—	—	—	هـ. ١٨١ ص ٥	١٢/ ٩
٨ —	ج.ش.ت.ف.(٢)	١١/ ٩	١٥٣٠	غـــزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	—	—	—	—	هـ. ١٨١ ص ٥	١٢/ ٩
٩ —	ق.ع.ق.ث.	١١/١٦	٨٠٠	المرتفعات السورية	هجـوم	اسلحة مختلفة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفـا	١١/١٨
١٠—	ق.ع.ق.ث.	١١/١٧	—	خسفين وناحال هاجولان	تفجير	شبكة الغام	غير محدد	تدمير آليتين	—	—	—	وفـا	١١/١٨
١١—	ق.ع.ق.ث.	١١/١٨	—	اشدوت يعقوب/غور الاردن	تفجير	شبكة ألغام	٢ —	— —	—	—	—	ف.ث. عدد٢٣ ص٤	١١/٢٩
١٢—	ق.ع.ق.ث.	١١/١٩	—	حيفـــا	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	حرق ملهى « بيجال »	—	—	—	وفـا	١١/٢٠
١٣—	ق.ع.ق.ث.	١١/٢١	—	القـــدس	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	حرق مبنى شتراوس	—	—	—	ف.ث. عدد٢٣ ص٤	١١/٢٩
١٤—	ج.ش.ق.ع.	١١/٢٢	١٢٠٠	راشيا الفخار/لبنـــان	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدد	غير محدد	١	—	—	الى الامام عدد٣٨ ص٦	١٢/ ١
١٥—	ق.ع.ق.ث.	١١/٢٤	٢٣٠	الخريبة/لبنـــان	انزال	اسلحة مختلفة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفـا	١١/٢٤
١٦—	ق.ع.ق.ث.	١١/٢٩	—	القـــدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد	تدمير وحرق مبنى تجمع الشباب	—	—	—	وفـا	١١/٣٠
١٧—	ق.ع.ق.ث.	١١/٢٩	—	القدس	حرق	غير محدد	— —	حرق باص تابع لشركة ايجـد	—	—	—	وفـا	١١/٣٠
١٨—	ق.ع.ق.ث.	١٢/ ١	—	تل ابيب	تفجير	غير محدد	— —	مستودع ومصنع للاخشاب	—	—	—	وفـا	١٢/ ١

١٩ــ ق.ع.ق.ث.	١ /١٢	٢٣٠٠	بير النحاس/الخليل	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدد	تدمير وحرق جرافة ومدحلة وغنم بعض الاسلحة والعتاد	ــ	ــ	ــ وفا	١٢/١١
٢٠ــ ق.ع.ق.ث.	٣ /١٢	ــ	بين يافا وعكا	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدد	اصابة سيارتين محملتين بجنود واخرى بالذخيرة	ــ	ــ	ــ وفا	٤ /١٢
٢١ــ ق.ع.ق.ث.	٣ /١٢	ــ	شبعا وجبات الزيت/الجولان	تفجير	شبكة الغام	غير محدد	تدمير آليتين	ــ	ــ	ــ وفا	٤ /١٢
٢٢ــ ق.ع.ق.ث.	٧ /١٢	١٩٣٠	الدبوسية/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة خفيفة	غير محدد	غير محدد	ــ	ــ	ــ وفا	٨ /١٢
٢٣ــ ق.ع.ق.ث.	١٠/١٢	١١٣٠	القدس	القاء قنبلة	قنبلة حارقة	غير محدد	اصابة باص تابع لشركة ايجد	ــ	ــ	ــ وفا	١٢/١١
٢٤ــ ق.ع.ق.ث.	١٠/١٢(٣)	ــ	عكا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير وحرق مصنع تروم اسبست للنجارة	ــ	ــ	ــ وفا	١٢/١١

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١١/١٣ — ١٩٧٢/١٢/١٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١ —	ق.ث.ف.	١١/١٣	—	كفار داروم	تفجير	لغم	—	—	اصابة جرار مدني	—	—	—	ن. عدد٨٩ ص١٠	١١/١٤
٢ —	ق.ث.ف.	١١/١٦	١٢٣٠	غـزة	تفجير	قنبلة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد٩٢ ص٦	١١/١٧
٣ —	ق.ث.ف.	١١/١٧	—	ناحال جولان	تفجير	ألغـام	—	—	—	—	—	—	ن. عدد٩٥ ص١١	١١/٢١
٤ —	ق.ث.ف.	١١/١٧	—	ناحال جولان	اطلاق رصاص	غير محدد	—	—	—	—	—	—	ن. عدد٩٥ ص١١	١١/٢١
٥ —	ق.ث.ف.	١١/١٧	—	مرتفعات الجولان	تفجير	ألغام ، هاون	غير محدد		اصابة سيارتين	—	—	—	ن. عدد٩٦ ص٤	١١/٢٣
٦ —	ق.ث.ف.	١١/٢١	—	ناحال جولان	تفجير	لغم	—	—	—	—	—	—	ن. عدد٩٥ ص١١	١١/٢١
٧ —	ق.ث.ف.	١١/٢١	—	القدس	تفجير	—	—	—	حرق مبنى شتراوس	—	—	—	ن. عدد٩٦ ص٤	١١/٢٣
٨ —	ق.ث.ف.	١١/٢٤	١٠٠	منطقة نهر الحاصباني/ جنوب لبنان	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدد		—	١	٤	—	ن. عدد٩٨ ص٣	١١/٢٥
٩ —	ق.ث.ف.	١١/٢٨	—	لهبوت هباشان	تفجير	—	—	٢	—	—	—	—	ن. عدد١٠٠ ص٨	١١/٢٨
١٠—	ق.ث.ف.	١٢/ ٣	—	حيفا عكا	تفجير	—	—	—	انفجار شحنة من الذخيرة	—	—	—	ن. عدد١٠٥ ص٦	١٢/ ٤

١ — أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن العمليات ٢٦ و٢٨ في جدول العدد الخامس عشر من « شؤون فلسطينية » كما أعلنت ايضا عن مسؤوليتها عن العمليات ١٥—١٩—٢٠—٢٣—٢٥ من جدول الشهر الماضي . راجع الهدف ، العدد ١٧٨ ص ٥—٦ بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٨ .

٢ — وردت هذه العمليات بعد صدور الجدول الماضي .

٣ — راجع لمزيد من التفاصيل ولاعتراف اسرائيل بالعملية « نشرة رصد اذاعة اسرائيل » عدد ١١١ ص ١ بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١١ .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

١ — ق.ع.ق.ث. : القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

٢ — وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي في م.ت.ف.

٣ — هـ. : الهدف ، صحيفة اسبوعية تصدر عن ج.ش.ت.ف.

٤ — الى الامام : صحيفة اسبوعية تصدر عن الجبهة الشعبية — القيادة العامة .

٥ — ج.ش.ق.ع. : الجبهة الشعبية — القيادة العامة .

٦ — ج.ش.ت.ف. : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

٧ — ق.ث.ف. : قوات الثورة الفلسطينية .

٨ — ن. : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في م.ت.ف.

غازي خورشيد

اسرائيليـــات

« الجبهة الحمراء »

● الاسرائيليـون ، اليوم ، في حالـة ذهـول ودهشة . لقد اكتشفوا ان الايديولوجية الصهيونية قابلة للخيانة . ولعل مجرد حالة الذهول التـي تنتابهم من اكتشاف اربعة شباب يهود في تنظيـم سري عربي ــ يهودي كمـا يقولون هو تعبير عن هـوة الغرور القومي التي وصلوا اليها . لقـد وضعوا انفسهم في موقع المعجزة والايمان بحصانة هذا الموقع وصلابته ، فآلمهم ان يجدوا شذوذا من قاعدة الاجماع والرأي الواحد .

« أخطر شبكة تجسس وتخريب » ، هكذا تصـف الشرطـة الاسرائيليـة واجهزة الاعلام « الجبهة الحمراء » اليسارية . « لم يحدث هذا في تـاريخ اسرائيل » . ولقد اشار وزير الشرطة الاسرائيلية الى ثلاثة عوامل اساسيـة في قضية مـا يسميه الاعلام الاسرائيلي « شبكة التجسس » . العامل الاول ــ هو اشتراك يهود من اسرائيل في «الشبكة التي تعمل لصالـح احـدى الدول العربية » . والعامل الثاني ــ هو مدى الضرر الذي ألحقـه أعضاء الشبكة حتى الان ــ (أحد اعضائها اليهود عمل في المفاعل الذري ، واخـر خدم في سـلاح المظليين) . والعامل الثالث هو أن عربا من سكان اسرائيل هم الذين نظموا الشبكة .

وان اكثـر مـا يشغـل المسؤولـين والمعلقـين الاسرائيليين ، في القضية كلها ، هو البحث عن دوافع اشتراك الشباب اليهود في تنظيم سري معاد لاسرائيل على اساس ايديولوجي ، وكيفية تطور مفهوم المعارضة الفكرية الداخليـة الى ممارسـة عملية تنتهك « حرمة » قاعدة العمـل السياسي المتبعة في اسرائيـل . هذه القاعـدة التي تربط المعارضة وتلزمها بالاعتراف بالمبادىء الصهيونية التي قامت عليها اسرائيل ، وبمعنى اخـر ــ ان شرعية العمل السياسي داخل اسرائيل تدور في اطار «الاعتراض ضمن الاعتراف» او ان الاعتراف بشرعية اسرائيل شرط لشرعية العمل السياسي . ولقد وقع المعارضون دائما في التناقض الصعب بين شرعية الاعتراض على اشكال الممارسة الصهيونية في فلسطين وبين دفاعهم عن جوهر اسرائيل الذي هو اعلى اشكال تطبيق الايديولوجية الصهيونية . وكان نوع اخر من المعارضة يبني قاعدته السياسية على أساس رث : الاعتـراض على ممارسـات صهيونية دفاعا عن « طهارة » الفكرة الصهيونية .

وان ما حدث فيما يطلقون عليه اسم « الجبهـة الحمـراء » هـو أن رفـض الصهيونية كفكـرة وايديولوجيا يستتبع رفض التطبيق المادي لها وهو اسرائيل . ولقد وصل هـذا المنطق الى التمرد على الشرعية لان الشرعية دفن لهذا المنطق ذاته وعودة الى « الاعتراض ضمن الاعتراف » .

هذا هو الجديد في المسألة كلها من الناحية الفكرية. ولقد كتبت صحيفة دافار : « ان الانتقـال مـن ممارسة الدعاية الراديكالية والصراع السياسي للقضاء على نظام الحكم القائم في اسرائيل الـى عمليات تخريب وتجسس ينطوي على مغزى خطير». وحاولت صحيفة « هآرتس » ان تحلل هذه الظاهرة فكتب زئيف شيف : « ان الارضية التي نمت عليها الشبكة هي رفض حق اسرائيل في الوجود وليست « الموضة » التي ظهرت مـع حـرب فيتنام » . وتساءل الكاتب : « لماذا لـم تكتشف شبكـات تجسس مخلفة وناتجة عن دوافع ايديولوجية خلال الخمسينات والستينات ؟ ان الذين يجدون الجواب عن ذلك في الموضة التي انتشرت بين الشبيبة التي تنتمي الى شعوب متورطـة في الحروب يتمسكون بالحل السهل . هنالك من يدعي بأنه بعد حرب ٦٧ اضيفت الينا مناطق محتلة وسكان محتلون ، ولذا ازداد الاحساس بالظلم . وقبل ٦٧ ألم تكن في أيدينا مناطق احتللناها من العرب ؟ ألم تكن قبل ذلك معسكرات لاجئين واعمال ظلم ؟ ».

ووصفت صحيفة « دابار » العملية بأنها « خيانة ايديولوجية » . ويحاول المفكرون الاسرائيليون دراسة هذه الظاهرة ، فيقول البروفسور بنيامين اكتسين انه لم يفاجأ بها لانه منذ الاعلان عن انه لا يجب التجنيد في الجيش الاسرائيلي ، ومنذ أن بدأ التعبير في صفوف ماتسبين وغيرها عن الشك بشرعية وجود دولة اسرائيل توقعت ان يظهر شخص ليقول انه اذا كان الامر كذلك فلا بد من الصراع ضد هذه الدولة التي لا حق لها بالوجود. وأضاف : ان هناك مسن يثير الشك ، في نظر الشباب ، بعدالة الاسس والاتجاهات السياسية لبلده متحملا بذلك مسؤولية كبيرة جدا بالنسبة للاستنتاجات التي يستخلصها سامعوه . وقال الدكتور متنياهو بيلد «هناك جزء من الشباب لا يدرك الفرق الاساسي القائم بين النقاش حول أساليب العمل السياسي وبين النقاش حول المبادىء الصهيونية .. المبادىء التي ترتكز عليها دولة اسرائيل » .

واختلف المعلقون الاسرائيليون على توجيه الاتهامات بشأن من المسؤول عن انتقال شباب اسرائيليين من الدعاية والتحريض السياسي ضد السياسة الاسرائيلية الى العمل ضد الدولة ، فقالت صحيفة « معريب » : « اذا كان هنالك من نتهمه ، فيجب ان نتهم انفسنا فقط لاننا لم نقدر بما فيه الكفاية الحاجة الى تثقيف صهيوني عميق لاولئك الذين ولدوا مع ولادة الدولة . ولاننا لم نجد ثورتنا ذهب مختلف الشباب للبحث عن الثورة في حقول الاخرين » !.. اما النائب شموئيل تمير فقد اتهم بعض الاوساط الحاكمة بالمسؤولية فكتب برقية الى رئيس الكنيست يقول فيها : « ان الشباب الذين يتشربون ، يوميا ، من شخصيات بارزة الوعظ بأن وجودنا المستمر في المناطق هو احتلال أجنبي، وأن عودتنا الى ارض الوطن هي ضم تعسفي مرفوض ، من الطبيعي ان يظهر بينهم ، في نهاية الامر ، من يتوصل الى الاستنتاج انه ينبغي القيام بمساعدة الفلسطينيين المظلومين » .

وكانت الفرصة مواتية لشن حملة قوية على اليسار والمعارضة ، فكتبت دابار : « ان الخطر على أمن الدولة من اليسار المتطرف يكمن ، أساسا ، في الارتباط بين يهود راديكاليين وقوميين عرب . وان اعضاء الشبكة نموا في ظل هذا التنظيم الثنائي القومية » . وكتبت صحيفة « يديعوت احرونوت » : « ان الايديولوجيا اليسارية هي التي أدت بهؤلاء الشباب الى التجسس » .

وتفيد التعليقات الاسرائيلية ووجهة التفكير في هذا المجال بأن السلطات الاسرائيلية تستغل هذه القضية لتحويل المعارضين الى جواسيس في نظر الرأي العام الاسرائيلي ، سواء كان هؤلاء المعارضون ممن القي القبض عليهم بتهمة التنظيم السري ولم يقدموا للمحاكمة بعد ، وسواء كانوا المعارضين خارج هذا الاطار . ان العرب والقوى اليسارية في اسرائيل معرضة الان لحملة تشهير وتحريض خطيرة . وقد لمحت وسائل الاعلام الاسرائيلية الى ان السلطة ستتخذ اجراءات ضد الجماعات اليسارية سمتها زيادة المراقبة على نشاطها . وقد حذر رئيس المخابرات السابق ايسر هرئيل من المبالغة في الرقابة ، واوصى باليقظة الامنية الى اقصى حد من جهة ، وباتجاه متزن من جهة اخرى « لكي لا نخسر الانجازات والميزات التي حققناها نتيجة لتطور العلاقات بين اليهود والعرب منذ حرب الايام الستة » .

ومن المتوقع ، بالاضافة ، الى زيادة المراقبة وتصعيد موجة العداء للعرب واليسار ، شن حملة جديدة من غسيل الدماغ والقمع الفكري لان تهمة الجاسوسية ستكون مسلطة على اي رأي معارض حتى لو انحصر في نطاق المطلب الديمقراطي . وقال متنياهو بيلد « ان وضعنا في السنوات الخمس الاخيرة كان مختلفا عن وضعنا قبل حرب الايام الستة ، وذلك لاننا نواجه اليوم عددا من الاختيارات البديلة واتجاهات العمل . ويبدو ان النقاش هنا وهناك مؤهل لان يثير أو قد اثار فعلا شكوكا بالنسبة للاسس التي نرتكز عليها . وهذه نقطة ضعف ، واعتقد انه قد اصبح من الضروري عندما نجري مناقشات في المستقبل ان نؤكد ان النقاش هو حول المناهج والسبل وليس حول النقاط الاساسية والمبدئية » .

ان كابوس « الامن » سيسود الحياة الاسرائيلية مرة اخرى . تمع اليسار سيكون «ضرورة أمنية». وتصعيد اضطهاد العرب سيثبت انه « ضرورة أمنية » . ولكن السؤال حول شرعية اسرائيل قد انفجر .. وفي الوعي الاسرائيلي ذاته .

● كان اندلاع النار على خطوط وقف اطلاق النار بين سوريا واسرائيل ، في نهاية الشهر الماضي ، محور الاهتمامات السياسية الاسرائيلية الى حد جعل المراسلين السياسيين المقربين من اوساط الحكومة الاسرائيلية يستوحون تقديرا خطيرا مستمدا من أعلى المصادر ، مفاده ان الوضع في الشرق الاوسط ، في الشهر الاخير ، شديد الشبه بالوضع عشية حرب حزيران ، وان حربا شاملة جديدة ليست مستحيلة النشوب .

ومن الطبيعي ان يسرع الجنرال موشه ديان ، وهذه هي فرصته ، الى الادلاء بتصريحات تلخصت في أن « على اسرائيل ان تتوقع فترة طويلة من العمليات العدائية على حدودها مع سوريا . وان السوريين لن يمنعوا الفدائيين من اجتياز الحدود لمحاربة اسرائيل » (١٢/٣) . وأضاف ديان انه اذا ما قررت مصر محاربة اسرائيل فان سوريا ستساعد مصر اكثر من اية دولة عربية أخرى « وربما ليس في نية سوريا أن تحارب من أجل الوصول الى تل ابيب ، ولكنها ستفتح النار وتعلن الحرب على اسرائيل » .

وفي الوقت الذي كان كثير من المحللين الاسرائيليين يستبعدون احتمال نشوب القتال في الشرق الاوسط ، اعتمادا على اطمئنانهم الى قوة اسرائيل ، أعلن موشه ديان مرة اخرى (١١/٣٠) بأن على اسرائيل ان تنتبه الى رائحة البارود المنبعثة من العالم العربي « وان هنالك اشارات واتجاهات بين العرب لتجدد القتال ستحطم امكانية التوصل الى اية تسوية » . وتحدث عن الجبهة السورية « ان سوريا تشكل لنا حائطا أصم لا نستطيع الكلام معه ، لان سوريا لا تعترف بكيان اسرائيل . ونقسا لموقفها السياسي فانها تعطي التغطية الكاملة لعمليات الارهاب الموجهة ضدنا » .

وحين حاولت اسرائيل دراسة دوافع الاحداث الاخيرة التي جرت على الجبهة السورية ونتائجها تدمت لها كل الاسباب والاجتهادات وأغفلت ، كعادتها ، حق سوريا في الرد على الاعتداءات الاسرائيلية ، وركزت كل المسألة في نقطة واحدة هي أن سوريا ارتكبت « مخالفة » او عدوانا على اسرائيل . لقد بلغت الصفاقة والغطرسة الاسرائيلية حدا جعلها « تستغرب » أن تبادر سوريا الى الدفاع عن نفسها امام الغارات الاسرائيلية ، وجعلت من هذا الدفاع السوري سببا قد يشعل الحرب في المنطقة .

كيف فسرت اسرائيل عملية الضرب السورية اذن ؟

قالت نشرة رصد اذاعة اسرائيل العبرية (١١/٢٤) ان المراقبين الاسرائيليين يعتقدون ان تسخين الحدود ناجم عن سببين اساسيين من جانب السوريين : اولا ـ محاولة اثارة العالم بهذا القطاع ، في الوقت الذي تحاول فيه الدول الكبرى تسوية نزاع الشرق الاوسط ، وثانيا ـ محاولة سوريا وضع نفسها على رأس الدول العربية في نضالها ضد اسرائيل . واضافت : « ان النظام السوري يواجه معضلة صعبة ، فقد كانت سوريا تضطر الى الظهور على رأس حملة لواء الحرب ضد اسرائيل . والمعضلة الثانية هي كيفية استيعاب المساعدة العسكرية السوفياتية دون ان يؤدي ذلك الى تدخل متزايد من جانب الروس داخل سوريا » .

اي ـ أن اسرائيل ترى أن من الاسباب الاساسية التي جعلت سوريا تدافع عن نفسها هو التنفيس عن مشاكل داخلية سورية وعربية .

وكعادتها ، مرة اخرى ، نسبت اسرائيل الى الفدائيين الفلسطينيين وعلاقة سوريا بهم المسؤولية عن الاحداث الاخيرة ، ولكن اذاعة اسرائيل في التعليق المشار اليه قالت ان أسباب الاحداث هذه المرة كانت اعمق « فان مكانة سوريا اليوم في المنطقة العربية واستغلال عامل الضعف الذي يسودها قد يكون المفتاح الرئيسي لفهم النشاط السوري . كل العالم العربي ، عمليا ، يقف عاجزا بالنسبة الى الصراع الاسرائيلي العربي . وهذه هي فرصة تاريخية بالنسبة لسوريا في محاولة الدخول الى الصورة ، والى الاستيلاء على تاج الزعامة الفعالة ضد اسرائيل بعدما استولت على تاج الزعامة الفلسطينية » . ويضيف المعلق : « ان الوجود الفلسطيني في سوريا هو الاكبر ولا توجد امكانية للتفريق بين الفدائيين وبين الجنود السوريين النظاميين ، فهم يشكلون وحدة واحدة . ولكنني لا اعتقد ان الوجود العسكري الفلسطيني اصبح قوة سياسية . ونحن نعلم ان سوريا حتى هذا اليوم لا تزال قادرة ، عندما تريد ، على المحافظة على الهدوء في الجبهة ، فلا تسمح

بالنشاط . اي أن الفلسطينيين لم يصبحوا عاملا قائما بذاته ، بل انهم عامل محدود داخل النظام، وما زال النظام يستغله لاهداف عدة . وأحد هذه الاهداف هو اثبات ان سوريا غير مستمرة في الطريق الذي سارت فيه اولا ، وهو ارسال مجموعات « المخربين » فقط من لبنان والاردن . أما اليوم فهي تحاول ان تثبت انها الوحيدة التي تحافظ على الوجود العسكري الفلسطيني ، بل تخاطر لمجرد وجوده وتدافع عنه » .

أما رئيس الاركان الاسرائيلية داهيد العازار فانه يعتقد ان الاحداث التي وقعت على الجبهة السورية هي « جزء من المعركة للمحافظة على وقف اطلاق النار على الحدود السورية . وان على وقف اطلاق النار ان يبقى على جانبي الحدود او لا يكون اطلاقا . ومن غير المعقول ان يكون وقف اطلاق النار من جانب واحد وان تستمر اختراقات الحدود واعطاء تسهيلات « للمخربين » لزرع الالغام من الجانب الاخر » (١١/٢٢) .

وعن هذا المعنى ، تحدث المعلق العسكري لصحيفة « هآرتس » زئيف شيف (١١/٢٤) فكتب : « ان مشكلة اسرائيل هي كيفية تحقيق هدفها وهو وقف اطلاق النار المطلق دون ان تتورط اكثر مما ينبغي ودون ان تقوم هي بكسر وقف اطلاق النار . بينما مشكلة سوريا هي ، كيفية امتصاص الضربات الاسرائيلية دون مساعدة عربية ودون التنازل عن نظرية الكفاح المسلح ضد اسرائيل » . ويجيب الكاتب على هذا السؤال : « قد تكون سوريا قررت انها قادرة على امتصاص حوادث اطلاق النار ما دامت لا تخرج عن منطقة الجبهة ولا تنطوي على فقدان مناطق ، ولكن اذا كان الامر كذلك فلا يجب الافتراض ان حكام دمشق سيسمحون لانفسهم بالتعرض ، عدة مرات ، لما تعرضوا له في ٢٠ تشرين الثاني . فقد يصلون الى مرحلة لا يجدون فيها من مفر الا التوجه الى الاتحاد السوفييتي لتزويدهم بمظلة جوية . ونظن ان سوريا لن ترغب في تكرار الخطأ المصري ، ولكن الامور قد تتغير وفقا للضغوط والاخطار ويجب ان نورد ذلك بالحسبان » .

أما من الناحية الاسرائيلية ، فيقول الكاتب ان مشكلة اسرائيل في المواجهة مع سوريا هي : « كيف نعمل دون ان نتورط اكثر مما ينبغي . ان هدف اسرائيل هو وقف كل النشاط العسكري من جانب سوريا ، حتى زرع الالغام . واسرائيل تطمح الى المحافظة على وقف اطلاق النار من جانب السوريين و « المخربين » . وسيكون من العبث ان تؤدي عملياتنا ، في هذا الكفاح ، الى الكسر المطلق لوقف اطلاق النار ، والى صدامات واسعة للغاية والى احتلال اراض ، والى حرب شاملة . ولكن اسرائيل قد تقع في هذا الوضع العبثي حتى لو لم تشأ ذلك ، وقد تجر الروس الى تدخل عسكري في سوريا » . ويخلص الكاتب من ذلك الى القول ان اسرائيل قد قررت « السير حتى النهاية ، حتى نهاية الحرب الشاملة » .

ويقول شالوم روزنفالد في مقال في صحيفة « معريب » (١١/٢٩) ان تأزم الموقف العسكري في منطقة الشرق الاوسط الان قد يجعل الاحداث تتحكم بالحكام ، وقد تندلع حرب شاملة في المنطقة. ويرى ان الاحداث الاخيرة على الجبهة السورية هي جزء من الاستراتيجية العربية الرامية الى طرح ازمة الشرق الاوسط على خارطة الاحداث ، وان لها ثلاثة اهداف : الاول — التأثير على مجرى المناقشة ، حول قضية الشرق الاوسط ، في الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة وعلى صياغة القرار . والثاني — تنشيط أية مبادرة دولية ، امريكية ام غيرها حتى وان لم تؤد الى اي حل ، ولكنها تمنح العرب مهلة اخرى . والثالث — التخلص من الضغط الداخلي على الزعماء العرب.

وقد شرح الوزير يسرائيل جليلي المفهوم الاسرائيلي لوقف اطلاق النار بقوله (١١/٢٢) : « ان كل ما هو مطلوب من اجل المحافظة على الهدوء على الحدود الشمالية هو المحافظة على استمرار وقف اطلاق النار كما هو ، ليس فقط عدم اطلاق نيران مدافع الجيش ، بل عدم القيام بعمليات زرع الغام وتخريب ، وعدم السماح لعناصر « المخربين » بالعمل هناك بصورة حرة » .

ولم يستبعد رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست حاييم تسدوك امكانية تصاعد الموقف على الجبهة السورية ، فقد صرح يوم ١٢/١١ بانه « من الجائز ان تشهد اشتعال الوضع على الحدود الشمالية نتيجة أعمال التخريب من الاراضي اللبنانية او السورية . وخلافا للوضع في لبنان فان على اسرائيل في حال حدوث اعمال « تخريبية » من الاراضي السورية ان لا تضرب قواعد المخربين فحسب ، بل الجيش السوري نفسه » .

وبهذا المعنى ايضا ، معنى تثبيت المفهوم الاسرائيلي لوقف اطلاق النار صرح السفير الاسرائيلي في واشنطن يتسحاق رابين (١١/٢٤) « بأن الولايات المتحدة تأمل في الا يشكل الرد الاسرائيلي على سوريا خطرا على وقف اطلاق النار ، خاصة على الحدود مع مصر » . واضاف : « ان اسرائيل والولايات المتحدة اتفقتا على أن افضل طريق للتقدم نحو التسوية هي التوصل الى تسوية جزئية ، تشمل اعادة فتح قناة السويس ، وتدعيم وقف اطلاق النار » .

ان الربط بين الحديث عن تسوية تشترط المحافظة على وقف اطلاق النار والتأكيد على خطورة تصاعد الموقف العسكري على الجبهة السورية ، تؤكده صحيفة « دافار » التي نقلت تقدير الاوساط الاسرائيلية الرسمية ، فقد نشرت يوم ١١/٢٧ « ان التقدير الاسرائيلي السائد هو ان سوريا تسخن الحدود لدوافع الصراع العربي الداخلي . ويبدو ان سوريا معنية بتوريط مصر في انتهاك وقف اطلاق النار على القناة . وبذلك تخرب كل امكانيات التسوية الجزئية بين اسرائيل ومصر ».

وتضيف الصحيفة نقلا عن هذه الاوساط انه « ليس من المستبعد ان تخلق مجموعة ملابسات تؤدي الى تدهور شبيه بعشية حرب الايام الستة ،وذلك على الرغم من التقدير الشائع في الدول العربية — بما فيها سوريا ومصر — من انها لا تستطيع المواجهة العسكرية مع اسرائيل » .

ولكن هذه الاوساط — تضيف الصحيفة — « لا تعرف حتى الان ما هو دور الاتحاد السوفييتي في التطورات الاخيرة . ان بعثات الاسلحة مستمرة في التدفق الى سوريا بكميات كبيرة » . ولقد سئل يسرائيل غليلي عن امكانية « التعجيل في تغلغل السوفييت في سوريا » من جراء الامتدادات الاسرائيلية فأجاب : « ان جهود التغلغل الروسية في سوريا قد سبقت ردود الجيش الاسرائيلي . وفي الفترة الاخيرة ازدادت هذه الجهود في اعقاب اخراج القوات السوفياتية من مصر . ويحاول السوفييت البحث عن مناطق اخرى يتمسكون بها من أجل ان يضمنوا لانفسهم موقفا استراتيجيا سياسيا » . وجاول الوزير الاسرائيلي ان ينفي العلاقة بين الإعتداءات الاسرائيلية وبين العلاقات السورية — السوفياتية بقوله : « من الخطأ ربط جهود التغلغل السوفياتي بدفاعنا عن انفسنا » .

ولكنه اضاف : « وبالمقابل فانني اريد ان اشير الى خطورة ميل السوريين للاعتقاد بان العلاقات بينهم وبين السوفييت بحد ذاتها سوف تردعنا عن الدفاع عن مستعمراتنا . وانا لا أفترض ان عمليات الجيش الاسرائيلي سوف توقف جهود التغلغل السوفييتي لسوريا » (١١/٢٢) .

وكتبت صحيفة « دافار » مقالا عن تصعيد التوتر على الجبهة الشمالية ، فرفضت التفسيرات السهلة القائلة ان سوريا تسخن خطوط وقف النار بسبب مشاكلها الداخلية . وقالت : « ليس هنالك الا تفسير واحد معقول هو أن دمشق تريد ان تنسف امكانية المحادثات في الشرق الاوسط من ضمنها الاتصالات بين اسرائيل ومصر ، وبين اسرائيل والاردن . وعلى هذا الصعيد تلتقي مصلحة سوريا مع مصلحة الفدائيين » (١١/٣٠).

ومن ناحية ثانية ، كثر الحديث في اسرائيل عن مبادرة امريكية لعقد تسوية جزئية في المنطقة . ومن مظاهر هذا الاعتقاد الاسرائيلي اتهام سوريا بان قيامها بضرب القوات الاسرائيلية في الجولان انما يهدف الى نسف احتمالات التسوية الجزئية . ومن مظاهره الاخيرة تلخيص نائب رئيسة الحكومة يغال آلون نتائج محادثاته في واشنطن . فقد قال في اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي (١٢/١٧) « ان المسؤولين الامريكيين يعتبرون ان الوضع ملائم الان أكثر من اي وقت مضى لتحقيق تقدم في اتجاه ايجاد حل جزئي او شامل للنزاع بين اسرائيل ومصر من جهة ، وبين الاردن واسرائيل من جهة اخرى » .

وكان يغال آلون قد صرح في حديث تلفزيوني في واشنطن (١٢/١٢) « انه لم يظهر أي دليل يشير الى ان واشنطن ستتقدم بمبادرة جديدة في الشرق الاوسط . الا أنه من الممكن الافتراض انها ستتقدم على هذا في وقت قريب أو بعيد » . وكانت اذاعة اسرائيل قد خصصت برنامجا خاصا لبحث التوقعات بشأن المبادرة الامريكية المتوقعة بشأن الشرق الاوسط . وقالت ان المشروع الامريكي ما زال مجهولا لاسرائيل ولمصر . وأضاف معلق الاذاعة (رصد اذاعة اسرائيل ١٢/١٢) ان الامريكيين قد صرحوا مرة تلو المرة ، وبعد فترة وجيزة من انتخابات الرئاسة بأن في نيتهم تجديد نشاطهم لكسر الجمود المحيط بأزمة الشرق الاوسط. وقد أعاد مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون

الشرق الاوسط جوزيف سيسكو على سمع السفير رابين القول ان الولايات المتحدة متمسكة برأيها ان الطريق الوحيد للتوصل الى حل هو التسوية الجزئية » .

خروج اسرائيل من تشاد

● بعد أوغندا .. قطعت تشاد علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، فصار من الممكن التساؤل حول مستقبل النفوذ الاسرائيلي في افريقيا . وان الاوساط الاسرائيلية لا تخفي توقعاتها بأن مبادرة تشاد الاخيرة قد تعقبها مواقف دول افريقية أخرى ، الامر الذي يشير الى انفراط العقد الاسرائيلي في افريقيا . ويربط المعلقون الاسرائيليون بين خطوة أوغندا السابقة وخطوة تشاد اللاحقة . وتقول صحيفة « معريب » (١١/٢٩) « ان الفارق بين الحدثين ليس فارقا في الماهية بل في الكيفية ، فالوجود الاسرائيلي ، السياسي والدبلوماسي والاقتصادي ، كان ضئيلا » . وعبرت الصحيفة في مقالها الافتتاحي عن عدم وجود ضمان في الا تسير دول افريقية أخرى في أعقاب تشاد واوغندا . ولكنها حذرت من انه ليس محتما ان يكون قطع علاقات تشاد مع اسرائيل بداية سياسة ابتعاد دول افريقيا عن صداقة اسرائيل . « ومن واجبنا ان نكون اكثر حذرا في تنمية العلاقات والاستثمارات والصفقات المشتركة وتقديم المساعدة . يجب الا نبالغ في الامتناع عن انشاط في أفريقيا ، ولكن يجب الا نبالغ ايضا في توسيع مجال نشاطنا في القارة السوداء ازاء التطورات الاخيرة » .

ولقد عبرت الحكومة الاسرائيلية عن أسفها لقطع العلاقات . وصرح الناطق بلسان وزارة الخارجية (١١/٢٨) بأن الحكومة قد سجلت امامها ، بأسف ، بيان حكومة تشاد حول قطع العلاقات مع اسرائيل . وأكد الناطق انه منذ استقلال تشاد نشأت بين البلدين علاقات صداقة وجدت تعبيرها في التعاون الاقتصادي والمساعدة الفنية . وأضاف ان الحكومة الاسرائيلية ترى انه لم يكن في العلاقات بين الدولتين أمر يفسر خطوة حكومة تشاد .

ويلاحظ المراقب لرد الفعل الاسرائيلي على خطوة تشاد اصرار المسؤولين الاسرائيليين على حصر دوافع تشاد لقطع علاقاتها في اطار بعيد عن المسلك الاسرائيلي السياسي وموقفها من الاراضي العربية المحتلة . ويعزون خطوة تشاد الى الضغط الليبي عليها ، والى قضايا داخلية في تشاد . ولكن رئيس تشاد فرانسوا تومبالبي قد فسر خطوته في الثالث عشر من الشهر الفائت لدى تسلم اوراق اعتماد السفير الليبي بأن سياسة التوسع الاسرائيلية قد اثارت معارضة الاسرة الدولية . وأكد ان قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل أمر نهائي ولن يعدل عنه . وكان رئيس تشاد قد اعلن في خطابه يوم ١١/٢٨ ان وجود مندوبي اسرائيل في تشاد يعرض للخطر أمن الدولة وأمن دول افريقية اخرى .

وقد استهانت الاوساط الاسرائيلية بهذا الاتهام ووصفته بأنه « اسطوانة على طريقة عيدي امين » (معريب ١١/٢٩) . وجردت خطوة تشاد من اي مضمون سياسي ذي علاقة بالدور الذي تقوم به اسرائيل في افريقيا ، واعتبرته مجرد رضوخ لضغط الرئيس الليبي . ولكن مراسل « معريب » في أوروبا كتب في ١١/٢٩ نقلا عن مصادر وصفها بأنها مصادر مطلعة « ان الرئيس الليبي كان يخشى ان تتحول تشاد الى قاعدة للعمليات الاسرائيلية ضد ليبيا مما دفعه للضغط على تومبالبي لقطع العلاقات مع اسرائيل » . وتضيف المصادر ذاتها انه تجري مفاوضات ، منذ مدة ، بين القذافي وتومبالبي بشأن اخراج اسرائيل من تشاد . وقد ازداد الضغط الليبي في الآونة الاخيرة خوفا من عمليات اسرائيلية انتقامية ضد ليبيا بسبب تأييدها المقاومة الفلسطينية .

ويعتقد وزير الخارجية الاسرائيلي أبا ايبن — في كلمة القاها في كتلة التجمع في الكنيست يوم ١١/٢٨ — ان قطع العلاقات الدبلوماسية من جانب تشاد « جاء نتيجة ضغط ليبي وسعودي . فاقتصاد تشاد في وضع متدهور وهي تحتاج الى اموال لا نستطيع منحها اياها . وان ليبيا والسعودية اللتين تقدمان المساعدة الاقتصادية لتشاد تشترطان قطع العلاقات مع اسرائيل » .

وتعتقد الاوساط الاسرائيلية ان خطوة تشاد قد تمت « بمباركة فرنسا » . وترد هذه الاوساط المباركة الفرنسية الى حالة تمرد قبائل الشمال المسلمة على السلطة المركزية . ويأتي الدور الفرنسي من وجود قوات فرنسية في تشاد تساعد الحكومة في محاربة المتمردين في الشمال والذين يحظون بمساعدة ليبيا وتأييدها ، بسبب كونهم مسلمين وقريبين من الحدود الليبية التشادية . وتربط الدوائر الاسرائيلية بين صفقات الاسلحة الفرنسية مع ليبيا وبين التمرد في تشاد الذي يحظى بمساعدة ليبيا من جهة ومحاربة القوات الفرنسية من جهة اخرى . وتقول هذه الدوائر ان باريس قد طلبت من ليبيا ، اثناء المفاوضات على تزويدها بطائرات المسراج ، ادخال بند في الاتفاقية يلزم حكومة ليبيا بعدم مد المتمردين في شمال تشاد بالمساعدة وبعدم تمكينهم من العمل من الارض الليبية .

وتقول هذه المصادر الاسرائيلية ان الوضع في تشاد قد تأزم في الآونة الاخيرة . واتضح ان ليبيا ليست وحدها تساعد المتمردين في الشمال ، فقد ساندتهم الجزائر ايضا ، وان مقر « الجبهة الوطنية لتحرير تشاد » يقع في الجزائر . فلجأ رئيس تشاد الى قطع العلاقات مع اسرائيل ، بناء على طلب من ليبيا التي وعدته بعودة الهدوء الى بلاده التي تبلغ مساحتها ضعف مساحة فرنسا .

أما فرنسا التي ساندت تومبالبي في حربه ضد المتمردين ، فقد حاولت التوسط بينه وبين ليبيا . ولكن عندما اتضح لها ان قطع العلاقات مع اسرائيل هو الطريق الوحيد لعودة الهدوء الى تشاد شجعته على اتخاذ هذه الخطوة .

وتقول صحيفة « معريب » (١١/٢٩) ان العلاقات بين تشاد واسرائيل ينتابها الفتور منذ ثلاثة اشهر، وصارت مهمة السفير الاسرائيلي في تشاد تزداد صعوبة يوما بعد يوم ، الى درجة ان العلاقات بين البلدين بلغت حد الجمود ، الامر الذي جعل اسرائيل تشعر ان تشاد ستمضي في اعقاب اوغندا عاجلا ام اجلا .

وتعود العلاقات بين اسرائيل وتشاد الى عام ١٩٦٠ عندما استقلت عن فرنسا واعترفت بها اسرائيل . وفي عام ١٩٦٢ انشئت سفارة اسرائيلية في العاصمة بورلامي . وكان رئيس تشاد قد زار اسرائيل قبل الاستقلال عام ١٩٥٨ ثم زارها زيارة رسمية بعدما تولى الرئاسة عام ١٩٦٥ .

م . د .

المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية

(ماتسبن)

بقلم

ليلى سليم القاضي

من منشورات مركز الابحاث في م.ت.ف.

ص. ب ١٦٩١ — بيروت

٢٠٠ صفحة بليرتين لبنانيتين ، تضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي
١٠٠ ق.ل. في اوروبة ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة أو أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي أن نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيليـــة التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

اليوميات الفلسطينية

أول وأدق سجل علمي شامل للقضية الفلسطينية

في تطوراتها وأحداثهـا واخبارهـا

مـدة ست سنـوات ونصف السنة

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧١/٦/٣٠)

ثلاثة عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عـام

٧١٠٠ صفحة مـن القطع الكبـير

سعر المجموعة ١٤٥ ل. ل.

(عدا اجور البريد)

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث ـ م. ت. ف.

ص. ب ١٦٩١ ـ بيروت

غسان كنفاني

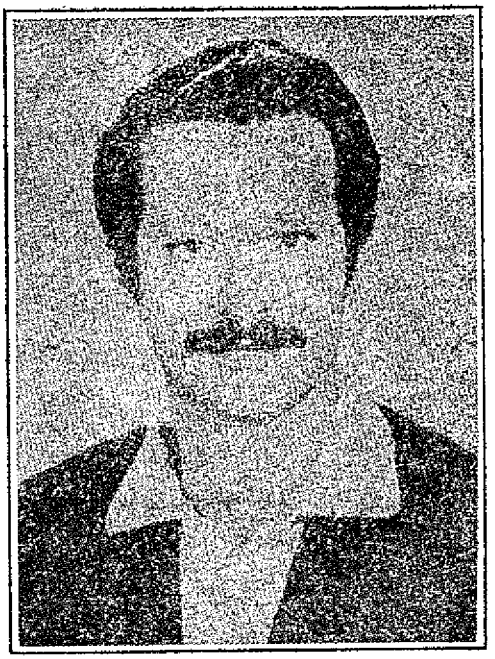

المجلّد الأول

رجال في الشمس
ما تبقى لكم
عائد إلى حيفا
أمّ سعد
العاشق
الأعمى والأطرش
برقوق نيسان

الآثار الكاملة للكاتب المناضل
الشهيد تصدر في مجلّدات

المجلد الأول
يصدر قريباً

بطرس طنوس
الموزع العام
لبارفون فرانس
تجهيز هاتفي - صيانة وتصليح
هاتف: ٢٨٤٨٧٣ فرن الشباك - بيروت
ص. ب. ٥٠٢٤٥ فرن الشباك
سجل تجاري ٢٤٥٨٤

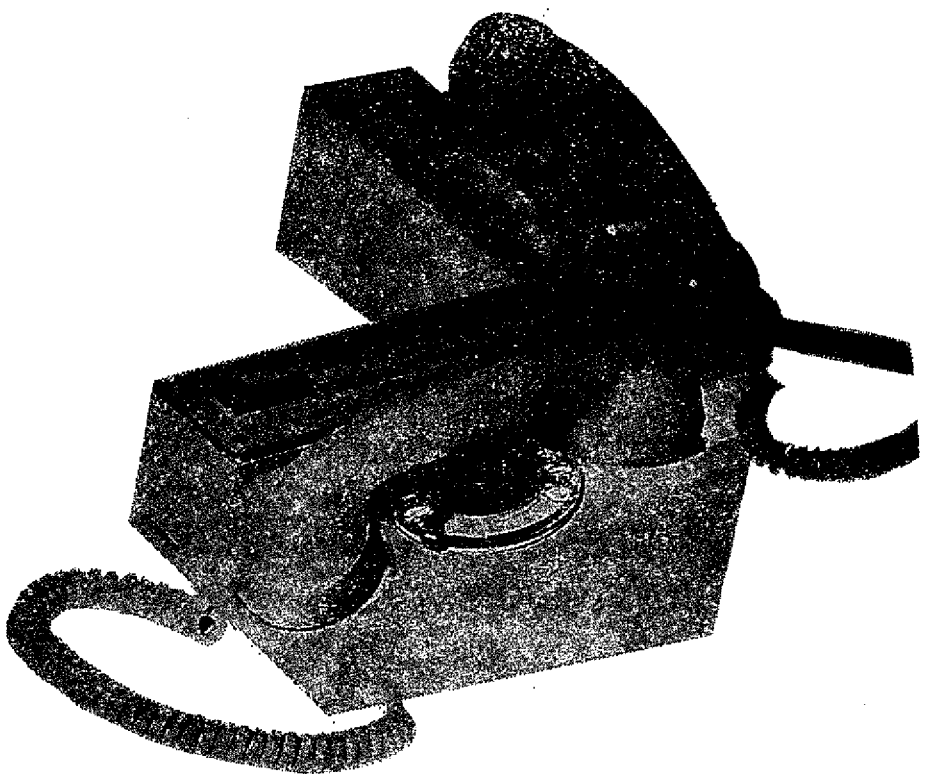

telecom
SPECIALISTE EN TELEPHONIE
TEL: 284873
FURN EL CHEBBACK-LIBAN
BOUTROS TANNOUS
DISTRIBUTEUR
EXCLUSIF "BARPHONE
P. O. Box 50245 Furn el Chubbak
R. C. 24584

صدر المجلد السنوي السابع من

السياسة الدولية

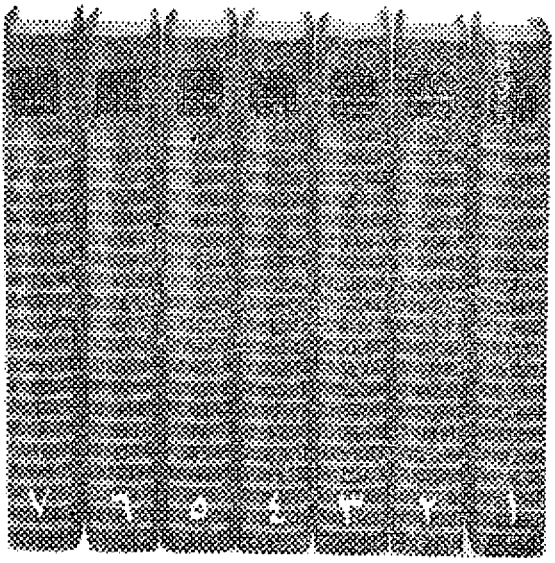

- مرجع علمي للعاملين في الحقل السياسي والدبلوماسي والإعلامي .
- المجلد مزود بفهرس تحليلي وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشارع محمد فريد والمكتبات الكبرى في الوطن العربي
- يضم الأعداد ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالي

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة

الخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

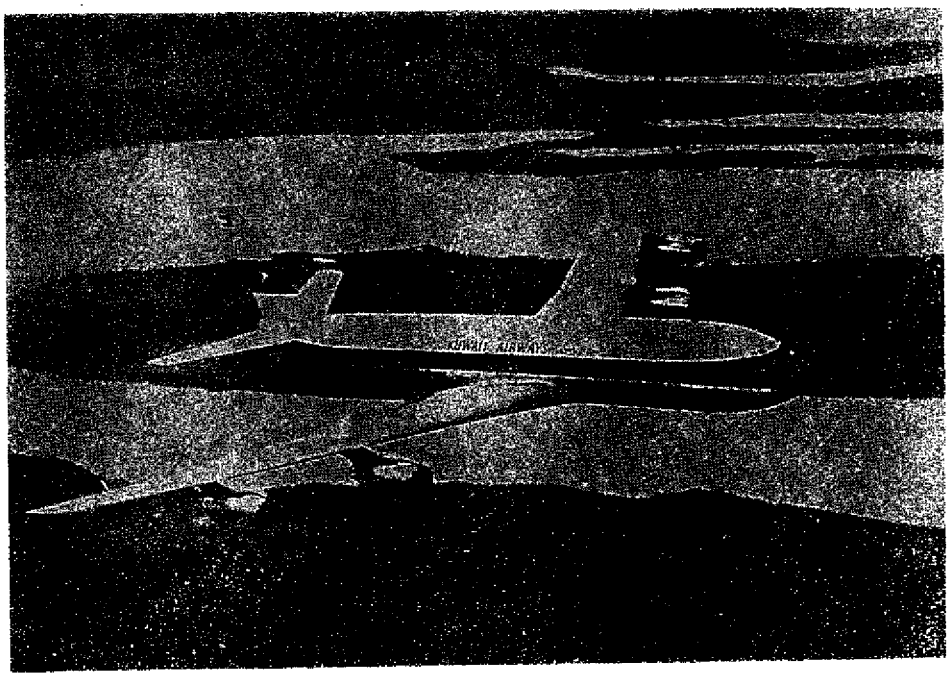

مكاتب رئيسية في كل من :

الكويت ـ البحرين ـ الدوحة ـ دبي ـ الظهران ـ عدن ـ عمان ـ دمشق ـ بيروت ـ القاهرة
طهران ـ عبدان ـ اثينا ـ جنيف ـ فرانكفورت ـ باريس ـ روما ـ لندن ـ نيويورك ـ هيوستون
شيكاغو ـ ديترويت ـ تورونتو .

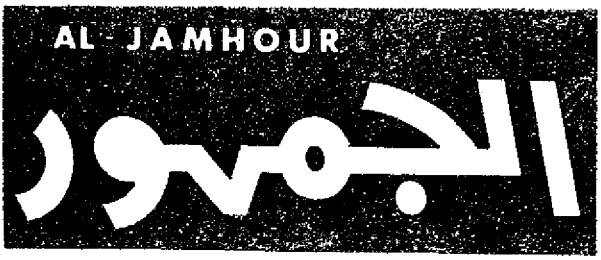

اطلالة اسبوعيـــة

علـــى

قضايـــا المقـــاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العـــالم وشعوبه

معالجـــة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صبـــاح كل يوم اربعـــاء

تطـــل

الجمهـــور

على قرائهـــا الموزعين

فـــي

١٦ دولة عربية وافريقية واوروبية

مطبعة الغريب
بيروت